

# العقيدة خالص (٢)

IAQD2053



## العقيدة خاص [٢]

### المحتويات

- الدرس الأول : التوحيد : أهميته، شرفه، وأقسامه ٢٣-٧
- الدرس الثاني : المرجع في الأصول والفروع هو: الكتاب والسنة ٤٤-٢٥
- الدرس الثالث : المرجع في فهم الكتاب والسنة هو: ما سار عليه أهل السنة والجماعة ٦٠-٤٥
- الدرس الرابع : الإيمان بالأسماء والصفات عند أهل السنة: أهميته، وآثاره ٧٩-٦١
- الدرس الخامس : طريقة أهل السنة في الأسماء والصفات ١٠٥-٨١
- الدرس السادس : طرق المبتدعة في الأسماء والصفات، ومنهج أهل السنة هو الأسلم والأعلم والأحكم ١٢٦-١٠٧
- الدرس السابع : أسماء الله تعالى كلها حسنى، وهي توقيفية، وأعلام وأوصاف لها دلالات ١٧٤-١٢٧
- الدرس الثامن : تعداد أسماء الله الحسنى، والمراد بإحصائها ٢١٨-١٧٥
- الدرس التاسع : أمثلة من أسماء الله تعالى الحسنى مع شرحها ٢٧١-٢١٩
- الدرس العاشر : الكلام في إثبات صفات الكمال لله تعالى ٣٦٢-٢٧٣
- الدرس الحادي عشر : انقسام الناس في نصوص الصفات إلى ستة أقسام ٤٠٧-٣٦٣

## العقيدة خاص [٢]

- الدرس الثاني عشر : قواعد في تأصيل مذهب أهل السنة في الصفات ٤٤٧-٤٠٩
- الدرس الثالث عشر : الصفات الذاتية والفعلية لله تعالى، ومعتقد أهل السنة فيها ٤٧٧-٤٤٩
- الدرس الرابع عشر : المخالفون لمذهب أهل السنة في صفات الله، والرد على شبهاتهم ٥٢٢-٤٧٩
- الدرس الخامس عشر : أفعال الله تعالى ٥٣٨-٥٢٣
- قائمة المراجع العامة : ٥٤٨-٥٣٩

التوحيد : أهميته، شرفه، وأقسامه

عناصر الدرس

- العنصر الأول : أهمية التوحيد وشرفه ٩
- العنصر الثاني : أقسام التوحيد ١١



#### أهمية التوحيد وشرفه

إن التوحيد له شرفٌ عظيمٌ، ومزيةٌ زائدةٌ على غيره من العلوم، بل إن هذا العلم يعد هو الذروة في العلوم كلها، ذلك أنه هو موضوع دعوة الأنبياء والمرسلين ورسَل الله أجمعين، وهو الجزء الأعظم من دعوتهم.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : "وجميع الرسل إنما دعوا إلى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥٥]، فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم، فقال نوح لقومه - كما ذكر ذلك ربنا في كتابه - : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وإبراهيم، قال الله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا بِحُكْمِ رَبِّكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ فَالْعَمَلُ بِحُكْمِ رَبِّكُمْ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقْبَلُ﴾ [النحل: ٣٦]."

والله ﷻ إنما أرسل الرسلَ وأنزل الكتب لأجل إقامة التوحيد بين العبيد، هذه هي المهمة الأساسية للكتب السماوية، ولبعثة الأنبياء والمرسلين. فكل الرسل جاءوا بالتوحيد والدعوة إليه، واشتركوا فيه.

وهذا يبين مكانة وأهمية وشرف وفضل علم التوحيد والله ﷻ إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل إقامة التوحيد بين العبيد، قال ﷻ : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا بِحُكْمِ رَبِّكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ فَالْعَمَلُ بِحُكْمِ رَبِّكُمْ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقْبَلُ﴾ [النحل: ٣٦]. وله خلق الجن والإنس، أي: لأجل التوحيد ولإفراد الله ﷻ بالعبادة، كما جاء في قول الله ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أي: إلا ليعبدون أي: يوحدون.

فأهم ما على العبد أن يعرفه هو التوحيد وذلك قبل معرفة العبادات كلها حتى الصلاة، وهذا يبين أهمية علم التوحيد.

كذلك مما نؤكد عليه: أن علم التوحيد ودراسته والوقوف عليه، هو أفضل العلوم بإطلاق، بل هو أشرفها على الإطلاق، ذلك أن العلم يشرف بشرف المعلوم، وقد تقرر عند العلماء أن المتعلق يشرف بشرف المتعلق، فعلى أن نعرف: ما هو المتعلق؟ وما هو موضوع علم التوحيد؟ وعن أي شيء يتحدث؟ فإن كان المعلوم من علم التوحيد، وفي دراسته أمور شريفة، تعلو على غيرها، فيصبح هذا العلم شريف، ويعلو بالتالي على غيره.

ولو نظرنا إلى مسائل علم التوحيد، سنجد أنه يتحدث عن ذات الله ﷻ وعن صفاته وما يليق بجلاله ﷻ وكماله، ولا شك أنه لا يوجد أشرف ولا أكمل من الواحد الأحد ﷻ المتصف بصفات الجلال والكمال، إلى جانب ما يتحدث فيه عن ذات الله وصفاته، وما يليق بجلاله ﷻ وكماله أيضاً يشمل على مسائل مهمة كالإيمان بالأنبياء والمرسلين، وأن الله ﷻ أرسل إلى الأمم رسلاً يدعونهم إلى الله ﷻ ويبصرونهم به سبحانه، ويخبرونهم عما يجب في حقه ﷻ كذلك من معلوم هذا العلم: الإيمان والمعرفة بالكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين، وكذلك الإيمان بالملائكة، واليوم الآخر، وما فيه من حساب وعذاب، وميزان وصراط، وجنة ونار، وما إلى ذلك. وكل هذه أمور شريفة، وعلى رأسها أشرف معلوم يتعلق به علم التوحيد، ألا وهو الإيمان بالله ﷻ.

ولذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم -رحمهما الله تعالى-: ((سئل النبي ﷺ عن أي العلم أفضل؟ فقال ﷺ: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور)).



## المقيدة خاص [٢]

### الدروس الأولى

إدًا، يتبين من ذلك أن الإيمان بالله ﷻ ورسوله جاء في مقدمة الأعمال الفاضلة. وبالتالي لو قلت: بأن أشرف العلوم وأفضل العلوم على الإطلاق، هو علم التوحيد ما جانبنا الصواب.

إدًا يتبين مما ذكرت أن علم التوحيد هو أشرف العلوم موضوعًا ومعلومًا، وكيف لا يكون كذلك وموضوعه رب العالمين، وصفوة خلق الله أجمعين، ومآل العباد؛ إما إلى جحيم أو إلى نعيم.

ولأجل هذا سماه بعض السلف: "الفقه الأكبر"، يعني: أن بعض السلف أطلق هذه كلمة "الفقه الأكبر" على علم التوحيد؛ ليبين أنه أفضل وأشرف العلوم بإطلاق، وأنه هو الفقه أو الفهم الأكبر الذي يكون غيره دونه.

### أقسام التوحيد

#### ١. التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

#### القسم الأول: توحيد الربوبية:

تعريفه: هو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ هو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو القائم بشئون خلقه من التدبير، وغير ذلك، فلا ربَّ مع الله ﷻ أوجد شيئًا في هذا الكون ولا أخرج شيئًا من العدم إلى الوجود.

وأدلة هذا التوحيد من القرآن الكريم كثيرة جداً ؛ منها مثلاً: قول الله ﷻ:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ، فهنا إثبات ربوبية الله ﷻ على  
العالمين جميعاً ، وأنه ربهم ، وأنه هو الذي يتولى أمورهم. كما قرر ذلك ﷻ  
فقال: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] ، الله ﷻ خالق  
كل شيء موجود في هذا الكون ، وما عدا الله ﷻ فهو مخلوق مربوب مقهور ،  
والله ﷻ هو ربه ، وهو خالقه ، وهو الذي أوجده ، وأنه كما تفرد بالخلق ،  
والإيجاد ، والرزق ، والتدبير ، وجميع شئون الخلق ، فكذلك هو المتفرد  
بالوحدانية ﷻ.

### القسم الثاني : توحيد الألوهية :

تعريفه : هو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادة ، سواء كانت هذه العبادة قلبية  
قولية ، أو بدنية ، أو مالية ، فالحب والبغض ، والخشوع والخضوع ، والإنابة  
والتوكل ، والذكر والصلاة ، وسائر أنواع العبادات والزكاة التي هي عبادة مالية ،  
كل ذلك لا يصرف إلا لله ﷻ دون سواه.

وأيضاً القرآن الكريم دلَّ على هذا التوحيد ، وتحدث عنه في مواطن مختلفة  
متعددة ؛ من ذلك مثلاً: قول الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بعدها: ﴿رَبِّ  
الْعَالَمِينَ﴾ فهذه الآية أثبتت توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ؛ لأن  
الحمد لله معناه: المألوه المعبود هو الله ﷻ وذلك مصداق قوله الله ﷻ عن عباده وأبيائه  
وأوليائه ، أنهم كانوا يفردون الله ﷻ بالعبادة. كما قال ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ﴾ ، وقال ﷻ عن النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي  
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٣) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣] ، وأمر

## العقيدة خاص [٢]

### الدروس الأولى

الله ﷻ في كثير من الآيات في كتابه بإفراده ﷻ وحده فقال مثلاً: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الرؤم: ٢، ٣].

وقال سبحانه في شأن أمره لعباده أن يفرده بالعبادة، وأن يخلصوا له التوحيد: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

هذا هو النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو مهم للغاية؛ لأن هذا النوع من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، كما ذكر أئمة أهل العلم في هذا.

وهذا التوحيد -توحيد الألوهية- هو لب دعوة الأنبياء والمرسلين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] أخبر ربنا ﷻ هنا أنه أرسل في كل أمة رسولا، لماذا؟ يأمرهم بعبادته وحده دون سواه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

### القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

تعريفه: هو ما يتعلق بذات الله ﷻ وما يجب له من الجلال والكمال، وذلك بإثبات أسمائه وصفاته كما جاءت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة. وأهل السنة والجماعة يؤمنون بجميع ما صح به الخبر، وما جاءنا في كتاب ربنا، وعلى لسان نبينا ﷺ يؤمنون به إيماناً بلا تمثيل، أو تشبيه، وكذلك بلا تأويل أو تعطيل. فالإيمان بالأسماء والصفات يلزم منه ويقتضي أن تثبت جميع أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى، دون أن نُعمل عقولنا في ذلك، أو نخرج عمّا ورد به النص في ذلك؛ لأن هذه مسألة توقيفية.

وهناك أدلة كثيرة من القرآن الكريم تؤكد هذا القسم؛ من ذلك مثلاً: قول الله ﷻ: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال ﷻ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وهذا أيضاً يؤكد ما ذهب إليه جمهور السلف وأئمتهم -رحمهم الله تعالى- بأن إثبات الأسماء والصفات لا يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوقات، والله ﷻ يقرر في آية عظيمة هذا المفهوم وهذا المعنى، فيقول ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] فهذا الجزء الأول من هذه الآية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ نفي التشبيه والتمثيل عن الله ﷻ ثم عَقَّبَ عليها ربنا ﷻ بقوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فأثبت له اسمين عظيمين، وهو السميع البصير، وإثبات الأسماء لا شك يلزم منه أننا نثبت الصفات.

أيضاً تكون الآية قد تضمنت إثبات الأسماء والصفات، وتعني هذه الآية لما نفى ربنا ﷻ عن نفسه المثلية والتشبيه، ثم أثبت بعد ذلك له شيئاً من أسمائه الحسنى، دل ذلك على أن نفي التشبيه لا يلزم منه نفي الأسماء والصفات، بل تثبت الأسماء والصفات وينفى عن الله ﷻ فيها التمثيل أو التشبيه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

والقرآن الكريم مليء بالحديث عن أسماء الله وصفاته، فمثلاً في آية الكرسي بعض أسماء الله وصفاته، وأواخر سورة الحشر بعض أسماء الله وصفاته، فلو تأملت القرآن الكريم من أوله إلى آخره -كما ذكر بعض العلماء- تجد أنه كله في التوحيد، وفي إثبات أن الله ﷻ رب كل شيء وخالقه، ورازقه، ومدبر أمره، وأنه ﷻ هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، وأنه أثبت في كتابه وصح الخبر في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ إثبات كثير من أسماء الله الحسنى وصفاته الله ﷻ العلى.

ونحن - أهل السنة والجماعة - نؤمن بما جاءنا عن الله ، وما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ ونفرد الله ﷻ بأنواع التوحيد الثلاثة ، ألا وهي توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

### التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي السلف :

قد يقول قائل : مَنْ أين لكم هذا التقسيم؟ وكيف أتيتم به؟ وما هو الدليل على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام؟ وهل ذكر ذلك ربنا ﷺ في كتابه أو ذكره النبي ﷺ في سنته؟

### أولاً: ما معنى استقرائي؟

يعني : أن العلماء استقروا نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، فوجدوا أن هذا التقسيم موجود في القرآن الكريم بالاستقراء ، ولا يخرج عنه ، وأدلة الكتاب والسنة على هذا التقسيم كثيرة لا تحصر ، يعرفها مَنْ لديه إمام يسير بنصوص الكتاب والسنة ، بل إن فاتحة الكتاب مثلاً وسورة الناس ، فيها ما يشفي هذا الموضوع ؛ لأنها أثبتت أنواع التوحيد الثلاثة .

**ثانياً:** للدلالة على أن هذا التوحيد بأقسامه ليس مخترعاً ، وإنما عليه أدلة ، وأن السابقين نصوا عليه في كتبهم ، ما ذكره بعض أئمة أهل العلم في ذلك ، ومن ذلك الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة - رحمه الله - الذي قال في كتابه (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية) : أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ، ثلاثة أشياء :

أ. أن يعتقد العبد ربانيته ؛ ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين يثبتون صانعاً. هذا القسم الأول - وهو إثبات الربوبية - نص عليه ابن بطة - رحمه الله -

وقد تُوفي عام ثلاثمائة وسبعة وثمانون هجريًا، يعني: تُوفي في القرن الرابع الهجري - رحمه الله -.

ب. أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع، وأشركوا معه في العبادة غيره.

إدًا، أثبت ابن بطة هنا توحيد العبادة توحيد الألوهية: أفراد الله ﷻ بالوحدانية؛ حتى لا يقع العبد في مذاهب أهل الشرك، كما ذكره - رحمه الله - لأن أهل الشرك أقروا بأن الله ﷻ خالق، ورازق، وبارئ، وما إلى ذلك، ولكنهم أشركوا مع الله ﷻ آلهة أخرى، وهذا هو ما وقع من المشركين في عهد النبي ﷺ.

ج. أن يعتقد موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها؛ من العلم والقدرة والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

هذا هو كلام الإمام ابن بطة - رحمه الله -.

إدًا، هذا التقسيم - تقسيم ابن بطة - واردٌ عن أعلام السلف، فعندما نقول: بأنه تقسيم استقرائي، يعني: لو استقرأنا نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، نجد أنهما لا يخرجان بحالٍ عن هذه الأقسام الثلاثة.

وكذلك ما ذكره أيضًا الإمام ابن منده - رحمه الله - في كتابه (التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد)، ذكر ذلك أيضًا ابن منده، وابن منده - رحمه الله - توفي عام ثلاثمائة وخمسة وتسعين هجريًا، يعني: في آخر القرن الرابع. وقد عقد أبوابًا تتعلق بتوحيد الربوبية؛ وأيضًا عقد أبوابًا تتعلق بتوحيد الألوهية؛ وكذلك عقد أبوابًا تتعلق بأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ.

العلی. وكذلك محقق الكتاب - وهو كتاب (التوحيد) لابن منده - رحمه الله - الدكتور / علي بن ناصر فقيه - رحمه الله - ذكر ذلك ، وأشار إليه في مقدمة تحقيقه لكتاب (التوحيد).

ومما ذكره ، قال - رحمه الله - : " ومؤلف هذا الكتاب عاش في القرن الرابع الهجري ما بين سنة ثلاثمائة وعشرة ، وسنة ثلاثمائة وخمسة وتسعين هجرياً . قال : وقد اشتمل كتابه على أقسام التوحيد التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى : توحيد الربوبية ، توحيد الألوهية ، توحيد الأسماء والصفات ، فبدأ بقسم الوجدانية في الربوبية مستدلاً على توحيد الله ﷻ في الألوهية ، ثم ذكر عنواناً لتوحيد الأسماء ، ومنه دخل في توحيد الألوهية ، وذلك من الفصل الثاني والأربعين إلى الفصل الخمسين... إلى آخر ما ذكره - رحمه الله - في إثبات هذه القضية .

ورد بذلك أيضاً في هذه المقدمة على من ينكرون هذا التقسيم ، وبالتالي وقعوا في كثير من البدع وألوان الشركيات ، نعوذ بالله ﷻ منها .

ونحن حينما نقسم التوحيد بذلك ، نود أن نشير إلى أن هذا الأمر ليس بجديد ، وأنه لا بد منه ؛ كي يعرف الناس توحيد الله ﷻ والطريق الصحيح إلى هذا التوحيد ؛ حتى يفرد الله ﷻ وحده بالعبادة دون سواه .

ونحن ننصح الدارسين بهذا المنهج أن يقفوا على كتاب (القول السديد في الرد على من أنكروا تقسيم التوحيد) ، للدكتور / عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، فهو قد أفاد كثيراً في هذا الموضوع ، وذكر كثيراً من النقول التي ذكرناها الآن ، وهو في الحقيقة كتاب جيد في بابه وفي موضوعه ، وهو مهم ، ودليل أهميته : أننا ذكرنا هذه الفقرة بعد ذكر أقسام التوحيد ؛ حتى نرد بها على المتدعة الذين ينكرون على أعلام السلف وعلى أئمة أهل السنة والجماعة - رحمهم الله تعالى - أقسام التوحيد وأنواعه .

والشيخ العلامة بكر أبو زيد - رحمه الله - أيضاً له كلام جيد في هذه المسألة،  
مذكور في كتاب الدكتور عبد الرزاق.

عرفنا الآن ما معنى التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف، أشار إليه  
ابن منده وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخاً الإسلام ابن تيمية وابن  
القيم - رحمهما الله تعالى - وقرره الزبيدي في (تاج العروس)، وشيخنا الشنقيطي  
في (أضواء البيان) وآخرون - رحم الله الجميع -.

قال - رحمه الله - : "وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مضطرد لدى أهل  
كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى : اسم وفعل وحرف، والعرب لم  
تفه بهذا.

وهذه إشارة جيدة، فنجد العلوم كلها قد قسمها أهلها وأربابها وأصحابها إلى  
أنواع وتقسيمات، أخذوها من الواقع الذي تقوم عليه هذه المقررات أو المناهج،  
وذلك أيضاً بالاستقراء أو بالتتبع أو ما إلى ذلك، فالأمر أيضاً في هذا التقسيم وفي  
باب العقيدة كذلك حينما قسمنا التوحيد إلى ثلاثة أقسام. قال : كما في استقراء  
النحاة كلام العرب إلى : اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب  
على النحاة في ذلك عاتبٌ، وهكذا من أنواع الاستقراء".

## ٢. بيان أهمية العلم والإيمان بالأسماء والصفات :

هذه النقطة مهمة، والتعرض لها أيضاً مهم، ذلك أننا في دراستنا بهذا المنهج  
سنقف وقفات متعددة وكبيرة مع توحيد الأسماء والصفات، ولذلك كان لا بد  
من بيان أهمية العلم، والإيمان بأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى.



وهذه النقطة تشتمل على ثلاث نقاط رئيسية :

**النقطة الأولى :** بيان أن العلم بالأسماء والصفات أحد ركني التوحيد :

قد سبق أن تحدثنا عن أقسام التوحيد ، وقلنا : بأنها تنحصر في ثلاثة أقسام ، وأشرنا أيضاً بأنه ينقسم إلى قسمين ، وفي الحقيقة حينما نقول : بأن التوحيد ينقسم إلى قسمين أو ثلاثة ، فإذا قلنا : إلى قسمين ، فالقسمان يدخلان في الثلاثة أقسام ، وبالتالي نقول : بأن توحيد الأسماء والصفات أحد ركني التوحيد على اعتبار أن التوحيد ينقسم هنا إلى قسمين ، وسبق أن قلنا : بأنه ثلاثة أقسام .

وذكر ذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله- قال : "بأن التوحيد الذي جاءت به الرسل ، التوحيد الذي بعثت به الأنبياء والمرسلون ، نوعان ؛ نوع في العلم والاعتقاد ، ونوع في الإرادة والقصد . ويسمى الأول -وهو في العلم والاعتقاد- : "التوحيد العلمي" ، ويسمى الثاني -وهو توحيد الإرادة والقصد- : "التوحيد القصدي الإرادي" ؛ لتعلق الأول بالإخبار والمعرفة ، والثاني بالقصد والإرادة . مدار النوع الأول -وهو التوحيد العلمي ، وهو النوع في العلم والاعتقاد- على إثبات صفات الكمال لله ﷻ وعلى نفي التشبيه عنه ، وتنزيهه عن العيوب والنقائص ، إلى جانب أنه ﷻ رب العالمين . ومن ذلك إثبات صفات الكمال لله رب العالمين ، وإثبات أن الله ﷻ خالق كل شيء ، ومليكه ، ورازقه ومدبره ، وما إلى ذلك .

**النقطة الثانية :** بيان أن معرفة الأسماء والصفات طريق إلى معرفة الله ﷻ

**وعبوديته :**

ذلك أن الله ﷻ غيب لم يره أحد في الدار الدنيا ، فالله ﷻ غيب ، وقد تعرّف على عباده ، وعرّف عباده على نفسه بما ذكره عنها من أسمائه الحسنی وصفات

الله العلى ، فإذا أراد العباد أن يعرفوا ربهم ، ويزدادوا به علماً ، فليس أمامهم من طريق إلا أن يتعرفوا على الله ﷻ من خلال النصوص الواصفة له ، والمصرحة بأفعاله ، وأسمائه ، وصفاته .

ولننظر مثلاً في قول الله ﷻ الذي خاطبنا به في كتابه معرفاً بنفسه في قوله ﷻ :  
 ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لو تأملنا هذه الآية ، نجد أن الله ﷻ يعرف عباده بنفسه ، فيثبت لنفسه -أولاً- الوجدانية : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ثم يشير إلى نفسه بقوله : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ إلى آخر ما ذكر في هذه الآية الكريمة المباركة ، وهي آية من أعظم آيات القرآن الكريم ؛ لأنها تتحدث عن الله ﷻ وعن شيء من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى .

ولو تأملنا أيضاً الآيات الواردة في أواخر سورة الحشر ، وهي مثلاً قول الله ﷻ :  
 ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٢ ، ٢٣] ، لوجدنا أن الله ﷻ يعرف عباده بنفسه من خلال أسمائه الحسنى وصفاته الله ﷻ .

ومن هنا نقول : بأن العلم والإيمان بالأسماء والصفات أمر مهم وضروري للغاية ، ذلك أنه فعلاً طريق إلى معرفة الله ﷻ وإذا عرفنا الله ﷻ وعرفنا الطريق إليه ، استطعنا أن نعرف كيف نعبد الله ﷻ .

#### النقطة الثالثة: تزكية النفوس بالعبودية الحقة لله:

ذلك أن تزكية النفوس بالعبودية الحقة لله الواحد الأحد ﷻ من أهمية الإيمان والعلم بالأسماء والصفات؛ فالعلم بالأسماء والصفات يزكي النفس بالعبودية الحقة بالله ﷻ ذلك بأن الشريعة المنزلة من عند الله ﷻ لها هدف ترمي إليه وتسعى إليه، ألا وهو إصلاح الإنسان، وطريق الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية الحقة لله ﷻ ولذلك كان المفتاح الذي فتح به الرسل قلوب العباد، هو آيات الله ﷻ التي تتحدث عن الله ﷻ وتربط القلوب به. وهذا الحديث يهز النفوس، ويحرك القلوب، ويزيل الأدران والأرجاس التي تحبس الإنسان عن الخير.

ولنتأمل قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَفْسَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] نجد أن هذه الآية تبين أن الله نزل هذا القرآن الكريم أحسن الحديث متشابهاً مثاني، لماذا؟ لأنه يؤثر في القلوب ويحركها، فيجعلها تلين وترجع وتثوب إلى الله ﷻ. إذًا، العلم بأسماء الله وصفاته هو العاصم من الزلل، والمقيل من العثرة، والفتاح لباب الأمل، والمعين على الصبر.

وفي الحقيقة، فالعبد حينما يتأمل أسماء الله الحسنى وصفاته الله ﷻ العلى ويعمل بمقتضى هذه الأسماء وهذه الصفات، يرتفع إلى درجة عالية من الرفعة والراحة والهدوء والسكينة والاستقرار، فمثلاً: الذي يقع في المعصية - ولا يخلو منها إنسان - ولو صغيرة من الصغائر، وقد يقع بعض الناس في كبيرة من الكبائر، فحينما يقع الإنسان في معصية ويكون مؤمناً وتنازعه نفسه الخوف من الله ﷻ ومن لقاء سبحانه، ومن الوقوف بين يدي الله، وأن الله سائله عما اقترفت يداه

من هذه المعصية، حينها يتذكر العبد ويعلم أن الله ﷻ يتصف بالرحمة، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأن من أسمائه الحسنی أنه الرحمن الرحيم، حينما يتذكر العبد ذلك الذي وقع في المعصية، سرعان ما يتوب ويثوب -أي: يرجع- إلى من؟ إلى الرحيم، يرجع إلى من وسعت رحمته كل شيء، والذي دفعه إلى ذلك هو علمه وإيمانه بأسماء الله الحسنی وصفات الله العلی، وأن من صفاته الرحمة یرحم بها ﷻ عباده.

كذلك من يعلم تفرد الرب ﷻ بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة. تجد هذا العبد الذي يعتقد ذلك ويؤمن به لله ﷻ لا يلتفت بقلبه ولا بقوله ولا بأي شيء من عمله لغير الله ﷻ لأنه يعلم تمام العلم أن كل ذلك بيد الله ﷻ وحده دون سواه، فإذا أراد أن يدفع عن نفسه ضرراً أو أن يلحق بها نفعاً، فما عليه إلا أن يتوجه إلى من آمن به، ويعلم أنه ﷻ بيده كل شيء، وأنه ﷻ هو الذي يعطي ويمنع، ويدفع الضر... وما إلى ذلك.

### . بيان أهمية العلم بمسائل القدر:

للإيمان بمسائل القدر أثر عظيم في صلاح الفرد والمجتمع، فكون العبد يؤمن ويعتقد بأن الله ﷻ قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض، وأنه كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وأن الأمر كما ذكر الإمام البخاري -رحمه الله- وعنون بعنوان في (صحيحه): "باب جفوف القلم" على علم الله ﷻ وذكر قول النبي ﷺ: ((إن القلم جف بما كائن إلى يوم القيامة))، فحينما نؤمن بذلك، يكون هذا له أثر عظيم على الفرد وعلى الجماعة، حيث الاستقامة، وذلك أن الإيمان بالقدر، وأن الله ﷻ قدر مقادير الخلائق، وأنه خالق أفعال

العباد، يخلص العبد من الشرك؛ لأن بعض الناس وقعوا في إثبات خالقين مع الله ﷻ وهم القدرية، حينما قالوا: إن العبد يخلق فعل نفسه. فحينما تؤمن بأن كل شيء بقدر، وأن الله ﷻ خالق كل شيء تكون بذلك قد نجوت من الوقوع في أي لون من ألوان الشرك.

والإيمان بمسائل القدر تفيد الإنسان في الاستقامة على منهج الله ﷻ في السراء والضراء. كيف ذلك؟

حينما تعلم أن كل شيء بقدر، فتسكن نفسك، وتستريح وتسلم لقضاء الله ﷻ قدره، وهذا هو معنى قول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١] وأنه ﷻ يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد، وأن له ﷻ حكم بالغة فيما يفعل، وهذا لا نعني به أن يتجرأ العبد على معاصي الله ﷻ ولكن الأمر - كما ذكر أهل العلم - في أن الإنسان يشكر الله ﷻ ويحمده في حالة السراء، ويصبر في حالة الضراء، ويعلم أن كل شيء عند الله ﷻ بقدر وأنه قدر كل شيء، وإن ما وقع إنما هو كائن بقدره الله ﷻ ولا يعني ذلك أن يحتج العصاة على الله ﷻ بأعمالهم، بأنه لا حجة لهم في ذلك. والقدر - كما سنبين فيما بعد، إن شاء الله تعالى - لا يحتج به عند المعائب، وإنما لو وقعت مصيبة أو كارثة تؤمن ونصدق بأن كل شيء من عند الله ﷻ.

أيضاً الإيمان بالقضاء والقدر يجعل المؤمن دائماً على حذر، لماذا؟

لأنه لا يعلم بما سيختم له، ولا بما قدر عليه، فهو يجتهد في العبادة وفي الطاعة ويكون دائماً على حذر؛ لأن الأعمال بالخواتيم كما ذكر نبينا ﷺ.



المراجع في الأصول والفروع هو: الكتاب والسنة

### عناصر الدرس

- العنصر الأول : وجوب تعظيم القرآن والسنة، والاعتماد عليهما ٢٧  
في أمور الدين
- العنصر الثاني : حجية السنة ٣٣
- العنصر الثالث : أخبار الآحاد تقوم بها الحجة في العقائد والأحكام ٤٠





## وجوب تعظيم القرآن والسنة، والاعتماد عليهما في أمور الدين

ينبغي علينا أن نعظم القرآن والسنة، وأن نعتمد عليهما فيما نحتاج إليه من أمور الدين. ويشتمل على النقاط التالية:

## أ. بعض الأدلة التي توجب تعظيم القرآن الكريم والسنة النبوية:

ذلك أن الناس كانوا في جاهلية عمياء، فأرسل الله ﷺ رسوله بالبينات والهدى ودين الحق، وأنزل عليه الكتاب والحكمة؛ فضلاً من الله ﷻ ورحمةً، وكانا أي: الكتاب والحكمة، ونعني بالحكمة هنا: السنة معاً سبباً في إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما ذكر ربنا ﷻ ذلك في كتابه: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال ﷻ معظماً القرآن والسنة، وداعياً إلى وجوب العمل بهما، وسرعة الاستجابة لما جاء فيهما: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ولهذا نقول: يجب على جميع العباد معرفة قدر كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وأنهما المخرج الوحيد لإنقاذ البشرية من ظلمات الشرك والهوى والخرافة والضلالة، إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة والتوحيد، ولهذا كان حقهما التعظيم والإجلال والعمل بهما، والتسليم لما جاء فيهما. قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وهذه آية عظيمة جداً تدعو إلى وجوب الاعتصام والاعتماد على القرآن والسنة،

وعدم الخروج عليهما، وتبين أنه ما يحق ولا يجوز لمؤمن أو مؤمنة إذا حكم الله حكماً أو بين رسول الله ﷺ بياناً فيما جاء من عند الله ﷻ أن يختار بعد أمر الله أو أمر رسول الله ﷺ.

ومثل هذه الآية وهي قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ آية عظيمة في بيان قدر الله - كتاب الله - وسنة رسول الله ﷺ ووجوب الرجوع إليهما والاحتكام إليهما في كل أمور الدين، وهي ما جاء في قوله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] فهذه الآية الكريمة تنفي الإيمان عن من لا يحكم بما جاء في كتاب الله، وعلى لسان رسول الله ﷺ لأن ما جاء به الرسول ﷺ جاء عن الله؛ لأن الله قال فيه وفي شأنه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤] ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ وليس هذا فقط هو المطلوب، وإنما أن لا يكون في قلب المؤمن أدنى حرج من حكم الله أو حكم رسول الله ﷺ: ﴿ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي: يدعونا إذعائاً لما جاءهم عن رسول الله ﷺ.

والآيات في هذا المعنى كثيرة يضيق من المقام عن ذكرها بالتفصيل، وتكفي هذه الإشارة في بيان وجوب تعظيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن الاعتماد عليهما في فهم الدين أمر ضروري، ولا بد منه، وأنه ليس لنا مرجع أصلاً يمكن أن نرجع إليه ونستقي منهما ما يتعلق بأصول ديننا أو فروعنا؛ لأن الله ﷻ أنزل علينا القرآن والسنة ليكون هما الطريق الوحيد للخروج من ظلمات الشرك والجهل والضلالة، إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة، وهي نعمة ورحمة ومينة من

الله ﷻ على عباده. مصداق ذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ب. وجوب الإيمان بجميع النصوص على ظاهرها، وترك التأويل :

بعد أن ذكرنا الأدلة على وجوب تعظيم القرآن والسنة ، وأنهما المرجعية لكل من أراد أن يتعلم الهدى ودين الحق ، والمرجعية فيمن أراد أن يعرف الخير من الشر ، وأن القرآن الكريم والسنة هما المصدر ، وهما المرجع ، وأنه يجب الاعتماد عليهما في أصول الدين ، نطلق من هذه النقطة إلى نقطة تالية ، وهي : أننا يجب أن نؤمن بجميع النصوص على ظاهرها وترك التأويل. يعني : نأخذ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على ما جاءنا وخاطبنا به ربنا ﷻ بلغة العرب ، وأن ندع التأويل في ذلك جانباً.

ونقصد بأخذ النصوص على ظاهرها هنا : معرفة المدلول أو المفهوم من النص بمقتضى الخطاب العربي ، وبما يشتمل عليه ظاهر اللفظ ، والظاهر المراد الذي نعيه هو ما احتمل معنى راجحاً واحتمل معنى واضحاً لا لبس فيه ولا غموض ، فنحن نؤمن بجميع النصوص على ظاهرها ؛ لأن المتكلم الذي يخاطب الآخر يجب عليه أن يبين له من خلال كلامه ما يحتاج إليه ، ولا يوجد أصدق من الله ﷻ بياناً ولا حديثاً ، وهو خاطبنا ربنا ﷻ في كتابه بالقرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب ، ونحن يجب علينا أن نفهمه على مقتضى لغة العرب ، ولا نُعمل فيه العقول والأهواء ، فنرد هذه النصوص أو نخوض فيها بتأويل ، أو ما إلى ذلك ؛ لأن لو كان الله ﷻ يريد غير ما خاطبنا به ، أو أن نفهم معنى أو كلاماً مما خاطبنا ربنا ﷻ به لحثه بقرائن ترشد وتشير وتدل إلى ما يريد.

والمتكلم الذي يريد أن يهدي الناس إلى الحق والخير، يجب عليه أن يبين لهم ما يريده ﷺ بهم على وفق ما يعقلونه، وعلى وفق ما يفهمون. والله ﷻ قد أقام الحجة على العباد بكتابه الذي أنزله بلغة العرب على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ وبالتالي يجب علينا أن نأخذ بهذه الظواهر وأن نترك التأويل؛ لأن التأويل فيه خطر عظيم جداً على البشرية وعلى دين الله ﷻ وما فسدت الدنيا في الحقيقة إلا بالتأويل الفاسد الذي كان من ورائه صرف الناس عن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لأن التأويل هو: صرْفُ للفظ الظاهر عن مراده، صرف له عن معناه المتبادر إلى الذهن.

فكون الإنسان يصرف اللفظ عن المعنى المتبادر إلى الذهن، أو عن الظاهر الذي جاء بتأويل، أو بإعمال عقل، أو ما إلى ذلك، من أين له أن هذا هو الحق؟ ومن أين له أن التأويل الذي أتى به تأويل سائغ؟ ولو كان الحق عند هذا المؤول ما سكت عنه رسول الله ﷺ ولا بينه صحابة النبي ﷺ خاصة في المسائل المتعلقة بأصول الدين؟

فمسائل أصول الدين مسائل محسومة كلها لا مجال فيها للعقل، أو للاختراع، أو للزيادة، أو للإضافة، أو للنقصان، أو ما إلى ذلك، فإعمال العقل فيها في النصوص الواردة فيها وصرفها عن ظاهرها المتبادر، هو في الحقيقة إفساد وتخريب لهذه النصوص، ولم يكن لدى النبي ﷺ ولا صحابته الكرام شيء من ذلك.

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "لم يكن في الصحابة من تأول شيئاً من نصوصه. يعني بذلك نصوص الوحي على خلاف ما دل عليه، لا فيما أخبر به الله عن أسمائه وصفاته، ولا فيما أخبر به عما بعد الموت".

لا يكن هذا أبداً لدى صحابة النبي الكريم ﷺ بل كانوا يأخذون بالظواهر الواردة لهم في كتاب الله أو فيما صح به الخبر عن النبي ﷺ.

أما من تأخر بعد العهد النبوي والصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأعملوا عقولهم في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وخاصة فيما يتعلق بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وقعوا في خطأ عظيم، ويكفي أنهم اتبعوا في ذلك فلاسفة اليونان وغيرهم، وسلكوا مسالكهم وشربوا من مشاربهم. ودين الله ﷻ واضح لا يحتاج إلى إضافة من أحد، فالتأويل له خطورة عظيمة جداً على الدين.

وابن القيم - رحمه الله - بين ذلك، فقال: "فأصل خراب الدين والدنيا، إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ولم يرده رسوله ﷺ بكلامه، ولدل عليه أنه مراده ﷻ لأن المتكلم الناصح والمخاطب الذي يريد أن ينصح للمستمع، لا بد أن يبين له كلامه، وماذا يحتاج إليه؟ وماذا يريد منه؟".

إذاً النبي ﷺ والصحابة من بعده { فهموا منه مسائل الدين، وما تكلموا عن مسائل التأويل أو صرفوا اللفظ الذي جاءهم في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة عن ظاهره، بل فهموا وعقلوا خطاب الله ﷻ لهم وخطاب النبي ﷺ دون أدنى تكلف أو تمحل، أو صرف للفظ عن ظاهره.

### ج. أقسام الناس تجاه نصوص الوحي:

الناس الذين نزل عليهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، انقسموا إلى أربعة أقسام تُجاه نصوص الوحي التي جاءتنا من عند الله ﷻ والقرآن الكريم أشار إلى أن الناس انقسموا في الأوامر الربانية التي جاءتهم من عند الله ﷻ.

وتم تصنيف الناس أو ذكر أقسام الناس في أول سورة "البقرة"، حيث ذكر الله ﷻ أولاً مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﷻ وصدق المرسلين، ثم ذكر قسماً آخر وهم الكافرون، ثم ذكر قسماً ثالثاً وهم المنافقون.

وما جاء في حديث أبي موسى الأشعري > في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ والذي بين فيه أن الوحي الذي جاء من عند الله ﷻ وما أتى به النبي ﷺ شبهه بالمطر النازل من السماء على الأرض، فانقسمت الأرض تجاه المطر عليها من السماء إلى أقسام حسب التربة.

كذلك أيضاً الناس انقسموا إلى أقسام متعددة تجاه نصوص الوحي الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وبيان ذلك كالتالي:

**القسم الأول:** قبلوه ظاهراً وباطناً - أي: قبلوا الوحي الإلهي كما جاء من عند الله ﷻ في الظاهر والباطن - وهؤلاء هم أهل الحق والفقهاء في الدين، سلموا لنصوص الوحيين - القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة - باطناً فأمنوا بهما، واعتقدوا وعرفوا مكانتهما، ووجوب العمل بهما، ثم بعد ذلك قاموا بتنفيذ أحكامهما كما جاء من عند الله ﷻ في الظاهر دون أن يتأولوا شيئاً منها، أو يصرفوا أي نص عن وجهه كما جاء من عند الله ﷻ، فهذا هو القسم الذي ينجو - إن شاء الله تعالى - وكتب له النجاة في الواقع والحقيقة في الدنيا والآخرة.

**القسم الثاني:** ردوه باطناً وظاهراً وكفروا به، وهؤلاء هم الكافرون الذين لم يقبلوا الوحي الإلهي الذي جاء من عند الله ﷻ.

**القسم الثالث:** قبلوه ظاهراً، وجحدوه باطناً، وهؤلاء هم المنافقون الذين في الظاهر أمام الناس أو أمام الملأ أعلنوا إسلامهم وإيمانهم، وتظاهروا أنهم مع الناس يشاركونهم في الظاهر في الصلاة في الصيام في العبادات، أما هم في الباطن فهم كافرون بالله ﷻ.

**القسم الرابع:** قبلوه باطناً، وجحدوه ظاهراً، وهذه حالات نادرة جداً، ووقعت للمستضعفين، فالنجاشي مثلاً - رحمه الله - قبل الإسلام باطناً ولكنه - لأنه في

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس الثاني

بيئة كلها مشرّكة ليست على دين الإسلام، وكان هو وحده الذي يؤمن بالله ﷻ في هذه الأرض، فقبل الدين باطنًا - لم يعلنه ظاهرًا أمام هؤلاء الناس.

فالشاهد من أقسام الناس: أننا نعلي شأن القسم الأول، وهم من قبلوا الدين الذي جاء من عند الله ﷻ قبلوه في الظاهر كما قبلوه في الباطن، وعملوا بالأحكام الواردة من عند الله ﷻ.

### حجية السنة

طلما أننا نتحدث عن القرآن الكريم وعن السنة النبوية المطهرة، وعلى وجوب الاعتناء بهما، وقبول أخبارهما، يحسن بنا هنا أن نتكلم عن السنة النبوية المطهرة وحجيتها؛ ذلك لأن السنة النبوية هي التي بين لنا فيها نبينا ﷺ أصول الدين كما جاءت من عند الله ﷻ والقرآن الكريم كان على رأس الأصول التي جاء ونزل على رسول الهدى والرحمة ﷺ.

ودلالة القرآن الكريم والسنة والإجماع على حجية السنة تشمل على النقاط التالية:

#### أ. دلالة القرآن الكريم على حجية السنة:

القرآن الكريم دل في مواطن متعددة مختلفة على حجية السنة، وذلك من وجوه أيضاً متعددة؛ منها: أن الله ﷻ جعل طاعة رسوله ﷺ من طاعته الله ﷻ وجعل طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، وذلك بنص كتاب الله سبحانه. قال ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] كما أن الله ﷻ قرّن طاعته سبحانه بطاعة رسوله ﷻ وهذا فيه دلالة على حجية السنة، وعلى وجوب اتباع النبي ﷺ.

وعلى أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ؛ وذلك لأن الله أمر بها وقرن طاعة رسوله ﷺ بطاعته. فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

كما أفرد ربنا ﷻ طاعة النبي ﷺ في مواطن وأمر بها. يعني: أفرد الله ﷻ طاعة النبي وأمر بها بمفرده، فقال: ﴿وَمَا ءَأْتِكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] هذا أمر بإفراد اتباع النبي ﷺ: ﴿وَمَا ءَأْتِكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

ولذلك يحسن هنا أن نشير إلى حديث عبد الله بن مسعود < لَمَّا ذَكَرَ: "أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَعَنَ النَّامِصَةَ وَالْمُتَمَصِّصَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوَشِمَةَ، وَالْوَاشِرَةَ وَالْمُسْتَوَشِرَةَ". لما سعت امرأة كلام ابن مسعود < وهو يلعن ذلك، فسألته المرأة: كيف تلعن من لم يلعنه الله ولا رسوله ﷺ؟ فقال لها: وما لي لا ألعن من لعنه الله ﷻ هو في كتاب الله، فذهبت المرأة تلتمس في المصحف في كتاب الله ﷻ تقرأ في القرآن الكريم؛ لترى هذا اللعن فلم تجده، فأتت إلى عبد الله بن مسعود تناقشه، بأنها قرأت القرآن الموجود بين يديها، فلم تجد فيه نصاً ينص على أن الله ﷻ لعن النامصة والمتمصصة... إلى آخر ما جاء في الحديث.

فقال لها عبد الله بن مسعود <: "لو قرأتيه لعرفتيه"، يعني: أنت لو قرأت القرآن لوجدتيه ولعرفتيه، فقالت: وأين هو؟ قال لها: ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَمَا ءَأْتِكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ قالت: بلى، هذه الآية موجودة في كتاب الله قال لها: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول... وذكر الحديث. فاستدل عبد الله بن مسعود بهذه الآية الكريمة على وجوب تباع النبي ﷻ وعلى وجوب اتباع سنته ﷺ.



## العقيدة خاص [٢]

### المدرس الثاني

أيضاً من أدل القرآن الكريم على حجية السنة ووجوب اتباع النبي ﷺ أن الله ﷻ حَدَّرَ من مخالفة النبي ﷺ وهذا دليل واضح جداً على وجوب تعظيم واتباع النبي ﷺ واتباع الأثر الذي جاء عن رسول الله ﷺ.

فكون القرآن الكريم يحذر من مخالفة النبي ﷺ والخروج عما جاء به، دل ذلك على وجوب اتباع سنته. قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

إدًا، يظهر بهذا بوضوح أن القرآن الكريم أمر باتباع النبي ﷺ ودل على حجية السنة وما جاء به النبي ﷺ.

### ب. دلالة السنة على حجية السنة:

النبي ﷺ أمر باتباع سنته، والتمسك بها، والعمل بما جاء فيها، وذلك في أحاديث متعددة؛ منها: حديث العرياض بن سارية < والذي يقول فيه: ((وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون؛ فقلنا: يا رسول الله ﷺ كأنها موعظة مودع؟ فأوصنا)) يعني: العرياض بن سارية يقول: بأن النبي ﷺ وعظهم موعظة عظيمة، جليلة القدر، حتى إن هذه الموعظة أثرت في قلوبهم، وأثرت على ظاهرهم، فذرفت منها -بكت منها- عيونهم، فسألوه: هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فأوصنا يا رسول الله ﷺ فماذا أوصاهم؟ وبأي شيء؟ قال: ((عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً،

فعلَيْكُمْ بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)).

فيوصيهم باتباع سنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، هذا فيه دليل واضح جداً وعظيم على حجية سنة النبي ﷺ وعلى وجوب العمل والتمسك بما جاء في سنته.

بل إن النبي ﷺ نَهَى عن رَدِّ سنته، ونهى عن عدم الأخذ بها، وبين أن الأخذ بها واجب، وأنها في العمل بها ككتاب الله ﷻ وذلك كما جاء في حديث عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه } وعن جميع صحابة النبي، ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: ((لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)).

هنا النبي ﷺ ينهي: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهى مما جاء به النبي ﷺ ونهى عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، ثم يبين النبي ﷺ أن ما جاء به هو مثل ما جاء به عن الله تعالى ﷻ وأن سنته ﷺ يجب العمل بها كما يجب العمل بالقرآن الكريم.

### ج. دلالة الإجماع على حجية السنة:

انعقد الإجماع على وجوب اتباع سنة النبي ﷺ والعمل بما جاء فيها، ولذلك سنذكر هنا بعض النقول عن أئمة أهل العلم، ومنهم مَنْ له قدر جليل فيه، وإمام فيه، بل هو أحد الأئمة الأربعة الذي ينتسب إليهم الناس اليوم؛ منهم الإمام الشافعي - رحمه الله.

يقول الإمام الشافعي في بيان حجية السنة: "ولا أعلم من الصحابة والتابعين أحداً أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره وانتهى إليه". وقد تُوفي الإمام الشافعي - كما هو معلوم - في القرن الثاني الهجري في منتصفه.

وقد ذكر الإمام الشوكاني - رحمه الله - مثل ذلك - يعني: مثل الإمام الشافعي - يقول الشوكاني: "إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام، ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا مَنْ لا حظَّ له في الإسلام، وهذا يظهر بوضوح لدى طلبة العلم، وهو أن القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، على وجوب العمل والأخذ بسنة النبي ﷺ.

### د. منكرو السنة، وبيان ضلال معتقدتهم في ذلك:

نرى أنه من المناسب أن نشير إلى منكري السنة، وبيان ضلال معتقدتهم في ذلك، لماذا؟

ذلك أن بعض الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة: كالروافض والخوارج والمعتزلة، أنكروا كثيراً من سنة النبي ﷺ وردوا كثيراً منها، وكانت لهم شبهات في ذلك، منها: أنهم شككوا في عدالة الرواة النقلة الذين رَووا لنا حديث النبي ﷺ.

فالخوارج: لما كفروا بعضاً من أصحاب النبي ﷺ واعتقدوا كفرهم، ما أخذوا منهم حديثاً، ولم يستمعوا إلى أقوالهم. بل يذكر ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) أن عبد الله بن خباب بن الأرت - رحمه الله - لما ذكر لهؤلاء الناس حديثاً من حديث النبي ﷺ ردوه ولم يأخذوا به، ولم يعملوا به، بل قتلوه - رحمه الله - ومن كان معه وهي أم ولده قتلوها، وأراقوا دماءهم على شاطئ النهر، لماذا؟ لأنهم كفروا من يقول هذا الحديث عن النبي ﷺ.

والروافض: لما كفروا كثيراً من أصحاب النبي ﷺ ولم يسلم من تكفيرهم إلا عدد محدود جداً من الصحابة، فبعد أن كفروهم لم يأخذوا شيئاً من أقوالهم، ولذلك كثر فيهم الكذب؛ لأنهم اخترعوا ديناً من عند أنفسهم وافتروا أحاديث لم يقلها النبي ﷺ ولم يأخذوا ما صح عن رسول الله ﷺ ورواه الأثبات الصحابة ومن جاء بعدهم.

أيضاً، من الفرق التي عملت عقولها في النصوص: الجهمية، والمعتزلة، وتبعهم في ذلك بعض الأشاعرة.

هذه الفرق المذكورة آنفاً - الجهمية، المعتزلة، الروافض، وغيرهم - ومن سلك مسلكهم كالأشاعرة، والماتريدية، هؤلاء عملوا عقولهم في النصوص، وقدموا العقل على النقل، واعتقدوا أن العقل هو أساس النقل؛ فلما اعتقدوا أن العقل هو أساس النقل بدءوا يُعملون عقولهم في النصوص، وينظرون إليها، فإن وافقت ما لديهم من معتقدات قبولها، وإن خالفت ردوها، إن كان في القرآن الكريم ما استطاعوا أن يردوه، وإنما تناولوه بالتأويل، وإن كان من حديث النبي ﷺ رده.

وقولهم في هذا لا شك باطل مردود لا يلتفت إليه، ويؤسفنا أن نشير إلى أن بعض من ينتسبوا إلى الاعتزال كانت عندهم جرأة عجيبة جداً في رد النصوص الواردة عن النبي ﷺ كما وقع ذلك من بعض الناس. فعمرو بن عبيد مثلاً يذكر عنه أنه رد حديث الصادق المصدوق، وهو حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه عن النبي ﷺ وفيه: ((إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة...)) إلى آخر الحديث. فلما سمع هذا الحديث عن النبي ﷺ - وقد ذكر ذلك الخطيب البغدادي عنه في (تاريخ بغداد) كما ذكره غيره - وهو يتعارض مع أصول

المعتزلة؛ لأنه يثبت القضاء والقدر، وأن الله خالقُ أفعال العباد، وأن الله سُبْحَانَهُ كتب في الذكر كل شيء.

هذا الحديث في أصح الكتب بعد كتاب الله وَعَلَيْكَ في البخاري ومسلم، ومع هذا لما خالف معتقد هؤلاء الناس هذا الحديث، جاء عمرو بن عبيد - وهو أحد المعتزلة - ورد هذا الحديث، وقال: لو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا لكذبت، ولو سمعتُ الرسول ﷺ يقول هذا، لرددته، ولو سمعت الله وَعَلَيْكَ يقول هذا لقلت: ما على هذا أخذت ميثاقنا!!".

فهؤلاء الناس ردوا النصوص الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بقولهم لما تعارضت مع المعتقدات التي وضعوها هم من عند أنفسهم، وردهم للنصوص هو في الحقيقة إنكار لها وتكذيب لما جاء فيها، وكانت عندهم جرأة عجيبة جداً في رد سنة النبي ﷺ والذي دعاهم إلى ذلك، هو أنهم قدموا عقولهم على النصوص الواردة عن الله سُبْحَانَهُ.

ونود أن نشير إلى أن ما ورد من نصوص في الكتاب الكريم والتي تتعارض مع معتقداتهم، صرفوها عن ظاهرها وأولوها على الظاهر المتبادر منها، والتمسوا لها تأويلاً، ولو كان تأويلاً بعيداً أو متعسفاً. أما ما ثبت في سنة النبي ﷺ فكان الأمر - بالنسبة عندهم - هيناً جداً، حيث إنهم ردوا سنة النبي ﷺ.

ومن باب الفائدة نقول: ما زلنا إلى يومنا هذا نجد بين الحين والآخر يخرج علينا أناس أو طائفة من الطوائف، تزعم الاحتكام إلى القرآن الكريم فقط، وأن السنة النبوية المطهرة لم تثبت نسبتها إلى النبي ﷺ بصورة دقيقة، ودخل فيها من الكذب عليه، والتحريف، وما إلى ذلك الشيء الكثير، وبالتالي لا نعتمد على ما جاء في سنة النبي ﷺ.

وغاب عن هؤلاء أن علماء الجرح والتعديل بينوا الصحيح الثابت عن النبي ﷺ بأدق القواعد التي تعجز الدنيا كلها أن تأتي بمثل شيء من ذلك بحال من الأحوال، فالحمد لله، فقد قيد الله ﷻ لسنة النبي ﷺ رجالاً يعرفونها ويميزون صحيحها من سقيمها.

إذًا، مَنْ يرد سنة النبي ﷺ بناءً على مثل هذه الشبهات التي تقوم في ذهنه أو في عقله، فقولُه باطل، مردود عليه، ولا يُلتفت إليه.

### أخبار الآحاد تقوم بها الحجة في العقائد والأحكام

من المعلوم: أن أخبار الآحاد تقوم بها الحجة في العقائد والأحكام، ذلك أن السنة - كما هو معلوم - تنقسم إلى قسمين:

: أحاديث متواترة، وهذه قليلة جدًا، والأحاديث المتواترة كما عرّفها علماء الحديث هي: الحديث الذي ينقله عددٌ كبير يستحيل تواطؤهم على الكذب إلى أن يتتهوا به إلى النبي ﷺ وأن يكون ذلك في كل طبقة من طبقات الإسناد.

: أحاديث الآحاد، وهي ما لم يكن عليه العدد الذي هو في الأحاديث المتواتر، وهذه الأحاديث الآحاد بعضها قد يرويه راوٍ، أو اثنان، أو ثلاثة، أو أربعة، وتعد من باب الآحاد، فهل هذه الأحاديث تقوم بها الحجة في العقائد والأحكام أم لا؟ السبب في ذلك: أن بعض المبتدعة الذين ردوا النصوص احتجوا بأن أحاديث الآحاد تفيد الظن، ونحن في مسائل العقيدة لا نأخذ بالظن، وبالتالي لم يأخذوا بالأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في باب

العقائد، ولهذا حرصنا أن نتحدث في هذا، ونبين أن الحججة تقوم بأحاديث الآحاد، سواء كان ذلك في العقيدة أو في الأحكام.

#### أ. خبر الواحد الصحيح يفيد العلم:

هذا القسم يشتمل على بعض النقاط:

**النقطة الأولى:** وهي أن خبر الواحد الصحيح يفيد العلم، وذلك عند جمهور المحدثين والأصوليين وعامة السلف وفقهاء الأمة، وكان الصحابة { يقبلون خبر الواحد، ويعملون به، وقد ذكر ذلك عنهم بعض العلماء. ومن ذلك: أبو محمد ابن حزم - رحمه الله - يقول: "ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العدل إلى رسول الله ﷺ وجب العمل به، ووجب العلم بصحته أيضاً".

وهذه مسألة دقيقة جداً ومهمة ومفيدة للغاية، فكلام ابن حزم - رحمه الله - في هذه المسألة دقيقة جداً؛ لأننا لو رجعنا إليه وتأملناه، يقول: "ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العدل إلى رسول الله ﷺ وجب العمل به".

إذاً، هو يشترط ثبوت الحديث وثبوت صحته، فالعبرة بصحة الحديث الواردة عن النبي ﷺ فإذا صح الحديث سواء كان من باب التواتر أو من باب الآحاد، وجب الأخذ به مباشرة. يعني: إذا صح الحديث يجب أن نعمل به، ولا نلتفت: هل هو حديث متواتر أم هو حديث آحاد؟ وكان هذا عند جمهور أهل العلم ولم يخالف في ذلك إلا من خالف من المبتدعة، وأهل السنة جميعاً من أولهم إلى آخرهم يأخذون بما صح عن رسول الله ﷺ ويقبلونه، ويعملون به، ولا يعترضون على شيء من ذلك، والصحابة { وهؤلاء كانوا ملاصقين للنبي ﷺ وكانوا يقبلون خبر الواحد الصحيح ويعملون به، فالعبرة في ذلك أن يصح الحديث عن النبي ﷺ.

إدًا، خبر الواحد الصحيح يفيد العلم، وهذه مسألة قائمة ومسلم بها عند جمهور المحدثين والأصوليين وعامة السلف وفقهاء الأمة، أن الحديث الصحيح يفيد العلم، وطالما أنه يفيد العلم فهو أيضًا يوجب العمل بهذا العلم؛ لأن النبي ﷺ ما أرسله الله ﷻ إلا ليبين للأمة ما تحتاج إليه، فإذا بلغنا خبر النبي ﷺ وتأكدنا أنه كلامه، وجب علينا أن نأخذه، وأن نؤمن به، وأن نصدقه، وأن نعمل بما جاء فيه.

والدليل على ذلك: أن الصحابة { كانوا يقبلون خبر الواحد العدل ويأخذونه ويعملون به، فإذا بلغهم شخص بخبر وكان ثقة، عملوا بهذا الخبر. والأدلة على ذلك من حياتهم وسيرتهم { متكاثرة؛ منها:

خبر تحويل القبلة، فبعض الصحابة كانوا يصلون وهم ركوع، وأخبرهم مخبر بأن القبلة قد تحولت من الاتجاه إلى بيت المقدس إلى المسجد الحرام، فقبلوا خبره، وتحولوا وهم ركوع، وهذا واضح غاية الوضوح. ولذلك قال الإمام أبو محمد ابن حزم - رحمه الله - : " ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العدول إلى رسول الله ﷺ وجب العمل به ووجب العلم بصحته أيضًا".

وقد ذكر ذلك الإمام ابن حزم في كتاب (الإحكام في أصول الأحكام)، وهي عبارة في الحقيقة دقيقة منه - رحمه الله - .

يعني: اشترط أن يتصل السند، وأن يكون الراوي متصفًا بصفة العدالة، وقد أخذ بذلك عامة السلف - رحمهم الله تعالى.

**النقطة الثانية:** الاحتجاج بخبر الواحد في مسائل الاعتقاد، أيضًا من نقاط هذا الفصل الاحتجاج بخبر الواحد في مسائل الاعتقاد. يعني: ما سبق بيانه بصورة عامة، أن خبر الواحد الصحيح يفيد العلم، وإذا أفاد العلم لا شك أنه يعمل بهذا العلم، قد يقول قائل: بأن هذا في مسائل الشريعة أو في مسائل الأحكام



الفقهية؛ لأن باب الاعتقاد باب خطير ومهم، ويقوم الدين عليه فهو الأساس والأصل لغيره؟!

نقول له: هذا حق، ومع هذا فإن الاحتجاج بخبر الواحد في مسائل الاعتقاد أيضاً من سبيل أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة الصالحين، كانوا يقبلون الاحتجاج بخبر الواحد والأدلة على هذا أيضاً متكاثرة في مسائل العقيدة. النبي ﷺ كان يرسل رسله إلى الآفاق كي يدعو الناس إلى الله ﷻ فأرسل وبعث أشخاصاً إلى بعض الملوك في عصره ﷺ يدعوهم إلى دين الله وإلى الدخول في الإسلام، وكانت الحجة تقوم بخبر هذا الصحابي الواحد الذي يذهب إلى ملك من الملوك، وكان النبي ﷺ يرتب على ذلك الأحكام التي منها: إقامة الحجة لهؤلاء الناس بهذا الواحد، ويمكن أن يرسل إليهم مثلًا سرايا أو ما إلى ذلك.

أيضاً النبي ﷺ أرسل معاذ بن جبل < على اليمن - وقد ذكره الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه في أول "كتاب التوحيد" من (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) - وهو شخص واحد، فماذا قال له ﷺ؟ قال له: ((إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا الله - وفي رواية: ((أن يعرفوا الله)) يعني: يوحدوا الله ﷻ ويقوموا بدينه - ثم قال له: فإذا هم عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة؛ فإذا هم علموا ذلك، فأخبرهم أن الله ﷻ افترض عليهم زكاة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)).

الشاهد من هذا الحديث: أن النبي ﷺ أرسل معاذ بن جبل < وهو شخص واحد، وأمره أن يعلم الناس أول ما يعلمهم العقيدة الصحيحة، أن يعرفوا الله، ويعبدوه، ويوحدوه ﷻ. وهذا دليل على قبول خبر الواحد في مسائل الاعتقاد.

وقد يقول قائل: إن النبي ﷺ واحد، وأقيمت الحجة به ومقبول، ويمكن أن يعترض على هذا فيقول: النبي ﷺ مؤيد بالوحي، ومؤيد بالرسالة، فلو خالف شيئاً مما نزل عليه لقام الوحي ببيان ذلك؟

نقول: هذا حق، ولكن مع ذلك خبر الواحد يقوم ويقبل أيضاً منه إذا كان هذا الواحد عدلاً صحيحاً صادقاً، يقبل قوله حتى في مسائل الاعتقاد، فما رواه الواحد من الصحابة عن النبي ﷺ في أي مسألة من مسائل العقيدة والصحابة { كلهم عدول قبل خبره، وكذلك كل ما اتصل سنده برواية العدل إلى أن يصل إلى رسول الله ﷺ وهذا هو في الحقيقة مذهب أهل السنة والجماعة.

وكتب فيه كثير من العلماء وقرره كثير من الحفاظ، والحافظ ابن حجر -رحمه الله- ذكر ذلك في أكثر من موطن في (فتح الباري) في "باب الاعتصام بالسنة"، وكذلك في "كتاب التوحيد"، والشيخ الألباني -رحمه الله- له رسالة -وإن كانت صغيرة الحجم إلا أنها قيمة في هذا الباب- ذكر فيها قبول خبر الواحد في مسائل الاعتقاد، وأن الحجة تقوم بخبر الواحد، وأن هذا الخبر يفيد العلم والعمل معاً، وأن جمهور الأمة من المحدثين والفقهاء على ذلك. كما كتب الدكتور محمد الشنقيطي رسالة خاصة في هذا الموضوع بعنوان (خبر الواحد، وحجيته).

ولكن بعض الفرق مثل المعتزلة في الحقيقة وكثير من علماء الكلام، خالفوا في ذلك، وقالوا: لا نأخذ بخبر الواحد في الاعتقاد إلا إذا جاء موافقاً للعقيدة، وقد وافقهم في ذلك كثير من متكلمي الأشاعرة، وهذا لا شك يتنافى مع المعتقد السابق لدى أهل السنة والجماعة.

المراجع في فهم الكتاب والسنة هو :  
ما سار عليه أهل السنة والجماعة

عناصر الدرس

- العنصر الأول : التعريف بأهل السنة ٤٧
- العنصر الثاني : حجية فهم الصحابة والسلف الصالح للنصوص ٥٢



#### التعريف بأهل السنة

#### النقطة الأولى: التمهيد لهذا الموضوع:

بعد هذه الإشارة والتتمة، نبين أن المرجع في فهم الكتاب والسنة هو ما سار عليه سلف الأمة، وهذا الموضوع مهم؛ لأنه يبين لنا كيف نفهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بعد أن خاطبنا الله ﷻ به، وهذا الموضوع لأهميته أيضاً قسم إلى نقاط شأنه شأن الموضوعات التي سبق الحديث عنها والتي سيأتي الحديث عنها، إن شاء الله تعالى.

لعل من النقاط المهمة التي نبدأ بها هي أن نتمهد لهذا الموضوع؛ لنبين الصلة الوثيقة بينه وبين الموضوع السابق الذي كان بعنوان: "وجوب تعظيم القرآن والسنة، وبيان أن الاعتماد عليهما في أمور الدين أمر واجب". فقد يقول قائل: بأن الأمة مع تفرق الكثير منها واختلافها، كل منها يدعي أنه يرجع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فما هو الصواب في هذا الباب؟

نقول: إنه يجب أن نفهم الكتاب والسنة على وفق ما فهمه سلف هذه الأمة الصالحين، وأنه لا خيار لنا في أن نأخذ بأقوالهم أو لا نأخذ؛ لأن هؤلاء القوم هم الذين نزل عليهم القرآن الكريم وعايشوا النبي ﷺ.

ولذلك، فإننا أردنا أن نبين أهمية هذا الموضوع: في بيان أن المرجع في فهم الكتاب والسنة هو ما سار عليه سلف الأمة؛ حتى تنقطع حجج الذين يقولون: بأننا نرجع إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية المطهرة، ثم لا يتقيدون في فهم نصوصهما بما سار عليه السابقون. وهذا في الحقيقة خطأ في المنهج، وأدى بهم إلى

الخلاف الواقع في الأمة اليوم؛ لأن كل إنسان منهم حاول أن يفهم بطريقته هو كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ولم يقتدِ في ذلك بما قاله من سبقه من الأئمة الأعلام، فوقع في الخطأ، وخرج كثير من الناس عن المعتد الصحيح الذي بينه النبي ﷺ وصحابته.

### النقطة الثانية: تعريف السلف لغةً واصطلاحاً:

بعد هذا التمهيد، نعرف في السلف في اللغة وفي الاصطلاح:

#### أ. في اللغة:

نحن نقول: "المرجع في فهم الكتاب والسنة، ما سار عليه السلف". فمن هم السلف؟

السلف في اللغة: كل من سبقك، وتقدم عليك، يعد سلفاً لك. وقد استعملت هذه الكلمة في القرآن في الدلالة على هذا المعنى، كما قال ﷺ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزُخْرُف: ٢٥٦] أي: قوماً سابقين من جاء بعدهم.

أيضاً استعملت في السنة النبوية للدلالة على نفس المعنى، وهو أن السلف من تقدم عليك، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال لفاطمة > : ((ونعم السلف أنا لك))، يعني: نعم من تقدم عليك. وهذا الحديث أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه. هذا هو معنى كلمة السلف في اللغة.

#### ب. في الاصطلاح:

كلمة السلف في اصطلاح علماء التوحيد: يطلق على الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وتابعيهم، وأئمة الإسلام العدول ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في

الدين ، وعظم شأنهم ، وتلقى المسلمون كلامهم خلفاً عن سلف بالقبول دون من لقب ببدعة ، أو لقب غير مرضي .

هذا في الحقيقة معنى كلمة السلف في الاصطلاح .

**والمقصود :** قوم سلكوا مسلك الصحابة { الذين تلقوا العلم مباشرة من النبي ﷺ واتفقت الأمة كلها على إمامة هؤلاء الناس ، وتلقوا قبولهم بالقبول ، وبخلاف من لقب ببدعة أو لقب غير مرضي : كالفدرية ، أو الرافضة ، أو الخوارج ، أو المرجئة ، أو ما إلى ذلك .

ويظهر جلياً بهذا التعريف أن مصطلح السلف يلتقي مع مصطلح : "أهل السنة والجماعة" ، ويلتقي مع مصطلح : "أهل الحديث" ، ويلتقي مع مصطلح : "الفرقة الناجية" ، ويلتقي مع مصطلح : "الطائفة المنصورة" ؛ لأن هذا التعريف يدخل أو ينطبق على كل هذه الكلمات . أي : ما كان عليه النبي ﷺ و صحابته .

### النقطة الثالثة : هل السلفية مرحلة زمنية؟

هل السلفية مرحلة زمنية تقف عند حد محدود معين؟ أو أنها ليست مرحلة زمنية؟ قلنا : من التعريف السابق يظهر لنا أن السلف ليست مرحلة زمنية مؤقتة تطلق على أناس بأعيانهم ؛ لأنها صفة في اتباع النبي ﷺ وسلوك منهج الصحابة { فمن يتبع النبي ﷺ وما كان عليه صحابته { في أي مكان وفي أي زمان ، يمكن أن يكون امتداداً لسلف هذه الأمة الصالحين . فالتعريف يفهم منه أنها لا تطلق على أناس بأعيانهم ، وإنما تمتد فتطلق على كل من اتصف بصفات السابقين .

ولذلك نقول: كل من التزم بعقائد وأصول هؤلاء الأئمة السابقين، كان منسوباً إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، كل من يقوم بهم بعقائدهم ويتأسى بهم، ويسير على المنهج الذي كانوا عليه في أي زمان ومكان، يعد منسوباً إلى سلف هذه الأمة الصالح، وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم؛ لأن الأمر - كما ذكرنا - مجرد صفات تقوم بالإنسان، فإذا اجتمعت أو وجدت هذه الصفات يطلق عليه بأنه من السلف الصالح، أو سلفي الاعتقاد. أما من خالف ذلك ولو عاش بين الصحابة أو بين التابعين، والمكان والزمان جمعه بهم، ولكنه مخالف لما هم عليه من صفات، فليس هذا بسلفي.

يقول الدكتور محمود خفاجة: "وليس التحديد الزمني كافياً في ذلك، بل لا بد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة، لا بد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني يضاف إليه ما هو موافقة الرأي للكتاب والسنة، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين".

وعليه نقول: إن اعتقاد أن السلفية مرحلة زمنية مباركة وقفت عند حد محدود أو انتهت بالقرون الثلاثة الأولى المفضلة التي أشار إليها النبي ﷺ في أحاديث، قول لا دليل عليه، صحيح أن هذه القرون مفضلة، ولكن كل من سلك هذا المسلك فيعد سلفياً.

وما يدل على ذلك أو يمكن أن نستأنس على هذا بقول الله ﷻ في كتابه:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هذه آية عظيمة جداً يشني الله ﷻ فيها على



السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ثم أتبع ذلك بمن اتبعوهم بإحسان، وأدخلهم في رضوان الله ﷻ عليهم، فدل ذلك على أن من اتبع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فهو منهم سالك سبيلهم، متصف بصفاتهم، مرضي من الله ﷻ عليه بذلك: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

### النقطة الرابعة: هل الأمة بحاجة إلى الانتساب للسلف؟

والجواب على ذلك: نعم، لا شك أن الأمة بحاجة إلى الانتساب للسلف، وإلى فهم السلف؛ لأن الأمة في عصورها المتأخرة وبعد أن دبَّ فيها الاختلاف وتعددت فيها الاتجاهات الفكرية خاصة فيما يتعلق بأصول الدين، وأصبحت كل فرقة تدعي انتساباً للقرآن والسنة، تطلب ذلك أن يقوم العلماء الأثبات بتجريد الدعوة إلى القرآن والسنة، وما كان عليه الصدر الأول، أن يبينوه وأن يجردوه مما يمكن أن يلحقه، أو أن تدخله الفرق المخالفة للحق إليه، يجرد من كل ذلك، ويقوم هؤلاء العلماء بالدعوة إلى ما كان عليه الصدر الأول، وبيانه، وأن ينسبوا ذلك إلى السلف الصالح، لماذا؟

لقطع الباب على كل من ابتدع بدعة اعتقادية وأراد نسبتها إليهم، حتى أصبحت النسبة إلى سلف الأمة الصالحين بعد هذا البيان، وبعد هذا التوضيح، رمزاً للافتخار، وعلامة على العدالة في الاعتقاد.

## حجية فهم الصحابة والسلف الصالح للنصوص

إن فهم الصحابة والسلف الصالح للنصوص، حجة أقامها الله ﷻ على العباد بذلك. ولتوضيح ذلك في محاور:

## أ. مكانة الصحابة الكرام { :

بعدما بين النبي ﷺ الدين كاملاً، الصحابة الكرام { هم أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على فضل الصحابة { وعرف أهل السنة والجماعة مكانة الصحابة من الدين، فأنزلوهم المنزلة اللائقة بهم { .

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله- : "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وحبهم دين، وإيمان، وإحسان".

وهذه أيضاً كلمة دقيقة من هذا الإمام العالم الجليل -رحمه الله- تبين توسط واعتدال أهل السنة والجماعة في صحابة النبي الكريم ﷺ فهم لا يفرطون ويبالغون في حب واحد فقط من الصحابة، أو في أحد من الصحابة بأن يرفعوه فوق المرتبة التي أنزله الله ﷻ إياها، فهم معتدلين في هذا الجانب، كذلك كما أنهم لا يفرطون في الحب ويبالغون فيه، لا يتبرءون من أحد من صحابة النبي ﷺ.

وجميع الصحابة { ثقاتٌ عدولٌ، زكَّاهم ربنا ﷻ في كتابه وأثنى عليهم ﷻ، ورضي عنهم، قال ﷺ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] فهذا نص من الله ﷻ على أن الصحابة { ثقات، وعلى

أنهم عدول ، ويظهر ذلك من رضا الله ﷺ عنهم ، كما قال ﷺ أيضاً في وصفهم آيات كثيرة ؛ منها الآية التي سبق ذكرها آنفاً هي : ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ومنها أيضاً: قول الله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا في الحقيقة أيضاً ثناء من الله ﷺ على صحابة النبي ﷺ لأنه وصفهم أنهم مع النبي ﷺ.

وأيضاً النبي ﷺ أثنى عليهم وزكاهم ونهى عن الطعن فيهم ﷺ وأخبر أن الواحد منّا لو أنفق مثل جبل أحد في سبيل الله ﷺ ما بلغ مد الصحابة ولا نصف مد الصحابة { .

ولذلك قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- : "عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله ﷺ لهم ، وإخبار الله عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن ، فمن ذلك قول الله ﷺ ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]."

وقال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- والهيتمي وجمّع من العلماء بمثل ما قال الخطيب وغيره ، وهذا هو القول المعتد عند أهل السنة والجماعة بأن الصحابة { كلهم ثقات ، وكلهم عدول ، وأن لهم مكانة عالية ، وأن الله ﷺ رضي عنهم ، واصطفاهم ؛ ليكونوا أصحاباً للنبي الكريم ﷺ.

ولذلك نقول: إن من طعن على الصحابة { أو تبرأ من واحد منهم ، أو أبغض واحداً منهم ، هؤلاء كلهم خارجون عن إجماع الأمة ، وعلى رأس هؤلاء الناس الروافض ، الذين أطلقوا لسائهم في الحديث عن أصحاب النبي ﷺ بل إن البعض منهم يتبرأ من الصحابة { أو من كثير منهم ، ويبغضهم ، وعلى رأسهم الشيخين أبي بكر وعمر { ويبغضون كذلك سائر الصحابة.

وكذلك الخوارج أيضاً وقعوا في خطأ عظيم لَمَّا كفروا بعض الصحابة حينما خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب { كل هؤلاء في الحقيقة مخالفون للمنهج الحق الذي عليه سادة الدنيا، ألا وهم أهل السنة والجماعة. وأهل السنة والجماعة عرفوا فضل الصحابة وعرفوا مكانتهم عند الله ﷻ وأنزلوهم { المنزلة اللاتقة بهم عند ربهم ﷻ .

ب. الصحابة تلقوا الدين كاملاً، وفقهوه، وعملوا به :

وهذه المسألة مهمة للغاية ؛ لأنه كما بينا أن فهم الكتاب والسنة ما سار عليه سلف الأمة ، وهذا يستدعي أن نبين أن الصحابة أولاً - وهم الانطلاقة الأولى لسلف هذه الأمة الصالحين ، ومن تبعهم بإحسان - هم الذين تلقوا الدين كاملاً من النبي ﷺ وفقهوه وعملوا به ، بل إنه لم توجد طبقة في الدنيا فهمت الدين كما جاء من عند الله كما فهمه صحابة النبي ﷺ وعملوا به ؛ لأن الصحابة { تلقوا من النبي ﷺ أحكام هذا الدين وتعاليمه وآدابه ، ومعرفة الله ﷻ وما ينبغي له من صفات الجلال والكمال ، يعني : عرفهم النبي ﷺ كل ذلك .

كما عرفهم أيضاً كيفية العبادة ، وأداء الشعائر والمعاملات ، وغير ذلك . فكان النبي ﷺ يعلم الأمة جميع الأحكام الشرعية ، وكل ما نزل عليه ، وكان الصحابة { هم الذين يتلقون ذلك مشافهةً مباشرةً من النبي ﷺ فهو ﷺ صلى أمامهم ، وقال : ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) ، وحجَّ بهم ﷺ في حجة الوداع ، وقال لهم : ((خذوا عني مناسككم)).

وأخذوا عنه ﷺ أمور الدين كلها ، وما يحتاجون إليه ، وكان تلقيهم - كما ذكرنا - مشافهةً من النبي ﷺ لأنهم عاصروا الوحي وشاهدوا التنزيل .

وعليه نقول: إذا اختلف أهل القبلة وتنازعوا، فإلى من يرجعون في الفهم إذا تنازعوا أو اختلفوا في قضية من القضايا، أو في معنى من معاني القرآن الكريم؟ خاصة أن القرآن الكريم حمال أوجه مختلفة؟

إذا اختلفوا أو تنازعوا فالمرجع يكون من بيان أصحاب محمد ﷺ لما اختلف الناس فيه حجة وأمانة على الفهم الصحيح؛ لما سبق أن ذكرناه عنهم من تلقيهم الدين كاملاً من النبي ﷺ والعمل به، والتطبيق العملي للقرآن والسنة في حياة النبي ﷺ.

أيضاً لأنهم في الحقيقة هم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وقد وصفهم بذلك عبد الله بن مسعود < وهم أصح الناس فطرةً، حضروا التنزيل، وعلموا أسبابه، وفقهوا مقاصد الرسول ﷺ وأدركوا مراده، وقد رضي الله عنهم، وأنزل عليهم السكينة، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم، أو أن يشك فيهم { لأنهم هم الذين فقهوا الدين كاملاً وعملوا به.

الشاهد: أن نبين هنا أن فهم الصحابة للقرآن وللسنة حجة وأمانة على الفهم الصحيح، ومن هنا وجب اتباعهم؛ لأن فقههم أعلى من فقه غيرهم، ولأن فهمهم أعلى من فهم غيرهم، ولأنهم عايشوا النبي ﷺ وعلموا مراده وهو يبلغهم عن الله ﷻ.

**ج. أفضل علم وعمل التابعين ما كانوا فيه مقتدين بالنبي الكريم:**

إن أفضل علم وعمل لمن يتبع أو لمن يأتي بعد الصحابة { أن يقتدي في عمله وفهمه واعتقاده بما ذكره النبي أولاً ﷺ وما كان عليه صحابة النبي الكريم ﷺ حيث قد حصل للتابعين علم كبير بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ هذا العلم

## العقيدة خاص [٢]

حصل لهم أكثر من غيرهم؛ بسبب ملازمتهم للصحابة الكرام { فكما أن الصحابة { تلقوا من النبي ﷺ فالتابعين أيضاً تلقوا من الصحابة ولازموا صحابة النبي الكريم ﷺ.

كما أنهم اشتغلوا بالقرآن الكريم أيضاً حفظاً وتفسيراً وعملاً، وبالحدِيث روايةً ودرايةً، ولا شك أن ما ذكرته كتب التراجم عن هؤلاء التابعين في رحلاتهم المتكاثرة لتتبع العلم وطلبه، وخاصة الرحلة إلى الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار، وطلب حديثهم وعلومهم هذه، مشهورة معروفة. وبناءً عليه قلنا: إن أفضل علم وعمل التابعين ما كانوا فيه مقتدين بالنبي ﷺ.

ومن المعلوم بعد ذلك أن كل من كان بكلام المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهره أعلم، وهو بذلك أقوم، كان أحق بالاختصاص به، وهذه مسألة أيضاً يجب أن تكون معلومة. فلما لازم من جاء بعد الصحابة من التابعين كانوا هم أحق بالاختصاص بهم، وأحق بفهمهم، وبالتالي العلم الوارد لنا عن التابعين المأخوذ عن الصحابة { هو أيضاً من العلم الذي يجب أن تتعلمه الأمة، وأن تقف عند حدود العمل به، وأن تترك كل ما خالف ذلك من بدع وأهواء، وأدخلها على الدين من ليس منهم من الفرق المبتدعة التي ظهرت حتى في القرن الأول، وبعضها ظهر في عصر الصحابة {.

## د. مجانية الخلف للسلف وخطوهم في أصول الدين:

إن الخلف جانبوا السلف وأخطئوا في مسائل من أصول الدين. ويشتمل هذا العنوان على النقاط التالية:

#### الأولى: كلمة الخلف في اللغة وفي الاصطلاح:

الخلف في اللغة: هو المتأخر في الزمن عمن قبله. يعني: من جاء في زمن متأخر عمن سبقه يقال له: خلف، ولذلك بناءً على هذا أكون أنا وأنت مثلاً من الخلف لآبائنا ولأجدادنا، وما إلى ذلك، لماذا؟ لأننا أتينا بعدهم.

أما في الاصطلاح: فهو اصطلاح يختلف تماماً عما سبق أن قلناه عن السلف، { قلنا عنهم: بأن هم الرجال العدول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم وأئمة الإسلام، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم، وعظم شأنهم في الدين، وتلقى المسلمون كلامهم خلفاً عن سلف بالقبول، إلى غير ذلك. هذا تعريف السلف.

أما تعريف الخلف - وللأسف الشديد - يختلف تماماً عن تعريف السلف في الاصطلاح. فالخلف في الاصطلاح: كل من رُمي ببدعة مكفرة أو مفسقة، وخالف السلف الصالح فيما كانوا عليه. وقد يأتي بعض الخلف فتكون عنده بدع مكفرة، وقد تكون عنده بدع مفسقة. البدع المكفرة مثل: مَنْ يعتقد مثلاً بالهين اثنين؛ إله للخير أو إله للشر. أو من يقول: بأن المصحف الموجود بين يدي المسلمين اليوم، ليس هو المصحف الذي نزل على محمد بن عبد الله ﷺ إلى غير ذلك من الأقوال التي يذهب إليها بعض الباطنية، وفرق خرجت من هذه الباطنية قالت بهذه الأقوال.

قال الشاعر:

وكل خير في اتباع من سلف ❖ وكل شر في اتباع من خلف  
وبهذا الاصطلاح يعتبر لقب الخلف لقب دُمٌّ، على مقتضى أيضاً ما قاله الشاعر.  
فالخلف في اللغة: أنت خلف لأبيك هذا لا شيء فيه لغة.

أما إن كان الخلف تطلق في الاصطلاح: على كل من خرج على سبيل المؤمنين، وعلى سلف هذه الأمة الصالحين، وعلى ما كان عليه الصحابة { والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فلا شك أنها تعتبر بهذا الاصطلاح لقبُ ذم.

**الثانية: خروج الخلف عن منهج السلف أوقعهم في مجانبة الصواب في مسائل الاعتقاد:**

إن خروج الخلف عن منهج السلف أوقعهم في مجانبة الصواب، وما هو منهج السلف؟ اتباع ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة { الذين تلقوا العلم مشافهةً من النبي ﷺ الخلف لما خرجوا عن هذا المنهج وقعوا في خطأ بمخالفتهم سلف هذه الأمة الصالحين.

وقد سبق أن ذكرنا أن منهج السلف الصالح في أصول الدين والمبتدعة من الخلف خالفوا هذا المنهج على اختلاف فرقههم، وكان من أعظم المخالفات التي وقعوا فيها أنهم لم يسلموا لنصوص الوحيين - القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة - بل أعملوا عقولهم في هذا الباب، وتأولوا تأويلات أحياناً تكون باطلة، وفتحت باباً للباطنية وغيرهم أن يتأولوا القرآن، وأن يصرفوه عن ظاهره الذي أراد الله ﷻ.

هؤلاء الخلف لم يكتفوا بمنهج السلف في أصول الدين من التسليم لنصوص الوحيين كما جاءت من عند الله ﷻ ولذلك نجد أنهم ردوا النصوص التي تخالف أهواءهم بالتأويل، وكذلك أيضاً تلاعبوا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكانت لديهم جرأة عجيبة في رد الأحاديث الصحيحة، فهؤلاء الخلف لم يسلموا لنصوص الوحيين، ووقفوا أمام النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، جاءوا إلى القرآن الكريم، فإن كان النص القرآني يخالف



ما هم عليه ، فماذا يفعلون؟ يصرفوه عن ظاهره ويثولوه بتأويلات بعيدة عن مراد الله ومراد رسوله ﷺ ويذهبوا فيها مذاهب مختلفة متفرقة ، وهذا في الحقيقة عدم تسليم للنص القرآني كما جاء من عند الله ﷻ .

أما بالنسبة للسنة النبوية ، فإن كانت الأحاديث متواترة أولوها ، وإن كانت أحاديث آحاد ردوا هذه الأحاديث ، ولم يقبلوها ، ولذلك إذا قلنا : بأن هؤلاء تلاعبوا بنصوص القرآن والسنة نكون مصيبين ، وكما ذكرنا عنهم بأنهم كانت لديهم جرأة عجيبة في رد الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ بحجة أنها أحاديث آحاد لا يثبت فيها شيء ، أو لا يثبت بها شيء من مسائل الاعتقاد . لذلك دَمَّ السلف { الخلف ، وردوا عليهم كثيراً في كتبهم ، وبينوا بطلان ما هم عليه .

ومن أمثلة رد هؤلاء الناس للأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ ومن أمثلة جرأتهم على السنة ، وحجة أنها أحاديث آحاد : ما وقع من عمرو بن عبيد في قصة مشهورة له ذكرها الذهبي - رحمه الله - وغيره ، وكان إماماً من أئمة المعتزلة ، والمعتزلة لهم موقف في العقائد يختلف عن منهج أهل السنة والجماعة ، ومنها مسائل القضاء والقدر التي يذكرون فيها بأن الله ﷻ لم يخلق أفعال العباد ، وأنه ﷻ يجب عليه أن يفعل الأصلاح لعباده ، وما إلى ذلك . وعمرو بن عبيد هذا لما سمع الحديث الوارد عن النبي ﷺ وهو الحديث المعروف بالصادق المصدوق ؛ لأن عبد الله بن مسعود < يرويه عن النبي ﷺ وفيه يقول : حدثني رسول الله ﷺ هذا الحديث الذي يذكر فيه النبي ﷺ : ((بأن أحداً يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، إلى أن يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويأمره الله ﷻ بأربع كلمات : أن يكتب أجله ، ورزقه ، وشقي أو سعيد)).

هذا الحديث أصل عند أهل السنة والجماعة ، وأصل في مسائل القدر التي اعتقدها أهل السنة والجماعة اعتقاداً صحيحاً من خلال الآيات القرآنية والسنة النبوية المطهرة ، هذا المعتقد يخالف ما عليه أهل الاعتزال ، وهم خلف لهؤلاء السلف ، ماذا كان موقفهم مثلاً من هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم ، وجاء في كتب السنة المعتبرة؟

فأثر عن عمرو بن عبيد - وذكر بعض المؤرخين ذلك عنه - أنه قال لما سمع هذا الحديث : لو سمعتُ عبدَ الله بن مسعود يقول هذا الحديث لكذبتُه ، ولو سمعت الرسول ﷺ يقول هذا لرددته ، ولو سمعتُ الله يقول هذا لقلت : ما على هذا أخذتَ موثيقنا!! . تأملوا موقف هؤلاء الناس من النصوص ، وكيف أنهم ردوا النصوص الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ لأنها فقط تخالف ما هم عليه ، أو ما اعتقدوا هم من معتقدات باطلة ، وبالتالي لما خرجوا عن منهج السلف المتميز بالتسليم لنصوص الوحيين ، جانبهم الصواب ، ووقعوا في مسائلٍ مختلفةٍ متعددة.

## الإيمان بالأسماء والصفات عند أهل السنة: أهميته، وآثاره

### عناصر الدرس

- العنصر الأول : أهمية العلم والإيمان بالأسماء والصفات ٦٣
- العنصر الثاني : الإيمان بالأسماء والصفات سبب للتمكين في الأرض، وأثر الاخراف فيه على التوحيد ٧١



#### أهمية العلم والإيمان بالأسماء والصفات

١. الإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان بالأسماء والصفات :

ويشتمل هذا على النقاط التالية :

أ. بيان أن توحيد الأسماء والصفات من أقسام التوحيد الثلاثة.

ينقسم التوحيد إلى قسمين أيضاً وهو تقسيم صحيح :

- قسم في المعرفة والإثبات ، وهذا يجمع نوعي التوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

- وقسم في الإرادة والطلب ، وهذا يكون في توحيد الألوهية.

يقول ابن القيم -رحمه الله- : " وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان ؛ فالأول : هو حقيقة ذات الرب تعالى ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وعلوه فوق سماواته على عرشه ، وتكليمه بكتبه ، وتكليمه لمن شاء من عباده ، وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا النوع كثيراً من الإفصاح ، كما جاء في أول سورة الحديد ، وفي سورة طه ، وأواخر سورة الحشر ، وأوائل سورة الزمر". وما إلى ذلك.

وقد ذكر ذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله- في كتابه العظيم (مدارج السالكين) هذا الكلام ، يبين أن توحيد الأسماء والصفات هو أحد أقسام التوحيد ، وبالتالي فهو مهم للغاية ، وما ذكرته عن ابن القيم الآن بأن قوله بأن التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ، ونزلت به كتبه نوعان لا يختلف مع تقسيمنا السابق للتوحيد ، أو قولنا بأن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام ربوبية وألوهية وأسماء وصفات. ذلك

أنا نقول: إذا قلنا بأن التوحيد ينقسم إلى نوعين يكون النوع الأول - الذي هو في المعرفة والإثبات - يشتمل على القسم الأول، والثاني من الأقسام التي نقول بأن التوحيد فيها ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ويصبح توحيد الألوهية قائماً، أو هو النوع الثاني المستقل بذاته توحيد المعرفة والإثبات يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الأسماء والصفات إذاً من أقسام التوحيد المعتمدة، ومن هنا يظهر وجوب الإيمان بالأسماء والصفات، وأنه يجب الإيمان بها؛ لأنها أحد أقسام التوحيد.

### ب. أهمية العلم بالأسماء والصفات:

العلم بالأسماء والصفات أصلٌ للعلم بكل ما سواه، العلم بأسماء الله وَعَلَيْهِ أَصْلُ لكل علم، ذلك أن المعلومات غير الله تُنَجَّلُهُ تنقسم إلى قسمين؛ الأول: المخلوقات التي أنشأها الله تُنَجَّلُهُ وكونها وأوجدتها. والثاني: الأوامر التي أمره بها، وهي قسمان: الأمر الكوني الذي خلق به الخلق، والأمر الشرعي الديني، والله تُنَجَّلُهُ هو صاحب الخلق والأمر، قال وَعَلَيْهِ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ومصدر الخلق والأمر عن أسماء الله تُنَجَّلُهُ الحسنی، وهما مرتبطان بالأسماء الحسنی ارتباطاً مقتضياً بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسماء الله الحسنی، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرفقة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكليمهم بما أمرهم به.

فالعلم إذاً بأسماء الله تُنَجَّلُهُ وإحصاء هذه الأسماء، أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماء الله الحسنی وعرف صفات الله تُنَجَّلُهُ العلى يكون قد وقف على كل معلوم، بأن المعلومات هي من مقتضاها، وهي أيضاً مرتبطة بها. وتأمل صدور

الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى ، ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تفاوتاً ؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العد أو يفعله إما أن يكون لجهل به ، أو لعدم حكمته ، وأما الرب تعالى فهو الحكيم العليم ، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض. وقد أشار بشيء من التفصيل إلى ذلك أيضاً الإمام ابن القيم -رحمه الله- .

إذاً ، العلم بأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى بناءً على ما قلناه هو أصل للعلم بكل ما سواه ، وبالتالي يتبين لنا بذلك أهمية الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى ، وأن إيمان العبد لا يتم إلا إذا آمن بما جاء في أسماء الله الحسنى ، وبما جاء في صفات الله ﷻ العلى.

### ٢. تعظيم الله وتمجيده ودعاؤه بأسمائه وصفاته ؛ ويشتمل على عدة نقاط :

#### أ. فقه العبد لأسماء الله ﷻ وصفاته ، يزيد من إيمانه :

فقه العبد بالأسماء والصفات يزيد من إيمان العبد بالله ﷻ لأن الإيمان -كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة- يزيد بالعلم والعمل ، فكلما علم العبد عن الله وآياته شيئاً ازداد إيمانه ، وكذلك أيضاً إذا استجاب العبد لما أمره الله به ازداد إيماناً ، وينقص الإيمان بنقص العلم والعمل.

وقد نص على ذلك القرآن الكريم ، وبيان ذلك مثلاً في قول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤ ، ١٢٥] فالمؤمنون يصدقون بآيات الله المنزلة وما تضمنته من علوم وتشريعات ، ثم هم يعزمون على الامتثال لما

دعتهم إليه هذه الآيات، وهذا يزيد من إيمانهم؛ لأنهم علموا وعملوا، تعلموا وعملوا بهذا العلم، بخلاف المنافقين فإنها تزيدهم كفرًا بسبب تكذيبهم واستكبارهم عن الاستجابة لله ﷻ.

وهذا نص من الله ﷻ ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ زادتهم إيمانًا، لماذا؟ لأنهم تعلموا وعملوا بهذا العلم واستجابوا له، بخلاف المستكبرين الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون. فالمؤمن إذا، إذا تعلم وعمل وصدق بما جاء في التشريعات، يزيد إيمانه، ولا شك أن من أعظم ما جاءت به النصوص وبينته ما جاء في كتاب الله تعالى عن أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى، فمن آمنَ بها وفقه معناها، وعمل بمقتضاها، فإن إيمانه يزداد زيادة عظيمة.

ولذلك نقول: إن العلم بأسماء الله وصفاته والفقهاء لمعناها والعمل بمقتضاها وسؤال الله بها، يوجد في قلوب العابدين تعظيم الباري سبحانه، وتقديسه ومحبته ورجاءه، وخوفه والتوكل عليه، والإنابة إليه، بحيث يصبح الباري في قلوبهم المثل الأعلى الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، وليس لأحد بإطلاق هذه المكانة التي في قلوب أهل الإيمان الذي آمنوا بالله وصدقوا برسول الهدى ﷺ وبما جاء على لسان النبي ﷺ من أسماء الله حسنى، وصفات لله على.

### ب. أسماء الله وصفاته تدل على عظمة الله ﷻ:

وهذا أيضًا تحت العنوان العام من وجوب الإيمان بالله ﷻ ووجوب الإيمان بأسماء الله وصفات الله العلى، وهنا في هذه النقطة نبين أن أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، تدل على عظمة الله ﷻ ولذلك كثرت أسماء الله ﷻ وصفاته.



## العقيدة خاص [٢]

### المدرس الرابع

وقد قيل: العظيم من كثرت صفات كماله، العظيم الذي تكثر صفات الكمال بالنسبة له، وإذا كانت صفات الله وأسمائه تدل العباد على عظمة الباري ﷻ وكماله وسؤدده، فإن أعظم سبيل يستطيع العباد سلوكه لتعظيم الله ﷻ وتقديسه وتمجيده ودعائه، هو معرفة أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى، وقد أمرنا الحق ﷻ بدعائه بأسمائه الحسنى، كما جاء في بعض آيات القرآن الكريم، وذلك كقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

والدعاء في اللغة والحقيقة: هو الطلب. يعني: اطلبوا منه بأسمائه الحسنى، اطلبوا من الله ﷻ بأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى.

واستطراداً في القول نقول: بأن دعاء الله بأسمائه الحسنى له مرتبتان كما أشار إلى ذلك ابن القيم - رحمه الله -:

**المرتبة الأولى:** دعاء الله ﷻ بأسمائه الحسنى ينقسم إلى قسمين: دعاء ثناء وعبادة، وقد أمرنا الله ﷻ به، وأن نمجده وأن نثني عليه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وفي الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي هريرة < أن النبي ﷺ قال: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)). إذن هذا دعاء ثناء وعبادة لله ﷻ.

**المرتبة الثانية:** دعاء طلب ومسألة، وأيضاً أمرنا الله ﷻ بدعائه وأن نطلب منه ﷻ ووعد ربنا ﷻ الإجابة على هذا الدعاء، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾

أَسْتَجِبَ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

[غافر: ٦٠] ودعاء الله ﷻ وسؤال الله ﷻ لا ينبغي أن يكون إلا بأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى، وقد نبه العلماء إلى أن السائل ينبغي أن يتخير في كل سؤال الأسماء المناسبة للطلب الذي يطلبه، فيطلب أو يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل بذلك متوسلاً إلى الله ﷻ بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل وجد ذلك مطابقاً غاية المطابقة.

ولذلك يقول ابن العربي المالكي - رحمه الله - في كتابه (أحكام القرآن): يطلب كل اسم ما يليق به. يعني: تطلب من الله ﷻ بكل اسم ما يليق بهذا الاسم ما يليق بطلبك، فتقول مثلاً: أنت تريد الرحمة، فتقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي. تريد الرزق، تقول: يا رزاق ارزقني. تريد طلب الهداية من الله ﷻ فتدعوا باسم الله ﷻ الهادي، فتقول: يا هادي، اهدني. وغير ذلك. إلى جانب أن هناك أسماء عامة تصلح أن يُدعى بها في كل موضع، وفي كل موطن، وذلك مثل: الله، الرب... وما إلى ذلك.

### ج. نماذج من تمجيد الله ودعائه بأسمائه وصفاته:

نطلق بعد ذلك لنبين نماذج من تمجيد الله ﷻ ودعاء الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والغرض من ذلك أن نذكر بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة التي نبين بها أن تمجيد الله ﷻ وتعظيم الله ﷻ يكون بالإيمان بأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى والثناء على الله ﷻ بهذه الأسماء وبهذه الصفات. لذلك نقول: بأن القرآن الكريم مليء والسنة النبوية المطهرة بالنصوص الكثيرة التي فيها تمجيد وثناء على الله ﷻ وتعظيم له ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، كما فيها دعاء وسؤال الله ﷻ من هذه النصوص مثلاً في القرآن الكريم:

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس الرابع

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ٤١]. كذلك أيضاً: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ﴾ [فاطر: ٤١]، أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ فَسُبِّحْنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٧، ١٨].

هذه الآيات نماذج فقط نذكرها من تمجيد الله ﷻ ودعائه بأسمائه الحسنی وصفات الله ﷻ العلی، وإلا فالقرآن الکریم مليء بذلك. والمتأمل والمتدبر لآيات القرآن الکریم يرى ذلك، ومنها قول الله ﷻ: ﴿ بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ ﴾ [المك: ١-٣] كل هذا تمجيد وثناء على الله ﷻ بذكر أسماء الله الحسنی وصفات الله العلی، ودعاء الله بأسمائه وصفاته، وما إلى ذلك من خلال القرآن الکریم.

كذلك أيضاً السنة النبوية المطهرة مليئة بدعاء الله ﷻ وتمجيده والثناء عليه، والطلب منه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، ومن ذلك ما جاء في دعاء النبي ﷺ: ((اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام))، وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي.

ومنه أيضاً دعاء النبي ﷺ في تهجده لربه في الليل، لما كان يقوم ويقف بين يدي رب العزة والجلال، كان يتوسل إلى الله، ويتقرب إليه بذكر شيء من أسماء الله الحسنی وصفات الله العلی، مثنياً بها على الله سبحانه، كقوله ﷺ: ((اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن؛ ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن؛ أنت الحق ووعدهك الحق))، وكان من دعاء النبي ﷺ عند الكرب: ((لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم)).

ما ذكرناه أنفًا نماذج من تمجيد الله ﷻ من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ ولعل من أفضل ما يشار إليه من الثناء على الله ﷻ بذكر شيء من أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى ، ما يعرف بحديث سيد الاستغفار الذي رواه البخاري في صحيحه ، عن شداد بن أوس < أن النبي ﷺ قال : ((سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: مَنْ قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة؛ ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة)).

ولذلك عندما اشتكى المقلون الذين عندهم شيء من الضيق في الحياة الدنيا ، وليس عندهم سعة في المال والرزق وما إلى ذلك ، هؤلاء المقلون لما شكوا للنبي ﷺ ذهب أهل الدثور-الأغنياء- بالأجر؛ لِمَا يفعلونه من الخيرات بأموالهم ، قال لهم الرسول ﷺ : ((أفلا أخبركم بأمر تدركون مَنْ كان قبلكم ، وتسبقون من جاء بعدكم ، ولا يأت أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله : تسبحون في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدون عشراً ، وتكبرون عشراً)) فهذا شيء يعني من تمجيد الله ﷻ والطلب منه بأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى.

ومن دعاء المسألة في ذلك في القرآن الكريم قول الله ﷻ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وكقول الله ﷻ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨] وكقول الله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ أشرح لي صدري ﴿٢٥﴾ ويسر لي أمري ﴿٢٦﴾ واحلل عقدة من لساني ﴿ طه: ٢٥ - ٢٧ ﴾ وكقول الله ﷻ عن عباد الرحمن : ﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرْقَةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا الْمُنْتَقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٢٧٤].

#### الإيمان بالأسماء والصفات سبب للتمكين في الأرض، وأثر الانحراف فيه على التوحيد

#### ١. الإيمان بالله، ومنه الأسماء والصفات سبب للتمكين في الأرض :

الإيمان بالله ومنه الأسماء والصفات سبب للتمكين في الأرض. الإيمان بالله ﷻ عموماً، ومن الإيمان بالله : الإيمان بالأسماء والصفات ؛ لأن العبد لا يتم إيمانه بالله سبحانه إلا إذا آمنَ بأسماء الله العلى وصفات الله ﷻ لأن القول كما سبق أن قلنا: إن هذا من أركان التوحيد الذي يجب الإيمان به : الإيمان بالله، ومنه الأسماء والصفات سبب للتمكين الله ﷻ لعباده في الأرض. ويشتمل على النقاط التالية :

#### أ. تمكين الله لأهل الإيمان في الأرض :

الله ﷻ يمكن لأهل الإيمان في الأرض، فالعلم بالله ﷻ وفق المنهج القرآني النبوي يرسخ العقيدة الصحيحة الحقة والمعرفة الصادقة بالله ﷻ ويجعل العباد سائرين على الصراط المستقيم، وهذا يقرب العباد من الله سبحانه، ويكون سبباً في أن يحل رضوان الله ﷻ على العباد، وأن تنزل من عند ربنا ﷻ الرحمات والبركات، ويكون هذا سبباً للنصر والتأييد والتمكين للمسلمين في الأرض؛ تحقيقاً لموعود الله ﷻ الذي وعد به أنبياءه ورسله وأهل الإيمان، وذكر ذلك في كتابه، قال الله ﷻ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥].

ولذلك نجد أن الله ﷻ مكن لصحابة النبي الكريم ﷺ ولمن تبعهم بإحسان في الأرض، فالنبي ﷺ بُعثَ وكان وحده يدعو إلى دين الحق، وخلال ربع قرن من الزمان آمنَ معه مَنْ آمَنَ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا قبل أن يموت ويقبض إلى ربه ﷻ وفتح المسلمون في الصدر الأول - بل في الربع الأول من الصدر الأول - بلاد فارس والروم، ومكَّنهم الله ﷻ وسيطروا على هذه البلاد بسبب إيمانهم بالله ﷻ وبأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى.

فالإيمان بالله وفق المنهج القرآني يمكن للعباد الصالحين في الأرض، ويجعلهم في أعلى عليين في الدنيا، ويجعل العالم غيرهم يحتاج إليهم ويمد يديه إليهم، لماذا؟ لأنهم آمنوا حقًا بالله ﷻ والله ﷻ قد وعد أهل الإيمان في كتابه بالتمكين في الأرض، فإذا آمن العباد بالله سبحانه وفق المنهج القرآني الذي رسمه لهم ربنا ﷻ في كتابه، لكان هذا سببًا للنصر والتمكين والتأييد.

### ب. زوال الدول يكون بظهور المنتدعة :

نشير هنا إلى أن الانحرافات العقدية التي تظهر في البلاد ويدين بها بعض العباد، وتخالف ما كان عليه النبي ﷺ وما كان عليه الصحابة الكرام، هذا الاعتقاد يكون سببًا في أن يحل البلاء وأن ينزل على العباد المخالفين لمنهج النبي ﷻ وللقرآن الذي جاء من عند الله ﷻ.

فهناك آثار مدمرة وقعت على الأمة الإسلامية؛ نتيجة انحرافهم عن منهج الحق الذي كان عليه صحابة النبي الكريم ﷺ وكان عليه الصدر الأول.

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن ذلك، وذكر الآثار المدمرة التي نشأت عن الانحرافات العقدية وغيرها في المجتمع الإسلامي، فقال: "هذا

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس الرابع

الجعد بن درهم الذي ينسب إليهم مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية ، كان شؤماً عليه حتى زالت الدولة ؛ فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ﷻ ممن خالف الرسل .

فالبدع إذا ظهرت في قوم خالفوا بها دين الله ﷻ انتقم الله ﷻ ممن خالف دين الرسل ، وانتصر لهم ، ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وتملكوا الشام وغيرها ، وظهر فيهم من النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وما ظهر ، وكان خيار ما يتظاهرون به الرفض ، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام الرفض ، هؤلاء أيضاً زالت دولتهم في السابق لما اعتقدوا هذه المعتقدات الباطلة ، ولم يكنهم الله ﷻ . وهكذا كل مبتدع مخالف لمنهج القرآن الكريم أو لمنهج الإيمان الذي بعث به محمد بن عبد الله ﷺ .

وكان أيضاً ابن سينا وأهل بيته من دعوتهم ومن قال بقولهم سبباً في القضاء على كثير من الدول التي أيدهم ، فابن سينا كان مبدأ ظهوره ومن تبعه حين تولى المقتدر ولم يكن بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ، ولهذا سمي حينئذ بأمر المؤمنين الأموي الذي كان بالأندلس ، وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول : لا يكون للمسلمين خليفتان ، فلما ولي المقتدر قال : هذا صبي لا تصح ولايته ، فسمي بهذا الاسم ، كان سبب ذلك هو انحراف هذه الدول عن منهج الحق الذي جاء من عند الله ﷻ .

كذلك أيضاً أشير إلى الدولة العبيدية التي خرجت من المغرب وتملكت في وقت من الأوقات هذه الدولة ، أيضاً قضي عليها وانتهت وتسلبت عليها الأعداء ؛ لأن خرج فيها من البدع ومن الفجور ومن الانحرافات العقدية ما الله ﷻ به عليم ، فلم تقم لهذه الدولة قائمة ولم تظهر إلى الوجود بصورة صحيحة مرضية ، وتمكن في هذه الأرض بسبب البدع والانحرافات العقدية التي ظهرت فيها .

شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أطال الحديث عن تأثير البدع والانحرافات، وظهور الضلالات في مجتمع المسلمين، وبين أن ظهورها يكون سبباً في ذل المسلمين وتسليط عدوهم عليهم، وأن استقامة المسلمين على أمر الله يكون سبباً في عزة الإسلام وأهله.

والمقصود من كل ذلك بيان أن الله ﷻ يمكن لأهل الإيمان ويجعلهم قائمين في الأرض؛ لأنهم عظموا الله ﷻ وآمنوا به، وعرفوا ما يجب له أما أصحاب البدع والمنكرات والضلالات، فإن قاموا في فترة من الفترات، فإنهم لا شك يزولون ويتتهون؛ لأن البدع سبب أصيل في القضاء على الأمم وذهاب الدول.

وبالتالي ندعو المسلمين بصورة عامة إلى التمسك بما جاء في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ والسير وراء منهج الحق الذي جاء من عند الله ﷻ حتى تقوم لهم راية، وحتى تكون لهم مكانة، وحتى إنهم إذا عظموا الله ﷻ بالإيمان به ومن ذلك ذكر أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، والتقرب إلى الله بها، ودعاء الله ﷻ بها يستجيب الله ﷻ لهم، ويمكنهم ويحقق لهم ما وعدهم ربهم ﷻ به.

### ج. تمكين الله ﷻ لآل سعود؛ لاتباعهم منهج الأنبياء:

أشرنا قبل سابق إلى أن الله مكن لأهل الإيمان في الأرض وعلى رأسهم صحابة النبي الكريم ﷺ الذين فتحوا العالم بدين الله سبحانه، وملكوا قلوب العباد وراقبهم وأرضهم؛ لَمَّا تمسكوا بالشرع الحنيف الذي جاء من عند الله ﷻ وأن البدع إذا ظهرت تكون سبباً في القضاء على الدول. وقد أشرنا إلى بعض الدول التي كانت البدع شؤماً عليها وزالت بسببها.



هنا نشير إلى أن الله ﷻ مكن لآل سعود في الأرض بسبب اتباعهم لمنهج الأنبياء والمرسلين، فكما هو معلوم: أن الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- لما ناصر الإمام الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ووقف إلى جواره -أعز الله ﷻ هذه الدولة. وقام لها سلطان كبير ومكَّنها الله ﷻ في الأرض. والآن تقوم المملكة بالدعوة إلى كتاب الله سبحانه وإلى هَدْيِ النبي ﷺ وقد فتح الله ﷻ عليها من الأرزاق ما الله به عليم، وذلك بسبب إيمانهم بالله ﷻ على وفق المنهج القرآني الذي جاء من عند الله ﷻ فالمملكة -ومن يعرف ذلك عنها، أو يدرس في مدارسها، أو جامعاتها- يعلم أنها تنصر لمنهج السلف الصالح، وتؤيده، وتقوم به، وتدعوا إليه، وتحارب المنحرفين عنه، بل إنها -أعزها الله ﷻ وأيدها- تنفق كثيراً من الأموال في تدعيم الكُتُب الداعية إلى منهج السلف. وماذا عسانا أن نقول من كتب طُبعت من أيام الملك عبد العزيز -رحمه الله-.

هذه الدولة اليوم تقوم بشريعة الله سبحانه، وتطبق هذه الشريعة كما جاءت من عند الله ﷻ والآن كثير من الدول لها تَبَع، فهي في الحقيقة مرجعية لدين الله ﷻ وتغدق عليها من الأرزاق من عند الله ﷻ وتمكن بسبب اتباعهم لمنهج الأنبياء والمرسلين، وهذا دليل واضح على أن الإيمان بالله ﷻ ومن ذلك الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى، يدعم الإيمان، ويمكن لعباد الله المؤمنين في الأرض، ويرفعهم على غيرهم، ويجعلهم من الذين يسودون هذه الدنيا، ويقومون بها، ويكون ذلك بسبب إيمانهم بالله ﷻ ومن ذلك أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى. فكم من دول أزيلت! وكم من دول ضاعت ودمرت بسبب انحرافها عن هذا المنهج الذي جاءنا من عند الله ﷻ.

## ٢. أثر الانحراف في توحيد الأسماء والصفات على التوحيد:

الانحراف في توحيد الأسماء والصفات، كان له أثر كبير جداً على التوحيد، وبيان ذلك كالتالي نقول: لا شك أن معرفة الله ﷻ ومن ذلك معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، تعين على القيام بواجب التوحيد لله ﷻ وعبادته وحده، ونبذ الشرك، فالإيمان بأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى حينما تؤمن بأن الله هو الرب، وتعتقد ذلك، تعتقد أن الله ﷻ هو الخالق وتؤمن به، وتسمي الله ﷻ بذلك وتصف الله ﷻ بصفة الخلق، هذا يجعلنا نعتقد أن الله رب كل شيء ومليكه، وينطلق من هذا الإيمان بربوبية الله ﷻ إلى عبادة الله وحده دون سواه، وأن نبذ الشرك بجميع ألوانه وأنواعه.

كذلك حينما نعتقد وندين بأن الله ﷻ هو الغفور الرحيم إذا أذنبت ذنباً، لجأت إليه ولا تلجأ إلى سواه، إذا وقعت في أمر تلجأ إلى الغفور وتطلب من الرحمن الرحيم ﷻ وهكذا إن أردت عزة، إن أردت قوة، إن أردت نصراً، لجأت إلى صاحب العزة والقوة والجبروت ﷻ فإيمانك بالأسماء والصفات يعينك على أن تقوم بدين الله ﷻ أن تقوم بواجب التوحيد لله، وأن تعبد الله وحده دون سواه، وأن تنبذ الشرك بجميع أنواعه وألوانه.

ولذلك لعلة من المهم هنا أن نبين ونذكر أن غالب الانحرافات التي وقعت في الأمة ونشأت فيها، إنما جاءت من سوء فهم الأسماء والصفات، فأكثر ما وقع من انحراف في الأمة وضلال نشأ في المعتقدات بين الناس، كان بسبب عدم فهمهم لأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى. ذلك أن قومًا مثلًا ظنوا أن أخص وصف الإله هو القدرة على الاختراع، وجعلوا هذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهذا خطأ؛ لأن ما جاء به الرسل هؤلاء هو توحيد الألوهية

وليس هو توحيد الربوبية، فحينما لا نفهم أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ وصفات الألوهية بأن الله ﷻ هو الإله، وأنه يتصف بأنه إله الأولين والآخرين، وأنه لا إله إلا هو، حينما نؤمن بذلك لا يمكن أن نقع في الشرك، ولا يمكن أن نفسر التوحيد -توحيد العبادة- بأنه القدرة على الاختراع، وأن نقول بأن هذا هو أخص وصف لله ﷻ لأن القوم الذين قالوا ذلك وانحرفوا في فهمهم لأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، جعلوا أخص وصف الإله القدرة على الاختراع، ولما قالوا ذلك وقعوا في الشرك دون أن يعلموا؛ لأنهم ظنوا أنهم حينما يؤمنون بأن الله ﷻ هو الرازق وهو الخالق وأنه ﷻ يمد لهم بما يحتاجون إليه، وما إلى ذلك، ظنوا أن هذا هو غاية التوحيد، وأن هذا هو غاية الإيمان، وما أدركوا أن توحيد الإلهية الذي بعث به الأنبياء والمرسلون، هو الغاية، وأن توحيد الإلهية الذي بعث به الأنبياء والمرسلين هو الغاية، وأن توحيد الربوبية يكون مقدمة لتوحيد العبادة أو توحيد الألوهية.

الشاهد: أن الانحراف في توحيد الأسماء والصفات وعدم فهم أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى واختراع أوصاف ليست من عند الله ﷻ أوقعت بعض الناس في الخلط، والوقوع في الشرك.

كذلك أيضاً قوم آخرون ظنوا أن أخص وصف الإله هو القدم، وراحوا يقعدون على ذلك ألا يثبت لله صفة قديمة حتى لا يتعدد القدماء، وجاء بعدهم قوم أثبتوا الصفات، وعددوا الواجب حتى جعلوا كل شيء هو الله وهم الاتحادية من الجهمية والمعتزلة، قالوا: بأن القدم هو أخص وصف للإله، وانطلقوا من ذلك إلى نفي الصفات القديمة عن الله ﷻ حتى لا يتعدد القدماء على زعمهم بأنهم قالوا: الصفات إما أن تكون حادثة وإما أن تكون قديمة، قالوا: يستحيل أن

تكون حادثة؛ لأن الله ﷻ ليس محلاً للحوادث، قالوا: إذا الصفات قديمة، ولما ابتدعوا أن أخص وصف للإله هو القدم ولم يرد في ذلك قرآن ولا سنة، ولكن اخترعوا هذا اللفظ من عند أنفسهم، ولا شك أن الله ﷻ قديم بصفاته، ولكن لا يعني ذلك أن أخص وصف الإله هو القدم، وترتب على ذلك نفي بقية الصفات الثابتة لله ﷻ بحجة أن الصفات قديمة، وإذا أثبتنا الصفات وهي قديمة تعدد القدماء، وهذا للأسف الشديد وقع فيه الجهمية ووقعت فيه المعتزلة، قالوا: إذا، الصفات قديمة ووصفنا الله بصفات متعددة ومتغايرة ستتعدد الآلهة وسيتعدد القدماء.

وما أدركوا هؤلاء الناس أن الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى إله واحد، والله ﷻ قد وصف شخصاً واحداً في القرآن الكريم ووصفه بصفات متعددة، ومع هذا سماه وحيداً، هو الشخص واحد كما قال ﷻ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] ومع هذا الشخص يتصف بالسمع والبصر والكلام، وما إلى ذلك، فهؤلاء لما انخرفوا في توحيد الأسماء والصفات أثار هذا الانحراف في العقيدة وفي التوحيد، وفي اللجوء إلى الله ﷻ وإلى عبادة الله ﷻ وحده دون سواه، وإلى نفي الصفات الواجبة لله ﷻ.

هؤلاء لما قالوا الصفات قديمة ونفوها عن الله ﷻ بحجة ألا يتعدد القدماء، جاء بعدهم قوم أثبتوا الصفات، وعلى أساس أنها صفات قديمة، وأدّى بهم ذلك إلى أنهم يعددوا واجب الوجود وهو الله ﷻ فلما وقعوا في هذا الشرك كله جعلوا الكائنات كلها شيئاً واحداً، وهي الله، وهذه طائفة الاتحادية الذين قالوا: بأن الكون كله هو الله ﷻ فأثبتوا الصفات وعددوا الواجب، فوقعوا في ضلال مبين

وانحراف خطير ما وجد إلا عند طوائف من الوثنيين السابقين، كل ذلك بسبب الانحراف في أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى.

إدًا، خلاصة ما نود أن نقوله في هذه الجزئية اليسيرة: أن الانحراف في توحيد الأسماء والصفات كان له أثر سيء في اعتقاد المسلمين اعتقاداً صحيحاً في الله ﷻ فطائفة لما لم تفهم أسماء الله وصفاته ومعانيها كما يجب أن يكون، خلطوا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وبالتالي وقعوا في مظاهر من الشرك، وظنوا أنهم في غاية من الإيمان، وفي غاية من السلامة والإسلام. وقوم آخرون جاءوا بعد ذلك وأنكروا صفات الله ﷻ وقالوا: بأن إثبات الصفات يلزم منه تعدد الآلهة، وذلك بسبب أنهم أيضاً انحرفوا في فهم الأسماء والصفات، وقالوا: بأن أخص وصف للإله هو القدم، وكذلك الاتحادية مبنى وأصله مذهبهم قام على غلاة الزنادقة والباطنية والجهمية، وهؤلاء الناس وصل بهم الحال إلى أن يقولوا: بأن الكون كله هو الله، وأن الله ﷻ اتحد بجميع المخلوقات، وهذا يبين ضلال وأثر الانحراف في أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى.



## طريقة أهل السنة في الأسماء والصفات

### عناصر الدرس

- العنصر الأول : التسليم للنصوص الصحيحة في الصفات، مع  
تنزيهه تعالى عن مشابهة المخلوقات ٨٣
- العنصر الثاني : الأخذ بظواهر النصوص الواردة في الصفات،  
والاقتصار على الوحي في النفي والإثبات ٩٤





## التسليم للنصوص الصحيحة في الصفات، مع تنزيهه تعالى عن مشابهة المخلوقات

## ١. التسليم للنصوص الواردة في القرآن الكريم وصحيح السنة :

ويشتمل على النقاط التالية :

## أ. العلم بالله وبصفاته لا يتلقى إلا من الوحي :

إذا أردنا أن نتعرف على الله ﷻ وعلى شيء من أسمائه الحسنى أو صفاته العلى ، وجب علينا أن نرجع إلى الوحي ولا نعيد عنه مجال من الأحوال ؛ لأن الأدلة التي تثبت بها أسماء الله وصفاته تنحصر في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ فما جاء فيهما أثبتناه ونقتصر عليه فقط العلة في ذلك هي أن باب الأسماء والصفات توقيفي لا يتلقى إلا من الوحي الرباني.

وقد نص كثير من علماء السلف على ذلك ، ومنهم إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد - رحمه الله - ذكر ذلك فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في (الفتاوى) فقد نقل عن الإمام أحمد أنه قال : " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث " ، أي : لا نتجاوز ما جاء في كتاب الله أو في سنة النبي ﷺ .

ومثله ذكر الإمام حافظ المغربي ابن عبد البر - رحمه الله - ذكر شيئاً من ذلك في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) قال : " ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله ، أو صح عن رسول الله ﷺ أو

أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه".

هنا ابن عبد البر -رحمه الله- يضع قواعد علمية في هذا الباب حيث قال: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه الحسنى إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ".

أما قوله: "أو أجمعت عليه الأمة"؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة وكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض المواطن في كتبه: "أن إجماع الأمة الصحيح مأخوذ من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ"، وذكر ابن تيمية -رحمه الله-: "أننا حينما نقول مثلاً: أدلة الكتاب أو السنة والإجماع فالإجماع حينما نقول بأنه مأخوذ من الكتاب والسنة يكون هذا ذكرنا للإجماع في هذه الحالة من باب تضافر الأدلة، يعني: من باب زيادة الأدلة".

أيضاً ما ذكره ابن عبد البر -رحمه الله- حينما ذكر بأن ما جاء في ذلك من أخبار الآحاد يسلم له ولا يناظر فيه، يعني يسلم ويصدق ويعمل به؛ لأنه يفيد العلم والعمل معاً، وقد سبق توضيح ذلك بتفصيل وبينت هناك الأدلة على أن خبر الواحد الصحيح يفيد العلم والعمل معاً سواء كان في مسائل الاعتقاد أو في مسائل الأحكام.

وقد دل القرآن الكريم على ذلك، يعني: على أننا نسلم للنصوص الواردة في القرآن الكريم وصحيح السنة، ونقف عندها ونلتزم بها ولا نغادرها، ونأتي غيرها فالآيات الآمرة في القرآن الكريم باتباع القرآن والسنة، تدل على هذا المعنى وتشير إليه فقول الله ﷻ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فنحن مأمورون باتباع القرآن الكريم والسير خلف منهاجه ومن ذلك ما جاء في صفات الله ﷻ وأيضاً نحن أمرنا في القرآن الكريم باتباع النبي ﷺ فما جاء وصح عن رسول ﷺ في صفات الله ﷻ وفي أسمائه الحسنی وجب الوقوف عنده والأخذ به والعمل به وأمرنا الله ﷻ بذلك في كثير من الآيات، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وكقول الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وكقوله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ولذلك فهنا يجب -بناءً على ما سبق- الوقوف في أسماء الله الحسنی وصفات الله العلی علی ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بحيث لا يزداد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه ﷻ من الأسماء أو الصفات، فوجب عندئذ الوقوف في ذلك على النص؛ فالعقل لا يمكن له أن يعرف الله ﷻ وما هو عليه ﷻ لأن الله غيب وهو الذي عرفنا بنفسه؛ فإذا تصبح المسألة محصورة في الكتاب والسنة.

ولو دخل العقل في ذلك وأثبت شيئاً ليس في القرآن والسنة، أو حذف شيئاً ليس في القرآن والسنة، يكون قد تجنى على الحقيقة وأتى بما ليس له علم والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وحذر ربنا ﷻ من أن نقول عليه أيضاً بغير علم، وبالتالي يجب أن نقف على العلم الوارد في القرآن والسنة، حذر من أن نقول عليه ما لا نعلمه قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ولأن تسمية الله ﷻ بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه تعالى؛ فوجب عندئذ

سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ.

ب. الإيمان بما دلت عليه نصوص الأسماء والصفات من المعاني والأحكام:

بمعنى أننا يجب علينا أن نؤمن بما دلت عليه نصوص الأسماء والصفات النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجب علينا أن نؤمن بها ونسلم لها وبما جاءت به من المعاني والأحكام، ومعنى ذلك أن السلف الصالح { يجب أن نعتقد فيهم أنهم كانوا أعلم الناس بكلام الله وبمراد الله ﷻ فالسلف كانوا يؤمنون بأسماء الله وصفاته وبما دلت عليه من المعاني والأحكام.

أما كيفيتها فيفوضون علمها إلى الله ﷻ وعليه أقول: بأن السلف فهموا وعقلوا ما دلت عليه الصفات من المعاني والأحكام ولا يفوضون إلا في الكيفية؛ فإذا قال الله ﷻ مثلاً ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فهموا معنى كلمة "استوى" وعلموا أن الاستواء هو العلو والارتفاع.

وقد ورد ذلك عن مجاهد وذكره الإمام البخاري -رحمه الله- في (صحيحه) عنه، وذكر بأن الاستواء بمعنى العلو والارتفاع، إذاً حينما نقول بأن الله قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وأن استوى بمعنى: علا وارتفع، وأن هذا هو فهم السلف لمعنى كلمة "استوى".

إذاً نعلم ونوقن أن سلف هذه الأمة كانوا يعقلون معاني أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى، أما هم فكانوا يفوضون في كيفية الصفة؛ لأن هذه مسألة دقيقة وبعض الناس يقولون: بأن السلف يفوضون ويقصد تفويضهم في المعاني،

وهذا خطأ بحت، وستأتي الإشارة إليه فيما بعد، فالسلف كانوا يفوضون في الكيفية فهم يقولون: بأن الله مثلاً يجب ويرضى ويغضب، ويثبتون معاني ذلك على الحقيقة، أما كيفية الغضب كيفية الرضا كيفية الاستواء كيفية النزول كيفية اليد التي أثبتها مثلاً لنفسه ﷺ كانوا يفوضون فيها.

ومن زعم من المعطلة أن السلف يفوضون المعنى فقد جهل عليهم ورماهم بما ليس فيهم؛ لأنهم كانوا أعظم الناس فهماً وتدبراً لآيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ ومن تدبر كلام أئمة السلف في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظراً وأعلم الناس في هذا الباب، وأن الذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة في هذه المسألة؛ لأن ما ورد عنهم -رحمهم الله تعالى- من إثبات لمعاني الصفات يدل دلالة واضحة أنهم أثبتوا الصفة وعرفوا معانيها وما تدل عليه.

أما من رماه من المعطلة بأنهم يؤمنون بألفاظ نصوص الأسماء والصفات ويفوضون معانيها، فهذا رمي بالباطل وجهل على السلف -رحمهم الله تعالى- لأن الأمر كما ذكرت بأنهم كانوا أعظم الناس فهماً وتدبراً بآيات الكتاب، وأحاديث النبي ﷺ خاصة فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى؛ فكانوا يدرّون معاني ما يقرءون وما يحملون من العلم ولكنهم لم يكونوا يتكلفون الفهم للغيب المحجوب؛ فلم يكونوا يخوضون في كيفيات الصفات شأن كلام أهل البدع الذين خاضوا في ذات الله وصفاته، فوقعوا في التأويل والتعطيل.

أما سلف هذه الأمة فقد كانوا لا يتكلفون الوقوع في الكيفية بل يعرفون المعنى وما يدل عليه ويؤمنون به، ويسلمون له، وهم في الحقيقة بذلك نجوا من التأويل والتعطيل؛ لأنهم لما أثبتوا ما أثبته الله ﷻ لنفسه على ما أراد الله ﷻ ونفوا تشبيهه

الله بخلقه سلموا في هذا الباب ، وعرفوا المعنى الذي تدل عليه الصفات ، ولم يدر بخلدهم لون من ألوان التشبيه حتى يقعوا بعد ذلك في التعطيل.

### ج. الله ﷻ يتصف أزلاً وأبداً بما ثبت له من الصفات :

هذه نقطة جوهرية عند أهل السنة والجماعة ، وقد يخالف فيها بعض الناس الذين لم يفقهوا هذه المسألة ، وتدخلوا فيها بعقولهم ، لذلك أوضحها كالتالي : إن الصفات التي وصف الله ﷻ نفسه بها صفات كمال وفقدتها نقص ؛ والله لا يمكن أن يحصل له الكمال بعد اتصافه بالنقص ، كما لا يجوز أن يتصف بالكمال ثم يزول عنه ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أن الصفات التي وصف الله ﷻ بها نفسه كلها صفات كمال ، وفقد هذه الصفة نقص ، وبالتالي لا يمكن أن يكون الله ﷻ فاقداً للكمال في وقت من الأوقات حتى نصف الله ﷻ بشيء من النقص.

وقد قال الإمام الطحاوي -رحمه الله- في إثبات ذلك وبيانه : "لم يزل الله ﷻ بصفاته قديماً قبل أن يخلق الكائنات" وشارح (العقيدة الطحاوية) -رحمه الله- علق على ذلك بقوله : لم يزل الله ﷻ متصفاً بصفات الكمال صفات الذات وصفات الفعل ؛ فلا يتصور بحال من الأحوال ولا يجوز لعبد أن يتصور أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها ، أو أن بعض صفات الله ﷻ تزول عنه ؛ لأن اتصاف الباري بصفاته كما ذكرت الكمال ، وفقدتها نقص والله ﷻ لا يمكن أن يحصل له الكمال بعد اتصافه بالنقص ، كما لا يجوز أن يتصف بالكمال ثم يزول هذا الكمال عنه. وهذا في الحقيقة مسألة بينها -كما ذكرت- الإمام الطحاوي وبينها غيره من علماء هذه الأمة رحمهم الله تعالى.

وبين شارح (الطحاوية) مثلاً أن صفات الذات وصفات الفعل داخلة في ذلك ، وما ذكر أنه قال : "ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً

بها ؛ لأن صفات الله سُبْحَانَهُ صفات كمال وفقدها صفة نقص ؛ ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده". هكذا ذكر الإمام الطحاوي.

الشارح - رحمه الله - وضح كلمة الإمام الطحاوي ، وقال : لا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها ، كالخلق والتصوير والإماتة والإحياء ، والقبض والبسط والطي والاستواء والإتيان والمجيء والنزول ؛ لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع.

وكما ذكر مثلاً الطحاوي وقال : " ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه " وتبع كلامه في ذلك جاء الشارح ، قال : بأن لا يرد على هذه الصفات بأن الله سُبْحَانَهُ مثلاً يخلق شيئاً بعد شيء أو يميت ويحيي أو يقبض ويبسط أو يجيء وينزل أو يغضب ويرضى ، هذه الصفات الواردة لله سُبْحَانَهُ نقول أيضاً : بأنها صفات ثابتة لله سُبْحَانَهُ منذ الأزل على الحقيقة ، أما أفراد هذه الصفات فلا يمنع أن تكون حادثة ، فهي باعتبار حصولها وقت في وقت بعد وقت ، أو حدوثها في زمن دون زمان ، لا يعني ذلك أنها حادثة في أصلها ؛ وإنما هي قديمة في نوعها حادثة بأعيانها ، أو حادثة بأفرادها. يعني : حينما نقول بأن الله ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه. لا يرد علينا أو يعترض معترض يقول : كيف تقول بأنه قديم مثلاً ، وأن صفاته قديمة ، وأنه يتكلم في وقت دون وقت ، أو أنه يخلق اليوم ويخلق غداً ويحيي ويميت ويغضب ويرضى ، ويحب الطائع مثلاً اليوم وإذا كفر غداً فيبغضه ؛ فيكون بغضه له حادثاً.

نقول بأن هذه الصفات قديمة في نوعها أما أفرادها الحادثة فهي حادثة تتعلق بمشيئة الله سُبْحَانَهُ واختياره ولا يعني ذلك أن صفات الله سُبْحَانَهُ حادثة ولكننا نقول بأنها قديمة أما الأفراد التي تقع من خلال متطلبات ومقتضى هذه الصفات فهي حادثة.

ولذلك عبر العلماء عن ذلك بقولهم بأنها حادثة الأفراد قديمة النوع ؛ ولذلك أقول بأن اتصاف الباري سُبْحَانَهُ أزلاً وأبداً يدلنا كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - على أن أفعال الرب سُبْحَانَهُ صادرة عن أسمائه وصفاته ، وأسماء المخلوقين صادرة عن

## العقيدة خاص [٢]

أفعاله فالرب ﷻ أفعاله عن كماله والمخلوق كماله عن فعاله ، فاشتقت لله ﷻ الأسماء بعد أن كمل بالفعل ، فالرب لم يزل كاملاً فحصلت أفعاله عن كماله ؛ لأنه كامل بذاته وصفاته فأفعاله صادرة عن كماله كمل ﷻ ففعل والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به.

## د. بيان أنه لا مجال للعقل أو الرأي في ثبوت الأسماء والصفات :

أيضاً نقطة تتمه ، وهي : بيان أنه لا مجال للعقل أو الرأي في ثبوت الأسماء والصفات ، ولا دخل له في إثبات شيء أو نفيه ؛ لأن الله ﷻ غيب ولا يعلم ما عليه سبحانه إلا هو ؛ ولذلك وجب الوقوف عند حدود النص ، والعقل كما تعلمون لا يوجب شيئاً ولا يحرم شيئاً ؛ لأن الله ﷻ أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ، وبعد أن أكمل الله ﷻ الدين فلا يحتاج الشيء الكامل بعد ذلك إلى زيادة أبداً ، قال الله ﷻ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. وبناءً على ذلك أقول كما ذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في تعليقه على هذه الآية وهي : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] ، قال : " إذا كان الدين قد كمل ؛ فلا تكون الزيادة فيه إلا نقصاناً في المعنى والكمال لا يحتاج بعد ذلك إلى زيادة".

## ٢. تنزيه الله تعالى فيما ثبت له من الأسماء والصفات عن مشابهة المخلوقات :

ويشتمل على النقاط التالية :

## أ. بعض الأدلة على نفي مماثلة الخالق للمخلوق :

من الأدلة الشرعية الواردة في القرآن الكريم ، والتي نزه الله ﷻ فيها نفسه عن مشابهة المخلوقين ما جاء في قول الله ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ



## العقيدة خاص [٢]

### الدراس الكلاسيكية

**الْبَصِيرُ** ﴿الشورى: ١١﴾، وكقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وكقول الله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وكقوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ووجه الدلالة من هذه الآيات على نفي الله ﷻ عن مماثلة المخلوقات هي كالتالي: فمثلاً في قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] دلالة على أن الله ﷻ منزّه عن أن يكون له مثل في شيء مما يوصف به من صفات كماله ﷻ وأيضاً هذه الآية دلت على أمر عظيم للغاية، وهو أن الله ﷻ لما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ عقب عليها بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فدل ذلك على أن نفي التشبيه والتمثيل عن الله ﷻ لا يلزم منه نفي الأسماء والصفات، بل إثبات الأسماء والصفات ونفي مماثلة الله ﷻ فيها لأحد من المخلوقات كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، ولذلك اتفق أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا صفات الله العلى وأسمائه الحسنى على أن الله ﷻ ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وكذلك أيضاً لما قال الله مثلاً ﷻ: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، قوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ثناء على الله ﷻ في السموات والأرض، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هذه الآية فيها دلالة على نفي مشابهة الخالق للمخلوق، ووجه الدلالة منها هو أن الله ﷻ وصف نفسه في هذه الآية بأن له المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية؛ لأن المثل الأعلى يتضمن الكمال التام لله ﷻ فلو لم يكن هناك كمال وصفات كثيرة يتصف الله ﷻ بها ما كان له ﷻ المثل الأعلى، ولكن لما ثبت المثل الأعلى الذي يتضمن الأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان بها أكمل وأعلى من غيره، لما وجدت هذه الصفات وتكاثرت كان له ﷻ المثل الأعلى.

ولما كانت صفات الرب ﷻ أكثر وأكمل كان له المثل الأعلى ، وكان أحق به من كل ما سواه أيضاً من الآيات الدالة على تنزيه الله ﷻ عن مشابهة المخلوقات .

من الأدلة على نفي مماثلة الخالق للمخلوق ما جاء في قول الله ﷻ : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مریم: ٦٥] ، وقد ذكر ذلك عنه الطبري -رحمه الله- قال ابن عباس : "هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً" وذكر هذا في قول الله ﷻ : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ومثل ذلك أيضاً قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] ، فهو يدل على إثبات الوجدانية له ، ويقتضي أنه لا مثل له ولا نظير له ﷻ أيضاً .

### ب. العقل قاصر عن معرفة ما ثبت من الصفات :

بعدما قلت بأن الله لا يشبه أحداً من المخلوقات ، أود أن أبين أن العقل قاصر عن معرفة كيفية ما ثبت لله ﷻ من صفات ، ذلك أن الكيف عن صفات الله ﷻ مجهول بدليل السمع وبدليل العقل ؛ فالسمع منه قول الله ﷻ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠] .

الشيخ الأمين الشنقيطي -رحمه الله- له كلام حول هذه الآية في رسالته : (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) ، ذكر فيها بأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، وهذا ما نص عليه في هذه الآية وهي في قول الله ﷻ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ العقل ييأس من أن يعرف كنه الصفات وكيفياتها العلة في ذلك أن العقل عاجز عن ذلك ؛ لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته ، أو العلم بنظيره المساوي له ، أو بالخبر الصادق ، وكل هذه الطرق منفية ، ومنتفية في كيفية صفات الله تعالى ؛ فوجب بطلان تكييفها وعلم الإنسان محدود له طاقة محدودة وذكر ربنا ﷻ ذلك في كتابه حين قال : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

## العقيدة خاص [٢]

الدراس الكلاسيكية

فالسمع دل على أن العقل قاصر عن معرفة كيفية ما ثبت لله ﷻ من الصفات، وبالتالي لا يحق له ولا يجوز بحال من الأحوال أن يشبه الله ﷻ أو يكيّف صفات الله ﷻ بصفات أحد من المخلوقين؛ فيقع في التشبيه المنفي والتمثيل المنفي عن الله ﷻ وهذا بدلالة القرآن الكريم أن الإنسان لا يتدخل فيما لا يعلمه وذكرت

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ويمكن أيضاً أن أستدل هنا بقول الله ﷻ وقد

سبق الإشارة إليه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فإذا دل السمع على أن العقل قاصر عن

تكيّف أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، كذلك العقل حينما نقول عنه:

دل على ذلك، ذلك لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية

ذاته، ونحن لا نعرف كيفية الصفات إلا بعد أن نعرف كيفية الذات، وهذا ما لا

سبيل لنا إليه لأننا لا نعرف ذات الله ﷻ وما هو عليه ﷻ في نفس الأمر.

وطالما أن الأمر كذلك فوجب علينا أن نؤمن وأن نقوض علم الكيفية، ولا

يتدخل العقل في شيء من ذلك بل على العقل أن يقطع الطمع عن إدراك

الكيفية؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله ﷻ وبالتالي لا مجال له في ذلك، ولهذا

فالأئمة أنكروا على من سأل عن الكيف، وهذا وارد عن الإمام مالك -رحمه

الله- لما سئل عن كيفية الاستواء غضب، وقال: "الاستواء معلوم، والكيف

مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". ومثل ذلك ورد عن شيخ

الإمام مالك ربيعة -رحمهم الله تعالى.

ولا يقدح في أن العقل لا يعرف الكيفية في الإيمان بالأسماء والصفات، ومعرفة

معانيها؛ فلا يقدح ذلك في أننا ننفي عن أي مؤمن يؤمن بأسماء الله وصفاته

الكيفية عن الله ﷻ وأنه يعرف كيفية الله ﷻ لأن الكيف كما ذكرت مجهول؛ لأن

الكيفية وراء العلم بمعنى الصفة ؛ فأنا أعلم الصفة ومعناها وما تدل عليه ، ولكن لا أعرف كيفيتها.

مثال ذلك أيضاً قول الله ﷻ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ما معنى الاستواء؟ معلوم كما ذكر الإمام مالك: الاستواء هو العلو والارتفاع، هذا معلوم، أما كيفية الاستواء فهذا هو المجهول، فكوني لا أعرف كيفية الاستواء لا يقدح ذلك في إيماني بمعرفة علو الله ﷻ على خلقه، وأنه استوى على عرشه كما أخبر ﷻ بذلك في كتابه.

### الأخذ بظواهر النصوص الواردة في الصفات، والاقتصار على الوحي في النفي والإثبات

#### ١. الأخذ بظواهر النصوص الواردة في الصفات :

من قواعد أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات أنهم كانوا يأخذوا بظواهر النصوص الواردة في أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، وهذا تحتها نقاط :

#### أ. الواجب إجراء ما ثبت من صفات الله على ظاهره :

يجب أن أثبت لله ﷻ وما جاء في صفاته على ظاهره دون أن أتدخل فيه بمعقول أو ما إلى ذلك ؛ لأن الله ﷻ خاطبنا في القرآن الكريم بلغة العرب، ويجب أن نفهم القرآن الكريم على ما تقتضيه لغة العرب، وما يظهر من معناه ؛ لأن الحججة لا تقوم ولا تنقطع المعذرة بكلام لا تفيد ألفاظه اليقين، ولا يدل على مراد المتكلم ؛ فالحجة تقوم بما يفهم من ظاهر النص، أو ظاهر اللفظ، أي أن الحججة لا تقوم

على العباد ولا ينقطع العذر بكلام لا تفيد ألفاظه اليقين ولا تدل على مراد المتكلم؛ فإن كان الله ﷻ يريد أن يقيم الحجة على العباد بكتابه، وأنزل عليهم هذا الكتاب باللغة التي يعرفونها ويتكلمون بها، ويعقلون خطاب المخاطب بها، وجب علينا إذًا أن نفهم ظواهر نصوص الصفات على ما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن نأخذ بما ورد في هذا الظاهر. وقد حكى الخطابي وأبو بكر بن الخطيب وغيرهما أن مذهب السلف -رحمهم الله تعالى- إجراء أحاديث الصفات على ظاهرها، يعني: حكى كثير من أهل العلم عن سلف هذه الأمة الصالحين أنهم كانوا يجرون آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها المتبادر منها، ومراد السلف بإجرائها ظواهر الآيات الواردة في الصفات على ظاهرها هو الجزم بأن لها معنىً حقيقياً يليق بجلال الله وكماله، وهو المعنى الذي يظهر من اللفظ وفق ما تفقهه العرب من كلامها.

والفرقة الثانية يزعمون أنه يجب نفي هذا الظاهر؛ لأن هذا الظاهر يفيد التشبيه، فنفوا ما ثبت لله ﷻ من أسماء حسنى وصفات علا، وهؤلاء الذين نفوا ينقسموا في الحقيقة في داخلهم إلى فرق متعددة. والصواب في ذلك بأن الفرقة التي شبّهت الله ﷻ بخلقه وهم المشبهة وبين فرق النفاة المعطلة الذين نفوا صفات الله ﷻ بحجة تنزيه الله عن المخلوقين.

والفرقة الثالثة أو الوسط في ذلك هم أهل السنة والجماعة الذين يثبتون صفات الله ﷻ وينفون عنها تشبيه الخالق بالمخلوق.

### ب. ظواهر نصوص الصفات معلومة باعتبار ومجهولة باعتبار آخر:

أي أن ظواهر نصوص الصفات معلومة باعتبار المعنى؛ فباعتبار المعنى فهي معلومة، أما باعتبار الكيفية فهي مجهولة، وقد دل على ذلك السمع والعقل

## العقيدة خاص [٢]

فمن السمع مثلاً الله ﷻ قال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣] وأمر الله ﷻ بأن نتفكر وأن نتأمل وأن نتبين، وأراد أن ننظر في كتابه لما قال لنبيه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] التدبر والتفكير الوارد في آيات الله ﷻ والمأمور به هنا لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه؛ ليتذكر الإنسان ما فهمه منه.

وكون القرآن الكريم عربياً يعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو بغيرها، ولا شك أن النبي ﷺ بين لأمته بياناً شافياً كاملاً لفظ القرآن الكريم ومعانيه، ولم يترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه ﷺ، فإذن دل السمع على أن صفات الله ﷻ معلومة لنا بهذا المعنى أو بهذا الاعتبار.

والعقل أيضاً يدل على أن ما خوطبنا به من الصفات وظواهر نصوص الصفات معلومة لنا بهذا الاعتبار؛ لأنه من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب، وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدّها ضرورة مجهول المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي يفهم أو لا يفهم منها شيء؛ لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وكذلك لا يليق بمكانة رسول الله ﷺ أن يعلم أمته ألفاظ لا يفقهون معانيها، ولا يدرون كيف يتعبدون الله ﷻ بها.

والله نزه كتابه الكريم عن أن يكون فيه شيء من ذلك، حينما قال ﷻ: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] فالقرآن الكريم أحكمه الله ﷻ أحكم بيانه وأراد من العباد أن يعقلوه وأن يتدبروا معانيه، وإلا لو كان الأمر على غير ذلك؛ لما كان للقرآن الكريم فائدة لو أن القرآن نزل لكي تقرأ ألفاظه دون تدبر ودون معرفة للمعنى، حتى يعلم به القارئ والمستمع، ومن نزل عليه القرآن.

وبالتالي نقول بأن ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار معناها، يعني: معنى الصفة وما تدل عليه معروفة معلومة لنا، أما المجهول لنا من الصفة هي مجهولة، ولكن باعتبار آخر، باعتبار الكيفية، وهذا أيضاً سبقت الإشارة إليه، وأهل السنة والجماعة فيما يثبتون لله ﷻ من أسماء وصفات، لا يكيفون الله ﷻ فيها بأحد من المخلوقات، وبالتالي نقول بأن نصوص الصفات مجهولة عند علماء الأمة، وعند أهل السلف الصالح بهذا الاعتبار؛ فهم لا يعرفون كيفية الصفة، ولا يعرفون تشبيه الله ﷻ بخلقه حتى يقعون في هذا التكييف، ولا يقولون به، وبالتالي يؤمنون بمعاني الصفات، ويعرفون أن هذه المعاني معلومة لهم أما الكيف فهو مجهول.

### ج. باب الأخبار أوسع من باب الصفات:

ونعني بذلك أن باب الخبر أوسع من باب الصفة الحقيقية، قلت: بأننا بحاجة إلى ذلك، لماذا؟ لأنني قلت: بأن نقف عند حدود النص الوارد في القرآن والسنة، وهذا هو موقف أهل السنة والجماعة، وأنهم لا يكيفون الله ﷻ بأحد من المخلوقات وأنهم ينزهون الله ﷻ فيما ثبت له.

ولكن هناك بعض الكلمات التي تطلق على الله ﷻ ويكون معناها صحيحاً، ولكنها لم ترد لا في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية المطهرة، فهل يمكن أن نطلق هذه الأسماء أو هذه الصفات على الله ﷻ أو لا يجوز لنا ذلك؟.

ومعنى ذلك: أن ما يدخل في باب الإخبار عن الله تعالى أوسع مما يدخل في أسماء الله وصفاته؛ فإنه يجوز أن يخبر به عن الله، ولا يدخل في أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى؛ إذ باب الأسماء والصفات مقيد بنسبته إلى الله ﷻ على سبيل الوصف والتسمية في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فيطلق لفظه

## العقيدة خاص [٢]

ومعناه على الله ﷻ إطلاقاً وصفيّاً أو اسمياً مراعاة فيه التعبير القرآني أو النبوي دون غيرهم ، وإما باب الإخبار عن الله ﷻ فلا يتطلب ذلك إلا شرط واحد فقط ، وهو أنه لا بد أن يكون دالاً على معنى حسن ، ولا يوهم الخطأ.

وعلى أقل تقدير لا يدل على ذم أصلاً ، يعني : يمكن أن يتوسع في باب الإخبار عن الله ﷻ بما لم يرد ذكره في القرآن الكريم ، أو في السنة النبوية المطهرة ، مع أننا نعتقد أنه ليس من أسماء الله الحسنى ، ولا من صفاته الله العلى ، يعني لا نتعبد الله ﷻ به ولا ندعو الله ﷻ به ، ولا نطلقه على الله من باب التسمية أو الوصف وإنما من باب الخبر.

قال العلماء : إن هذا يجوز بشرط أن يكون ما يطلق على الله ﷻ دال على معنى حسن ، أو على أقل تقدير لا يدل على ذم أصلاً ، ولا يوهم الخطأ بحال من الأحوال ، وهذا قد يحتاجه الإنسان ، يعني : إلى أن يثبت الخبر عن الله ﷻ من باب الخبر وليس من باب الاسم ، وذلك كأن ينازعك مثلاً بعض المبتدعة ، أو بعض الملاحدة في وجود الله ﷻ أو قدمه مثلاً ؛ فأنت تخبر عن وجود الله ، أو قدم الله ﷻ فتقول : بأن الله قديم أو بأنه واجب أو بأنه موجود ؛ القديم والموجود ليس من أسماء الله الحسنى ولا من صفات الله العلى ؛ فلا تتعبد الله به ؛ فلا تقول مثلاً : يا موجود ، اغفر لي أو تسمي مثلاً أحد الأولاد : يا عبد الموجود ؛ لأن الموجود لم يأت اسماً منصوباً عليه في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولكن من باب الخبر يجوز أن يخبر عن الله ﷻ خاصة فيما لو نازعك أحد في وجود الله ﷻ بشرط ألا يوهم ما يطلق على الله ﷻ الخطأ ، ولا يحتمل أو يشتمل على ذم أصلاً ، ويكون معناه حسن ؛ لأنه لا يطلق على الله ﷻ إلا الكمال المطلق الذي يليق بجلال الله ﷻ وكماله.



٢. بيان أن ورود النفي في القرآن الكريم مجملاً والإثبات مفصلاً: ويشتمل على النقاط التالية:

#### أ. أدلة القرآن الكريم على الإثبات المفصل والنفي المجمل:

القرآن الكريم يدل على الإثبات المفصل والنفي المجمل؛ فالناظر في القرآن الكريم يظهر له ذلك بوضوح، يظهر له أن الله ﷻ وصف نفسه في كتابه بأنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه حي قيوم سميع بصير عزيز حكيم، يحب المتقين ويحب المحسنين، ويحب الصابرين ويرضى عن أهل الإيمان، ولا يحب الفساد، ولا يرضى الكفر، وما إلى ذلك تجد إثبات كثير وورد جداً في القرآن الكريم.

بل إن معظم أو كثير من آيات القرآن الكريم تزيل بذكر شيء من أسماء الله الحسنى التي أيضاً إثبات الأسماء يتضمن إثبات الصفات؛ لأن الاسم مشتق من الصفة كما هو معلوم، فنجد القرآن الكريم مليء بالدلالة على وجود إثبات لله ﷻ وأن الإثبات الوارد في كتاب الله ﷻ هو إثبات مفصل ولو تأملت كما ذكرت ختام آيات القرآن الكريم، أو آيات كثيرة بعينها جاء ذكرها في كتاب الله ﷻ مليئة بكثير من أسماء الله الحسنى، وصفات الله العلى كقول الله ﷻ في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكما في الآيات الواردة في آخر سورة "الحشر" وما اشتملت عليه وما تضمنته من كثير من أسماء الله الحسنى، كقول الله مثلاً: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿الحشر: ٢٢ - ٢٤﴾ هذه الآيات كلها أسماء لله ﷻ وأسماء حسنى، وتتضمن صفات عليا ثابتة لله ﷻ هذه الأسماء الحسنى وهذه الصفات العلى تأتي في القرآن الكريم مفصلة واضحة كثيرة.

يتحدث الله ﷻ عنها في كثير من الآيات، وتختتم به بعض آيات القرآن الكريم؛ لأن الإثبات وكثرة الصفات فيه كمال مطلق لله ﷻ جل في علاه؛ إذا الإثبات في القرآن الكريم يأتي كما ذكرت مفصلاً ولو تأملتم أنتم بعض من هذه الآيات كما ذكرتها لكم الآن ستجدون ذلك واضحاً.

أما النفي فعلى العكس تماماً فالنفي الوارد في القرآن الكريم نفي مجمل سواء كان في القرآن الكريم، أو في السنة المطهرة؛ لأن السنة مليئة بالإثبات أيضاً كثير من الآيات وكثير من الثناء على الله ﷻ كان يثني بها النبي ﷺ على ربه بذكره أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، بل إن النبي ﷺ سيعلمه ربه شيئاً لم يكن يعلمه من قبل عن أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، وذلك في الموقف العظيم في يوم القيامة وذلك في موقف الشفاعة العظمى الخاصة به ﷺ لما يطلب منه أهل الموقف يطلبون من النبي ﷺ أن يشفع فيهم؛ فالنبي ﷺ يقول: "أنا لها ويسجد -أو يخر ساجداً- تحت العرش ويفتح الله ﷻ عليه بمحامد يعلمه الله إياها" يقول عنها: "لم أكن أعملها من قبل". هذه المحامد ما هي ثناء على الله ﷻ بشيء من أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى.

## العقيدة خاص [٢]

الدروس الكلاسيكية

وذلك يعني أن النبي ﷺ كان يشني على ربه بذكر كثير من أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، فقد كان النبي ﷺ يقول في تهجده: ((اللهم أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق ولقاؤك حق))، وهكذا تجد النبي ﷺ كان كثيراً ما يشني على ربه بكثرة الإثبات المفصل لله ﷻ بأسماء الله الحسنی وصفات الله العلی.

أما النفي الوارد في القرآن الكريم، أو حتى في السنة النبوية المطهرة؛ فهو نفي مجمل، وذلك مثل قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] أراد الله ﷻ أن ينفي عنه شيء فنفى المثلية بصورة مطلقة في جميع الصفات، نفي أن يشبه أحد من المخلوقات؛ أيضاً قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ هذا نفي يتضمن ثبوت كمال ضده فهو لقدرته التامة ﷻ قال: ﴿وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في بيان ذلك: "إن الرسل ﷺ جاءوا بنفي مجمل وإثبات مفصل". جاءوا في القرآن كما ورد عن الله ﷻ وكما أخبر النبي ﷺ وما جاء على لسان النبي ﷺ هو نفي مجمل بخلاف الإثبات المفصل؛ فمثلاً قول النبي ﷺ: ((إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام))، هذا نفي مجمل، فالرسل ﷺ جاءوا بنفي مجمل وإثبات مفصل، ولهذا قال ﷻ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠] فسبح ﷻ نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وطريقة الرسل كما ذكر ابن تيمية - رحمه الله - هي ما جاء به القرآن، والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل وينفي عنه النفي على طريق الإجمال، فالنفي يأتي بالتشبيه مثلاً والتمثيل على طريق الإجمال كما في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والسر في الإثبات المفصل والنفي المجمل أن النفي المحض الذي لا يستلزم إثبات ليس بمدح ولا ثناء ؛ لأنه عدم ، والذي يكون به المدح والثناء والتمجيد والتعظيم هو صفات الإثبات ، فلا يثبت الله ﷻ لنفسه صفة سلب إلا إذا كانت متضمنة لثبوت كالأحد مثلاً ، فإن هذه الصفة متضمنة إنفراده بالربوبية والإلوهية وصفة السلام مثلاً متضمنة لبراءته من كل نقص يضاد ذلك.

كذلك أيضاً الإخبار عن الله ﷻ بالسلوك بالنفي يرد لأن هذه الصفات المنفية تضمن إثبات صفات كمال الله ﷻ وكما ذكرت مثلاً قلت : ﴿ وَلَا يَتُودُّهُ ﴾ **حَفْظُهُمَا** هذا مستلزم لكمال وتمام قدرة الله ﷻ وهذا هو منهج القرآن الكريم في الإثبات وفي النفي ؛ وهذا المنهج هو المنهج الذي فقهه علماء أهل السنة والجماعة ، وسلف هذه الأمة في صفات الله ﷻ بخلاف منهج المتكلمين.

### ب. بيان أنه لم يرد في القرآن الكريم نفي محض :

المراد بالنفي المحض : هو ما لا يتضمن ثبوت كمال ضده. ولم يرد في القرآن الكريم أبداً نفي محض ؛ بل النفي الوارد في القرآن الكريم هو ما تضمن مدحاً وكمالاً لله ﷻ والنفي المحض لا مدح فيه ولا كمال ، وبالتالي نقول : بأن الله لا يوصف ولا يسمى إلا بما يدل على الثناء والكمال ؛ ولأن أيضاً النفي عدم ؛ والعدم ليس بشيء ، فضلاً عن أنه أيضاً عن أن يكون كمالاً.

فالله ﷻ لما نفى السنة والنوم مثلاً عن نفسه ، لما قال : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ كمثل نفي عن نفسه السنة والنوم دل ذلك على كمال حياته وقيوميته ﷻ فالنفي المحض لم يرد في القرآن الكريم وليس له وجود ؛ وإنما النفي الوارد في القرآن الكريم هو ما تضمن ثبوت كمال ضده كقوله مثلاً سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١]. الدال على نفي التشبيه والتمثيل عن الله ﷻ وأنه ليس

كآحاد المخلوقين كقوله مثلاً: ﴿وَلَا يُؤُدُّهُ حَفْظُهُمَا﴾ لكمال قدرته وتامها أيضاً كقوله ﷻ: ﴿لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣] هذا يثبت كمال العلم لله ﷻ والقوة والقدرة.

### ج. تعريف الصفات السلبية ووجوب نفيها عن الله:

الصفات السلبية، هي: ما نفاها الله ﷻ عن نفسه في كتابه أو نفاها عنه رسول الهدى ﷺ. وهذه الصفات السلبية كلها صفات نقص في حق الله ﷻ يمكن يتصف بها المخلوق، أما الخالق ﷻ فلا يتصف بهذه الصفات.

وذلك مثل: الموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب كل ذلك يجب نفيه عن الله ﷻ مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل؛ وذلك لأن ما نفاه الله ﷻ عن نفسه؛ فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده؛ لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال إلا إذا تضمن ما يدل على الكمال.

وقد ضربت فيما مضى أمثلة على ذلك، ولا يمنع أن أذكر أيضاً مثال هنا فمثلاً قال الله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] فهو في هذه الآية نفي عن نفسه الموت ونفي الموت هنا يتضمن كمال حياة الله ﷻ.

مثال آخر: قال الله ﷻ ونفى عن نفسه الظلم في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] فنفي الظلم هنا عن الله ﷻ يتضمن كمال عدل الله ﷻ.

وكذلك مثلاً ما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤] نفي العجز هنا عن الله يتضمن كمال علم الله ﷻ وقدرة الله ﷻ لأن العجز سبب إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور في القدرة، فلكمال علم الله تعالى ولكمال قدرته، لم يكن ليعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٣. ما يطلق على الله ﷻ في باب الإثبات والنفي :

ويشتمل على النقاط التالية :

أ. وجوب الاختصار فيما يطلق على الله ﷻ على الألفاظ الشرعية :

يجب أن تقتصر فيما نطلقه على الله ﷻ على ما ورد في كتاب الله وسنة النبي ﷺ وهي الألفاظ الشرعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية إثباتاً أو نفيًا ؛ ذلك لأن القرآن الكريم كتاب هداية وتوضيح وبيان ، وقد بينه النبي ﷺ لأُمَّته أكمل بيان ، وأتم بيانه كما قال الله له : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] النبي ﷺ بلغ الكلام الذي نزل إليه من ربه والله شهد له بذلك وأمره به : ﴿ يَتَأَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧].

إذاً القرآن الكريم كتاب هداية وبينه النبي ﷺ وبين ما فيه من النور والهدى ، والحق الذي جاء من عند الله ﷻ ولهذا يجب الاختصار على الألفاظ الشرعية في النفي أو الإثبات ؛ فما أثبتته الله في كتابه ، أو سنة النبي أثبتناه وما نفاه الله ﷻ في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ نفينا.

ولذلك ذكر كثير من أهل العلم عن أهل السنة والجماعة هذه المسألة فشرح (الطحاوية) مثلاً يقول : " والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة والجماعة " فيجعلون ما قاله الله ورسوله ﷺ هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده ، وبالتالي لو أثبت مثبت شيء لم يرد في القرآن الكريم ، أو في السنة ، أو جاء بنفي يقول بأن الله ﷻ ليس بكذا ليس داخل العالم ، وليس خارج العالم ؛ فلا يجوز أن تطلق على الله ﷻ شيء لم يقله أو أن تنفي عنه شيء أيضاً لم يأت في كتاب الله أو في سنة النبي ﷺ .

## ب. حكم ما تنازع فيه الناس نفيًا وإثباتًا:

يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مذهب السلف القويم في هذا الباب وهو كلام جيد للغاية ، ومفيد يقول - رحمه الله - : "إن ما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحد ، ولا له أن يوافق على إثبات لفظه أو نفيه ، حتى يعرف مراده حتى نعلم مراد القائل ؛ فإن أراد حقًا قبل ، وإن أراد باطلًا رد ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقًا ، ولم يرد جميع معناه. بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى.

أي : أن الألفاظ أو الأسماء التي لم يدل الشرع على ذمها أو مدحها يتوقف فيها حتى يعرف ما تدل عليه من حق أو باطل ، وبالتالي يسقط عليه النفي أو الإثبات ، إن كان معنى باطل نفينا ، وإن كان معنى يفيد معنى حق مع اعتقادنا أنها ألفاظ مبتدعة شرعًا لعدم ووردها في القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ وأيضًا لما فيها من إجمال يجعلها محتمل للحق والباطل أيضًا لكون هذه الألفاظ فيها إجمال يجمع بين الحق والباطل ؛ فنحن لا نطلقها في حق ذي الجلال ونقف عند حدود النص الوارد فيها.

## ج. موقف السلف في هذا الباب:

السلف - رحمهم الله تعالى - يراعون لفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيما يثبتونه وينفونه في الله ﷻ وأفعاله وأسمائه وصفاته ، ولا يأتون بلفظ مبتدع في النفي أو الإثبات ، بل كل معنى صحيح ؛ فإنه داخل فيما أخبر به الرسول ﷺ فلنسنا بحاجة في أن نأتي بألفاظ من عندنا ؛ لأن ما ثبت لله من كمال أثبته الله لنفسه ، وأثبتته له رسوله ﷺ.





طرق المبتدعة في الأسماء والصفات، ومنهج أهل السنة هو  
الأسلم والأعلم والأحكم

عناصر الدرس

- العنصر الأول : طرق المبتدعة في الأسماء والصفات ١٠٩
- العنصر الثاني : منهج أهل السنة هو: الأسلم، والأعلم، والأحكم ١٢٥



## طرق المبتدعة في الأسماء والصفات

## ١. طرق المبتدعة في هذه المسألة:

وتشتمل على النقاط التالية:

## أ. أهل البدع لا يتمسكون بالشرع:

هذا واضح غاية الوضوح لدى هؤلاء المبتدعة في الوقت الذي يتمسك فيه أهل السنة والجماعة كل ما جاء عن الله ﷻ وكل ما جاء في صفات الله المبتدعة على عكس ذلك تماماً لا يتمسكون بالألفاظ الشرعية الواردة في كتاب الله أو سنة النبي ﷺ فتجد مثلاً: طائفة تسلك طريق القياس العقلي الذي يعول عليه كثيراً من المتكلمين، أو طائفة الصوفية مثلاً تسلك طريق الكشف، وكلا الطريقتين فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضب، وليست واحدة منهما يحصل بها المقصود الذي أراده الله أو أراده رسول الهدى ﷺ فنحمد الله على هذا الموقف لأهل السنة والجماعة، إنهم يتمسكون بالألفاظ الشرعية الواردة عن الله ﷻ.

أما المبتدعة؛ فهناك ألفاظ أخرى وكلمات كثيرة أتوا بها من عند أنفسهم فلا يعولون في الوقت الذي وقف فيه أهل السنة على النصوص، ولا يتمسكون بالألفاظ الشرعية، وهذا واضح بكثرة عند أبواب الطرق من المتصوفة، أو عند المتكلمين الذين سلكوا طريق الفلاسفة وقاسوا الخالق على المخلوق بالأقيسة العقلية الباطلة، وبالتالي يجب التحذير والتنفير من سلوك المبتدعة، والسير خلفهم في مثل هذه الطرق المغرصة.

ب. معظم عقائد هؤلاء الناس قائمة على السلوب :

يعني على النفي ؛ فمعظم عقائد المبتدعة - وهذه طرقهم في أسماء الله وصفاته - قائمة على النفي ؛ لأنه لما أعرضوا عما قاله الشارع الحكيم في هذا الباب ، ولم يتدبروه ، ومنه الإثبات المفصل بالصفات والنفي المجمل ، وقعوا في الإفراط في النفي حتى أصبحت عقائدهم في الله ﷻ وأسمائه الحسنى وصفاته العلى قائمة على النفي ، ولذلك قال شارح (الطحاوية) - رحمه الله - : " والمقصود أن غالب عقائدهم قائمة على السلوب ". هكذا قال .

والمقصود أن غالب عقائدهم السلوب ، يقولون : ليس بكذا ليس بكذا ، وأما الإثبات فهو قليل جداً عندهم يعني يقولون : بأنه عالم قدير حي ، وبعض المعطلة من الجهمية والمعتزلة لا يثبتون لله صفة أصلاً ، ينفون عن الله الأسماء والصفات ، والمعتزلة تنفي الصفات عن الله .

الأشاعرة مثلاً والماتريدية تثبت سبع صفات لله ﷻ فالإثبات قليل ، أما النفي فهو كثير عقائدهم قائمة على النفي عندما تقرأ كتب هؤلاء المبتدعة في أسماء الله الحسنى ، وصفات الله العلى ، تجدها قائمة على النفي والسلوك ، وكل الذي ذكره غير وارد في القرآن الكريم ، أو سنة النبي ﷺ وكله قائم على ما لم يرد له ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهو النفي الوارد عند هؤلاء الكلام عندما تفتح كتبهم تجده يقوله لك مثلاً ، عن الله ﷻ ليس بداخل العالم ولا خارج العالم ، ولا فوق ولا تحت ولا تحويه الأمكنة ولا الأزمنة ، ولا يقال عنه مثلاً كذا ولا كذا .

تجد كلها صفات سلبية لم ترد في القرآن الكريم ، ولا في السنة النبوية المطهرة يعني من قال مثلاً : بأن الله جسم حتى يحتاجوا هم أن يقولوا بنفي الجسمية عن

الله ﷻ تجد في كتب علماء الكبائر ليس بجسم ولا ييوسة من يقول يتجراً على أن يذكر هذا عن الله ﷻ هذا فيه إساءة أدب مع الله ﷻ حينما نتوسع في مثل هذه الكلمات ونطلق على الله ﷻ ما لم يطلقه في كتابه أو ننفي عنه أيضاً عنه ما لم يذكره في كتابه ، وما لم يذكره ﷻ .

وأكثر هذا النفي الوارد عند علماء الكلام ليس متلق من كتاب الله ولا من سنة الرسول ﷺ ولا حتى من الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات ، يعني حتى ما استخدموا طرق صحيح عقلية في الإثبات ليستتبروا بها من خلال ما ورد في كتاب الله ، أو سنة النبي ﷺ ولكنهم توسعوا كثيراً في باب النفي . وذكروا كلمات حقيقة ينفر منها القلب الحي الذي يؤمن بأسماء الله الحسنى ، وصفات الله العلى ويعلم أنها كلها صفات كمال ؛ فكيف يليق بعد ذلك بإنسان يتدخل في ذات الله ﷻ بما لم يذكره الله ﷻ عن نفسه ، وهذا كان شأن المبتدعة ، فهم لا يتمسكون بالشرع ومعظم عقائدهم قائمة على النفي والسلوب ، لا يقولون ليس بكذا وليس بكذا ، كما ذكر ذلك جمهور أهل العلم من السلف عن هؤلاء القوم .

### ج. محاربتهم للسلف بالألفاظ المجملة :

معنى ذلك : أن الألفاظ المجملة قد تدل على معنى صحيح ، وقد تدل على معنى باطل ، والمبتدعة يعبرون بالعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد مذهب السلف ؛ فإنهم مثلاً إذا قالوا : إن الله ﷻ منزّه عن الأعراض ، حينما يقولون ذلك لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما ينكر ؛ لأن الناس يفهمون من ذلك أنه ﷻ منزّه عن الاستحالة والفساد ، كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأسقام والأمراض وغير ذلك ، ولا ريب أن الله ﷻ منزّه عن ذلك ، ولكن هذا اللفظ

المجمل الذي ذكروه، وهو أن الله منزه عن الأعراض ليس مقصودهم منه ما ذكرته الآن، وإنما مقصودهم أن الله لا يتصف بصفة العلم، أو القدرة، أو الحياة، أو غير ذلك من الصفات التي يسمونها أعراضاً لم يقولوا هذه الصفات عرض، يعني لا يبقى زمانين - كما عرفوه - يزول، فقالوا: الله ﷻ منزه عن هذه الأعراض، وقصدوا بذلك نفي الصفات الواردة على الله ﷻ.

ومن فقه مذهب السلف - رحمهم الله تعالى - : أنهم كانوا لا يطلقون الألفاظ الموهمة المحتملة في حق الله ﷻ ومنها الألفاظ المجملة ؛ ولكن المبتدعة أرادوا أن يشوهوا مذهب السلف بهذه الألفاظ المجملة، ويطعنون عليه ويحاربون من يثبت أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى بهذه الألفاظ المجملة.

شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعرض لهم في ذلك، وذكر كلاماً جميلاً يبين فيه أن من طرق محاربة المبتدعة استعمال هذه الألفاظ المجملة يقول - رحمه الله - : "وكانوا يعبرون - أي : المبتدعة - عن مذهب أهل الإثبات، وهم أهل السنة والجماعة السلف الصالح بالعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد المذهب، وهو مذهب السلف - رحمهم الله تعالى -"، وضرب مثال ؛ قال : "فإنهم إذا قالوا: إن الله منزه عن الأعراض، لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما ينكر ؛ لأن الناس يفهمون من ذلك أنه سبحانه منزه عن الاستحالة والفساد، كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام وغير ذلك، ولا ريب أن الله ﷻ منزه عن ذلك ولكن ليس مقصود هؤلاء المبتدعة هو هذا النفي الصحيح عن الله ﷻ والذي لا يقوله أهل السنة والجماعة ؛ ولكن مقصودهم بهذا اللفظ المجمل هو نفي الأعراض عن الله ﷻ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الله ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به، ولا غير ذلك من

الصفات التي هم يسمونها أعراضاً؛ فهم بذلك الحق في صورة الباطل، حتى يوهم الناس ويلبس عليهم بهذه الألفاظ المجملة.

وأهل السنة والجماعة حفظهم الله ﷻ من استخدام هذه الألفاظ المجملة التي لا تليق ولا تطلق على الله ﷻ كمالاً بحال من الأحوال؛ لأنهم يتوقفون في باب الإثبات وفي باب النفي عما ورد عن الله وعن صفات الله ﷻ.

وصحيح السنة كلها تفيد كمالاً مطلقاً لله ﷻ وأن أهل السنة والجماعة كانوا يسلمون لهذه النصوص، ويؤمنون بما دلت عليها من المعاني والأحكام، ويعرفون أن الله ﷻ يتصف أزلاً وأبداً بهذه الأسماء، وهذه الصفات؛ لأنها صفات كمال ولا يجوز أن يعتقد أن الله ﷻ كان يتصف بالنقص، ثم حصل له الكمال؛ فهم لا يتدخلون في هذا الباب بعقولهم وأهوائهم فيقفون كما ذكرت عند حدود النص، ويأخذون بما ظهر بظواهر النصوص، ويعرفون أن ظواهر هذه النصوص معلومة لنا باعتبار، ومنفية عنا باعتبار آخر؛ فهي بمعنى ما تدل عليه من المعاني، وما تضمنته من الأحكام معلوماً، أما باعتبار ما تضمنه من الكيفية فهي مجهولة؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله هذا في الإثبات.

### ٢. معرفة أصل الدين بينه النبي الأمين ﷺ:

ويشتمل على النقاط التالية:

#### أ. بيان أن النبي بين لأمته ما يجب في هذا الباب بياناً شافياً:

من المقرر يقيناً لدى عامة المسلمين أن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة كما أمر، ولم يكتم شيء مما أوحاه الله إليه تنفيذاً لقول الله له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

## العقيدة خاص [٢]

ولقوله أيضاً: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] فبيان القرآن الكريم أسند إلى النبي ﷺ بين لأمته غاية البيان.

ومن المحال بعد ذلك أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به، ملتبس مشتبهاً على هذه الأمة؛ فالله ﷻ حينما أمره بالبلاغ وأيقن المسلمون أنه قد بلغ ﷺ كل الدين وجميع الشريعة، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يقع في خاطر إنسان أن يكون النبي ﷺ قد ترك هذا الباب دون بيان أو لم يبين لأمته ما يجب اعتقاده في الذات الإلهية، وما لها من صفات الجلال والكمال؛ لأن هذا من أولويات أمور أصول الدين.

ولعل لو ربطت بين ما قلته سابقاً بأن العلم بالله ﷻ أصل للعلم بكل ما سواه تبين لك أهمية بيان هذا الأمر، وأنه داخل في أمر الله لنبيه ﷺ بتبليغ الرسالة.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومحال مع تعليمهم كل شيء له فيه منفعة في الدين؛ وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين". فمحال بعد أن علم النبي ﷺ أمته كل شيء فيه منفعة في الدين محال أن يتركهم بعد ذلك، ولا يعلمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم، في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية.

وهذه كلمة جيدة جداً من شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حينما يبين أن الكلام في هذا الباب، وإحكام أمر الأسماء والصفات، وأن النبي ﷺ ما ترك شيئاً إلا وقد دل الأمة عليه. وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتوهم من في قلبه أدنى



مسكة من إيمان وحكمة ألا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ على غاية التمام.

وهذا قول فصل في هذه المسألة العظيمة، وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الجزء الخامس من الصفحة السابعة من (مجموع فتاويه) -رحمه الله- في الرسالة المعروفة "بالتنوير".

### ب. الصحابة تلقوا الوحي كاملاً من النبي ولم يعارضوه بعقولهم:

إن الصحابة كلهم ثقات عدول، وإنهم أخذوا العلم من النبي ﷺ فالصحابة { تلقوا هذا العلم كاملاً من النبي ﷺ ولم يعارضوه بعقولهم ولذلك أقول بأن الصحابة { فيهم تكلم الرسول ﷺ وعليهم نزل الكتاب الذي جاءنا من عند الله سبحانه؛ فهم أعلم الناس بمراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ لأنهم تلقوا الدين مشافهة من النبي ﷺ وكانوا من فصحاء الناس، وبلغائهم.

والقرآن الكريم نزل عليهم بلغتهم؛ وقد تلقوا ما قاله لهم الرسول ﷺ وبالتالي أقول بأن هؤلاء الصحابة الكرام { إذا كانوا لم يستشكلوا شيء من باب الأسماء والصفات بل كانت عنايتهم بهذا الباب فوق كل عناية واهتمامهم به فوق كل اهتمام، العلة في ذلك ما قام بقلوبهم من محبتهم لله ﷻ وبنافستهم في القرب منه ﷻ لأن الإنسان إذا أحب شيئاً لا شك أنه يسعى في التعرف عليه، ومعرفة صفاته التي هو عليها، وما يتصف به حتى يكون قريب منه وحتى يتعلم الأسباب التي تقربه إليه.

{ كان الصحابة يحرصون على أن يتعلموا ويحكموا مسائل هذا الباب ، كي يتقربوا بذلك إلى الله ﷻ ولأن قلوبهم كانت متعلقة بذات العزة والجلال ﷻ وعليه فأقوالهم ولا شك تقدم على من جاء بعدهم إذا كانوا هم الذين تلقوا العلم مشافهة من النبي ﷺ وآمنوا به ، واعتنوا به غاية العناية ، وكان معتقدهم هو المعتقد الصحيح المتلقى من النبي ﷺ فبناء على ذلك تصيح أقوالهم وما قالوه وما سجلوه أقوم قليلاً وأهدى سبيلاً ، ولا يمكن أن تعارض بأقوال المخالفين له .  
ولذلك قال الإمام الأوزاعي - رحمه الله - : " العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ فما كان غير ذلك فليس بعلم " .

وقد ذكر ذلك الإمام الحافظ ابن رجب - رحمه الله - في رسالته القيمة : ( فضل علم السلف على الخلف ) ، وللمزيد في هذا الأمر يرجع إلى كتاب ( الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة ) لابن القيم - رحمه الله - وذلك في المجلد الأول في الصفحة مائة وستين بتحقيق الدكتور علي الدخيل ، وقد طبعته دار العاصمة بالرياض ، وهذا الكتاب كتاب نفيس جداً ، وتعرض فيه ابن القيم - رحمه الله - لهذه المسألة واعتنى أيضاً بها عناية طيبة .

### ج . من المحال أن يكون الخلف أعلم بالله وبصفاته من السلف :

ما فهمه سلف الأمة وعلموه وعملوا به ، وعلى رأس هؤلاء جميعاً الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله ﷻ عليهم في كتابه وتعلموا الدين كاملاً من النبي ﷺ من المحال أن النبي ﷺ يعلم الأمة كل ما ينفعهم ثم يترك بعد ذلك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في الله ﷻ ولا شك أنهم تعلموا ، وفقهوا هذا الباب أكثر من غيرهم حتى صار معتقدهم فيه ، هو المعتقد الصحيح

الذي جاء في كتاب الله وعلى لسان رسوله ﷺ ولا شك أن هؤلاء السلف خير الأمة، وأفضل قرونها على الإطلاق.

وإذا كان الأمر كذلك لا بد أن نقرر أن طريقتهم أفضل وأهدى ممن جاء بعدهم من الخلف الذين سلكوا طريقة الفلاسفة والمتكلمين، وغيرهم، فستان بين الفرقتين وبين الطائفتين وبين المشربين والمنهجين شتان بين من تلقى الوحي كاملاً، وأخذَه وفقهه وعلمه وفق ما أراده النبي ﷺ وبين من ذهب إلى عقول الناس وأفكارهم يتلقى منهم العقائد، أو العلوم أو ما إلى ذلك شتان بين الطريقتين.

وهذا هو الإمام الشافعي - رحمه الله - أثر أنه قال: "لئن يتلى بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير له من أن يتلى بالكلام".

ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة؛ لأن ترك الكتاب والسنة وتقديم كلام الفلاسفة والمتكلمين على ما جاء عن الله، وعن رسول الله ﷺ هو منبع الضلال في أبواب الاعتقاد وغيرها من مسائل الدين بصورة عامة، لهذا وجب تقرير الاقتصار على فهم الصحابة، وفهم السلف الذين تلقوا عن هؤلاء الصحابة، ومن جاء بعدهم وسلكوا طريقهم بدلاً من الأخذ من هؤلاء الذين سلكوا الطرق الأخرى منحرفة بعيدة عن هدي القرآن الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ.

### ٣. اضطراب علماء الكلام في هذا الباب:

ويشتمل على نقاط متعددة:

#### أ. تناقض علماء الكلام وحيرتهم:

وتناقض علماء الكلام وحيرتهم من أكبر الأدلة على أن ما هم عليه باطل؛ وأنه لا ينظر فيه؛ لأنهم اضطربوا وتناقضوا ورجعوا في أخريات حياتهم كما وقع من

بعضهم إلى الندم إلى ما وقعوا فيه فاضطراب، وتناقض علماء الكلام وحيرتهم دليل قوي جداً على بطلان ما هم عليه.

لعل ضرب النماذج أو ذكر الأمثلة التي تؤكد هذا المعنى من أوضاع الأمور التي تبينه تماماً، فهذا الرازي -رحمه الله- وهو أحد هؤلاء الذين بلغوا في علم الكلام مبلغاً كبيراً، وكتب الرازي المشحونة بآراء الفلاسفة والمتكلمين واضحة وكثيرة، ومتداولة لدى علماء الكلام، وله كتب كبيرة في هذا الشأن، وبعضه رد عليه فيها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

الشاهد: أن الرازي بلغ مبلغاً كبيراً جداً، وعظيم في علم الكلام، ولكنه أعلن في نهاية المطاف بعد أن أضناه المسير، وعالج في مسيره الكثير من العنت أنه لم يصل إلى شيء، لقد ابتعد الرازي -رحمه الله- عن المنهج القرآني النبوي، وجرى وراء نتائج العقول الإنسانية؛ فلم تقده هذه الأفكار، ولا هذه النظريات، والمقالات إلى اليقين الذي يجده الذي ينهل من وحي السماء، لقد أدرك في نهاية المسار أن روحه لم ترتوي من المنهل الذي ورده، وأن الغاية التي سعى إليها لم تتحقق، وأن ما اعتمد عليه وجمعه في أقوال تتصارع وتتضارب من كلام الناس هي في الحقيقة لا قيمة لها، ولا وزن ولذلك يقول وهو ينوح على نفسه:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ❖ إلا الحديث وإلا الفقه في الدين  
نهاية إقدام العقول عقال ❖ وأكثر سعي العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسمنا ❖ وغاية دنياننا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ❖ سوى أن جمعنا فيه قيل وقال  
هذا الكلام من الرازي -رحمه الله- يبين ندمه وحيرته على سلوكه هذا الطريق، وأنه في نهاية أمره يقرر أن روحه في وحشة، فلم ترتو ولم تشبع، ولم يستفد من

هذه البحوث الطويلة التي جلس طيلة عمره يتحدث فيها، ويتكلم فيها لم يستفد منها شيئاً.

ولذلك ابن الصلاح - رحمه الله - يذكر عن الطوغان أنه سمع أيضاً الفخر الرازي يقول: "يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى"، ويقول الرازي أيضاً كما ذكر في كتابه (أقسام اللذات): "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن

الكريم. اقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وختم

الرازي حديثه قائلاً: "ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي".

وقد ذكر هذا الكلام أيضاً عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في المجلد الخامس أيضاً من (مجموع الفتاوى)، وهو موجود في (الفتوى الحموية الكبرى) لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -.

أيضاً يصور لنا عبد الكريم السجستاني - رحمه الله - وهو العلم الذي لا يشك له غبار في علم الملل والنحل يصور حال أصحاب الكلام في علوم العقائد في مقدمة كتابه (نهاية الكلام في علم الكلام)، فالسجستاني - رحمه الله - إمام في علم الملل والنحل، وكان يسلك أيضاً مسلك الأشاعرة المتكلمين؛ قال في كتابه (نهاية الكلام في علم الكلام):

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ❖ وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر إلا واضح كف حائر ❖ على ذقن أو قارع سن نادم

وأيضاً يضم هذا الكلام إلى كلام الرازي لتبيين مدى الحيرة والاضطراب التي لحقت بأئمة علماء الكلام مما يدل على فساد سلوك هذا المنهج.

أرى أيضاً ألا ننسى في هذا المقام الإمام الجويني -رحمه الله- وهو الذي كان يدعى بإمام الحرمين، وهو من هو في علم الكلام والجدل، والبحث والنظر هذا العالم الذي حضره الموت، إذا به ينظر في مساره في الحياة، وينظر إلى حصيلته التي حصلها فيبكي بكاء الثكلى؛ لقد أضع الكثير من عمره في مسار لم يوصله إلى الشاطئ.

لقد كان الجويني -رحمه الله- يخوض في بحر خضم من الأفكار والعقائد والموازن، هذه البحور التي خاض فيها الإمام الجويني -رحمه الله- لم تصل به إلى شاطئ ولم توصله إلى يقين، بل استمع إليه، وهو يوصي أصحابه، وهو يعالج سكرات الموت ويقول: "لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومه وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني الله برحمته فالويل لي، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمة".

وهذا في الحقيقة يدل دلالة واضحة على أنهم -حتى في نهاية حياتهم وهم يجودون بأنفاسهم- يتبرءون ويندمون مما وقعوا فيه طيلة حياتهم من علم لم يستفيدوا منه شيء مع ذكر؛ لأن الإمام الجويني -رحمه الله- رجع في أخريات حياته إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وكتب كلمات جيدة في هذا الباب، وهي مطبوعة وموجودة -لو أدت أن تتعرض لذكر أقوال كثيرة لعلماء الكلام لطل بي المقام.

وابن القيم -رحمه الله- في كتابه (الصواعق المرسلات) يقول: أكثر الناس عند الموت أصحاب الكلام، ولو تأملت كلماتهم في الله ﷻ وما يجب لله سبحانه

لوجدت أنهم تكلفوا وتعمقوا وعبروا بعبارات لا تليق بذات الله ﷻ ومن ذلك مثلاً ما ذكره ابن أبي الحديد في شعره في كلامه الله سبحانه :

فيك يا أغلوطة الفكر ❖ حار أمري وانقضى عمري

كيف يعبر هذا الرجل عن رب العزة والجلال، وهو من الخلف المثولين المعطلين السائرين وراء الفلاسفة والمتكلمين، كيف يعبر بهذه العبارات التي لا تليق بمقام رب العزة، والجلال من سمح له وأباح له، وأجاز له أن يقول، أو أن يعبر عن ذات رب العزة والجلال، بأنه أغلوطة الفكر، هذا خطأ شنيع لا يمكن بحال أن يأتي عليه إنسان سليم يعرف ما يقول.

ولهذا أقول: إن الناظر في حيرة علماء الكلام يعلم في الحقيقة صدق قول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فيه ماذا قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية؟ يقول: "أوتوا ذكاء وما أوتوا ذكاءً، وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزئون".

وتأكيداً أيضاً لهذا الأمر أذكر ما قاله عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : "أهل الكلام أعظم الناس شكاً واضطراباً وأضعف الناس علماً و يقيناً، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ويشهده الناس منهم، ولذا تجدهم أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزم بالقول في موضع وجزم نقيضه في موضع آخر، وتكفير قائله موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين".

ولعل السر وراء هذه الحيرة وهذا الشقاء الذي وقع فيه علماء الكلام -كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هو: أنهم أضافوا أدلة عقلية إلى ما جاءنا في كتاب الله، وصح على لسان رسول الله ﷺ وظنوا أن الدليل الكلام العقلي

الذي جاءوا به أهدي مما وردنا من القرآن، ومن السنة ولم يكتفوا بفهم الصحابة { وما كان عليه سلف هذه الأمة } .

ومن اضطراب علماء الكلام أنه قد جاء في بعض عباراتهم أنهم تمنوا أن يموتوا على عقائد العجائز، ومعنى ذلك أنهم يتخلوا عن علوم الكلام والفلسفة، ولا يعني ذلك ذمًا لمنهج أهل السنة والجماعة، أو أنهم قليلو العلم، وليس عندهم ما عند غيرهم من الفهم، وأنهم سطحيون في الفكر كالعجائز الذين لا يدركون شيئًا، ولكن القصد من مثل هذه الكلمات أن يردوا الناس إلى فطرتهم النقية الصحيحة، التي ولدوا عليها، ولا يتلوثوا أو يدخلوا في شيء من علم الكلام.

### ب. الأدلة على رجحان مذهب السلف على الخلف:

إذا كان السلف أهدي سبيلًا وأقوم قبيلًا، وأن علماء الكلام في حيرة واضطراب من أمرهم، فما هي الأدلة التي يمكن أن أسوقها لطالب العلم كي يمتلأ قلبه وعقله اقتناعًا بأن مذهب السلف القويم الذين كانوا أعلم بالله وبصفاته من الخلف، هو المعتقد الصحيح الذي يجب أن يسلكه طالب العلم، وأن يقف عنده، وأن يُعرض تمامًا عن المناهج المخالفة له، ذكرت أربعة أدلة هنا أسوقها مع شيء من التحليل:

**الدليل الأول:** أن هذا المذهب هو ما عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن سار نهجهم من أئمة الدين وعلماء المسلمين؛ فجمهور الأمة تعد من السلف، ومن تبعهم بإحسان على هذا المنهج القويم، ولا يغر طالب العلم أن كثيرًا من المتكلمين اليوم يظهرون وينسبون كثيرًا من الناس إليه، فهم إما أن يدلسون وإما



أنهم يعرضون عن ذكر أمة عظيمة من سلف هذه الأمة وعلماء لهم في دنيا العلم مكانة، يعرضون عن ذكر أسمائهم، أو أنهم يطعنون عليهم ويلفظونهم بأسماء، وينبذونهم بألقاب لا تليق بهم.

فالصحابة ومن سار على نهجهم من أئمة الدين كثير، ولا شك أنه من المحال أن يكون الصحابة ومن تبعهم لم يقولوا الحق في هذا الباب، أو لم يعلموه، أو أن يكون حظهم من هذا العلم الجهل، بعد ما بين لهم النبي ﷺ الدين كاملاً كما جاء من عند الله ﷻ.

**الدليل الثاني:** أن علم السلف في هذا الباب كسائر غيره من العلوم - بصورة عامة - الشرعية راجع إلى الكتاب والسنة، وعلم الخلف مرجعه ما تستحسنه عقولهم وأقيستهم، ولو نظر الناظر بشيء من التأنى ووجد أن السلف كانوا يردوا أمرهم إلى ما أمروا أن يردوه إليه فأيهما أولى وأفضل الله ﷻ في كتابه: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وإن توسعنا وقلنا: بأن المتصوفة لهم أيضاً في هذا الباب مجال؛ فعلمهم يرجع إلى ما يجدونه في أنفسهم، أو ما يتذوقونه كما يذكرون، ويستحسنونه، وما إلى ذلك وبعضهم يقول: بأن هذه خواطر تأتي عليه، وعلى عقله من عند الرب ﷻ والله ﷻ قد أكمل الدين وأحكم الرسالة ولم يوح لأحد بعد رسول الله ﷺ حتى نستحسن منه شيئاً مخالفاً لما جاءنا في كتاب الله أو في سنة النبي ﷺ.

**الدليل الثالث:** أن الخلف حرفوا الكلم عن مواضعه، فالخلف لم يسلموا لظواهر النصوص وإنما غيروا فيه وتلاعبوا فيها، وحرفوا فيها، فمثلاً الله أخبرنا في كتابه في سبع آيات أنه استوى على العرش؛ فأهل السنة والجماعة فهموا من الاستواء علو الله ﷻ علواً كاملاً بمكانة، وقهر وذات على جميع خلقه.

## العقيدة خاص [٢]

ومن ذلك: ما جاء في قوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] سلموا وآمنوا وفقهوا وعلموا أن الاستواء لله ﷻ استواء يليق بجلاله وكماله على ما يعرفه رب العزة والجلال، أما نحن فنؤمن بأنه استوى استواء يليق بجلاله وكماله، ومعنى "استوى": علا وارتفع، فهو أعلى عليين ﷻ وفهم السلف ذلك، أما كيفية هذا الاستواء؛ فلا نعلم أهل السنة سلموا.

أما الخلف فقد حرفوا الكلم عن مواضعه؛ فقالوا: "استوى" معناه استولى ومن أين لهم ذلك؟ فلو أن القرآن الكريم يعني ذلك ويقصده لجاء ولو في مرة واحدة معنى استولى، ولكنها سبع آيات متتالية كلها بلفظ استوى على العرش تقول الآيات القرآنية التي جاءت فيها بيان الاستواء.

ويضاف إليها أيضاً أدلة أخرى متوافرة كان المفروض على علماء الخلف أن يتأملوها، وأن يقفوا عندها كقول الله مثلاً: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] أو قوله مثلاً: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، أو سؤال النبي ﷺ للجارية عن رب العزة والجلال، وقوله لها: ((أين الله))؟ كان المفروض على الخلف أن يقتنعوا بهذه الآيات وبهذه الأحاديث النبوية.

ولا يليق برب العزة والجلال أن نقول عن ذاته ﷻ ذلك؛ لأننا لو قلنا بأنه مثلاً:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]

يعني: استولى، من الذي كان مستولياً على العرش قبل أن يستولي رب العزة والجلالة عليه، بل إن هذا الفعل من هؤلاء الخلف يشبه تماماً أو إلى حد كبير ما فعله بني إسرائيل حينما حرفوا الكلم عن مواضعه، فقد أمر الله ﷻ بني إسرائيل أن يدخلوا سجداً وأن يقولوا: حطة؟ فقالت بنو إسرائيل بدل من أن يقولوا حطة قالوا حنطة، فبدلوا كلام الله ﷻ أما السلف امتثلوا الأمر وسلموا لله ﷻ ولرسوله ﷺ فدل ذلك أيضاً على رجحان مذهبهم على مذهب من جاء بعدهم.

**الدليل الرابع:** الاختلاف الحاصل بين الخلف، واعتراف كثير من محققيهم بالحيرة والضياع، ورجوعهم إلى مذهب السلف من أكبر الأدلة على فساد مذهبهم، وصحة مذهب السلف.

### منهج أهل السنة هو: الأسلم، والأعلم، والأحكم

إن من المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به، وظل يدعو إلى الله ﷻ على بصيرة منه، محال أن يترك أصل الدين وأساسه ولم يعلم صحابته { به.

شهد الله ﷻ لأصحاب نبيه ﷺ من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان شهد لهم بأنهم على الحق، وأثنى عليهم وأخبر برضاه ﷻ عنهم، ولا شك أن الله ﷻ إذا أثنى على هؤلاء الناس وأخبر على صحة معتقدهم ظهر لنا أنهم هم الأسلم، وأنهم هم الأعلم، وأنهم الأحكم، بل إن الله ﷻ هدد في كتابه الذين يتبعون غير سبيل المؤمنين الذين { ، وأثنى عليهم باتباعهم منهج كتابه، وسنة نبيه ﷺ يقول ﷻ في ذلك: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۗ ﴾ [النساء: ١١٥]، ولا شك أن سبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة من المهاجرين والأنصار وهو السبيل الذي جاء به القرآن وبينه خير الأنام محمد بن عبد الله ﷺ وقد كان هذا السبيل واضحاً معلوماً، والذين

يدعون بعد ذلك أن الصحابة { لم يكونوا يعرفون طريق الإيمان والإسلام أعظم على الله ﷻ الفرية ؛ لأنهم تعلموا من النبي ﷺ كل ما يحتاجون إليه. وقد قال أبو ذر < : "لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً". هذا يبين أن الصحابة { تعلموا كل شيء من النبي ﷺ. وكذلك عمر بن الخطاب < يذكر فيما رواه عنه الإمام البخاري -رحمه الله- في (صحيحه) يقول: ((قام فينا رسول الله ﷺ فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ودخل أهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسي من نسيه))، هؤلاء الصحابة الكرام يذكرون ذلك عن النبي ﷺ ويقولون بأنهم تعلموا أصول الدين وما يحتاجون إليه من النبي ﷺ بالتالي هم أهدى سبيلاً وأقوم قبلاً.

ومن المحال أن يكون خير أمة وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب، ثم ليعلم هؤلاء الذين يزاحمون صحابة الرسول ﷺ في المنهج والسبيل هم في الحقيقة أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشباههم؛ فكيف يكون هؤلاء الذين ذكرتهم آخرًا أعلم بالله وأهدى سبيلاً من صحابة النبي ﷺ؟! وبهذا يظهر لنا ويتبين أن منهج السلف -رحمهم الله تعالى- هو الأسلم والأعلم والأحكم، وأنه يجب على الأمة كلها أن ترجع في معتقدها إلى ما ورثه هؤلاء القوم من الرسول ﷺ وأن يقولوا به، وأن يلتزموا به، وأن يتأملوه، ويترك الكلام وأهل الكلام وما هم عليه، وليتأمل المتأمل، ولينظر الناظر في حيرة علماء الكلام واضطرابهم، ورجعهم إلى مذهب السلف، وندمهم في آخر حياتهم بالطريق الذي سلكوه حتى نسلك، ونقتفي أثر سلف هذه الأمة الصالحين، ونوقن بأنهم كانوا على الحق المبين.

أسماء الله تعالى كلها حسنى، وهي توقيفية  
وأعلام وأوصاف لها دلالات

### عناصر الدرس

- العنصر الأول : أسماء الله تعالى كلها حسنى، وهي توقيفية ١٢٩
- العنصر الثاني : أسماء الله تعالى الحسنى: أعلام مترادفة، وأوصاف ١٤٧  
متباينة، لها دلالات



#### أسماء الله تعالى كلها حسنى، وهي توقيفية

١. بيان أن أسماء الله ﷻ كلها حسنى :

أ. معنى الحسنى :

معنى الحسنى التي على وزن "فعلى" : مؤنث الأحسن ، كالكبرى تأنيث الأكبر ، قال ابن منظور - رحمه الله - : وتأنيث الأحسن بالحسنى كالكبرى والصغرى تأنيث الأكبر والأصغر ؛ ولذلك قال ابن الوزير - رحمه الله - : "واعلم أن الحسنى في اللغة هو جمع الأحسن لا جمع الحسن ؛ فإن جمع الحسن الحسان والحسنة ، أما هذه الحسنى فأسماء الله تعالى التي لا تحصى كلها حسنى ، أي : أنها أحسن الأسماء ، وهو مثل قول الله تعالى : ﴿ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الروم : ٢٧] أي : الكمال الأعظم في ذاته وأسمائه ونعوته لله ﷻ ، ولذلك وجب أن تكون أسماؤه أحسن الأسماء لا أن تكون حسنة وحسان ، وكم بين الحسن والأحسن من التفاوت العظيم عقلاً وشرعاً ولغةً وعرفاً .

وابن الوزير - رحمه الله - يبين أن أسماء الله ﷻ أحسن الأسماء ، وأنها يقال لها الحسنى كما سأوضح ذلك من خلال الآيات التي وردت في كتاب الله ﷻ والحسنى هنا جمع لكلمة الأحسن وهو "أفعل" ، وأفعل التفضيل يدل على أن شيئين اشتركا في أمر وزاد أحدهما على الآخر فيه ؛ فالأحسن والحسن اشتركا في الحسن ولكن الأحسن أولى وأفضل وأعلى من الحسن ؛ ولذلك فأسماء الله ﷻ كلها حسنى ، أي : بالغة في الحسن الغاية والتمام والكمال ، وهي أعظم وأعلى وأرفع وأفضل الأسماء ؛ فالله ﷻ له الكمال الأعظم من كل وجه ﷻ .

ب. الآيات الدالة على أن أسماء الله ﷻ كلها حسنى :

ورد في القرآن الكريم وصف أسماء الله بالحسنى في أربعة مواضع :

**الموضع الأول:** ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

**الموضع الثاني:** ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الإسراء: ١١٠].

**الموضع الثالث:** ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [طه: ٨].

**الموضع الرابع:** ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الحشر: ٢٤].

وهذه الآيات كلها تدل على أن أسماء الله ﷻ كلها حسنى ، وهذا المنهج القويم الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وهذه الآيات فيها دلالة قاطعة على أن أسماء الله ﷻ كلها حسنى ؛ لأنها دلت على أحسن المعاني وأكمل الصفات التي يتصف بها رب العزة والجلال ﷻ.

وفي تعليقه على أول آية من الآيات التي أوردناها في سورة "الأعراف" وهي قوله سبحانه: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ ، والتي وصفت أسماء الله ﷻ بأنها حسنى ؛ قال الشوكاني - رحمه الله -: " هذه الآية مشتملة على الإخبار من الله سبحانه بما له من الأسماء على الجملة دون التفصيل ، والحسنى تأنيث الأحسن ، أي: التي هي أحسن الأسماء لدلالاتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول ، ثم أمره أن يدعوه بها عند الحاجة ؛ فإنه إذا دعا بأحسن أسمائه كان ذلك من أسباب الإجابة".



وأهل السنة والجماعة جميعاً الذين ساروا على منهج الصحابة والتابعين يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الصفات التي وصف الله ﷻ بها نفسه والأسماء التي سمى ربنا ﷻ بها نفسه لا نقص فيها بوجه من الوجوه وهي أحسن الأسماء وأكمل الصفات.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الكمال ثابت لله ﷻ بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية؛ بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب ﷻ يستحقه بنفسه المقدسة".

وحول هذا المعنى يقول ابن القيم -رحمه الله-: "صفات الله ﷻ كلها صفات كمال محض؛ فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله سبحانه، وهكذا أسماءه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء كلها وأكملها؛ فليس في أسماء الله ﷻ أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها". ثم يذكر كلاماً أيضاً نفسياً حول هذا المعنى -رحمه الله-.

**والشاهد:** أن أهل السنة والجماعة اعتقدوا في الله ﷻ بما دلت عليه هذه الآيات التي سبق ذكرها وأنهم -رحمهم الله تعالى- أيقنوا وعلموا وآمنوا بأن أسماء الله ﷻ كلها حسنى تليق بجلال الله ﷻ وأنها بلغت في الجلال والكمال غايته، وهذا فيه تقديس وتعظيم لله ﷻ.

### ج. بيان وجه الحسن في أسماء الله ﷻ:

الحسن في أسماء الله تعالى جاء من وجهين:

**الوجه الأول:** لدلالاتها على مسمى الله؛ لأنها دلت على مسمى الله ﷻ فكانت حسنى لدلالاتها على أعظم وأحسن وأجل وأقدس مسمى وهو الله ﷻ لأنه لا أحسن ولا أعظم ولا أجل من ذات رب العزة والجلال ﷻ.

**الوجه الثاني:** أنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً، وفي ذلك يقول ابن القيم -رحمه الله-: "أسماءه ﷺ كلها أسماء مدح وثناء وتمجيد؛ ولذلك كانت كلها حسنى".

وقال -رحمه الله-: "أسماء الرب ﷺ دالة على صفات كمال؛ فهي مشتقة من الصفات؛ فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى؛ إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح وكمال".

**والشاهد:** أن أسماء الله ﷻ الدالة عليه والمشتقة من صفاته سبحانه تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله، ومن حسناتها: ما فيها من معنى التعظيم والإجلال والإكبار لله ﷻ.

ولذلك؛ فإن العليمة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- صاحب كتاب (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) يقول معلقاً على قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: "هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه بأن له الأسماء الحسنى، أي: كل اسم حسن وضابطه أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى؛ فإنه لو دلت على غير صفة؛ بل كانت علماً محضاً لم تكن حسنى؛ فإنها لو دلت على صفة ليست بصفة كمال بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى مدح وقدح؛ لم تكن حسنى. فبالتالي فكل اسم من أسمائه ﷻ دال على جميع الصفة التي اشتق منها". إلى أن قال: "ومن تمام كونها حسنى أنه لا يدعى إلا بها؛ ولذلك قال الله ﷻ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة".

والحسن في أسماء الله ﷻ يكون باعتبار كل اسم على انفراده؛ فاسم الله ﷻ "الحي" متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

و"الرحمن" اسم من أسماء ﷻ متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الهدي والرحمة ﷻ: ((لله أرحم بعبادة من هذه بولدها)) - يعنى: أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته بصدرها وأرضعته - هذا الاسم -"الرحمن" - يدل على هذه الرحمة ؛ فهو متضمن للرحمة الكاملة لله ﷻ ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال ربنا عنها ﷻ في كتابه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

فالحسن في أسماء الله ﷻ يأتي على انفراد كل اسم على حده، وكذلك يكون أيضاً باعتبار جمعه إلى غيره؛ فيحصل بجمع الاسم إلى الاسم الآخر كمالاً فوق كمال. ف"العزیز الحكيم" اسمان لله ﷻ مجموع ومقرون بينهما في كتابه، ويرد ذلك كثيراً في القرآن الكريم؛ فكل منهما دالٌّ على الكمال الخاص الذي يقتضيه - وهو العزة في "العزیز" والحكمة في "الحكيم" - فكل اسم على معناه حين يفرد، أما حين يجمع بينهما؛ فإن هذا الجمع يدل على كمال فوق كمال، وهو أن عزة الله ﷻ تكون مقرونة بالحكمة؛ فهو ﷻ عزته لا تقتضي ظلماً ولا جوراً ولا سوء فعل كما قد يقع ممن يوصفون في الدنيا بأنهم أعزاء ولكنهم يفتقدون الحكمة؛ أما الله ﷻ فهو العزیز الحكيم؛ فاقتران العزیز بالحكيم دل على كمال العز والحكمة بخلاف المخلوقين.

ولذلك فإن ابن القيم - رحمه الله - يذكر في هذا المقام كلاماً أيضاً يحسن إيراداً يقول: "وهناك صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن الكريم؛ فإن الغنى بمفرده صفة كمال والحمد كذلك؛ ولكن اجتماع الغني مع الحمد كمال آخر فوق كمال".

٢. أسماء الله ﷻ توفيقية لا يزداد فيها ولا ينقص :

أ. معنى الوقف في أسماء الله ﷻ وصفاته :

معنى الوقف في أسماء الله سبحانه : وجوب الوقوف على ما جاء نصاً في الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان ، والاقتصار في هذا الباب على ذلك ؛ فلا يجوز أن نسمي الله ﷻ باسم من عند أنفسنا ؛ لأن أسماء الله ﷻ أفضل وأحسن الأسماء ، فلو أتى أحد باسم من عنده ؛ فمن أدراه أن هذا الاسم حسن؟! ولا يخفى أن فتح هذا الباب سيوقع الإنسان في الخطأ والشك فيه .

وقد دارت محاوره بين الإمام أبي الحسن الأشعري -رحمه الله- وبين شيخه أبي علي الجبائي الأشعري -رحمه الله- بشأن هذه القضية :

فقد نشأ أبو الحسن على مذهب المعتزلة وتربي في حجر زوج أمه إلى أن بلغ سن الأربعين ، وهدهاه الله ﷻ ورجع إلى الحق تدريجياً ، فقد قال أولاً بقول الكلابية - عبد الله بن سعيد بن كلاب- ، ثم بعد ذلك التقى بتلامذة الإمام أحمد -رحمه الله- فمحص طريقته ورجع إلى منهج السلف القويم في أصول الدين .

لما رجع الأشعري -رحمه الله- إلى مذهب السلف في أصول الدين ؛ ناقش وناظر شيخه في مسائل ؛ من هذه المسائل : المناظرة التي حصلت بينهما في أسماء الله ﷻ :

ذلك أنه دخل رجل على الجبائي وسأله : هل يجوز أن يسمى الله ﷻ "عاقلاً"؟ فقال الجبائي : لا ؛ لأن العقل مشتق من "العقال" وهو المانع ، والمنع في حق الله تعالى محال ؛ فامتنع الإطلاق ، فقال له الشيخ أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- :

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس السارح

فعلى قياسك ؛ لا يسمى الله ﷻ "حكيمًا" لأن هذه الاسم مشتق من حكمة اللجام ، وهي الحديد المانعة للدابة عن الخروج ، ويشهد لذلك قول حسان بن ثابت < :

فحككم بالقوافي من هجانا ❖ ونضرب حين تختلط الدماء  
وقول آخر :

أبني خنيفة أحكموا سفهاءكم ❖ إني أخاف عليكم أن أغضب  
أي : نمنع بالقوافي من هجانا وامنعوا سفهاءكم.

فإذا كان اللفظ مشتق من المنع والمنع على الله تعالى محال ؛ لزمك أن تمنع إطلاق "حكيم" عليه ﷻ قال الأشعري : انقطع الجبائي عن المعتزلة عند هذه المسألة ولم يجر جواباً -يعنى : لم يستطع أن يجيب- ثم قال له الأشعري موضحاً هذه المسألة : أنا منعت أن يسمى الله سبحانه "عاقلاً" وأجزت أن يسمى الله ﷻ "حكيمًا" ؛ لأن طريقي في مأخذ أسماء الله ﷻ الاسم الشرعي دون القياس اللغوي ؛ فأطلقت "حكيمًا" لأن الشرع أطلقه ومنعت "عاقلاً" ؛ لأن الشرع منعه ، ولو أطلقه الشرع لأطلقته .

فيجب علينا أن نقف في أسماء الله ﷻ وأن نقف عند حدود النص الوارد في ذلك لا نتعداه ولا نتدخل في ذلك بعقولنا.

### ب. الأسباب الداعية لسلوك هذا المنهج :

هذا المنهج هو في الحقيقة معلم بارز من معالم منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات : وهي أن أسماء الله ﷻ توقيفية لا يزداد فيها ولا ينقص ، وهناك أسباب دعت إلى سلوك هذا المنهج :

## العقيدة خاص [٢]

**السبب الأول:** أن مخالفة هذا المنهج قول على الله بغير علم ورجم بالغيب وتقولُ على الله ﷻ وقد حرم الله ﷻ هذا وعده من الجرائم العظام وإذا كان البشر لا يرضون أن يسموا بغير أسمائهم؛ فكيف يجوز هذا في حق خالق البشر؟! فكم لا يجوز منع أسماء وردت في القرآن الكريم أو السنة النبوية؛ فكذلك لا يجوز أن أقول عليه ما لا أعلم؛ حيث لم يشاهد أحد منا ربنا سبحانه حتى يسميه بما يشاء أو يصفه بما يشاء.

**السبب الثاني:** أن مخالفة هذا النهي تقديم بين يدي الله ورسوله ﷺ وقد نهينا عن التقديم بين يدي الله ﷻ ورسوله؛ وكيف يجب العبد إذا حاسبه ربه يوم القيامة عن وصفه ﷻ بما لم يصف به نفسه؟!.

**السبب الثالث:** أن أسماء الله ﷻ كلها حسنى؛ ومهما اجتهد العبد فقد لا يوفق على التعرف على الاسم الأحسن الذي يستحقُّه ربُّ العزة والجلال؛ وبالتالي يجب عليه أن يقف عند حدود النص.

لهذه الأسباب مجتمعة - وهي أسباب وجيهة - يجب أن نقف عند حدود النص. وفي ذلك أيضاً يقول ابن القيم - رحمه الله - : "لله نصف الإدراكات العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير دون السامع والباصر، ومن صفات الإحسان البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفيق ونحوها، وكذلك العلي العظيم دون الرفيع والشريف، وكذلك الكريم دون السخي وكذلك الخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع، والغفور العفو دون الصفوح الصافح".

وهذه كلها من أسماء الله ﷻ وما ذكرناه المعاني التي تقابلها ليست من أسماء الله سبحانه؛ ذلك أن الأسماء المنصوص عليها أسماء أحسن الأسماء وأفضل الأسماء وأعلى الأسماء؛ ولذلك يقول ابن بدران - رحمه الله - : "لا يجوز

تسميته بالعارف ؛ لأن المعرفة قد يراد به علم تسبقه الغفلة ؛ كما لا يجوز اتصافه بالعقل لأن العقل علم مانع عن الإقدام على ما ينبغي مأخوذ من العقال ؛ وإنما يتصور هذا المعنى فيما يدعوه الداعي إلى ما ينبغي ؛ ولا يجوز اتصافه تعالى بالفطن ؛ لأن الفطنة سرعة إدراك ما يراد تعريضه على السامع ؛ فتكون مسبوقة بالجهل".

هذه الأسماء قد يظن الإنسان أنها معاني جميلة أو حسنة في حق ذات الرب ﷻ ولكنها ليست كذلك ، ومعناها لا يؤدي إلى أفضل الأسماء وأحسنها التي سمى رب العزة والجلال نفسه ﷻ بها ؛ وبالتالي فنحن نقتصر على سلوك هذا المنهج ، وما ذكرته من أسباب نسعى بنا إلى سلوك هذا الطريق ونقف عند حدود النص الوارد في أسماء الله الحسنى في كتاب الله وسنة النبي الكريم ﷺ وما كان عليه سلف هذه الأمة الصالح.

### جـ. فقه علماء أهل السنة لهذه القضية :

فقه سلف هذه الأمة الصالحين من أهل السنة والجماعة مسألة توقيفية أسماء الله ﷻ وصفاته ؛ ولذلك قالوا: إن أسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية ؛ يقول ابن القيم -رحمه الله- : " ما يطلق على الله في باب الأسماء والصفات توقيفي " أي : موقوف على حدود النص.

وذكر ذلك ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- فقال : قال الفخر : " المشهور عن أصحابنا أنها توقيفية".

وقال أبو القاسم القشيري : " الأسماء تؤخذ توقيفاً من الكتاب والسنة والإجماع".

## العقيدة خاص [٢]

ولذلك قال السفاريني - رحمه الله - في منظومة (الدرة البهية عن أسماء الله الحسنى):

لكنها في الحق توقيفية ❖ لنا بدا أدلة وفيه  
ثم قال في شرحه: "الجمهور منعوا إطلاق ما لم يأذن به الشرع مطلقاً". وجوزه المعتزلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "القول الشامل في جميع باب أسماء الله وصفاته : أن يوصف الله ﷻ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث".

ثم نقل ذلك عن الإمام أحمد - رحمه الله - فقال: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ".

وبناء على ذلك لا يجوز لنا أن نشقق لربنا أسماء مما أخبرنا الله به عن نفسه ؛ فلا يقال مثلاً: بأن من أسماء الله تعالى المفتي ، أو الزارع ، أو الماكر ، أو ما إلى ذلك استناداً إلى قول الله ﷻ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٣] أو ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ [النساء: ١٢٧] أو ﴿ أَمْ نَرِزَعُونَهُمْ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَرِزَعُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٤] إلى غير ذلك ؛ لأن الله ﷻ لم يسم نفسه بذلك ، ونحن نقف عند حدود النص الوارد في كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

## د. عدم جواز دعاء الله بغير أسمائه وصفاته :

أمرنا الله أن ندعوه بأسمائه الحسنى و دعاء الله ﷻ بأحسن أسمائه من أسباب قبول الإجابة ؛ وبالتالي فإنه لا يجوز أن يدعى الله ﷻ بغير أسمائه الحسنى وصفاته العلى الثابتة له بالكتاب والسنة ؛ لأنه كما جاء في الحديث : ((الدعاء هو



## العقيدة خاص [٢]

المدرس السارع

العبادة))، وهناك أدلة قرآنية على أن الدعاء عبادة منها: قول الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ بعدها: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] هذه الآية تقرر أن الدعاء عبادة، حيث أمر الله ﷻ فيها أن ندعوه فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ مقتضى السياق في غير القرآن: "إن الذين يستكبرون عن دعائي"؛ لأن المطلوب دعاء ولكنه قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ فأحل كلمة العبادة محل الدعاء مما دل ذلك على أن الدعاء عبادة.

ولا يتقرب إلى الله بغير ما شرع الله ﷻ وفي ذلك يقول الزجاج فيما نقله عنه الإمام ابن العربي المالكي - رحمه الله -: "لا يجوز دعاء الله ﷻ بما لم يصف به نفسه".

وقد جعل ابن العربي - رحمه الله - الزيادة في أسماء الله الحسنى من الإلحاد المنهي عنه في قوله ﷻ: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾؛ لأن الله بعدما أمر بأن ندعوه بأسمائه الحسنى حين قال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾؛ عقب على ذلك بقوله ﷻ: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ فمن يأتي باسم أو يدعو الله ﷻ باسم غير وارد في القرآن الكريم والسنة النبوية، زيادة من عنده يكون قد وقع في الإلحاد المنهي عنده؛ ولذلك يقول ابن العربي: "والإلحاد يكون بالزيادة فيها والنقصان منها كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون الله فيها بغير أسمائه ويذكرونه بما لم يذكره الله من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به فحذارٍ منها".

وهذا كلام وجيه لابن العربي - رحمه الله - وتبعاً لكلام ابن العربي أقول: إن من ذلك الأدعية المبتدعة التي أدخلها المتصوفة على الدين؛ حيث ابتدعوا بدعاً كثيرة:

**منها:** أنهم توسعوا في أدعية وطبعت هذه الأدعية في كتب مختلفة، واشتملت على ما لا يليق ذكره بجلال وكمال الله ﷻ إلى جانب أنه يقع بها بعض ألوان من الشرك؛ كدعاء غير الله، والتوسل بغير الله، أو الغلو الذي يقع من بعضهم والمديح، سواء كان ذلك للنبي ﷺ أو لغيره من أولياء الله وعباد الله الصالحين، وما كان لهم ذلك؛ لأن الدين الذي جاء من عند الله ﷻ دين كامل محكم لا يزداد فيه ولا ينقص، وهذا - في الحقيقة - فتح باب كبير على الدين أدى إلى تفكك المسلمين وضياع كثير من هويتهم ومكانتهم بين الأمم اليوم بسبب التخلي عن هذا الدين القويم والمنهج الحق الذي جاءنا من عند الله ﷻ ولذلك يجدر بي وأنا أتكلم عند هذه النقطة أن أحذر من دعاء غير الله ﷻ وأحذر أيضاً من أن ندعو الله ﷻ بغير ما جاءنا في كتاب الله أو في شيء لم يبينه لنا نبينا ﷺ.

إذاً يجب علينا أن نقف عند حدود النص الوارد في كتاب الله وسنة النبي ﷺ ولا نتعداه ونحذر ممن اخترعوا أسماء أو ذكروا صفات لا تليق برب العزة والجلال ونقول لهم: إنكم قد وقعتم في أمر عظيم وخضتم مجالاً لا يحق لكم مجال أن تسلكوه؛ لأن هذا الباب محكم غاية الأحكام وهو يتعلق بذات رب العزة والجلال ﷻ. والحذر الحذر من أن ندعو الله ﷻ بغير اسمه أو أن ندعوه بأسماء مبتدعة مخترعة تأتي بها من عند أنفسنا لذلك.

### ٣. الأدلة على أن أسماء الله توقيفية:

أسماء الله توقيفية نقف فيها عند حدود النص؛ وهذا هو الحق الذي دلت عليه نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية. وإليك بعض الأدلة وفهمها من القرآن الكريم:

أ. أدلة من القرآن على أن أسماء الله توقيفية:

**الدليل الأول:** قال الله ﷻ: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ هذه الآية دلت على أن أسماء الله توقيفية من وجهين:

**الوجه الأول:** أن الله ﷻ قال فيها: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ** ﴾ فكلمة: ﴿ **الْأَسْمَاءُ** ﴾ معرفة بآل وهي هنا للعهد؛ فالأسماء بذلك لا تكون إلا معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص عليه كتاب ربنا أو جاءنا على لسان نبينا ﷺ.

**الوجه الثاني:** قوله ﷻ: ﴿ **الْحُسْنَىٰ** ﴾ فقد وصف الله ﷻ لأسمائه بالحسنى؛ فهذا الوصف يدل على أنه ليس في الأسماء الأخرى أحسن منها، وأن غيرها لا يقوم مقامها ولا يؤدي معناها؛ فلا يجوز بحال من الأحوال أن ندخل في أسماء الله ﷻ ما ليس منها.

**الدليل الثاني:** ما جاء في قول الله ﷻ تنمة هذه الآية: ﴿ **وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾.

قال الإمام البغوي -رحمه الله-: "قال أهل المعاني الإلحاد في أسماء الله تعالى: تسميته ما لا يسمى به، ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ".

وقال ابن حجر -رحمه الله-: "قال أهل التفسير: من الإلحاد في أسمائه: تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة". وأنا نقلت هذين القولين من هؤلاء الأئمة الأعلام -رحمهم الله تعالى- لأدلل بأنهم فهموا من أن الزيادة في أسماء الله وصفاته هو من الإلحاد المنهي عنه في كتاب الله ﷻ وقوله ﷻ: ﴿ **وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾ أي: ذروا من لا يتوقفون على ذلك عند حدود النص الوارد في كتاب الله ﷻ أو سنة رسوله ﷺ.

## العقيدة خاص [٢]

وبهذا هذا يتبين لنا: أن هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ دليل على أن أسماء الله توقيفية، وأن مخالفة ذلك وتسميته تعالى بما لم يسم به نفسه ميلاً بها عما يجب؛ فالإقدام على فعل شيء من ذلك هو في الحقيقة نوع من الإلحاد في أسماء الله ﷻ.

**الدليل الثالث:** ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وهذا الدليل نفهمه على ضوء ما قرره فيه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث يقول: "ومن جعله تسبيحاً للاسم يكون المعنى: إنك لا تسمي به غير الله ولا تلحد في أسمائه؛ فهذا ما يستحق اسم الله ﷻ". فإذا فسرت الآية بهذا الوجه؛ يكون فيها دليل على ما سبق في الآية التي قبلها من اعتبار أن تسميته تعالى بما لم يسمي به نفسه من أنواع الإلحاد في أسماء الله ﷻ الذي يجب على المسلم أن ينتهي عنه وأن يقف في ذلك على ما جاءه عن الله ﷻ.

## ب. أدلة السنة النبوية:

النبى الكريم ﷺ أعرف الناس بالله ﷻ وأعلم الناس بالله ﷻ وقد بين لأمته كل ما تحتاج إليه، وكان ﷺ يثني على الله ﷻ بما يليق بجلال الله وكماله ﷻ. وقد ذكر في بعض أحاديثه ما يستفاد منه أنه يجب الوقوف عند حدود النص الوارد عنه ﷺ أو عند النص الوارد في كتاب الله ﷻ.

**الدليل:** حديث عبد الله بن مسعود < وقد أخرجه الإمام أحمد في (المسند) وابن حبان والحاكم في (المستدرک) والطبراني في (الكبير): يقول فيه النبى ﷺ: ((ما أصاب عبد قط همٌّ ولا غمٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك؛ أسألك بكل اسم

هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...) إلخ.

**الشاهد:** قوله ﷺ: ((أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك))، فهذا المقطع من الحديث شاهد ودليل على أن أسماء الله ﷻ توقيفية ويجب أن نقف فيها عند حدود النص؛ لأنه قال: ((أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك)) مما يبين أن الذي سمي نفسه هو الله ﷻ فلا يحق لأحد من المخلوقين أن يسمي الله ﷻ بما لم يذكره لنا ربنا في كتابه أو لم يبينه لنا نبينا ﷺ في سنة؛ ولذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - تعليقاً على هذا الحديث: "فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من أفعال الآدميين وتسمياتهم".

كذلك في نفس الحديث قوله ﷺ: ((سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك))، ((أو)) هنا حرف عطف والمعطوف بها أخص مما قبله؛ فيكون من باب عطف الخاص على العام؛ فإن ما سمي به نفسه يتناول جميع الأنواع المذكورة بعده؛ فيكون عطف كل جملة منها من باب عطف الخاص على العام؛ فوجه الكلام إذاً أن يقال: "سميت به نفسه فأنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك".

**الخلاصة:** أن هذا باب عظيم لا يجوز بحال أن يخوضه الإنسان إلا أن يقف فيه على ما جاء عن الله ﷻ ومن ذلك ما قررته من أن أسماء الله ﷻ توقيفية لا يزداد فيها ولا ينقص؛ لأنها أحسن الأسماء وأكمل الأسماء وأعلى الأسماء وأشرف الأسماء والله ﷻ أعلم بما وصف نفسه به، ونحن لا نعتقد في الله إلا ما قاله رب العزة ﷻ.

## ٤. المخالفون للحق في مسألة التوقيف في أسماء الله ﷻ:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن الناس متنازعون: هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد بإطلاقه نص ولا إجماع؛ أم لا يطلق إلا ما أطلق نصاً أو إجماعاً؟ على قولين مشهورين؛ حيث قال: "فعامة النظام -ويعني بهم: علماء الكلام- يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع؛ كلفظ القديم والذات... ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها وبين ما يخبر عنه به للحاجة؛ فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها!... ونحو ذلك؛ فقليل؛ بل هو سبحانه قديم موجود، وهو ذات قائمة بنفسها. وقيل: ليس بشيء! فقليل؛ بل هو شيء. فهذا سائر وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح". هذه مقدمة لهذه المسألة ذكرتها من كلام ابن تيمية -رحمه الله- وتفصيل ذلك بذكر

## مواقف الفرق المختلفة والمخالفة للحق في هذه المسألة:

## أ. موقف المعتزلة:

وقد ذكر البغدادي -رحمه الله- أن المعتزلة البصرية أجازوا إطلاق الأسماء عليه بالقياس؛ فمعتزلة البصرة رأوا استخدام القياس في أسماء الله ﷻ ولذلك قال عنهم أبو الحسن الأشعري -رحمه الله-: "واختلفت المعتزلة: هل يجوز أن

يسمى الباري عالماً من استدلال على أنه عالم بظهور أفعاله عليه وإن لم يأت به السمع من قبل الله سبحانه بأن يسميه بهذا الاسم أم لا؟ على مقالتين: فزعمت الفرقة الأولى منهم أنه جائز أن يسمى الله سبحانه عالماً قادراً حياً سمياً بصيراً من استدلال على معنى ذلك، وأنه يليق بالله وإن لم يأت به رسول، وزعمت الفرقة الثانية أنه لا يجوز أن يسمى الله سبحانه بهذه الأسماء من دله العقل على معناها إلا أن يأت به بذلك رسول من قبل الله سبحانه بأمره بتسميته بهذه الأسماء".

### ب. موقف الأشاعرة:

وأما عن الأشاعرة؛ فإن جمهور الأشاعرة مع أهل السنة في كون أسماء الله ﷻ توقيفية بمعنى أنها موقوفة على النص الوارد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، غير أن القاضي الباقلاني - رحمه الله - وهو من أئمة الأشاعرة، لا يشترط التوقيف، واشترط أمرين آخرين هما:

**الأمر الأول:** أن يدل على معنى ثابت لله تعالى.

**الأمر الثاني:** ألا يكون إطلاقه موهماً لما لا يليق بالله تعالى.

وعلي الجويني - رحمه الله - وهو أيضاً من علماء الأشاعرة توقف في هذه المسألة؛ فهو يرى أن الجواز وعدم الجواز حكمان شرعيان لا سبيل إلى إطلاق أحدهما إلا بإذن الشرع، ولم يأت الشرع بشيء من ذلك؛ ولهذا قال بالتوقف. وقد ذكر ذلك عنه السفاريني - رحمه الله - في (جوامع الأنوار البهية) الجزء الأول، الصفحة الرابعة والعشرون بعد المائة؛ حيث قال: "الجمهور منعوا إطلاق ما لم يأذن

به الشرع مطلقاً وجوزه المعتزلة مطلقاً ومال إليه بعض الأشاعرة ؛ كالقاضي أبي بكر الباقلاني وتوقف إمام الحرمين الجويني -رحمه الله- . إذاً كلام السفاريني -رحمه الله- جمع بين قول أهل السنة والصواب والحق في هذا ، ثم ذكر بعد ذلك قول المعتزلة وقول الأشاعرة .

### ج. موقف الكرامية :

ولعله من الفائدة أن أذكر أيضاً قول طائفة الكرامية في ذلك .

والكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني ، وهم مشبهة ؛ حيث أن الرازي -رحمه الله- أيضاً قال عنهم : إن اللفظ إذا دل على أن المعنى ثابت في حق الله ﷻ جاز إطلاق ذلك اللفظ على الله ، سواء ورد التوقيف به أم لم يرد .

ولا شك أنهم بهذا موافقون للمعتزلة في ذلك ، ولا شك أيضاً أن هذه الفرق كلها مخالفون للحق ولأهل السنة والجماعة في هذه المسألة ؛ ومخطئون غاية الخطأ لأن هذا الباب لا يدخله القياس ، ومن يتكلم فيه بغير علم ؛ فهو يتكلم على الله ﷻ بما لا يعلم ، وهذا من الخطورة بمكان ؛ لأنه ليس هناك بأعلم بالله من الله ﷻ ولهذا نحن مطالبون -ونحن نؤمن بالغيب- أن نقف عند حدود ما أخبرنا الله ﷻ به .

وقد أشرت -في حديثي عن معنى الوقف- إلى المناظرة التي حصلت بين الجبائي المعتزلي وبين أبي الحسن الأشعري -رحمه الله- وتبين من خلالها : أنه لا يجوز استخدام القياس في أسماء الله وصفاته ، وأن الأشعري -رحمه الله- ألزم بحجته القوية الجبائي في هذه المسألة .



## أسماء الله تعالى الحسنى: أعلام مترادفة، وأوصاف متباينة، لها دلالات

١. أسماء الله ﷻ الحسنى أعلام مترادفة وأوصاف متباينة:

أ. بيان أن أسماء الله ﷻ لها اعتباران:

أسماء الله ﷻ لها اعتباران:

الأول: اعتبار من حيث الذات.

الثاني: اعتبار من حيث الصفات.

فهي "أعلام" باعتبار دلالتها على الذات، و"أوصاف" باعتبار ما دلت عليه من المعاني. وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالته على مسمى واحد هو الله ﷻ. وهي بالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص به.

فالحي، والعليم، والقدير، والسميع، والبصير... وغير ذلك من أسماء الله ﷻ كلها أسماء حسنى لمسمى واحد وهو الله ﷻ لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، ومعنى السميع غير معنى البصير... وهكذا؛ فهي أسماء لمسمى واحد فهي بهذه المثابة دالة على الذات.

أما حينما تدل على معاني وأوصاف؛ فهي متباينة؛ لأن كل اسم منها يدل على معناه الخاص به، وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن الكريم على ذلك؛ قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة، وأجمع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال عليم إلا لمن له

علم ، ولا سميع إلا لمن له سمع ولا بصير إلا لمن له بصر ، وهذا أمر أبين من أن يحتاج فيه إلى دليل.

وبهذا علم ضلال من سلخوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل ، وقالوا : إن الله تعالى سميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر ، وعزيز بلا عزة ، وساقوا علل عليلة في هذه المسألة ، وهي أنهم خافوا من تشبيه الله ﷻ بالمخلوقات أو تعدد الذات بتعدد الصفات ؛ كما زعموا -باطلاً- بدلالة السمع والعقل ؛ فالسمع وصف الله ﷻ بأن له صفات كثيرة مع أنه ﷻ الواحد الأحد ، ومع أنه واحدٌ أحدٌ إلا أن القرآن الكريم ذكر لهذا الواحد الأحد صفات كثيرة متعددة منها مثلاً قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ (١٢) إِنَّهُ هُوَ بَدِئٌ وَيَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿البروج: ١٢ - ١٦﴾.

فهذه كلها أوصاف كثيرة لموصوف واحد وهو الله ﷻ ولا يلزم من ثبوتها تعدد القدماء كما زعم من زعم في إنكار صفات الله ﷻ لأنهم قالوا : إن قلنا بأن الصفات قديمة وأثبتناها لله سبحانه ؛ فيتعدد القدماء بناء على ذلك. وقالوا أيضاً : إن قلنا بأنها حادثة ؛ كفرنا. فهذه دعاهم إلى أن ينفوا صفات الله ﷻ وكما ذكرت أدلة القرآن الكريم التي وصفت الإله الواحد الأحد بأوصاف كثيرة تدل على أن ما استندوا إليه كلام باطل لا أساس له من الصحة ؛ بل إن المخلوق -وأين المخلوق من الخالق ﷻ يتصف بصفات مختلفة متعددة ومع هذا يكون واحداً.

فإن الله ﷻ قال في الوليد بن المغيرة : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴾ [المدثر: ١١] وصفه : ﴿ وَجِيدًا ﴾ ، وهذا الوحيد لا شك أنه يسمع ويصر... وما إلى ذلك من الصفات القائمة به.

والعقل أيضاً يؤيد هذا ؛ فحيث أن الصفات ليست ذوات بئنة من الموصوف حتى يلزم من أثبتها أن نقول له : إنك عددت من أثبت له هذه الصفات ؛ فهي صفات

قائمة بالله ﷻ وهو موجود ﷻ وكل موجود فلا بد له من تعدد الصفات ؛ وكلما كثرت الصفات الحسنة القائمة بالذات ؛ دلت على كمال الذات ، غاية الأمر أن نسلم لما ورد في ذلك في كتاب الله وسنة النبي الكريم ﷺ.

### ب. بيان أن الوصف بها لا ينافي العلمية :

الوصف بأسماء الله الحسنى لا ينافي علميتها كَوْن ربنا ﷻ يوصف بالصفات التي دلت عليها هذه الأسماء ؛ والأسماء - كما قلنا - لها اعتباران : اعتبار من حيث الذات ، واعتبار من حيث الصفات ؛ ولا يتنافى وصف الله ﷻ بما ثبت له من أسماء علمية الاسم ؛ فأسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف ، والوصف بها لا ينافي العلمية ، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم ؛ لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه ﷻ.

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - هذه المسألة فقال : "أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء نبيه ﷺ هي أعلام دالة على معانٍ هي بها أوصاف ؛ فلا تضاد فيها العلمية الوصف بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين ؛ فالله ﷻ هو الخالق البارئ المصور القهار ؛ فهذه أسماء له داله على معاني هي صفاته ﷻ".

وقد قال الدارمي - رحمه الله - أيضاً كلاماً نفيساً في هذا الموضوع ؛ حيث قال : "لا تقاس أسماء الله ﷻ بأسماء الخلق ؛ لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماءهم نفس صفاتهم ؛ بل مخالفة لصفاتهم ، وأسماء الله وصفاته ليس شيء منها مخالف لصفاته ولا شيء من صفاته مخالف لأسمائه ؛ فمن ادعى بأن صفة من صفات الله تعالى مخلوقة أو مستعارة ؛ فقد كفر وفجر ؛ لأنك إذا قلت : "الله" ؛ فهو الله ، وإذا قلت : "الرحمن" ؛ فهو الرحمن وهو الله أيضاً ، فإذا قلت : "الرحيم" ؛ فهو كذلك ، وإذا قلت : "حكيم عليم حميد مجيد جبار متكبر قاهر"

قادر"؛ فهو كذلك، هو الله سواء لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسماً، وقد يسمى الرجل حكيماً؛ وهو جاهل، وحكماً؛ وهو ظالم، وعزيز؛ وهو حقير، وكريم؛ وهو لئيم، وصالح؛ وهو طالح، وسعيد؛ وهو شقي، ومحمود؛ وهو مذموم، وحبيب؛ وهو بغيض، وأسدأ؛ وحمار، وكلباً وجدياً وكنياً وهراً وما إلى ذلك وليس كذلك، وتقدست أسماء الله ﷻ أن تكون مثل ذلك".

فهذا يبين أن الوصف بأسماء الله ﷻ لا ينافي علميتها بخلاف أوصاف المخلوقين لأن أسماء الله سبحانه لها حقائق ودلائل بخلاف المخلوقين؛ فقد يسمى المخلوق بما ليس فيه.

### ج. أقسام أسماء الله ﷻ باعتبار معانيها ترجع إلى أحد الأمور التالية:

**الأمر الأول:** ما تدل عليه الأسماء من صفات معنوية، فأسماء الله ﷻ باعتبار معانيها ترجع إلى صفات معنوية؛ كالعليم والقدير، والسميع، والبصير، فاسم الله "العليم" يرجع إلى صفة معنوية: وهي العلم، و"القدير" اسم لله ﷻ يرجع إلى صفة معنوية ألا وهي القدرة... إلخ.

**الأمر الثاني:** ما يرجع إلى أفعال الله ﷻ كالمخالف، والرازق، والبارئ، والمصور، والوهاب... وما إلى ذلك؛ فالمخالف اسم من أسماء الله ﷻ ويرجع إلى الخلق، والخلق فعل من أفعال الله ﷻ...

**الأمر الثالث:** ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتاً؛ إذ لا كمال في العدد المحض؛ كالقدوس، والسلام، والأحد؛ فهذه الأسماء ترجع إلى تنزيه الله ﷻ عن أن يكون كأحد المخلوقين، وفيها إثبات كمال مطلق لله ﷻ والقدوس يدل على ذلك، والأحد يدل على ذلك؛ فهذه الأسماء رجعت إلى تنزيه محض وهي متضمنة لثبوت الكمال المطلق لله ﷻ.

**الأمر الرابع:** ما يدل على جملة أوصاف عديدة ولم يختص بصفة معينة يدل على جملة أوصاف عديدة ولا يختص بصفة معينة، يعنى الاسم الواحد يدل على جملة أوصاف، وذلك مثل: المجيد، العظيم، الصمد؛ فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا؛ فإنه موضوع السعة والكثرة والزيادة كما قال ربنا ﷻ: ﴿دُوَّالْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] فالمجيد صفة للعرش؛ لسعة وعظمة هذا العرش وشرفه، فاسم المجيد دل إذاً على أوصاف متعددة؛ كذلك اسم الله العظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال، وكذلك الصمد، قال ابن عباس: هو السيد الذي كمل فيه سؤدده، وقال ابن وائل: "هو السيد الذي انتهى سؤدده"، وقال عكرمة: "الذي ليس فوقه أحد"، وهكذا قال الزجاج وابن الأنباري وما إلى ذلك.

### ٢. الأدلة على أن أسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف:

قال المخالفون للحق في أسماء الله ﷻ: إن أسماء الله مترادفة فقط ولا تدل على معاني ولا تضيف شيئاً يرجع حكمه إلى الله ﷻ، وهذا الكلام الباطل يدعوننا إلى أن نتوسع في ذكر الأدلة التي تؤيد منهج أهل السنة والجماعة في أن أسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف:

### أولاً: الأدلة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية:

تنوعت دلالة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في إثبات هذه المسألة تنوعت وكثرت وتعددت الوسائل والطرق التي ثبتت بها هذه الدلالة من ذلك أنه:

أ. يخبر الله ﷻ بمصادرهما ويصف نفسه بها:

إن الله ﷻ يخبر بمصادر هذه الأسماء، ويصف نفسه بها، وهذا دليل على أن هذه الأسماء كما أنها هي أعلام هي أيضاً صفات، والمصدر هو الوصف الذي اشتقت منه تلك الصفة، ومن القرآن ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١١٩] وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال ﷻ: ﴿ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]؛ فعلم بذلك أن القوي من أسمائه، معناه: الموصوف بالقوة، وكذلك العزيز من أسماء الله ﷻ لما قال: ﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ فالعزيز من أسماء الله سبحانه ما هو موصوف بالعزيز؛ ولذلك قال: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]؛ فالقوي إذاً من له القوة، والعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة لما يسمى قوياً ولا عزيزاً، ولما اشتقنا منها أسماء الله ﷻ ولذلك أحسن من قال: "وعند فقد الوصف لا يشتق": أي: إذا انعدمت الصفة عن شيء لا يمكن أن يُشتق اسم من هذه الصفة، وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ [الرعد: ٦]، وقال ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ الْعَفْوَورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨]؛ فالغفور ﷻ هو المتصف بالمغفرة، والرحيم هو المتصف بالرحمة... وهكذا.

ومن السنة النبوية المطهرة ما يؤيد ذلك؛ حيث إن الله ﷻ أخبر بمصادر الأسماء ووصف نفسه بها؛ كذلك جاء في السنة النبوية المطهرة ما يؤيد هذا المعنى الذي فهمناه من كتاب الله ﷻ ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه)) فهذا أثبت المصدر الذي اشتق منه اسمه البصير يعنى

## العقيدة خاص [٢]

### المصدر السريع

الله ﷻ قال ما انتهى إليه بصره من خلقه ؛ فأثبت المصدر النبي ﷺ حيث ذكر مصدر الصفة والذي اشتقنا منه اسم البصير لله ﷻ.

ومثل هذا المفهوم ما جاء أيضاً في (صحيح البخاري) في صفة السمع وذلك في حديث أم المؤمنين عائشة > أنها قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات": فأثبت المصدر الذي اشتق منه اسم الله ﷻ "السميع" فقالت: "وسع سمعه...".

وفي (الصحيح) أيضاً في حديث الاستخارة قول النبي ﷺ: ((اللهم إني أستخيرك بعملك وأستقدرك بقدرتك)) فهو ﷻ قادر بقدره ؛ ولذلك قال: ((أستخيرك بعلمك وأستقدرتك بقدرتك))؛ فهنا أولاً لما قال: ((بعلمك)) وصف نفسه بالعلم ؛ ولذلك سميناه "العليم" اشتقاقاً من "العلم".

وفي (الصحيح) عنه ﷻ يقول الله ﷻ: ((العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي)) فهو ﷻ العظيم الذي له الكبرياء ، وبهذا فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دلاً معاً على إثبات مصادر هذه الأسماء له ﷻ وصفاً وهذا يدل على أن أسماء الله أعلام وأوصاف ، ولولا هذه المصادر لانتفت حقائق الصفات والأسماء والأفعال فإن أفعاله ﷻ غير صفاته وأسمائه فإذا لم يقيم به فعل ولا صفة فلا معنى للاسم المجرد وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئاً وهذا غاية الإلحاد ؛ فكل ما دلت عليه أسماؤه ﷻ فهو مما وصف به نفسه فيجب الإيمان بكل ما وصف الله ﷻ به نفسه.

ب. أخبر الله ﷻ عن الأسماء بأفعالها :

أيضاً أخبر الله ﷻ عن الأسماء بأفعالها مما يعني أنه أخبر عن الأسماء بحكم الصفة التي اشتقنا الاسم منها ، وتأمل في ذلك قول الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ

## العقيدة خاص [٢]

الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٠٠﴾ [المجادلة: ١٠٠]، وقال ﷺ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وقال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩] وقال ﷺ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ فلو لم تكن أسماءه مشتملة على معانٍ وصفات لم يسغ أن يخبر عنها بأفعالها؛ فلا يقال: يسمع ويرى ويعلم ويريد؛ كما جاء في الآيات السابقة؛ فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها؛ فإذا انتفى أصل الصفة؛ استحال ثبوت أصل هذه الصفة؛ فكون الله ﷻ يخبر عن هذه الأسماء بأفعالها والأحكام المتعلقة بهذه الصفة؛ فهذا دليل على أن أسماء الله أعلام وأوصاف.

### ج. الله يعلل أحكامه وأفعاله بأسمائه:

ولو لم يكن لأسماء الله معنى ودلالة ما علل ربنا ﷻ أحكامه وأفعاله بمقتضى ودلالة ومعاني هذه الأسماء، وتأمل مثلاً في ذلك قول الله ﷻ: ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] وقال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رَبْصَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَأَوْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٦) ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧]؛ فختم حكم الفيء الذي هو الرجوع والعود إلى رضا الزوجة والإحسان إليها بأنه غفور رحيم، يعود على عبده بمغفرته ورحمته إذا رجع إليه بالمغفرة والرحمة وقال: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ لما كان لفظ يسمع ومعنى يقصد، عقبه باسم السميع للنطق به، العليم بمضمونه؛ ولذلك قال أهل الجنة وهم يتمتعون - بإذن الله في الجنة - حينما يتمتعون بها كما أخبر ربنا ﷻ عنهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]



## العقيدة خاص [٢]

### المدرس السارع

أي: لما صاروا إلى كرامة الله ﷻ لمغفرته لذنوبهم ويشكرون الله ﷻ على إحسانه لهم يقولون: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وفي هذا معنى التعليل، أي: بمغفرته وشكره، وصلنا إلى دار كرامته؛ فإنه غفر لنا السيئات وشكر لنا الحسنات؛ ولذلك قال الله ﷻ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

### د. الله ﷻ يستدل على توحيدِه بأسمائه:

فنحن نستدل بأسماء الله ﷻ على توحيدِه سبحانه ونفي الشريك عنه؛ ولو كانت هذه الأسماء لا معنى لها ولا تحمل دلالة ولا يفهم منها شيء؛ لم تدل على ذلك، وإنما لما دلت الأسماء على توحيد الله ﷻ دلت على أنها كما هي أعلام هي أيضاً صفات واستمع في ذلك ما قاله رب العزة والجلال حينما ذكر ما قاله هارون لعبدة العجل: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠] وكقوله ﷻ أيضاً في هذه القصة: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] وقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]؛ فتجد أن الله ﷻ هنا يثبت لنفسه الألوهية، ويستدل عليها من خلال ما ثبت له من أسماء حسنى، كما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٢، ٢٣]؛ فسبح ﷻ نفسه عن شرك المشركين به عقب تمادحه بأسمائه الحسنى المقتضية لتوحيدِه واستحالة اثبات شريك لله ﷻ.

وذكر ابن القيم - رحمه الله - أن أسماء الله ﷻ كلها حسنى ، وكونها حسنى دليل على أنها تحمل من معاني الكمال ما يليق بجلال رب العزة والجلال ﷻ وفي ذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - : "أسماء الرب ﷻ كلها أسماء مدح ولو كانت ألفاظاً مجردة لا معنى لها لم تدل على المدح ، وقد وصفه الله بأنها حسنى كلها ؛ فقال ﷻ : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ؛ فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ بل لدلالاتها على أوصاف الكمال ، يعنى : ليس الحسن فيها قائم من إنها لفظ لا معنى وإنما لما دلت واشتملت على أوصاف الكمال لله ﷻ دل ذلك على أنها أوصاف وتحمل معانٍ تليق بجلال رب العزة سبحانه ، ولهذا لما سمع بعض العرب قارئ يقرأ : "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" .

قال : ليس هذا كلام الله .

فقال القارئ : أتكذب بكلام الله تعالى؟! فقال : لا ؛ ولكن ليس هذا بكلام الله .

فعاد القارئ إلى حفظه وقرأ : ﴿ **وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٢٣٨] ، فقال الأعرابي :

صدقت ؛ عز فحكم فقطع ، ولو غفر فرحم ؛ لما قطع .

فدل ذلك على أن الأسماء لها معاني ولما كانت حسنى دلت على أوصاف الكمال وهذا يدل على أن هذه الأسماء لها معاني وتحمل أوصافاً جليلة لله ﷻ فهي ليست أعلام محضة لا معنى لها - كما يذكر بذلك المعتزلة ومن سار في ركابهم ممن لم يثبتوا أسماء الله ، ﷻ ، على حقائقها وكذلك صفات الرب ، ﷻ .

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول أيضاً نحو من هذا الكلام ؛ حيث يبين أن كل الأسماء توصف بأنها حسنى يدل ذلك على أنها تحمل صفات عظمية وما صارت حسنى إلا لأنها حملت من الصفات المعاني العظيمة.

يقول - رحمه الله - : " الله له الأسماء الحسنى دون السوأى وإنما تميز الاسم الحسن عن الاسم السيئ بمعناه فلو كانت كلها بمنزلة الأعمال الجامدات التي لا تدل على معنى لم تنقسم إلى حسنى وسوأى ، هذه دلالة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على أن أسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف.

### ثانياً: دليل الإجماع:

لا نكتفي بدلالة القرآن الكريم على ذلك والسنة النبوية المطهرة ؛ وإنما نضيف إلى ذلك أيضاً دليل الإجماع :

أجمع أهل اللغة والعرف على أنه لا يقال "عليم" إلا لمن له علم ولا سميع إلا لمن له سمع ، وهذا أمر بين لا يحتاج إلى دليل ؛ وكذلك أجمع المسلمون كما ذكر في ذلك الشيخ ابن عثيمين في (المواعظ المثلى) ص ٨ ، قال : "أجمع المسلمون أنه لو حلف بحياة الله أو سمعه أو بصره أو قوته أو عزته أو عظمته ؛ انعقدت يمينه وكانت مكفرة ؛ لأن صفات كماله التي اشتق منها أسماءه.

### ثالثاً: دليل العقل:

كذلك أيضاً العقل يدل على أن أسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف ، وبيان ذلك : إنه يعلم بالاضطرار الفرق بين الحي والتقدير والعليم والملك والقدوس والغفور دليل أن العقل يعرف الفرق بالضرورة بالبديهة بين هذه الأسماء ، وأن كل اسم منها

يدل على معنى يختلف عن المعنى الآخر، وإن العبد إذا قال: رب أغفر وتب علي إنك أنت التواب الغفور. كان قد أحسن في مناجاة ربه وإذا قال: أغفر لي وتب علي إنك أنت الجبار مثلاً أو المتكبر أو شديد العقاب. لم يكن في ذلك محسن في مناجاة الله ﷻ.

ومن دلالة العقل أيضاً: أن أقول: إنه من المستحيل أن ينون عليمًا قديرًا سميعًا بصيرًا ولا علم له ولا قدرة؛ بل صحة هذه الأسماء مستلزمه لثبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل قطعاً؛ فتعين الأول: وهو أن هذه الأسماء مستلزمه لثبوت معانٍ ثابتة لله ﷻ.

### ٣. أسماء الله ﷻ لها دلالات تدل عليها:

#### أ. تعريف الدلالات وذكر أقسامها وأمثلة لها:

تنقسم الدلالة اللفظية إلى ثلاثة أقسام:

**الأول:** دلالة مطابقة.

**والثاني:** دلالة التضمن.

**والثالث:** دلالة الالتزام.

وذلك لأن الكلام إما أن يساق ليدل على تمام معناه، وإما أن يساق ليدل على بعض معناه وإما أن يساق ليدل على معنى آخر خارج عن معناه إلا أنه لازم له ونطبق هذا الكلام على أقسام الدلالات التي ذكرتها الآن: وهي دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، دلالة الالتزام:

دلالة اللفظ على تمام معناه تسمى دلالة مطابقة وسميت مطابقة للتطابق الحاصل بين معنى اللفظ وبين الفهم الذي استفيد منه.

ودلالة اللفظ على بعض معناه تسمى دلالة تضمن ، وسميت دلالة تضمن لأن اللفظ قد تضمن معنى آخر إضافة إلى المعنى الذي فهم منه .

ودلالة اللفظ على معنى خارج عن معناه إلا أنه لازم له تسمى دلالة التزام ، وسميت دلالة التزام لأن المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة ، ولكن معناه يلزم منه هذا المعنى المستفاد .

هذا التأصيل الذي ذكرته الآن يعني أقسام الدلالات اللفظية ، وتعريف كل دلالة وهي : دلالة المطابقة ، دلالة التضمن ، دلالة الالتزام ؛ دلالة المطابقة : دلالة اللفظ على تمام معناه ، دلالة التضمن : دلالة اللفظ على بعض معناه دلالة الالتزام : أن يدل اللفظ على معنى خارج عن معناه إلا أنه لازم له .

### ب. ذكر بعض الأمثلة الموضحة لهذه الدلالات :

أعتقد أن سياق الأمثلة لهذا ضروري فبالمثال يتضح المقال :

**مثال دلالة المطابقة :** قول الله ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبْحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]

لفظة البقرة هنا اسم جنس سيق ليبدل على تمام معناه وهو الحيوان المعروف ؛ فأية بقرة كافية لتنفيذ الأمر لو ذبحها بنو إسرائيل ؛ ولكنهم شددوا على أنفسهم في طلب التعيين فشدد الله عليهم .

الشاهد من هذا : أن كلمة بقرة اسم جنس يدل على تمام المعنى ، وهو الحيوان المعروف .

**مثال لدلالة التضمن :** كأن يقول إنسان مثلاً : أنا عالم بالفرائض وتقسيم الموارد . فنقول له مثلاً : بين لنا أحكام الجد مع الأخوة . فإذا قال لنا : أنا لم أقل لكم إنني أعلم هذه الأحكام . بإمكاننا أن نقول له : لقد تضمنت دعواك العلم

بالفرائض وتقسيم المواريث أنك عالم بأحكام الجدم مع الأخوة، وقد فهمنا ذلك من كلامك عن طريق الدلالة التضمنية؛ يعنى: قوله بأنه على علم بالفرائض يتضمن أنه يعلم أي مسألة في الفرائض وفي المواريث إذا سئل عنها.

**مثال لدلالة الالتزام:** قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، تأمل وجه الدلالة من هذا الدليل، كيف أنه يدل على دلالة التزام، ذلك أن قول الله ﷻ فيها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الواقع في جواب الشرط يدل عن طريق الدلالة الالتزامية على أن الله يغفر لكم ويرحمكم إن أنت عفوتم وصفحتم وغفرتم مع أن هذا المعنى غير مدلول عليه بمنطوق اللفظ ولكن يلزم من كونه غفوراً رحيماً أن يكافئ أهل العفو والصفح والمغفرة بالرحمة والغفران؛ ولذلك حصل الاكتفاء في جواب الشرط بذكر هذين الوصفين دون التصريح للازمهما فقوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يدل على هذا المعنى بدلالة الالتزام كما ذكرت.

### جـ. تطبيق الدلالات الثلاث على أسماء الله تعالى:

بعد أن قسمنا الدلالات اللفظية إلى: دلالة مطابقة، وتضمن، والتزام، نود أن نطبق الآن هذه الدلالات الثلاث على أسماء الله ﷻ وابن القيم -رحمه الله- له في هذا كلام نفيس وجميل يقول فيه: "إن الاسم من أسمائه ﷻ كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة؛ فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم؛ فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة على الصفة ويدل على الصفة الأخرى باللزوم".

الاسم من أسماء الله ﷻ كما يدل على ذات الله والصفة التي اشتق منها بالمطابقة يدل أيضاً على دلالتين أخريين وهي دلالة التضمن ودلالة اللزوم.

أمثلة على ذلك :

**المثال الأول:** "الخالق" : اسم يدل على ذات الله ﷻ لأن الخالق هو الله ؛ فهو يدل على ذات الله ﷻ وعلى صفة الخلق ، والصفة قائمة بموصوف فتدل أيضاً على الموصوف وهو الله ﷻ بالمطابقة ؛ فاسم الله ﷻ "الخالق" يدل إذاً على ذات الله وعلى صفة الخلق بالمطابقة على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن ، هنا يتبين الأمر ، فاسم الله ﷻ الخالق لو دل على صفة الخلق وحدها هذا يدل عليه بالتضمن بمعنى أن اسم الله ﷻ تضمن أن الله ﷻ يتصف بصفة الخلق ويدل على صفتي مثلاً العلم والقدرة بالالتزام لأن الخالق يلزم من أن يكون عليمًا وأن يكون قديرًا ويصف بالعلم ويتصف بالقدرة بداية الالتزام وإلا لم يكن خالقًا ؛ بل بصفة الإرادة أيضاً لأننا نشاهد من أنواع الخلق التخصيص والتخصيص يحتاج إلى إرادة ؛ فدل ذلك على أنه يلزم من إثبات اسم الخالق لله ﷻ أيضاً إثبات العلم والقدرة والإرادة... وهكذا.

ومثلاً لو تأملت قول الله ﷻ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١١٢] ؛ ذلك لأن العلم والقدرة اللازمة للخلق ؛ فلما قال : ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ ذكر بعد ذلك : ﴿ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ فلما ذكر الخلق ذكر العلم وذكر القدرة ؛ لأنهما لازمان لهذا الاسم الخالق ، ولأن الله يتصف بالخلق.

**المثال الثاني:** "السميع". اسم الله "السميع" يدل على ذات الله ﷻ وعلى صفة السمع وحدها بالتضمن ويدل على اسم الله الحي وصفة الحياة بالالتزام ، وكذلك سائر أسماء الله ﷻ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله :

"فأسماءه كلها متفقة على الدلالة على أسمائه المقدسة كلها، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر؛ فالعزيم يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه -أي: الله، عَزَّوَجَلَّ وعلى خلقه، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته، ونفسه تستلزم جميع صفاته؛ فصار كل اسم يدل على ذاته وعلى الصفة المختصة به بطريق المطابقة، وعلى أحدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الأخرى بدليل اللزوم".

وأعتقد بأن هذا الكلام يوضح هذه المسألة؛ فنحن بحاجة إلى توضيحها للرد على من يقول بأن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ليست لها دلالات ولا تتضمن معاني ثابتة في نفسها وفي نفس الأمر؛ بل هي مجرد أعلام محضة ليست لها معاني تدل عليها.

ولذلك الشيخ حافظ بن أحمد الحكم -رحمه الله- يقول أيضاً: "واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمناً والتزاماً؛ فدلالة اسمه تعالى الرحمن على ذاته عَزَّوَجَلَّ مطابقة وعلى صفة الرحمة تضمناً وعلى الحياة وغيرها التزاماً". وهكذا سائر أسماء عَزَّوَجَلَّ وليست أسماء الله تعالى غير الله -كما يقوله الملحدون في أسمائه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- فإن الله عَزَّوَجَلَّ هو الإله وما سواه عبيد، وهو الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الأول فليس قبله شيء، وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن، وهو الآخر الباقي؛ فليس بعده شيء وما سواه فإن؛ فلو كانت أسماء الله تعالى غيره -كما زعموا- لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية؛ إذ كل ما سواه كذلك -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر -رحمه الله-: "الدلالات نوعان: لفظية، ومعنوية عقلية؛ فإن أعطيت اللفظ جميع ما دخل فيه من المعاني فهي دلالة



مطابقة لأن اللفظ تطابق المعنى من غير زيادة ولا نقصان ؛ وإن أعطيته بعض المعنى فتسمى دلالة تضمن لأن المعنى المذكور بعض اللفظ وداخل في ضمنه وهذا يدل على إن كلمة لفظية شملت دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، وأما الدلالة المعنوية العقلية ؛ فهي خاصة بالعقل والفكر الصحيح ؛ لأن اللفظ بمجرد لا يدل عليها ؛ وإنما ينظر العبد ويتأمل في المعاني اللازمة لذلك اللفظ الذي لا يتم معناها بدونها وما يشترط له من الشروط، وهذا يجري في جميع الأسماء الحسنى كل واحد منها يدل على الذات وحدها أو على الصفة وحدها دلالة تضمن، ويدل على الصفة الأخرى اللازمة لتلك المعاني دلالة التزام".

ثم بعد ذلك بدأ -رحمه الله- يذكر بعض الأدلة أو بعض الأمثلة التي توضح هذا الأمر، وأن الدلالات تنقسم إلى ثلاثة أقسام... كما ذكرنا.

#### ٤. الأحكام المستفادة من هذه المسألة :

وعن الأحكام المستفادة من ذكرنا للدلالات وأنواعها وأقسامها، وأن أسماء الله ﷻ وأوصاف وهي تدل على معانٍ وترشد إلى دلالات، وأسماء الله ﷻ فيها تضمن وفيها التزام... وما إلى ذلك، نقول :

#### أ. بيان أن الدهر ليس من أسماء الله تعالى :

ولا أعني الدهر بعينه، ولكن كل ما يمكن أن يطلق من أسماء جامدة لا تليق بجلال الله ﷻ وكماله، ولكنني ذكرت الدهر ؛ لأن الحديث الوارد في ذلك قد يوهم لدى بعض طلاب العلم أن الله ﷻ يسمى باسم الدهر، وليس كذلك ؛ ولهذا أقول : من فقه القاعدة التي ذكرتها والأحكام التي تؤخذ منها وهي أن

أقسام الله لها دلالات ومعاني أن يعلم الطالب أن الدهر ليس من أسماء الله تعالى. العلة في ذلك: أنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بأسماء الله الحسنى وأسماء الله - كما تقدم لنا - كل واحد منها يدل على معنى الذي نسميه صفة والاسم مأخوذ من هذه الصفة؛ فالاسم الذي لا يدل على معنى إذا لا يعد من أسماء الله.

و"الدهر" اسم جامد وأيضاً "الدهر" اسم الوقت والزمن؛ قال الله ﷻ على منكر البعث: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] يريدون: مرور الليالي والأيام.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذا الاسم: "تنازع المسلمون في تسميه الله بالدهر؛ ففي (الصحيح) عن أبي هريرة > قال: قال رسول الله ﷺ: (( لا يسب أحدكم الدهر؛ فإن الله هو الدهر، ولا يقولن أحد للغيب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم)).

وفي (الصحيح) عن أبي هريرة > قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قال الله ﷻ: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر وأقلب الليل والنهار)). وفي رواية أخرى: ((يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر؛ فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما)). وهذه كلها ألفاظ ما جاء في (صحيح مسلم) فتبين لنا بذلك أن الدهر الذي هو الليل والنهار خلق له ويده وأنه يجدده ويبيليه؛ فامتنع أن يكون اسم الله ﷻ.

ومن باب الفائدة أن أذكر أن أصل هذا الخبر أنه ورد على سبب وهو: ((يؤذيني ابن آدم...)) الحديث، وهو أن الجاهلية كانت تقول: "أصابني الدهر في مالي بكذا، ونالني قوارع الدهر ومصائبه". فيضيفون كل حادث يحدث مما هو جارٍ

بقضاء الله ﷻ وقدره وخلقه وتقديره من مرض أو صحة أو غنى أو فقر أو حياة أو موت إلى الدهر، ويقولون: "لعن الله هذا الدهر والزمان" فهى النبي ﷺ عن ذلك وأخبر أن ما يحدث في الدهر؛ إنما هو من أقدار الله ﷻ وأفعاله ولا تنسب إلى الدهر؛ ولذلك قال: ((لا تسبوا الدهر)) يعنى: إذا أصابتكم المصائب لا تسبوها إليّ؛ فإن الله ﷻ هو الذي يصيب بنا الدهر، وإنكم إذا سببتم الدهر؛ ففاعل ذلك ليس هو الدهر في الحقيقة وإنما هو الله ﷻ.

### ب. الرد على من أنكر تضمن الأسماء الحسنى للصفات:

بعض الناس أنكروا أن أسماء الله ﷻ الحسنى ليست مأخوذة من الصفات، وما تقدم إيراده من أدلة يجعلنا نوقن وندرك ضلال من نفى معاني أسماء الله ﷻ وقد وقع في ذلك المعتزلة؛ لأنهم زعموا أن أسماء الله ﷻ أعلام محضة لم توضع لمسامها باعتبار معنى قائم به، وما استندوا إليه من قبل من أن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء على معنى إن كل صفة قديمة وإذا أثبت كل صفة معينة قائمة بذاته كما يزعمون؛ فهذا أثبت آلهة متعددين، وهذا كلام باطل سبق أن أشرت إلى بطلانه.

وذكرنا لهذه الضلالات وبيان أن أسماء الله ﷻ الحسنى تحمل معانٍ عظيمة، وكونها تحمل معانٍ عظيمة تثبت لله ﷻ الصفات التي اشتقنا منها هذه الأسماء، وكما يقال: من المكابرة الصحيحة والبهت البين أن يجعل مثلاً معنى اسم الله ﷻ "القدير" هو معنى اسم الله ﷻ السميع أو البصير، على معنى أن أعلام الله أو أسماء الله أعلام محضة لا تدل على معانٍ؛ بل أسماء الله ﷻ أسماء تدل على معانٍ، وبالتالي نرد بذلك على من ينكرون صفات الله ﷻ.

## ج. أسماء الله تعالى كلها من قبيل المحكم المعلوم المعنى :

أيضاً من الأحكام التي نستفيدها من هذه المسألة التي ذكرتها - وهي أقسام الدلالات - أن أسماء الله ﷻ كلها من قبيل المحكم المعلوم المعنى ، وهي ليست من المتشابه كما يدعى بذلك بعض المبتدعة الذين يفوضون معاني هذه الأسماء بدعوى أنها من المتشابه ؛ فهم يقولون بأن هذه الأسماء أعلام نقرؤها ولا تدل على معنى ولا نفهم منها حقائق ؛ فهذا باطل ؛ فهي أعلام محكمة معانيها معروفة في لغة العرب وغير مجهولة ، وإن المجهول منها هو الكنه والكيفية ، وهذا أمر وراء إثبات المعنى والكنه والكيفية ، وهذا أمر وراء إثبات المعنى المعلوم ؛ فنحن نثبت لله ﷻ أسماء ونعلم من معانيها ما عملنا الله ﷻ إياه ، أما كنه هذه الأسماء وما دلت عليه من صفات ، وما هي في نفس الأمر وكيفية الاسم وكيفية الصفة ؛ فهذا لا علم لنا به فالله ﷻ أخبرنا أنه عليم قدير ، سميع بصير ، غفور رحيم ، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته ، ونحن نفهم معنى ذلك ونميز ونفرك بين العلم وبين القدرة ونعرف أن هناك فرق بين صفة الرحمة وصفة السمع وصفة البصر كما نعلم أن الأسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله ﷻ مع تنوع معانيها فهي إذاً لها معانٍ ندركها ونعرفها.

ودعوى أن نصوص الصفات غير معلومة المعنى هي دعوى أهل التجهيل الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا ندري ما أراد ورسوله ﷺ منها ولكن نقرؤها ألفاظاً لا معنى لها - وحاشَ لكلام الله ﷻ ألا يكون له حقيقة وألا يكون له معنى.

**وفي الحقيقة :** ما ذهب إليه هؤلاء هو كلام باطل لا يحتاج إلى مزيد بيان وكونهم ينسبون ذلك إلى السلف ، ويقولون بأن هذه النصوص من المتشابه ، ويقولون بأن المتشابه له معنى لا يعرفه إلا الله ﷻ يلزم من ذلك تجهيل السابقين وأن النبي ﷺ

لم يبلغ لأمته الدين ، كما جاء من عند الله ﷻ وأن خير القرون ألا وهم صحابة النبي ﷺ لم يفهموا معاني القرآن الكريم وما دلت عليه ومن ذلك أسماء الله ﷻ وصفات الله ﷻ وهذا في الحقيقة لا يليق أن أنسبه إلى خير القرون وإلى أفضل الناس بعد الأنبياء : ألا وهم صحابة النبي ﷺ فأسماء الله - كما ذكرت - من قبيل المحكم الذي نعرف معناه والنبي ﷺ بلغنا البلاغ المبين من عند الله ﷻ.

وقد قال الزهري في ذلك - رحمه الله - : " من الله البيان وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم " ؛ فهذا البيان الذي تكفل به سبحانه وأمر به رسوله ﷺ إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده أو المعنى وحده أو اللفظ والمعنى جميعاً ، ولا يجوز أن يكون المراد به بيان اللفظ دون المعنى ؛ فإن هذا لا فائدة فيه ولا يحصل به مقصود الرسالة وبيان المعنى وحده بدون دليله : وهو اللفظ الدال عليه أيضاً ممتنع فعلم قطعاً بذلك أن المراد ببيان اللفظ والمعنى .

المراد إذاً من قول الزهري - رحمه الله - : البيان هنا : بيان اللفظ والمعنى ، وقد بين ﷺ ذلك ، والله تعالى أنزل كتابه ألفاظه ومعانيه وأرسل رسوله ليبين اللفظ والمعنى ؛ فكما أننا نقطع ونتيقن أنه بين اللفظ ؛ فكذلك نقطع ونتيقن أنه ﷺ بين المعنى بل كانت عنايته ببيان المعنى أشد من عنايته ببيان اللفظ وهذا هو الذي ينبغي ؛ فإن المعنى هو المقصود ، وأما اللفظ فهو وسيلة إليه ودليل عليه .

ولقد جاءت رسالة النبي ﷺ بإثبات أسماء الله الحسنی وصفات الله العلی ، وأزالت في ذلك أي شبهه وكشفت كل غطاء ، وحصل العلم اليقيني لدى الصحابة ومن تبعهم بإحسان على ما ذكره نبينا ﷺ .

ومن يطلع على كلام الصحابة الكرام والتابعين ومن بعدهم يعلم أنهم عرفوا معاني تلك النصوص وفهموها عن الله ﷻ ولذلك أركز على هذه المسألة وأبين لطالب العلم أن أسماء الله الحسنی وصفات الله العلی لها معانٍ ولها دلالات تدل عليها وأنها من قبيل المحكم الذي نعرف معناه ؛ ولذلك خاطبنا الله ﷻ به ولا

## العقيدة خاص [٢]

يخاطبنا الله ﷻ إلا بشيء نعرفه، والنبى ﷺ بين لنا ما خاطبنا الله ﷻ به، وهذا في الحقيقة يجعل الإنسان يطمئن وينشرح للمعتقد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة.

د. أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور، وإن دلت على وصف غير متعد تضمنت أمرين :

أسماء الله ﷻ إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور :

الأمر الأول : ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ.

الأمر الثاني : ثبوت الصفة التي تضمنها لله ﷻ.

الأمر الثالث : ثبوت حكمها ومقتضاها.

أما إن كان الاسم غير متعد يتضمن أمرين فقط :

الأمر الأول : ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ.

والأمر الثاني : ثبوت الصفة التي تضمنها لله ﷻ.

أمثلة على أن اسم الله ﷻ إن كان يدل على وصف متعد يتضمن ثلاثة أمور :

اسم الله ﷻ "السميع" :

الأمر الأول : يتضمن إثبات اسم السميع لله ﷻ.

الأمر الثاني : إثبات السمع صفة لله ﷻ.

الأمر الثالث : إثبات حكم ذلك ومقتضاه : وهو أن الله ﷻ يسمع السر والنجوى ؛ كما قال ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ٤١] ؛

فاسم الله السميع دل على هذه الأمور الثلاثة. وإثبات حكم ذلك ومقتضى هذا الأمر وهو أنه ﷻ يسمع كل شيء يسمع السر والنجوى يسمع دبيب النمل... وما إلى ذلك.

أمثلة على أن الاسم غير المتعدي يتضمن أمرين فقط :

اسم الله ﷻ "الحي" :

الأمر الأول: "الحي" اسم لله يتضمن أن ثبت لله ﷻ اسم الحي.

الأمر الثاني: يتضمن إثبات الحياة صفة لله ﷻ.

ولابن القيم -رحمه الله- كلام جميل حول هذا المعنى يقول فيه: "إن الاسم إذا أطلق على الله ﷻ جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر عنه فعلاً ومصدراً نحو السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ﴾ [المجادلة: ١]. ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، وهذا إذا كان الفعل متعدياً".

فالاسم الذي يتعدى فعله كالسميع والبصير والقدير تضمن هذه المسائل وهو إثبات الاسم لله ﷻ وإثبات السمع والبصر والقدرة وصفاً لله ﷻ وأخبر الله ﷻ عنها بأفعالها وأحكامها فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ﴾ ، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ وما إلى ذلك أما إن كان لازماً لم يخبر عنه به، يعني ثبت الاسم فقط وثبتت الصفة ولا نخبر به نحو اسم الله الحي الذي ذكرته؛ بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال حيي؟ وهذا توضيح من العلامة ابن القيم -رحمه الله- لهذه المسألة.

**الشاهد:** أن أسماء الله ﷻ تحمل معانٍ وتشير إلى دلالات وذكر هذه الدلالات هذا يجعلنا نوقن أن هذه الأسماء لها معانٍ قائمة وأن لها مفهوم نعرفه ونعبد الله ﷻ به ، وأن أسماء الله الحسنى تدل على صفات قائمة بذات الله ﷻ وبالتالي من ذهب إلى أن هذه الأسماء مجرد أعلام محضة لا تدل على معنى قد أخطأ خطأً بيناً في هذا الأمر ، ولا شك أيضاً أن هذا دعاهم إلى أن ينكروا ثبوت الصفات لله ﷻ لأنهم لما أيقنوا أن هذه أسماء لا تحمل معاني ما ذكروا لها الصفات أو ما آمنوا بالصفات التي اشتقت منها هذه الأسماء ، ولكن أهل السنة والجماعة يعرفون ذلك ويدركون أن أسماء الله ﷻ لها معانٍ ترشد وتشير وتدل عليها وأنها مشتقة من الصفات الثابتة لله سبحانه والله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى له الكلام المطلق ، وأن ما ثبت له لهو من قبل المعلوم المعنى المحكم الذي ندركه ونعرفه ونفقهه كما علمنا إياه نبينا ﷺ .

٥. الرد على من يزعمون أن لأسماء الله ﷻ خواص وأسرار خفية يعرفها بعض الناس ولا يعرفها غيره :

فوائد مزعومة باطلة في أسماء الله ﷻ :

ذهب كثير من المتصوفة إلى هذا الأمر ؛ حيث ذكروا أن في أسماء الله وصفاته فوائد ومنافع لم يدل عليها عقل أو نقل ، وسأذكر بعض ذلك ، وهذا يجعلني أنبه إلى ضرورة الالتزام في هذا الباب بما جاء عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ وألا نغلو في أي أمر من أمور الدين وندخل عقولنا أو نعلمها خاصة في باب أسماء الله الحسنى وصفاته العلى :



### أ. الزعم بأن للأسماء خواص وأسرار خفية :

وهؤلاء يدعون بأن لكل اسم من أسماء الله الحسنى خواص وأسرار تتعلق به على إفاضة فيها أو إيجاز، فبعضهم يستفيض في هذه المسألة وبعضهم يذكرها بكلمة موجزة أو يكون له أسرار محدودة أو خواص معلومة بسيطة كما يذكر والبعض يتوسع فيها أكثر وأكثر، وهذا في الحقيقة كلام باطل لا أساس له من الصحة؛ بل إن بعضهم يغفلوا فيتجاوز هذا القدر إلى الزعم بأن لكل اسم خادم روحانياً يخدم من يواظب على الذكر به ويذكر بعض الذين ساروا في هذا الاتجاه أنهم يكشفون بأسماء الله أسرار المغيبات والخافي من المكنونات، ويزعم بعض هؤلاء أن اسم الله الأعظم سر من الأسرار يمنح لبض الأفراد؛ فيفتحون به المغلقات ويخرقون به العادات ويكون لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس، وهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة لم يأتوا بنص من كتاب ربنا ولا حديث من سنة نبينا ﷺ وكل ما اعتمدوا عليه لا تقوم به حجة ولا ينهض به دليل؛ وما كان كذلك فلا اعتبار له، وحسبنا في رده أن نذكر ما قاله ﷺ في ما روته أم المؤمنين عائشة > : ((كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد)) هذه المقولة قد فتحت باب الخرافة على الناس ودخل السحرة والمشعوذون من هذا الباب فترى عباد الشيطان يمكرون بالناس ويكيدونهم بالسحر ويزعمون أنهم يسخرون غيرهم ويؤثرون فيهم ويعلمون المستور من الأخبار بما اطلعوا هم عليه وعرفوه من أسماء الحسنى وصفات الله العلى.

وهذا في الحقيقة دعا بضع الناس إلى أن يتوجهوا إلى بعض من زعموا أنهم مشايخ يطلبون منهم ما لا يطلب إلا من الله ﷻ لزعمهم أنهم وصلوا إلى

حقائق وعرفوا من مكنونات أسماء الله الحسنى ما لا يعرفه غيرهم ، وأن الأسماء التي تعلموا أو يعرفوها لها أسراراً ربما يتوصلون بها إلى فتح المغلقات.

فنجد بعض العامة من الناس يذهبون إلى أمثال هؤلاء ويطلبون منهم أشياء لا تطلب إلا من الله ﷻ ويستخدم هؤلاء أسلوب الحيل والكذب والخداع على هؤلاء الناس بأسماء لم يأت لها ذكر لا في كتاب الله ولا في سنة الرسول ﷺ وهذه فئة موجود بين الناس اليوم ، وتكثر عند المقامات والأضرحة فتجد هناك بعض المشايخ جالس وفي يده مسبحة طويلة ويذكر بأنه وحده ربما هو الذي يعرف اسم الله الأعظم ، وأن هناك أسماء إذا دعا بها الغائب جاء إليه وإذا أراد الرجل شيء من المال أو الكنز أو من زوجة أو ما إلى ذلك ، مما يشعر العامة فيهم بلون من ألوان التقديس وزيادة التعظيم الذي لا يليق إلا بالله ﷻ.

فأسماء الله الحسنى معانيها علمنا إياها لنا نبينا ﷺ وفهمها الصحابة من النبي ﷺ وأدركها التابعون من الصحابة وتتابع علماء أهل السنة والجماعة على فهمهم كما فهم صحابة النبي الكريم ﷺ ومن تبعهم بإحسان ؛ فكون الإنسان يفترى بعد ذلك على الله ﷻ ويدخل على الدين ما ليس منه ويزعم أنه وصل إلى مرتبة عليا يستطيع من خلالها أن يحصل على ما لم يحصل عليه السابقين وأن يعرف ما لم يعرفه غيره ؛ فهذا - في الحقيقة - ضرب من الخيال ومن الباطل أرادوا به أن يجذبوا بعض الناس من البسطاء والسذج ؛ لكي يأكلوا أموالهم بالباطل.

فالزعم بأن لأسماء الله الحسنى أسراراً خفيه لا يعلمها إلا بعض الناس فقط ويأتي إليهم غيرهم كي يطلبوها منهم أو يقضون لهم الحاجات من خلال ما يذكرونها من هذه الأسماء ؛ فهذا كله ليس له أساس من الصحة ، وعلى العلماء وعلى طلبة العلم أن يحذروا من هذا الصنف من الناس وأن يبينوا ضلالهم وأن

يذكروا للأمة كلها أن ما هم عليهم ليس عليه دليل لا من القرآن الكريم ولا من ولا من السنة النبوية المطهرة، وهؤلاء في الحقيقة كثيرون ويشتهرون في كثير من البلاد المسلمين اليوم خاصة حول المقامات أو ما يعرف بالمزارات والمشاهد والأضرحة والقباب والقبور وما إلى ذلك؛ حيث يدعى غير الله ﷻ وهذه أمور كلها باطلة يجب على المسلمين أن يفقهوها وأن يحذروا منها حتى يعملوا أن الدين الحق هو ما جاء من عنده ﷻ وحده دون سواه.

### ب. التشبه بصفات الله ﷻ:

من الفوائد المزعومة التي ذهب إليها هؤلاء هو ما أطلق عليه: المطالبة بالتشبه بصفات الله ﷻ:

يزعم أيضاً بعض الناس أن من فوائد معرفة صفات الباري هو أن تشبهه بأخلاق الله أو أن تتخلق بأخلاق الله، وهذه العبارة في الحقيقة مأخوذ من قول الفلاسفة: "الفلسفة التشبه بالله على قدر الطاقة".

### وهذا المنحى الذي سلكوه غير سديد لأمر:

**الأول:** أن صفات الله ﷻ لا يجوز أن يقال فيها أخلاق الله؛ بل الأخلاق للإنسان، أما فيما يتعلق بالله ﷻ فيقال: "صفات الله" ولا يقال: "أخلاق الله"؛ لأن الله له صفات.

**الثاني:** أن الفلاسفة الذين أخذ منهم هذا الكلام هم في الحقيقة متناقضون؛ فتحقيق مذاهبهم في الصفات هي نفيها عن الله ﷻ فالفلاسفة لا يؤمنون بصفات

الله سبحانه ؛ فكيف يدعونه بعد ذلك ، وكيف يطلبون بعد ذلك التشبه بصفات الله وهم ينفونها عن الله وَعَلَيْكُمْ.

**الثالث:** على فرض أن من قال هذه المقالة يثبت صفات الله وَعَلَيْكُمْ فإن من صفاته ما جاءت النصوص مانعة من إطلاقها على العباد ؛ فقد نهانا الحق عن الاتصاف مثلاً بالعظمة ؛ فالله وحده هو العظيم ، وبالتالي لا نقول بأننا نتخلق بأخلاق الله.

**والصواب:** أن نقول: علينا أن نتخلق بالأخلاق التي أمرنا الله وَعَلَيْكُمْ به وأمرنا به رسوله وَعَلَيْكُمْ ونبتعد عن الأخلاق التي ينهانا عن التخلق بها. فالله أمرنا أن نتخلق بصفة الرحمة والصدق والعلم... أما أن نقول: نتخلق بأخلاق الله أو نتشبه بصفات الله وَعَلَيْكُمْ ؛ فهذا أيضاً لا يليق أن يطلقه العبد على نفسه، وحاش لله أن يكون شبيه للعبد.

## تعداد أسماء الله الحسنى، وامراد بإحصائها

## عناصر الدرس

- العنصر الأول : وجوب الإيـان بأسماء الله وصفاته، وعدم الإلحاد فيها ١٧٧
- العنصر الثاني : الكلام على حديث: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً)) ١٨٨
- العنصر الثالث : تعداد الأسماء الحسنى ١٩٧



#### وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته ، وعدم الإحاد فيها

١. الأمور التي يتضمنها الإيمان بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى :

أ. إثباتها كما جاءت في القرآن الكريم ، والسنة النبوية :

فالسلف الصالح يثبتون لله ﷻ ما أثبتته الله لنفسه من صفات ، أو أثبتته له رسوله ﷺ وينفون عنه ما نفاه الله ﷻ عنه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ وفي ذلك يقول الإمام أبو إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الأنصاري - رحمه الله - : " أصحاب الحديث يعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله " ، يعني هذا هو الطريق لمعرفة الله ﷻ أن يعرفوا صفات الله ، وبالتالي إذا أثبتوا الصفات ، أثبتوا الأسماء لله ﷻ التي اشتقت من صفاته ، وهذه الأسماء والصفات أخذوها من كتاب الله ﷻ أو كما ذكر أو شهد له بها رسول الله ﷺ على ما وردت الأخبار به ، ونقلته العدول الثقات ، ويثبتون له ﷻ منها ما أثبتته لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ .

ويقول أيضاً الإمام الشافعي - رحمه الله - ناصباً على هذا الأصل مؤكداً له ألا وهو إثبات الأسماء الحسنى ، والصفات العلى كما جاءت في القرآن والسنة ، يقول : " لله أسماء وصفات جاء بها كتابه ، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته ، لا يسع أحد من خلق الله قامت عليه الحجة ردها " ، إلى أن قال : " نحو إخبار الله ﷻ إيانا أنه سميع بصير ، وأن له يدين ، لقوله ﷻ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] وأن له يميناً لقوله ﷻ : ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧] وأن له وجهاً لقوله ﷻ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [الفصص: ٨٨] وهكذا سلف هذه الأمة

كلهم على هذا الأصل وهو: إثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه، وهذا يدخل من الإيمان بأسماء الله الحسنى، وصفات الله العلى.

ويدل على صحة هذا الأصل - الإثبات كما جاء من عند الله سبحانه - عدة أمور:

**الأول:** أن أسماء الله ﷻ وصفات الله غيب، لا تعرف إلا من قبل الوحي الصادق، وقد أثنى الرب ﷻ على عباده المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب فقال: ﴿الْمَرْءُ الَّذِي يَتَّبِعْهُ الرَّبُّ لَارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿١﴾﴾ [البقرة: ١-٣]، فذكر أول صفة يتصف بها هؤلاء الذين أشار إليهم، ووصفهم بالمتقين بأنهم يؤمنون بالغيب.

**الثاني:** أن رد ما أثبتته الله لنفسه أو رد ما أثبتته النبي ﷺ أيضاً لربه تكذيب لله ولرسوله، وكيف يدعي مدع الإسلام والإيمان وهو يرد على الله خبره فيما أعلمنا به من أسمائه وصفاته؟! وكيف يدعي مدع أنه مصدق بما جاء من عند الله وهو ينفي عن الله ﷻ ما أثبتته لنفسه من أسماء حسنى وصفات على؟!.

**الثالث:** النصوص الآمرة بالإيمان بالأسماء الله وصفاته؛ حيث أن الناظر في كتاب الله ﷻ المطالع فيه يجد كثيراً من النصوص التي تتحدث عن أسماء الله الحسنى، وصفات الله العلى، ولا تقف عند حد الإخبار بهذه الأسماء والصفات، ولكنها تأمر بالإيمان بها، وتلزم به؛ أفىكون مسلماً بعد ذلك من يرد على الله أمره؟! فقد قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، والنصوص الآمرة بأسماء الله وصفاته كثيرة، فأمرنا ربنا ﷻ أن نعلم أن الله بصير بأعمالنا، وأن نعلم أن ربنا سميع عليم، غفور رحيم، غني حميد، عزيز حكيم؛ قال ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا



## العقيدة خاص [٢]

### الدروس الثامن

﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٤]،  
وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وهكذا فإن الناظر في كتاب الله أو في سنة النبي ﷺ يجد الآيات الدالة على إثبات أسماء الله الحسنى، وصفاته كثيرة، ويلزم الذين لا يثبتون الأسماء والصفات يلزمهم ونقول لهم: إنكم بذلك رددتم على الله ﷻ أمره، ولم تسلموا للنبي ﷺ فيما أخبر به، وهذا أمر لا يجوز في شريعة الإسلام؛ لأننا مأمورون باتباع النبي ﷺ وما جاء به من عند الله ﷻ.

### ب. إثبات دلالاتها ومعانيها:

فبعد أن ذكرت أنه يجب إثبات الصفات والأسماء الحسنى كما جاءت، كذلك يجب إثبات دلالة الاسم، ومعناه، وما دل عليه، وكذلك فهم الصفة، ومعرفة معناها، والآثار المترتبة عليها، وما تدل عليه، وهذا قول أهل السنة والجماعة.

### اعتقاد أهل السنة والجماعة في إثبات دلالات الصفات والأسماء ومعانيها، كما يلي:

أن الله ﷻ حينما أمرهم بأسمائه وصفاته بين لهم أن هذه الأسماء دالة على معانٍ في غاية الكمال، فهي - كما ذكرت سابقاً - عن أسماء الله الحسنى أنها أعلام وأوصاف، وليست كالأعلام الجامدة التي لم توضع باعتبار معناها كما يزعم المعتزلة.

ومن ذلك أيضاً: احترام معاني تلك الأسماء، وحفظ ما لها من حرمة في هذا الجانب، وعدم التعرض لتلك المعاني بالتحريف والتعطيل كما هو شأن أهل

الكلام ، ولذلك أقول: بأن إثبات دلالة الصفات ومعانيها وما تدل عليه هو قول ومنهج أهل السنة والجماعة ، فهم يؤمنون بأسماء الله وصفاته ، وبما دلت عليه من المعاني والأحكام ، ولكنهم فقط يفوضون في الكيفية ، فهم لا يعرفون كيفية الاسم ، أو كيفية الصفة ، وإنما يفوضون في ذلك علمها إلى الله -تعالى- والسلف الصالح برآء مما اتهمهم به المعطلة الذين زعموا أن السلف يؤمنون بألفاظ نصوص الأسماء والصفات ويفوضون معانيها ، وهذا في الحقيقة جهل على السلف ، فهم كانوا أعظم الناس فهماً وتدبراً لآيات الكتاب ، وأحاديث النبي ﷺ خاصة فيما يتعلق بمعرفة الله -تعالى- فكانوا يدرون معاني ما يقرءون ويحملون من العلم ، ولكنهم لم يكونوا يتكلفون الفهم للغيب ، فهم كانوا يعرفون ما يقرءون ويتدبرونه ، ويفقهونه ، ولكنهم لم يخوضوا في كفياته ، أعني في كفيات الاسم والصفة ، كما هو حال أهل الكلام والبدع ، ومن تدبر كلام أئمة السلف المشاهير ، في هذا الباب ، علم أنهم كانوا أدق الناس نظراً ، وأعلم الناس فهماً ، في مسائل الدين بصورة عامة ، وفيما يتعلق بأسماء الله الحسنى ، وصفات الله العلى ، بصورة خاصة ، وأن الذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة ، ومن له اطلاع على أقوال السلف المدونة في كتب العقيدة والتفسير ، والحديث ، عند الحديث عن نصوص الصفات ، يعلم أن السلف -رحمهم الله تعالى- تكلموا في معاني الصفات ، وبينوها ولم يسكتوا عنها ، وهذه الأقوال هي أكبر شاهد على فهم السلف لمعاني صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى ، وما دلت عليه هذه الأسماء.

**الشاهد:** أن أهل السنة والجماعة يعرفون ربهم بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ويشبثون لله ﷻ الأسماء كما وردت ، والصفات كذلك ، ويفهمون معناها ، وما

تدل عليه ، أما الكيفية فهم يفوضون علم ذلك إلى الله ﷻ وهم بذلك يخالفون أهل الكلام الذين لم يفقهوا هذه النصوص ، وبالتالي إما أنهم ردوها ، وتأولوها ، أو أنهم قالوا بأننا نفوض في معناها ، وهذا باطل ، ولعله يأتي لذلك مزيد بيان فيما بعد - إن شاء الله تعالى - حينما نتناول موقف الناس من أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى ، وسأعرض - إن شاء الله تعالى - عن موقف المفوضة ؛ لأن هؤلاء قد ينطلي أمرهم على بعض الناس ، حينما يقولون نحن نؤمن بالأسماء والصفات ونفوض أمرها إلى الله ، ويعنون بالتفويض هنا تفويض المعنى ، وهذا باطل ، فالتفويض يقع في الكيفية ولا يقع في المعنى .

### ٢. النهي عن الإلحاد في أسماء الله تعالى ، وصفاته :

ويشتمل على النقاط التالية :

#### أ. تعريف الإلحاد :

حذرنا الله ﷻ من الإلحاد في كتابه ؛ قال ﷻ : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ولذلك أقول : الإلحاد في أسماء الله ﷻ معناه : هو العدول بها ، وبحقائقها ، ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهذه عبارة جميلة في الغاية ، وهي تبين شيئاً من أنواع الإلحاد في أسماء الله سبحانه التي سيأتي ذكرها بعد ، فالإلحاد هو العدول بالاسم والصفة وبحقائقها ، ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل - كما تدل عليه مادته - وهي "لحد" المكونة من اللام والحاء والداد ، ومنه اللحد : وهو الشق في جانب القبر ، الذي قد مال عن وسطه ، ومنه الملحد في الدين ، أي : المائل عن الحق إلى الباطل ، قال ابن السكيت - رحمه الله - : الملحد : المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه .

فالإلحاد في أسماء الله ﷻ وصفاته: هو الميل والانحراف والخروج والعدول عن أسماء الله ﷻ وعن حقائقها، ومعانيها.

### ب. أنواع الإلحاد في أسماء الله ﷻ:

ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أنواع الإلحاد في كتابه (بدائع الفوائد) الذي يقول فيها: "والإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع:

#### أحدها: أن يسمي العبد الأصنام بها:

كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه ﷻ إلى أسماء أوثانهم، وآلهتهم الباطلة، حينما سمو الأصنام باسم الإله الحق، فأخذوا اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وأطلقوا على الأصنام -الحجارة التي عبدوها من دون الله سبحانه أطلقوا عنها- آلهة، فكأنهم بذلك سموها بأسماء الله ﷻ وهذا من أعظم أنواع الإلحاد في أسماء الله ﷻ ولذلك فسر ابن عباس -رحمه الله- ومجاهد معنى ما كان عليه هؤلاء المشركين، فقال: "عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان".

#### الثاني: تسميته ﷻ بما لا يليق بجلاله:

أي: أن يطلق على الله ﷻ ما لا يليق بكمال الله وعظمة الله ﷻ، وقد وقع في ذلك بعض الناس، وذلك كالتصاري الذين سمو الله أبا وأطلقوا على الله ذلك،

وهذا لا يليق بجلال الله ﷻ لأنه نفى عن نفسه الولد، والذي لا يكون له ولد لا يطلق عليه بأنه أب، وكذلك تسمية الفلاسفة له موجبا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع... ونحو ذلك؛ لأنهم لا يثبتون أن الله ﷻ باشر خلق العالم بنفسه، فقالوا: بأن العالم وجد عن الله ﷻ وخرج منه كخروج شعاع الشمس من الشمس، وبالتالي يطلقون على الله بأنه موجب بذاته، أو أنه علة فاعلة بالطبع، وهكذا وذلك في الحقيقة نوع من الإلحاد في أسماء الله، وفي نفس الوقت عدم تقدير لله ﷻ وعدم معرفة بعظمته، وما هو عليه ﷻ.

### الثالث: وصفه ﷻ بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص:

وذلك لأن الله ﷻ يتصف بالكمال المطلق ﷻ فهو الكامل ﷻ وقد وقع ذلك من اليهود -عليهم لعائن الله- فقد وصفوا الله ﷻ بما لا يليق بجلاله وكماله، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقالت اليهود أيضاً -كما ذكر ربنا عنهم في كتابه-: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وكذلك ذكر اليهود أيضاً عن رب العزة والجلال ﷻ كلاماً عظيماً لا يفوه به مسلم لولا أن الله ﷻ ذكره في كتابه كي يرد على هؤلاء المجرمين، ونحن نبين فساد هؤلاء، وفساد معتقدتهم فيما نسبوه إلى رب العزة والجلال ﷻ من ذلك كما ذكرت مثلاً أنهم قالوا: بأن الله ﷻ بعدما خلق السماوات والأرض استراح كأنه تعب، فاستراح بعد خلق السماوات والأرض، ولقد رد القرآن الكريم على إفكهم وباطلهم فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [لق: ٢٣٨].

الرابع : أن ينكر شيئاً من أسماء الله الحسنى أو من صفاته ، أو من دلالاتها :

كما فعل ذلك أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم ؛ وإنما كان ذلك إلحاداً لأنه يجب الإيمان بها ، وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللاتقة بالله ﷻ فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها ، ولذلك ابن القيم -رحمه الله- وضع أيضاً في (بدائع الفوائد) هذه المسألة أكثر ، حينما قال : "ومن الإلحاد في أسمائه تعطيل الأسماء عن معانيها". والسلف كانوا يعلمون معاني الصفات والأسماء ، وما تدل عليه هذه الأسماء والصفات ؛ فمن الإلحاد إذن تعطيل الأسماء عن معانيها ، وجحد حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنها ألفاظ مجردة ، لا تتضمن صفاتٍ ولا معانٍ. فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرقيب ، ويقولون : لا حياة له ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا كلام ، ولا إرادة... وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً ، وشرعاً ، ولغةً ، وفطرةً ، وهو بلا شك يقابل إلحاد المشركين ، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله ، وجحدوها وعطلوها ، فكلاهما ملحد في أسمائه ، وكما ذكر -رحمه الله- : أنه يدخل في هذا النوع من الإلحاد أيضاً : إلحاد المشركين الذين كذبوا ببعض الأسماء ؛ كما قال ﷺ عن المشركين : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٠] ، فهؤلاء أنكروا اسم الله ﷻ الرحمن ، وقد قال ابن كثير في تفسيره الآية : "أي : لا نعرف الرحمن وكانوا ينكرون أن يسمى الله ﷻ باسمه الرحمن ، كما أنكروا ذلك في يوم الحديبية لما قال النبي ﷺ للكاتب : ((اكتب بسم الله الرحمن)) فاعترضوا عليه ، وقالوا له : اكتب باسمك اللهم ، فإننا لا نعرف الرحمن.

إذا تعطيل أسماء الله ﷻ عن معانيها، وعدم معرفة ما تدل عليه من حقائق، ودلالات، هو في الحقيقة نوع أيضاً من أنواع الإلحاد في أسماء الله الحسنى، وصفات الله العلى، وهو كما ذكرت يقابل إلحاد المشركين الذين اشتقوا من أسماء الإله الحق أسماء لآلهتهم الباطلة، وكذلك إنكار شيء من أسماء الله الحسنى كما فعل ووقع المشركون في ذلك، أيضاً لون من ألوان الإلحاد.

### الخامس: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين:

إن من الإلحاد تشبيه الله ﷻ وتمثيله بخلقه، كأن يقول المثبت مثلاً: الله سمع كسمع المخلوق، أو بصر كبصر المخلوق، أو يد كيد المخلوق، وقد وقع هذا من أهل التشبيه والتجسيم، وهذا لون من ألوان الإلحاد؛ لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها، وقد ذكر ذلك الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-.

وفي هذا أيضاً يقول الإمام ابن القيم: "ومن الإلحاد في أسمائه: تشبيه صفاته بصفات خلقه -تعالى الله عما يقوله المشبهون علواً كبيراً- فهذا الإلحاد في مقابل الإلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله، وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله أتباع رسوله ﷺ والورثة القائمين بسنته من ذلك كله -يعني أتباعه- فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً، ولا معنى، بل أثبتوا له ﷻ الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم برياً من التشبيه"، يعني: إثبات بعيد كل البعد

منزه عن تشبيه الخالق بالمخلوق، "وتنزيههم لله ﷻ خلياً من التعطيل"، يعني: هم نزهوا الله ﷻ ولم يقعوا في تأويل أو تعطيل أو رد للنصوص، فهم كما ذكر عنهم ابن القيم: "كان إثباتهم برياً من التشبيه، وتنزيههم خلياً من التعطيل، لا كمن شبهه، حتى كأنه يعبد صنماً". فالذي يشبه الخالق بالمخلوق كأنه يعبد صنماً؛ لأن الخالق ليس كالمخلوق ﷻ، ليس كمثلته شيء - ومن عطل كأنه يعبد عدماً، فالذي يعطل حقائق الأسماء والصفات، ولا يثبتها لله ﷻ فهو في الحقيقة يصف الله بالعدم، فإذا قال: أنا أعبد الله سبحانه. في هذه الحالة نقول له: أنت لا تعبد الله لأنك لم تصفه بأسمائه وصفاته، وإنما تعبد العدم.

وأهل السنة - رحمهم الله تعالى - وسطٌ بين هذه الأقوال، وبين المخالفين فيها لأهل السنة والجماعة، فلم يعطلوا حقائق الأسماء، ولم يلحدوا في أسماء الله الحسنى، أو صفات الله ﷻ العلى، ولم يقعوا في شيء من ذلك بحال من الأحوال، حيث أنهم قد حفظهم الله ﷻ.

### ج. موقف أهل السنة من الإلحاد:

هذا الإلحاد وقع من الطوائف التي سبق أن ذكرتها كالمشركين، وكالذي وقع من النصارى، وكالذي وقع من المعطلة المحرفين لأسماء الله الحسنى، وصفات الله العلى المؤولة، وكالذين شبهوا الله ﷻ بخلقه، أو وصفوه ﷻ بما يليق بجلاله، وكماله، هذا كله باطل، أهل السنة والجماعة لهم موقف يختلف عن هؤلاء جميعاً؛ حيث أن الله ﷻ حفظ أهل السنة والجماعة؛ فلم يقعوا في أي لون من ألوان الإلحاد في أسماء الله، وفازوا بمنقبة عظيمة، وهي التسليم لما جاء عن الله،



واتباع سنة النبي ﷺ وما كان عليه السلف الصالح، هذه في الحقيقة منقبة تحمد لأهل السنة والجماعة، ولم يكتفوا بذلك، يعني: هم سلموا لما جاء عن الله، وعن رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يكتفوا بهذا، بل حذروا من الإلحاد، وبينوا فساده، والذي يتأمل ما قاله ابن القيم -رحمه الله- في نونيته يلمس ذلك عن أهل السنة بوضوح، فأهل السنة والجماعة ابتعدوا عن الإلحاد في أسماء الله الحسنى، وصفات العلى، ولم يكتفوا بذلك، بل حذروا من الإلحاد، ومن الوقوع فيه، وتمثل لنا الأبيات التي ذكرها ابن القيم -رحمه الله- في القصيدة النونية المعروفة بـ(الكافية الشافية) تبين لنا منهج أهل السنة في ذلك حيث يقول - رحمه الله -:

أسماءه أوصاف مدح كلها ❖ مشتقة قد حملت لمعان  
إياك والإلحاد فيها إنه ❖ كفر معاذ الله من كفران  
وحقيقة الإلحاد فيها المليل بال ❖ إشراك والتعطيل والنكران

هذه أصول الملاحدة الذين ألدوا في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ويتفرع منهم أنواع الإلحاد الخمسة التي ذكرتها آنفا:

المشركون لأنهم سمو ❖ بها أوثنانهم قالوا: إله ثان  
هم شبهوا المخلوق بالخلق عك ❖ س مشبه الخلاق بالإنسان  
وكذاك أهل الإلحاد فإنهم ❖ إخوانهم من أقرب الإخوان  
والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ❖ ينفي حقائقها بلا برهان  
هذا هو ثالثهم فنأفيا ونا ❖ في ما تدل عليه بالبهتان  
ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقر ❖ بخالقي أبداً ولا رحمن

وبعدما ذكر هذه الأنواع من الإلحاد، حذر منها قائلاً:

هذا هو الإلحاد فاحذره لعل ❖ الله أن ينجيك من نيران  
وتفوز بالزلفى لديه وجنة ❖ المأوى من الغفران والرضوان  
لا توحشك غربة بين الورى ❖ فالناس كالأموات في الحسبان  
يعني: لا تغتر ولا تستوحش بكثرة الذين يسلكون طرقاً مخالفة لأسماء الله  
الحسنى، وصفات الله ﷻ العلى مما يتعلق بأسماء الله ﷻ وصفاته.

إذن على العبد بعد أن عرف معاني أسماء الله الحسنى، وما تدل عليه كما ذكرت  
سابقاً، بأن لها معاني تدل عليها، وحقائق تعلم من إثباتنا لها، عليه أن يحذر من  
الوقوع في أي لون من ألوان الإلحاد في أسماء الله ﷻ.

**الكلام على حديث: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً))**

**التعليق على حديث: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة)):**

أ. سياق الحديث الوارد في ذلك، أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة <  
قال: ((لله تسعة وتسعون اسماً، مائة إلا واحدة، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة،  
وهو وتر يجب الوتر)) قد أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب الدعوات، باب:  
لله مائة اسم غير واحدة، (فتح الباري) ج-١١، ص-٢١٤، وفي رواية لمسلم عن  
أبي هريرة < عن النبي ﷺ قال: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا  
واحدة، من أحصاها دخل الجنة))، وزاد همام عن أبي هريرة < عن النبي ﷺ  
قال: ((إنه وتر يجب الوتر)) وقد أخرج هذه الرواية الإمام مسلم في (صحيحه)  
في كتاب الذكر، باب: في أسماء الله ﷻ وفضل من أحصاها.

ب. ذكر معنى الإحصاء الوارد في الحديث ؛ لأن النبي ﷺ قال : ((من أحصاها دخل الجنة)) فما المراد بالإحصاء؟ أو ما معنى : من أحصاها؟  
قد ذكر الخطابي - رحمه الله - أربعة أوجه حول معاني من أحصاها :

**المعنى الأول :** العد كما في قوله ﷺ : ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن : ٢٨] فيكون معنى أحصاها في الحديث أنه يعدها ليستوفيها حفظاً فيدعوا ربه بها ، وقد استدل على صحة هذا التأويل بما ورد في رواية سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة < قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة غير واحد ، من حفظها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر)).

قال الخطابي عند هذا الوجه : وهو أظهرها ، وقال النووي - رحمه الله - : قال البخاري ، وغيره من المحققين ، معناها : حفظها ، وهو الأظهر لثبوته نصاً في الخبر وهو قول الأكثرين ، وقال ابن الجوزي لما ثبت في بعض طرق الحديث من حفظها بدل من أحصاها : اخترنا أن المراد العد ، أي : من عدّها ليستوفيها حفظاً .

ولعله من المناسب أن أذكر أن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - اعترض على هذا الوجه وقال : وفيه نظر ؛ لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ من حفظها تعيين السرد عن ظهر قلب ، بل يحتمل الحفظ المعنوي .

**المعنى الثاني :** الطاقة ، كما في قوله ﷺ : ﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ ﴾ [المزمل : ٢٠] أي : لن تطيقوه ، وكقول النبي ﷺ في الحديث : ((استقيموا ، ولن تحصوا)) أي : لن تطيقوا كل الاستقامة ، وإن كان هذا الحديث ضعفه بعض العلماء لوجود انقطاع فيه ، إلا أن الشيخ الألباني - رحمه الله - حسنه ، فيكون معنى أحصاها في الحديث أي : يطيقها بحسن المراعاة لها ، والمحافظة على حدودها في معاملة

الرب ﷻ بها، وذلك مثل أن يقول: يا رحمن يا رحيم، فيخطر بقلبه الرحمة، ويعتقدها صفة لله ﷻ فيرجو رحمته ولا ييأس من مغفرته، كقوله ﷻ: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فإذا قال القائل أيضاً: السميع البصير، علم أن الله لا يخفى عليه خافية، وأنه برأى من الله ومسمع، فيخافه في سره وعلنه، ويراقبه في كافة أحواله؛ ولذلك قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - " قيل: معنى أحصاها: عمل بها، فإذا قال: الحكيم مثلاً، سلم جميع أوامره؛ لأن جميعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال: القدوس، استحضر كونه منزهاً عن جميع النقائص، قال الحافظ: وهذا اختيار أبي الوفاء بن عقيل - رحمه الله - وقال ابن بطال: "طريق العمل بها: أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم، فإن الله يحب أن يرى حلاها على عبده، فليمرن نفسه على أن يصح له الاتصاف بها". يعني: أن يعرف معاني هذه الأسماء وما تدل عليه، ويعبد الله ﷻ بها فيكون بذلك قائماً بحدودها مطيقاً لها، وقد ذكر كما ذكرت بعض العلماء كلاماً حول هذا المعنى، كما ذكر الحافظ وكما ذكر أبو نعيم الأصبهاني - رحمه الله - حينما قال: الإحصاء المذكور في الحديث، ليس هو التعداد، وإنما هو العمل، والتعقل، بمعاني الأسماء، والإيمان بها، فيصبح ليس المراد العد مجرد تعداد فقط، وإنما الإطاقة، والعمل، والتعقل، والقيام بأحكام هذه الأسماء.

**المعنى الثالث:** أن يكون الإحصاء بمعنى: العقل، والمعرفة، وهذا المعنى مأخوذ من الحصاة وهي: العقل، قال طرفه:

وإن لسان المرء ما لم تكن له ❖ حصاة على عوراته لدليل

فيكون الإحصاء هنا بمعنى العقل والمعرفة، والعرب تقول: فلان ذو حصة أي: ذو عقل ومعرفة بالأمر، فيكون معنى أحصاها أي: من عرفها وعقل معانيها يعني: فهمها وآمن بها دخل الجنة، وحول هذا المعنى يذكر أبو عمرو الطلمنكي - رحمه الله - يقول: من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته، التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله ﷺ: المعرفة بالأسماء والصفات، وما تتضمن من الفوائد، وتدل عليه من الحقائق، ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالماً لمعاني الأسماء، ولا مستفيداً بذكرها وما تدل عليه من المعاني.

وهذا المعنى الثالث من الممكن أن يدخل تحت المعنى الثاني؛ لأن من عرف معاني هذه الأسماء والصفات، وما تضمنته من فوائد، وما دلت عليه من حقائق، لا شك أنه إذا قام ذلك بقلبه، قام بهذه المعاني عملاً بها، فيكون بذلك قد تحقق فيه المعرفة والفهم لأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى ويكون بذلك قائماً بأوامر الله ﷻ عاملاً بمقتضى هذه الأسماء، وما تدل عليه.

**المعنى الرابع:** أن يكون معنى الحديث: أن يقرأ القرآن حتى يختمه، يقرأ القرآن حتى يختم القرآن، فيستوفي هذه الأسماء كلها في أضعاف التلاوة؛ فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه؛ فقد استحق دخول الجنة، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: وقيل: المراد بالحفظ: حفظ القرآن لكونه مستوفياً لها، فمن تلاه دعا بما فيه من الأسماء حصل المقصود، وقال النووي: - رحمه الله - هذا ضعيف، وقيل: المراد من تتبعها من القرآن.

هذه هي معاني الإحصاء التي ذكرها الخطابي - رحمه الله - وتناول بالجمع هذه الأقوال الأستاذ الدكتور محمد خليفة التميمي في كتابه (معتقد أهل السنة

والجماعة في أسماء الله الحسنى) بعد هذه المعاني وذكر - رحمه الله - : ما هو الحق والصواب إذا في معاني الإحصاء؟ وهل هذه المعاني الأربعة متداخلة؟ ولكي يكون الإنسان نائلاً ثواب الله ﷻ بدخول الجنة إذا أحصى أسماء الله الحسنى، هل يأتي بجميع هذه المعاني أو أن يكفي بشيء منها؟ قال الدكتور التميمي - رحمه الله - :

والحق والصواب : أن الإحصاء شامل لهذه الأمور جميعها ؛ فلا بد من الجمع بين الإحصاء النظري المتمثل : في العلم بها وحفظها وحفظ النصوص الدالة عليها، والإحصاء الفقهي المتمثل : في فهم معانيها ومدلولاتها والإيمان بآثارها، والإحصاء العملي : الذي هو العمل بمقتضاها ودعاء الله بها.

قال ابن بطال - رحمه الله - : الإحصاء يقع بالقول، ويقع بالعمل، فالذي بالعمل : أن لله أسماء يختص بها : كالأحد، والقدير، فيجب الإقرار بها، والخضوع عندها، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها كالكريم، والعفو، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها، ليؤدي حق العمل بها، فبهذا يحصل الإحصاء العملي ؛ وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها، وحفظها، والسؤال بها، ولو شارك المؤمن غيره في العد، والحفظ، فإن المؤمن يمتاز عنه بالإيمان، والعمل بها؛ وهذا كلام في الحقيقة في غاية من الجودة، ذكره الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ونقله عنه كما ذكرت الدكتور التميمي في كتابه القيم (معتقد أهل السنة والجماعة)، وبذلك أنه يحسن بنا أن نأتي بجميع المعاني التي ذكرت في معنى "من أحصاها"، وذلك لمن أراد أن يفوز بهذه المنقبة العظيمة التي وعد بها النبي ﷺ : من أحصاها بأن له الجنة، وهي في الحقيقة مسألة مهمة يجب أن يحرص عليها كل مسلم يرجو وجه الله ﷻ.

## العقيدة خاص [٢]

الدروس الثامن

ج. مراتب إحصاء أسماء الله الحسنى :

هذه المراتب ثلاثة :

١. المرتبة الأولى : إحصاء ألفاظها وعدّها أي : حفظها.

٢. المرتبة الثانية : فهم معانيها ومدلولها.

٣. المرتبة الثالثة : دعاؤه بها كما قال ﷺ : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ

فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هذه المراتب هي في الحقيقة تحقيق لمعاني أسماء الله الحسنى حتى يدركها العبد، ويعمل بها، والدعاء الذي ذكرته في المرتبة الثالثة، هنا له مرتبتان :

إحداهما : دعاء ثناء وعبادة.

والثاني : دعاء مسألة وطلب.

فلا يثنى على الله ﷻ إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل ﷻ إلا بها، فلا يقال مثلاً: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات : اغفر لي وارحمني، لأن: الموجود، والشيء، والذات، ليست من أسماء الله الحسنى، وإن كنا نخبّر عن الله ﷻ وعن وجوده بقولنا: موجود - وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك - ويستحب للإنسان أن يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، كأن يقول مثلاً: يا غفور اغفر لي، أو يا رحيم ارحمني، أو يا تواب تب علي، فيكون السائل متوسلاً إليه ﷻ بذلك الاسم.

ومن تأمل أدعية الرسل - عليهم السلام - ولا سيما خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ وجد ذلك صحيحاً - كما ذكرت - فهذه مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطر السعادة، ومدار النجاح والفلاح، وهذا الإحصاء لا

يتحقق على الوجه الصحيح حتى يكون الإنسان متبعاً لعقيدة أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بما دلت عليه أسماء الله الحسنى، وصفات الله العلى من المعاني، وبما يترتب عليها من مقتضيات وأحكام، بخلاف أهل الباطل الذين أنكروا ذلك، وعطلوه كلياً أو جزئياً، ولذلك يستحسن أن أذكر بأنه لا بد من مراعاة الأمور التالية عند ذكرنا لوجوب الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومراتبها هذه الأمور هي:

**أولاً:** الإيمان بجميع أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة.

**ثانياً:** الإيمان بما دل عليه كل اسم منها من المعنى، واحترام ذلك المعنى، وعدم تحريفه.

**ثالثاً:** الإيمان بما يتعلق به من الآثار، والحكم وغير ذلك.

وأضرب مثلاً على هذا يتضح به الكلام، فأقول مثلاً: اسم الله السميع، اسم من أسماء الله الحسنى وردت به النصوص، فلا بد للإيمان به وتحقيق إحصائه على الوجه المطلوب من: إثبات اسم الله السميع اسماً لله ﷻ وإثبات ما دل عليه من المعنى الذي نسميه: الصفة، فالله ﷻ متصف بصفة السمع؛ إثبات الحكم، أي: الفعل وهو أن الله ﷻ يسمع السر والنجوى.

**د. ثمرات إحصاء أسماء الله الحسنى:**

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن القيم -رحمه الله- في كتابه (مدارج السالكين) شيئاً حول ذلك -رحمه الله- ومما قال: "وكل اسم من أسمائه -سبحانه- له صفة خاصة، فإن أسمائه أوصاف مدح وكمال، وكل صفة لها مقتضى وفعل إما



لازم، وإما متعدّدٌ؛ ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه، وهذا في خلقه، وأمره، وثوابه، وعقابه، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى، وموجباتها، ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيل الأفعال عن المفعولات، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله، وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته، وإذا كانت أوصافه ﷺ صفات كمال، وأفعاله حكماً ومصالح، وأسمائه حسنى؛ ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه؛ ولذلك ينكر ﷺ ينكر على من عطله عن أمره ونهيه، وثوابه وعقابه، وأنه بذلك نسبه إلى ما لا يليق به، وإلى ما يتنزه عنه، وأن ذلك حكم سيئ ممن حكم به عليه، وأن من نسبه إلى ذلك فما قدره حق قدره، ولا عظمه حق تعظيمه؛ ولذلك قال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهكذا استمر الإمام العالم الجليل ابن القيم -رحمه الله- في ذكر كثير من ثمرات إحصاء أسماء الله الحسنى، وذكر في ذلك بعض الأمثلة فقال مثلاً: "فاسمه الحميد المجيد، يمنع ترك الإنسان سدى، مهملاً، معطلاً، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب، ولا يعاقب، وكذلك: اسمه الملك، واسمه: الحي المجيد يمنع ترك الإنسان سدى، مهملاً، معطلاً، ولا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب، ولا يعاقب، وكذلك: اسمه الحكيم يأبى ذلك؛ وذكر كلاماً جميلاً -رحمه الله- حول هذه المعاني.

من ثمرات إحصاء أسماء الله الحسنى التي ذكرها ابن القيم - رحمه الله -:

أ. إثبات الكمال المطلق لله ﷻ ومدحه بما ثبت له منها؛ ولذلك قال أيضاً: أكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فإذا تفهم هذه الأسماء وما تدل عليه من الصفات، وثبتت كمالها المطلق لله ﷻ وتمدح ربك ﷻ بها.

ب. دعاؤه ﷻ بما ثبت له من هذه الأسماء، فإن من كان له نصيب من معرفة أسماء الله الحسنى، واستقرأ آثارها في الخلق والأمر؛ رأى الخلق والأمر منتظمين بها، أكمل انتظام، والله يحب أسماءه وصفاته، ويحب المتعبدين له بها، ويحب من يسأله ويدعوه بها، ويحب من يعرفها ويعقلها، ويشني عليه بها، ويحمده ﷻ أيضاً بها وفي الحديث الصحيح: ((لا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك أتني على نفسه))، ولحبه سبحانه لأسمائه وصفاته، أمر عباده بموجبها، ومقتضاها، فأمرهم بالعدل، والإحسان، وأن يقوموا بدعائه ﷻ بأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى ﷻ.

ج. أن أعرف الناس بأسماء الله وصفاته هم أشد الناس حباً لله ﷻ فكل اسم من أسماء الله ﷻ أو صفة من صفات الله - سبحانه - تستدعي محبة خاصة بها، لأن أسماء الله كلها حسنى، وهي مشتقة من صفاته، وأفعاله دالة عليها، فهو ﷻ المحمود على كل ما فعل، وعلى كل ما أمر، وليس في أفعاله ﷻ عبث بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة، والمصلحة، والعدل، والفضل، والرحمة، وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء على الله ﷻ ويدعو جميع المخلوقين إلى الإقبال على الله ﷻ والأمر فيها كما ذكر النبي ﷺ: ((لا أحصي ثناء عليك كما أنت أثبتت على نفسك)). وهذا قاله أعرف الناس بالله، وأحب الخلق له ﷻ محمد بن عبد الله ﷺ.

## تعداد الأسماء الحسنى

١. الضوابط التي تحدد في ضوئها أسماء الله الحسنى :

أ. أهمية معرفة ضابط الأسماء الحسنى :

لا شك أن تحديد ضابطٍ للأسماء الحسنى يكون مستكملاً لمقومات التعريف المعلومة وهي : أن يكون جامعاً مانعاً، وهذا أمر يعد مهماً للغاية، وخاصة إذا علم أن هذا الباب قد تعددت فيه المناهج في عد الأسماء، كما سيأتي ذكر ذلك، واختلف الناس في تعيينها، فكان لا بد لنا أن نحد حذاً، وأن نضع قواعد نميز من خلالها الصواب، من تلك المناهج لنعرف الحكم الصحيح فيها، وهذه مسألة تحتاج إلى أن تعطى حقها من الاهتمام، وأن يقف الباحث عندها وقفة ليوفيها حقها من الدراسة والبحث ؛ لأن بعض الباحثين المعاصرين يغفل عن هذا الأمر ويهمله، فترى أكثرهم يسارع إلى الدخول في عد الأسماء وشرحها دون نظر في الضابط الذي اعتمده في ذلك الجمع أو العد، وهذا الصنيع يعد أمراً سلبياً ؛ لأنه يساعد على تعقيد المسألة وخفائها، ولا شك أنه يُدخل ما ليس من الأسماء فيها، كما هو واقع وحاصل اليوم ؛ ولهذا أردت أن أشير في هذه النقطة وأبين : أهمية معرفة ضابط الأسماء الحسنى، حتى نصحح هذا الوضع الذي عليه بعض الباحثين اليوم، ومن قبل، في عد أسماء الله الحسنى، وأؤكد على ضرورة معرفة ضوابط لهذه الأسماء ووضعها قبل الدخول في تعيينها، وتبرز أهمية وضع ضوابط لأسماء الله الحسنى في جانبين رئيسيين :

**الجانب الأول:** تحديد العلاقة التي تربط باب الأسماء بباب الصفات وباب الإخبار، فلا بد من معرفة نوع العلاقة بين الأبواب الثلاثة، وفهم ما بينها من عموم وخصوص، فباب الأسماء أخص من البابين الآخرين، الذي هو باب الصفات، وباب الإخبار، وبالتالي هما أوسع منه، فباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الإخبار أوسع من باب الصفات، ولتوضيح ذلك أقول: كل ما صح اسماً صح أن يدل على صفة، وضح الإخبار به، وكل ما صح صفة صح خبراً، ولكن ليس شرطاً أن يصح اسماً، فقد يصح وقد لا يصح، ولذلك كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فالله ﷻ يوصف بصفات: الكلام، والإرادة، والاستواء، ولا يشتق له منها أسماء فلا يسمى: بالمتكلم، والمريد، والمستوى، وفي المقابل هناك صفات ورد إطلاق الأسماء منها: كالعلم، والعلو، والرحمة، فمن أسمائه: العليم، والعلي، والرحيم، وهكذا.

**والشاهد:** أننا نعرف أو نضع ضوابط لأسماء الله الحسنى حتى نربط بين باب الأسماء، وبين باب الصفات.

ومما أحب أن أنبه إليه: أن باب الأسماء أخص من باب الصفات، وباب الإخبار، لأن أسماء الله ﷻ كلها حسنى، ولا يجوز للعبد أن يتطفل فيطلق على الله ﷻ ما لم يسم به نفسه؛ لأنه لا يعلم هل هذا الاسم هو الأحسن أو أنه حسن فقط؟ وقلت فيما مضى: بأن الحسنى هي جمع الأحسن لا جمع الحسن، وبالتالي يجب أن نعرف أن باب الأسماء دقيق للغاية حتى لا نطلق على الله ﷻ ما لا يليق به.

**الجانب الثاني:** الاستفادة من هذا الضابط في تعيين الأسماء الحسنى، وتحديد ما يصح، وما لا يصح، مما يورده أهل العلم في كتبهم، أو مما يشيع على السنة

الناس ، فحينما نضع ضوابط على هذه الأسماء نعد عدداً صحيحاً ، فلا نتجاوز في ذلك الصواب إلى الخطأ ، ولا ندخل في أسماء الله ﷻ ما ليس منها .

### ب. وجوب الاقتصار في تحديدها على القرآن والسنة :

يجب أن تقتصر في تحديد أسماء الله الحسنى على كتاب الله ﷻ وذلك للأسباب التالية :

أن أسماء الله ﷻ توقيفية ؛ فلا يجوز أن يسمى الحق باسم لم يسم الله به نفسه ، أو لم يجزبه الرسول ﷺ عن ربه أنه تسمى به .

وإذا كنا لا نوافق على تجاوز الكتاب والسنة في هذا الباب ، فإننا أيضاً لا نوافق من اقتصر على القرآن وحده فيه ، فإن ما جاء به الرسول ﷺ حق ، كالذي أنزل في القرآن ؛ فليس لمن اقتصر على نصوص القرآن دون الحديث حجة ، فقد جاء في الأحاديث عدة أسماء لم ترد في القرآن ، مثل : المنان ، الحنان ، الشافي ، المحسن ، وإذا كنا ندعو للاقتصار على الكتاب والسنة ، فإننا نعني بالسنة هنا : ما صح من الأحاديث عن النبي ﷺ دون الأحاديث الضعيفة ، والموضوعة ، فقد جاء في الأحاديث الضعيفة جملة من أسماء الله -تعالى- لم يصح فيها حديث مثل : الأبد ، الرشيد ، الصبور .

### ج. صحة إطلاق الاسم على الله ﷻ :

بعد أن بينت أهمية هذه الضوابط ، وذكرت وجوب الاقتصار فيها على الكتاب والسنة ؛ فلا بد أن يكون إطلاق الاسم على الله ﷻ صحيحاً ، فصحة الإطلاق شرط من الشروط التي تثبت بها أسماء الله الحسنى ، والمراد بصحة الإطلاق : هو

أن يقتضي الاسم المدح، والثناء بنفسه، بدون متعلق أو قيد، وهذا شرط دقيق لفقهاء أسماء الله الحسنى؛ فنحن إذا وقفنا وقفة تأمل عند نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن نجد الحقائق التالية:

**أولاً:** أن الله ﷻ أطلق على نفسه أسماء كالسميع والبصير، وأوصافاً كالسمع والبصر، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١١]، وقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥] فاستعملها في تصاريفها المتنوعة.

**ثانياً:** نجد أن الله ﷻ قد أطلق على نفسه أفعالاً كالصنع، والصبغة، والفعل، ونحوها قال ﷻ: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال ﷻ: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَمَنْ لَهُ عَدِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]؛ لكنه لم يصف نفسه بها، ولكن أخبر بها عن نفسه مما يدل على أنها تخالف الأول في الحكم؛ فوجب الوقوف على ما ورد.

**ثالثاً:** وصف ربنا نفسه بأفعال في سياق المدح؛ كيريد، ويشاء؛ فقال ﷻ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] إلا أنه لم يشتق له منها أسماء، فدل على أن هذا النوع مخالف للقسمين الأولين؛ فوجب رده إلى الكتاب والسنة، وذلك بالوقوف حيث أوقفنا الله ورسوله ﷺ.

**رابعاً:** وصف الله ﷻ نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب، والجزاء فقال ﷻ: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال ﷻ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِبِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ولم يشتق ربنا ﷻ

من هذه الأفعال أسماء لنفسه، فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكم خاص، فوجب الوقوف على ما ورد.

وهذه الحقائق - التي ذكرتها - قررت عند العلماء النتائج التالية:

**أولاً:** أن النصوص جاءت بثلاثة أبواب: هي باب الأسماء، وباب الصفات، وباب الإخبار.

**ثانياً:** أن باب الأسماء هو أخص تلك الأبواب، فما صح اسماً؛ صح صفة وصح خبراً، وليس العكس.

**ثالثاً:** أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فما صح صفة فليس شرطاً أن يصح اسماً، فقد يصح وقد لا يصح، مع أن الأسماء جميعها مشتقة من صفاته.

**رابعاً:** أن ما يدخل في باب الإخبار عنه - تعالى - أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته؛ فالله يخبر عنه بالاسم والصفة، وبما ليس باسم ولا صفة، كألفاظ الشيء مثلاً، والموجود، والقائم بنفسه، وغير ذلك.

٢. تعيين أسماء الله الحسنى:

أ. بيان أن أسماء الله الحسنى غير محصورة بعدد:

فأسماء الله الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد؛ لأن الله عَلِيمٌ استأثر في علم الغيب عنده منها بأشياء لم يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وحديث ابن مسعود < والذي فيه: ((أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك)) يدل

على هذا الأمر؛ ولذلك الراجح أن أسماء الله ﷻ لا تحد ولا تتدخل تحت حصر، وعدد معين؛ لأن حديث عبد الله بن مسعود > ذكر أن الأسماء ثلاثة:

**الأول:** قسم سمي الله به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته، أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه.

**الثاني:** قسم أنزل به كتابه؛ فتعرف به إلى عباده.

**الثالث:** قسم استأثر به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحد من خلقه؛ ولذلك قال: **((استأثرت به))**، أي انفردت بعلمه؛ لذلك قال الخطابي -رحمه الله- عند هذا الحديث قال: فهذا يدل على أن الله أسماء لم ينزلها في كتابه، حجبها عن خلقه، ولم يظهرها لهم، وقال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين، واستدل لذلك بهذا الحديث. ومما يستدل به أيضاً على أن أسماء الله ﷻ غير محصورة بعدد ما ثبت في (الصحيح) أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده: **((اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، ومن معافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك))** والشاهد من الحديث قوله: **((لا أحصي ثناء عليك))** ووجه ابن تيمية هذا الاستشهاد فقال: فأخبر أنه لا يحصى ثناء عليه، ولو أحصى أسماءه لأحصى صفاته كلها، فكان يحصى الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه.

ويمكن أن يستدل كذلك أيضاً بقوله ﷺ في حديث الشفاعة: **((يفتح علي - يعني: ربه، ﷻ من محامده بما لا أحسنه الآن))** وتلك المحامد هي لا شك من أسمائه الحسنى وصفات الله العلى.



أيضاً مما يستدل به على أن الأسماء لا تحصر ولا تدخل تحت عدد معين، أن الأسماء الواردة في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وإن قيل: لا تدع إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين".

وقال اليماني ابن الوزير -رحمه الله-: "وقد ثبت أن أسماء الله -تعالى- أكثر من ذلك المروي أي: التسعة والتسعون بالضرورة، فإن في كتاب الله أكثر من ذلك".

ومع هذا ذهب فريق من العلماء إلى أن أسماء الله ﷻ محصورة بعدد معين، وحددوا هذه الأعداد، وإن اختلفوا اختلافاً كثيراً في تحديد الرقم الذي يحددون به أسماء الله ﷻ كم عددها؟ نجد أن بعضهم ذكر أن أسماء الله ثلاثمائة فقط، ومنهم من قال بأن لله ﷻ ألف اسم، ومنهم من قال: هي ألف وواحد، ومنهم من قال: إن لله أربعة آلاف اسم، ومنهم من يقول في تعداد الأسماء: بأنها مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، بعدد الأنبياء -عليهم السلام- وذكر أن كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به، مع إمداد بقية الأسماء له، ومنهم من يقول: بأن أسماء الله تسعة وتسعون فقط.

**والصواب:** أن أسماء الله ﷻ لا تحصر في عدد معين، للأدلة التي سبق أن ذكرتها؛ ولذلك فإن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: "والصواب الذي عليه جمهور العلماء أن قول النبي ﷺ: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة)) معناه: أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه، دخل الجنة وليس مراد النبي ﷺ أنه ليس له إلا تسعة وتسعون".

وقد ذكر أيضاً بعض العلماء ومنهم ابن القيم -رحمه الله- كلاماً جميلاً في ذلك بعد أن ساق هذا الحديث قال: "لا ينبغي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة، أي: له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال مثلاً: لفلان مائة عبد

أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدهم للجهاد؛ فلا يعني ذلك أنه ليس له غير ذلك، وإنما هذا مما عنده، وقوله ﷺ: ((من أحصاها دخل الجنة)) يعني: من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله تعالى.

وقال بعض العلماء في ذلك أقوالاً:

**الأول:** أن المراد بأن الأسماء التي يدخل الجنة من أحصاها، أسماء معينة محددة مبثوثة في أسمائه الكثيرة، وبما أن الرسول ﷺ لم يحدد هذه الأسماء، ولم يصح عنه حديث بذلك، فإن الإنسان لا ينال هذا الثواب العظيم حتى يحفظ جميع الأسماء الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة، ليتأكد أنه جاء بالأسماء التسعة والتسعين، التي ينال العبد دخول الجنة بحفظها، في هذا يقول ابن العربي -رحمه الله-: "أخفيت هذه الأسماء المتعددة في جملة الأسماء الكلية لندعوه بجميعها فنصيب العدد الموعود به فيها".

ويرى ابن العربي -رحمه الله- أن أسماء الله التسعة والتسعين التي يدخل محصياها الجنة محبوبوة في الكتاب والسنة، كما خبئت ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وليلة القدر في رمضان، وفي ذلك يقول: "والذي أدلكم عليه أن تطلبوها في القرآن والسنة، فإنها محبوبوة فيهما كما خبئت ساعة الإجابة في اليوم -يعني في يوم الجمعة- وليلة القدر في الشهر كله، والكبائر من الذنوب رهبة لتعم العبادات اليوم بجميعه، والشهر كله، وليقع الاجتناب لجميع الذنوب، وهكذا أخفيت هذه الأسماء لندعو الله ﷻ بجميعها فنصيب العدد الموعود منها"، هذا توجيه للقائلين بأن الأسماء لا تحصر ولا تعد بعدد، وكما ذكرت أن هذا هو القول الراجح، هذا هو التوجيه الأول لحديث أبي هريرة الذي ورد صدره صحيحاً في البخاري ومسلم بـ: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً)).

**الثاني:** أن المراد بالعدد المذكور في: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً)) إحصاء تسعة وتسعين اسماً من جملة أسمائه، فكل من حفظ هذا العدد من أسمائه استحق

هذا الأجر، فهي تسعة وتسعون غير معينة، ولا محددة، ولكن يشترط أن يكون هذا الإحصاء للأسماء مما هو داخل حقيقة في أسماء الله الحسنى.

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ذكر هذين التوجيهين عند أهل العلم فقال: "الذين جمعوا أسماء الله اعتقدوا هم وغيرهم، أن الأسماء الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة، ليست شيئاً معيناً، بل من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت معينة فالاسمان اللذان يتفق معناهما، يقوم أحدهما مقام صاحبه، كالأحد، والواحد".

٣. ذكر المعتمدين على العد الوارد في حديث أبي هريرة < :

أ. ذكر بعض من اعتمد على العد الوارد في حديث أبي هريرة < :

وقد اعتمد على هذه الأسماء وبالأخص العد الوارد من طريق الوليد بن مسلم - رحمه الله - اعتمد عليه بعض المحدثين ك: الحاكم، وابن حبان، وكذلك غالب شراح الأسماء الحسنى، اعتمدوا على عد الوليد بن مسلم، وعولوا في شروحهم على ذلك العد، وأهل ذلك القسم هم ما بعد معتقد لصحة هذه الأسماء أو مقلد لمن صح، ومستأنس بمتابعة الأكثر على القبول، وفي الحقيقة أن الأسماء التي وردت من طريق الوليد بن مسلم بالذات، هي: التي اشتهرت عند الناس اليوم، وهي التي تكتب وتعلق وما إلى ذلك، واعتمد عليها كما ذكرت بعض المحدثين في ذلك ك: الحاكم، وابن حبان، وغيرهما - رحمهم الله تعالى.

ب. ذكر المعارضين على روايات الحديث، وأسباب ذلك:

والمعارضون على ذلك هم المحققون والمدققون من أهل العلم؛ اعترضوا على رواية الوليد بن مسلم، وسأذكر الأسباب التي دفعت إلى اعتراضهم، وردهم

لهذه الرواية، وقد ذهب إلى هذا القول، وإلى الاعتراض على رواية الوليد بن مسلم عامة حفاظ الحديث، وأهل المعرفة فيه، وجمع من العلماء السابقين، والمعاصرين ردوا هذه الرواية، والسند في ذلك إلى أمور:

**الأمر الأول:** وهو رأي المعارضين على العد الوارد ونقدم له؛ لأنه في الحقيقة رأي سديد، وأصحابه أهل معرفة بعلم الحديث، وكلامهم فيه هو الأقوى صناعة، والأجود عبارة؛ ولذلك أبادر بذكر رأي هؤلاء المعارضين على رواية الوليد بن مسلم - رحمه الله -.

ويرتكز اعتراض الناقدين لهذه الرواية على نقاط رئيسية ثلاثة، سأبينها فيما يلي - إن شاء الله تعالى - هذه النقاط الثلاث - التي اعترض بها الناقدون والمعارضون لرواية الوليد بن مسلم - هي كما يلي:

**قالوا:** إن التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ وإنما أشهر ما عند الناس فيها هو حديث الترمذي - رحمه الله - الذي رواه الوليد بن مسلم، وحفاظ أهل الحديث يقولون: "إن هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه، فهي مدرجة في الحديث"، ومعنى مدرجة في الحديث: يعني أنه أدخل في كلام النبي ﷺ ما ليس منه.

**قالوا:** أنه من الخطأ التعويل على هذا العد، وقصر الناس عليه؛ لأن في الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث، وذلك مثل: "المنان" هذا جاء في السنة، ولم يرد ذكر في رواية الوليد بن مسلم، فدل ذلك على أن التعويل على هذه الرواية يجعلنا نترك بعضاً مما جاء نصاً في كتاب الله، أو سنة النبي ﷺ ومثل: السبوح، والوتر، والشافي، وغيرها كثير، مما يعني أن هناك أسماء أخرى ثابتة ولكنها لم ترد في هذا الطريق الذي اشتهر من طريق الوليد بن مسلم.

**قالوا:** أن في هذا العد الذي رواه الوليد بن مسلم -رحمه الله- وذكره في الحديث أسماء لم تثبت في النصوص ، طالما أنها لم تثبت ، وليست من طريق صحيح ؛ فلا يمكن أن ندخلها في أسماء الله الحسنى.

والنقطة الأولى هي التي عليها مدار النزاع بين المعتمدين لهذا المنهج ، والناقدين له ، فعمدة الآخذين برواية الوليد بن مسلم أو غيره هو : تصحيحهم لرواية حديث الأسماء ، وعمدة الناقدين لهذا المنهج هو : ردهم لتلك الرواية ؛ لأنهم ردها وقالوا بأنها ليست بصحيحة ، ولعله يأتي زيادة بيان لذلك -إن شاء الله تعالى- .

#### ٤ . المتوسعون في ثبوت الأسماء :

##### أ . الإشارة إلى منهج هؤلاء :

توسع قوم في إطلاق الأسماء على الله ﷻ حتى أدخلوا فيها ما ليس منها ، ولم يفرق هؤلاء بين ما يصح إطلاقه ، وما لا يصح ، فأدخلوا في عددهم للأسماء ما لا يصح إطلاقه اسماً ، وإن كان له أصل في باب الصفات أو باب الإخبار ، ومن شروط صحة الاسم -كما بينا- : أن يقتضي ويتطلب صحة الإطلاق ، أي : أن يكون إطلاقه على الله ﷻ صحيحاً ، وأشارت إلى باب الصفات والأخبار في ذلك ؛ ولذلك فأن السر في خطأ هؤلاء أنهم لم يفرقوا بين باب الصفات ، وباب الأسماء ، وباب الأخبار التي جاءتنا ، ويمكن أن يطلقها العلماء على الله ﷻ إن أفادت معنى صحيحاً سالماً من النقص ، ومن الخطأ ، مفيداً الكمال لله ﷻ فباب الأخبار يتوسع فيها لا يتوسع في باب الأسماء ، وباب الأسماء أخص من الصفات والأخبار -كما ذكرت.

فقد أخبر الله ﷻ عن نفسه ﷻ: أنه كثير العفو، قابل التوب، فائق الإصباح، فائق الحب والنوى، محب المؤمنين، مبغض الكافرين، فعال لما يريد، عدو الكافرين، منعم، متفضل، مقلب القلوب... ونحو ذلك، وبعض العلماء جعل هذا من أسماء الله ﷻ ولذلك يبين ابن القيم -رحمه الله- هذه المسألة ويقول: "ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى، أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته"، وكثير ممن عد أسماء الله الحسنى، وصفات الله ﷻ العلى لم يلتزم بهذا المنهج، ولم يدرك هذا الفرق الدقيق الذي يجب أن يدركه من أراد أن يسرد أسماء الله ﷻ الحسنى لأهمية الحديث في هذا الباب، ولذلك أقول: بأن منهج هؤلاء في الحقيقة يحتاج إلى نظر.

### ب. بيان خطأ هذا المنهج، ورد العلماء عليه:

هذا المنهج هو منهج المتوسعين الذين توسعوا في ذكر أسماء الله الحسنى، وأدخلوا فيها ما ليس منها، ولم يفرقوا بين ما يصح إطلاقه على الله ﷻ وما لا يصح إطلاقه، هؤلاء لا شك أخطئوا في ذلك خطأً بيناً؛ ولذلك أذكر هنا وأشير إلى أن العلماء ردوا عليهم حينما توسعوا في ذلك، وبينوا خطأهم في هذه المسائل، ومن قال شيئاً من ذلك ابن القيم -رحمه الله- حيث حمل على هذا الفريق الذي توسع في سرد الأسماء، وانتقد صنيعهم، فقال: "إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص، لم تدخل بمطلقها في أسماء الله تعالى".

وهذا الكلام دقيق جداً؛ لأن أسماء الله ﷻ، كما أشرت -مشتقة من صفات الله ﷻ فإذا كانت الصفة تنقسم إلى كمال ونقص؛ لا نشق منها اسماً لله ﷻ هكذا بإطلاق؛ لأن كمالها فقط هو الذي يطلق على الله ﷻ.

يقول ابن القيم: "إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا ك: المرید والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو سبحانه الفاعل لما يريد، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة؛ ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخيراً"، وقال -رحمه الله- في موضع آخر: "وقد أخطأ أقبح الخطأ من اشتق له من كل فعل اسماً، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه: الماكر، والمخادع، والقاتن، والكائد".

وهذا في الحقيقة لا يليق أن يطلقه أحد على الله سبحانه ونتوسع في هذه المسألة لأهميتها، وحتى يعلم طالب العلم أنه لا يحق له ولا غيره أن يطلق على الله سبحانه ما لم يسم ربنا سبحانه به نفسه، وأن منهج المتوسعين في هذا الباب ليس بسديد:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "إن الله لم يصرف نفسه بالکید والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من جهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه الماكر والمخادع والمستهزئ؛ فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود، وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه أطلق على نفسه هذه الأفعال، فاشتق له منها أسماء، وأسماء الله سبحانه كلها حسنى، فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً، بل تمدح في مواضع، وتذم في مواضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله سبحانه مطلقاً، فلا يقال إنه سبحانه يمكر ويخادع ويستهزئ ويسمى بها، بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المرید والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، وهو سبحانه إنما يوصف بالأنواع المحمودة منها ك: الحليم والحكيم والعزيز

والفعال لما يريد؛ فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ، ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنی: الداعي، والآتي، والجائي، والذاهب، والرائد، والناسي...". إلى أن قال: "إن هذا لا يقوله مسلم"، وهذا كلام جيد في الحقيقة.

وفقه دقيق من ابن القيم -رحمه الله- في هذه المسألة العظيمة، ولذلك نقل الشيخ حافظ حكيمي -رحمه الله- كلام ابن القيم الذي تناولناه آنفاً وعقب عليه بقوله: "ومن هنا يتبين لك خطأ ما عده بعضهم، ومنهم ابن العربي المالكي في كتابه (أحكام القرآن)؛ حيث سماه بالفاعل والزارع؛ فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما؛ فلا يفيدان مدحاً، أما في سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي صفات كمال ومدح وتوحد، كما قال ﷺ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال ﷺ: ﴿أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [٦٣]، ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤] الآيات، بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها، وما سبقت له فيه، وأكبر مصيبة أن عد -وذلك ابن العربي- رحمه الله- في الأسماء-: رابع ثلاثة، وسادس خمسة، مصرحاً قبل ذلك بقوله: وفي سورة المجادلة اسمان فذكرهما، وهذا خطأ فاحش، يعني أنه -رحمه الله- استند في ذلك إلى إطلاق ذلك على الله ﷻ في كتابه، ولم يقف عند حدود، وضوابط يجب أن نفقه من خلالها ثبوت هذه الأسماء لله ﷻ ولذلك فإن المتأمل في نصوص الكتاب والسنة في هذا الشأن تتبين له عدة أمور:

**الأول:** أن الله ﷻ أطلق على نفسه أسماء كالسميع، والبصير، وأوصافاً كالسمع، والبصر، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] وقال: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]،



فاستعملها في تصاريدها المتنوعة ، مما يدل على أن مثل ذلك يجوز إطلاقه على أي صورة ، أي : تطلقه اسماً ، وثبت صفة لله ﷻ وتخبر عن الله ﷻ بأفعاله وهكذا .

**الثاني :** نجد أن الله أطلق على نفسه أفعالاً ، لكنه لم يتسم ولم يصف نفسه بها ، لكنه ﷻ أخبر بها عن نفسه ، مما يدل على أنها تخالف الأول في الحكم ، فوجب الوقوف فيها على ما ورد .

**الثالث :** أن الله ﷻ وصف نفسه بأفعال في سياق المدح كـ : يريد ، ويشاء ، فقال ﷻ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩] إلا أنه ﷻ لم يشتق له منها أسماء ، فدل على أن هذا النوع مخالف للقسمين الأولين ؛ فوجب رده إلى الكتاب والسنة ، وذلك بالوقوف حيث وقف الله ورسوله ﷺ .

**الرابع :** أن الله ﷻ وصف نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٧] وقال سبحانه : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ولم يشتق ربنا ﷻ منها أسماء لنفسه ، فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكم خاص ، فوجب الوقوف على ما ورد .

وبهذا يتبين غلط هؤلاء في اشتقاقهم له سبحانه من كل فعل أخبر عن نفسه اسماً مطلقاً ، وإدخال ذلك في أسماء الله الحسنى ، فجعلوا من أسمائه : الصانع والفاعل والمربي والماكر والمخادع والقاتن والمضل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فالله ﷻ لا يتسمى بهذه الأسماء ، ولا يجوز لنا أن نطلق ذلك على الله ﷻ وليس هذا من باب الأدب مع رب العزة والجلال ﷻ وهذا في الحقيقة يبين لنا إذن خطأ الذين توسعوا في ذكر أسماء الله الحسنى ، وذكروا أسماء لم يرد بها نص لا في الكتاب ، ولا في السنة النبوية المطهرة .

وأصحاب هذا المنهج لا بد أن يعرفوا ويفرقوا بين ما يجوز إطلاقه على الله ﷻ وما لا يجوز، ولا بد لمن يذكر شيئاً من أسماء الله الحسنى، أو صفات الله ﷻ العلى أن تكون عنده من الضوابط والقواعد التي يسير عليها مقتفياً في ذلك منهج سلف الأمة الصالحين، وهو ما أكدته مراراً...

وأدعو أيضاً إلى التفريق بين ما صح وروده خبراً في باب الأسماء والصفات والأسماء؛ فما يرد ويصح إطلاقه خبراً على الله ﷻ يمكن - إن لم يكن من أحسن الأسماء المنصوص عليها - ألا يطلق على الله ﷻ وبهذا ظهر لنا أن منهج المتوسعين ليس بسديد.

#### ٥. الحق والصواب في تعداد الأسماء:

ذكرت الطائفة التي اعتمدت على حديث التعداد، وهم بعض المحدثين - رحمهم الله تعالى - اعتمدوا على رواية الوليد بن مسلم، وغيره من بعض الطرق التي ورد فيها تعداد أسماء الله الحسنى، وبينت أنه ضعيف لم يصح سنداً ولا متناً عن النبي ﷺ وذكرت أيضاً الطائفة التي توسعت حتى أدخلت في الأسماء ما ليس منها، مما لا يليق بجلال الله ﷻ وكماله، ولا يجوز إطلاقه على الله ﷻ بحال من الأحوال.

ولهذا فإن الحق والصواب يظهر في منهج أهل السنة والجماعة، الذين اقتصروا على كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ لأن الباب خطير، وعظيم، ويتعلق بذات رب العزة والجلال ﷻ والوقوف عند حدود النص الوارد هو الأمر المتعين على كل مسلم يعرف قدر الله وجلاله ﷻ.

ومنهج أهل السنة والجماعة هو:

أ. الاقتصار على النص الوارد:

لأن الأمر كما ذكرت أكثر من مرة في أسماء الله وصفاته أنها توقيفية لا يتحداها ولا يتعداها الإنسان، لا يتعدى حدود النص الوارد في الاسم والله عظيم، والله جليل، والله كبير، وبالتالي من الخطأ نسمي الله عز وجل بما لم يسم به نفسه عز وجل فوجوب الاقتصار على كتاب الله وسنة رسول الله عز وجل من الأهمية في هذا الباب بمكان؛ لأن الذي يعلم عن نفسه هو الذي أخبرنا بذلك، ونحن بعقولنا لا نستطيع أن نعرف الصواب من الخطأ في ثبوت الأسماء الحسنى لله عز وجل ولذلك الحق والصواب في هذا الباب أذكره في خطوات كما يلي، ذكرت أولها الاقتصار ووجوب الاقتصار على كتاب الله وسنة النبي عز وجل.

ب. أنه لا يجوز أن يشتق لله عز وجل أسماء من صفاته وأفعاله:

لا يجوز لنا أن نشق لله عز وجل أسماء من صفاته، لم يرد بها الاسم من الله عز وجل وقد سبق أن الصفات قد يكون فيها كمال ونقص، ولا تطلق على الله عز وجل إلا الكمال منها، أو ما ثبت فيه الكمال لله عز وجل وبالتالي لا نشق لله عز وجل اسماً من هذه الصفات، وهذا ضابط يجب أن يعتني به كل من يتكلم في أسماء الله الحسنى، أو يحاول سرد هذه الأسماء، لا يجوز أن نشق لله عز وجل من كل صفاته أو أفعاله التي وردت في الكتاب والسنة أسماء، فلا يقال مثلاً من أسماء الله سبحانه: المطعم، أو المسقي، أو الكاتب، أو القاضي، مثلاً أخذاً من قول الله عز وجل فيما ذكره ربنا - سبحانه - عن إبراهيم # : ﴿ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ** ﴾ [الشعراء: ٧٩] ولا أقول بأن الله كاتبٌ وأسميه بذلك أخذاً من قول الله عز وجل : ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ [الأنعام: ٥٤].

كذلك لا أسمى الله قاضياً أخذاً من قول الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] كذلك أيضاً لا أسميه مؤيداً أخذاً من قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِتَصْرِيهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، أو المبتلي أخذاً من قوله ﷻ: ﴿وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] ومن هذا الباب مما لم أذكره مثلاً ما سرده بعض العلماء، وأدخلوه في أسماء الله وليس منها ك: الباعث، والباقي، والقاضي، والصبور، والعدل، والعاذل، والفتاح، وما إلى ذلك، كل هذه ليست ولا تدخل ضمن أسماء الله ﷻ الحسنى؛ ولذلك ابن القيم -رحمه الله- يقول: "لا يلزم من الإخبار عن الله ﷻ بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق، كما غلط في ذلك بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر، تعالى الله عن هذه الأقوال علواً كبيراً؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة".

وخالف هذا النهج ابن العربي -رحمه الله- حيث ذهب إلى أن المشتق يدخل في أسماء الله ﷻ وقد زعم زعماً ليس بصحيح حينما ادعى أن الصحابة والعلماء عدوا المشتق من أسماء الله ﷻ ولكنه في الحقيقة لما ذكر ذلك لم يأت بدليل يدل على صحة ما قاله.

### ج. لا يجوز أن نسمي الرب ﷻ بالأسماء المذمومة:

كالعاجز والخائن والفقير، بل هذا جرم في حق رب العزة والجلال ﷻ فلا تطلق هذه الأسماء على الله أبداً، ولا يليق بمسلم يعرف قدر الله وجلال الله وعظمة الله ﷻ أن يدخل ذلك في أسماء الله الحسنى، فهي أسماء ذم، وتشعر به، وتدل

على الذم ، فلا تطلق على من له أحسن الأسماء وأعلى الأسماء وأرفع وأعظم الأسماء ﷺ كذلك الصفات التي تشعر بالذم أيضاً لا يجوز إطلاقها على الله ﷻ فمثلاً لا يجوز أن نصف الله ﷻ بالمخادع أو الماكر أو الأسماء المنقسمة إلى كمال ونقص كالزراع أو الماهد... وما إلى ذلك.

ولهذا قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- مبيناً منهج أهل السنة في ذلك: "اتفقوا - ويعني بهذا أهل السنة والجماعة- على أنه لا يجوز أن يطلق على الله تعالى اسم أو صفة توهم نقصاً، فلا يقال ماهد ولا زارع ولا فالق، وإن جاء في القرآن: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [النريات: ٤٨] أو مثلاً: ﴿أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أمْ نَحْنُ الزَّرْعُونَ ﴿ الواقعة: ٦٤... أو ما إلى ذلك. أي: حتى لو جاء مثل ذلك لا يطلق على الله ﷻ.

**د. كل اسم لا يقبل أن يدعى الله ﷻ به فإنه ليس من أسماء الله الحسنى:**

أبين في هذه المسألة الحق والصواب بين طائفة توسعت، وطائفة قصرت، فأقول: كل اسم لا يقبل أن يدعى الله ﷻ به؛ فإنه ليس من أسمائه الحسنى؛ لأن أسماء الله ﷻ التي تسمى بها كلها حسنى، وهي تقبل أن يدعى بها ﷻ لأنه ﷻ أمرنا بدعائه بأسمائه الحسنى؛ قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فأمرنا أن ندعوه بأسمائه، فإذا كان الاسم غير قابل للدعاء به، فإنه لا يجوز أن يجعل هذا الاسم من أسمائه ﷻ وبالتالي لا يجوز أن يعد من أسمائه: الدهر، والأبد، والأمد، والبرهان، والداعي، والزارع، والرضا، والسخط، والشيء، والقاضي، والمستمع، والمملي، والمتكلم، والماهد، والثابت، والجاعل، والسريع... وما إلى ذلك.

## العقيدة خاص [٢]

العلة في هذا: أنه لا يجوز أن يدعى الله ﷻ بها؛ فلا يصح أن يقول الداعي مثلاً: يا دهر أغثنني، أو أدركني، أو اغفر لي، أو ارحمني، أو يا أمد، أو برهان، أو يا داعي... أو ما إلى ذلك.

كل هذه الأسماء التي ذكرت بعضها وغيرها كثير؛ كالقاتل، أو الفعال، أو الفاعل، أو الكاشف، أو ما إلى ذلك، لا يجوز أن تطلق على الله ﷻ ولا يجوز أن يظن أن دعاء الله ﷻ مقصور على أسمائه الحسنى دون صفاته وأفعاله، وهذه مسألة دقيقة يجب على طالب العلم أن يعرفها.

الأسماء الحسنى لكي تكون ثابتة لا بد من إطلاقها أو دعاء الله ﷻ بها، ولكن لا تقتصر في دعائنا لله سبحانه على أسمائه فقط، بل يدعى بصفاته وأفعاله فكما يدعى ﷻ بأسمائه الحسنى؛ فإنه يدعى كذلك بصفاته الحسنى وأفعاله، فيقال: يا داحي الأرض، ويا رافع السماء، ويا منزل الغيث، ويا منجي المؤمنين، ويا مهلك الظالمين، ومجير المظلومين، ومعلي شأن المجاهدين، وهذا في الحقيقة وارد كثير في سنة النبي ﷺ وجواز دعاء الله بصفاته وأفعاله لا يلغي الضابط الذي قررته هنا من أن: كل ما لا يقبل الدعاء به، فإنه ليس من أسماء الله ﷻ وهذا لا يعني أنه لا يجوز دعاء الله ﷻ بصفاته وأفعاله.

وهنا أشير إلى مجازة الزجاج للصواب -رحمه الله- فيما قرره في قوله: "الضابط: أن كل ما أذن الشرع أن يدعى به سواء كان مشتقاً أو غير مشتق؛ فهو من أسمائه، وكل ما جاز أن ينسب إليه سواء كان مما يدخله التأويل أو لا، فهو من صفاته، ويطلق عليه اسم أيضاً"، أقول: بأن الشارع الحكيم لم يقصر دعاء الله على أسمائه فحسب، ولكن كل اسم لا يدعى الله به؛ فلا يكون من أسماء الله ﷻ ولا شك أن هناك فارق بين الضابطين وواضح وبين.

أقول في توضيح هذا الضابط : أن كل اسم لا يقبل أن يدعى الله تعالى به ؛ فليس من أسمائه ، فمع هذا يجوز أن ندعو الله ﷻ بصفاته وأفعاله ، ومما يحمد لابن العربي - رحمه الله - أنه حمل حملة شديدة على الذين يخترعون أدعية يسمون الله ﷻ فيها بغير أسمائه ويذكرونه ﷻ بما لم يذكره من أفعاله ، وعد هذا في الحقيقة من الإلحاد في أسماء الله ﷻ وقد حذرنا ربنا ﷻ من أن نلحد في أسمائه فقال : ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وإن كان ابن العربي تناقض تناقضاً بيناً حينما عد من أسماء الله ﷻ ما لم يرد في الكتاب والسنة وتوسع في هذه المسألة.

### وتمة للفائدة :

لا يجوز لنا أن نخرج من أسماء الله ﷻ ما اتفق معناه ، وتغاير لفظه ، يعني : لا يجوز أن نخرج من دائرة أسماء الله الحسنى مما ورد في الكتاب والسنة ما اتفق معناه وتغاير لفظه بدعوى أنه من باب التكرار ، وذلك مثل : اسم الله الرحمن ، الرحيم ، الرحمن اسم ، والرحيم اسم ؛ فكلاهما اسمان وليس اسماً واحداً ، وكل واحد منهما يدل على معنى ؛ فهذا ليس تكراراً من أي وجه ، فالاسم الذي يرى مكرراً يفيد معنى خاصاً لا يفيد الاسم الآخر ، وإن شاركه في أصل المعنى ، وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : الأسماء المشتقة من صفة واحدة لا يمنع ذلك من عدها ، فإن فيها التغاير في الجملة ؛ فإن بعضها يزيد بخصوصية على الآخر ليست فيه " ، ونقل ابن حجر عن أبي العباس قوله : " ليست في أسماء الله شيء مترادف ؛ إذ لكل اسم خصوصية وإن اتفق بعضها مع بعض في أصل

المعنى" ، ولهذا أقول بأن هذا الأصل العظيم من أسماء الله ﷻ الحسنى التي وردت في كتاب الله ﷻ ما ورد منها متقارباً لا نعهه شيئاً واحداً، وإنما يمكن أن يحمل من التفاوت ما يفهمه ويخرجه أولوا العلم من ذلك، وهذا أمر فهمه سلف هذه الأمة، وفهمه العلماء الذين تحدثوا في أسماء الله ﷻ الحسنى.

**والشاهد:** أن الحق والصواب في تعداد أسماء الله الحسنى هو الاقتصار على كتاب الله ﷻ وأسمائه، وسنة النبي ﷺ وألا نشق لله سبحانه أسماء من صفاته وأفعاله لم يرد بها نص في الكتاب أو السنة، كما أنه لا يجوز لنا أن نطلق على الله ﷻ أسماء تشعر بدم؛ لأنه لا يليق ذلك، كذلك أيضاً الأسماء التي لا تقبل أن يدعى الله ﷻ بها ليست من أسماء الله الحسنى، وكل ما ورد بعد ذلك من أسماء ثابتة في القرآن والسنة حتى ولو تقاربت في المعنى ثبتها على ما وردت، ونعدها كما جاءت، ولا نقول بأنها اسم واحد.



## أمثلة من أسماء الله تعالى الحسنی مع شرحها

## عناصر الدرس

- العنصر الأول : الكلام حول اسمي الله تعالى: "الحي"، "القيوم" ٢٢١
- العنصر الثاني : الكلام حول أسماء الله تعالى: "الأول"، "الآخر"،  
"الظاهر"، "الباطن"، "الرحمن"، "الرحيم" ٢٢٦
- العنصر الثالث : الكلام حول أسماء الله تعالى: "الملك"، "القدوس"،  
"السلام"، "المؤمن"، "المهيمن"، "العزیز"،  
"الجبار"، "المتكبر"، "الخالق"، "البارئ"، "المصور" ٢٢٧



#### الكلام حول اسمي الله تعالى: "الحي"، "القيوم"

أمثلة من أسماء الله الحسنی، مع شرحها:

#### ١. اسم الله "الحي":

هذا الاسم من أسماء الله ﷻ، وهو يشتمل على عدة نقاط:

#### أ. معنى هذا الاسم:

هو: الموصوف بالحياة الكاملة، الأبدية، التي لا يلحقها موت، ولا فناء؛ لأنها ذاتية له ﷻ، فالحياة صفة أيضاً ذاتية لله ﷻ والله ﷻ يُسمى باسم "الحي".  
وقد ورد في القرآن الكريم ذكر شيء من أسمائه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، فهو ﷻ حياته لم يسبقها عدم، ولا تؤول أيضاً إلى عدم، وهذا معنى قولي: هو الموصوف بالحياة الكاملة، الأبدية التي لا يلحقها موت، ولا فناء، لأنها تتعلق بالله ﷻ وتضاف إليه.

#### ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية:

هذا الاسم ورد في القرآن الكريم، وفي سنة الرسول ﷺ ورد في القرآن الكريم في مواضع؛ منها قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فذكر بعدما أعلن شهادة التوحيد أول اسم من أسماء الله الحسنی هو "الحي"، وأتبعه بعد ذلك بـ"القيوم" وسيأتي الحديث عنه الآن بعد اسم الله "الحي" إن شاء الله تعالى.

## العقيدة خاص [٢]

أيضاً ذكره ربنا ﷻ في قوله: ﴿الْمَرَّ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢٢]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]، إلى غير ذلك مما ورد لله ﷻ في كتابه من ثبوت هذا الاسم.

كذلك النبي ﷺ ذكر هذا الاسم في بعض ما روي عنه، وما جاءنا من أحاديث صحيحة ثابتة عنه ﷺ ومن ذلك أنه ذكر لبعض الصحابة: ((أن اسم الله ﷻ الأعظم هو هذين الاسمين: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾))، وتعرفون أن هذين الاسمين وردا في آية عظيمة في القرآن الكريم هي "آية الكرسي".

## ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

اسم الله "الحي" يدل على جلال الله وكماله، ويدل أيضاً على ثبوت صفة الحياة له ﷻ؛ ولذلك نجد بأن الكائنات كلها خضعت لله ﷻ لأنه هو الحي - يعني: خضعت، وذلت، وخشعت الكائنات كلها لله ﷻ؛ لأنه هو الحي - كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، فلما كان هو المتصف بالحياة الكاملة، وغيره ليس كذلك، خشعت وذلت وعنت الوجوه له ﷻ، كما يدل هذا الاسم على وحدانية الله ﷻ، وإفراد الله ﷻ بالعبادة.

والتأمل في سياق الآيات التي جاء فيها ذكر هذا الاسم في كتاب الله ﷻ يدرك ذلك تماماً؛ لأنها سيقت في مجال التمدح؛ حيث يمدح ربنا ﷻ نفسه بهذا الاسم الجليل، وسيقت لبيان إفراده ﷻ بالوحدانية فأول موضع ورد فيه هذا الاسم في القرآن الكريم في "آية الكرسي"؛ افتتح ربنا ﷻ هذه الآية بقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فدل ذلك على أن هذا الاسم يثبت إفراد الله ﷻ بالعبادة والوحدانية.

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس التاسع

ومما يدل أيضاً على أن هذا الاسم يدل على وحدانية الله ﷻ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢٢]، فافتتحها ربنا ﷻ بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ٢٢]، فأعظم كلمة في الوجود هي كلمة التوحيد، ومقتضى ذلك أن نعبد وحده دون سواه، وأن نفرده ﷻ بالدعاء، ولذلك قال: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ [غافر: ٦٥]، وبعدها: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]، فطالما أنه هو الحي فهو: الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي تجب له العبادة، ولا يصرف الدعاء إلا له ﷻ؛ وإذا أضيف هذا الاسم إلى غيره أو إلى اسم الله القيوم على وجه أخص، كان كمالاً فوق كمال.

كما أن اسم الله ﷻ "الحي" مستلزم لسائر صفات الله ﷻ وهي صفات الكمال الذاتية من: العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، وغير ذلك؛ لأن الحي لا شك أنه يتصف بالعلم، ومن له حياة يتصف بالقدرة، ويتصف بالإرادة، ويسمع، ويبصر، وما إلى ذلك، فـ: "الحي" يستلزم ثبوت الحياة لله ﷻ صفة، وذلك يستلزم إثبات سائر صفات الكمال الذاتية لله ﷻ.

### ٢. اسم الله "القيوم":

هذا الاسم يأتي في القرآن الكريم مقارناً لاسم الله ﷻ "الحي":

#### أ. معنى "القيوم":

هو صيغة مبالغة من "قائم" وله معنيان:

**الأول:** أنه القائم بنفسه المستغني عن جميع خلقه فلا يفتقر إلى شيء أصلاً، لا في وجوده، ولا في بقائه، ولا فيما اتصف به ﷻ من كمال، ولا فيما يصدر عنه ﷻ من أفعال، فهو ﷻ غني حميد، قائم بنفسه، سواء كان ذلك في وجوده، أو

بقائه، أو فيما اتصف به ﷻ، يستغني عن خلقه، ولا يفتقر إلى شيء أصلاً، وغيره يفتقر إليه، ويلجأ إليه، ويحتاج إليه، بل وجود غيره لا بد من أن يكون منه ﷻ.

**الثاني:** أنه الكثير القيام بتدبير خلقه، فكل شيء في هذا الوجود مفتقر إليه فقراً ذاتياً أصلاً؛ فهو الذي يقوم بتدبيره، وبما يحتاج إليه، لا يمكن أن يستغني أحد من مخلوقات الله ﷻ لا يمكن أن يستغني عنه لحظة من اللحظات، وهو ﷻ دائم التدبير، والعناية بشئون خلقه، فهو يدبر أمورهم، ويدبر أحوالهم، ولو نظرت في الآيات الكونية المشاهدة من حولك ستجد أن الله ﷻ هو الذي يدبر أمور هذا الكون، وكل ما تحتاج إليه، فهو ﷻ دبر هذه الأرض، ودبر خلقها، كذلك دبر السماء، ودبر خلقها، وأودع فيها من الكواكب ما أودع، وهي فيها - ولا شك - فوائد للإنسان، كذلك رفع السماء بغير عمد ترونها، وهو ﷻ كما ذكر في كتابه يسير هذا الكون بقدرته وإرادته؛ لأنه قيوم يدبر أمور خلقه، ولو تأمل الإنسان في شيء يسير في السماء والأرض، ونظر إليهما، لماذا لا يصطدم بعضهما ببعض؟ لماذا لا تسقط السماء على الأرض؟ وما إلى ذلك - لوجد أن كل ذلك بتدبير الحي العليم الذي يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]، ولذلك يثبت ربنا ﷻ أن هذا الكون يسير بتدبير عجيب؛ لأنه هو ﷻ الذي يدبر أمره، ويقوم على مصالح عباده فيه.

وتأملوا قول الحق ﷻ: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلِ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (٣٧) **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** (٣٨) **وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** (٣٩) **لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** [يس: ٣٧-٤٠] **لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ**

وَلَا إِلِلَّ سَابِقُ النَّهَارِ ﴿١﴾ هذا تدبير رباني ، ولذلك يصبح من معاني "القيوم" : أنه الكثير القيام بتدبير خلقه ؛ لأن كل شيء محتاج إليه ﷻ وهو ﷻ دائم التدبير والعناية لما يحتاج إليه الخلق ، فهو الذي يدبر أمورهم ﷻ وهو الذي يقدر مصالحهم ويعتني ﷻ بأحوالهم.

ب. أدلة ورود هذا الاسم مقترناً باسم الله ﷻ "الحي" :

في المواضع التي سبق ذكرها من القرآن الكريم في سورة "البقرة" ، وفي سورة "آل عمران" ، ورد اسم الله "القيوم" مقترناً باسم الله "الحي" في "آية الكرسي" : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وفي قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢].

ج. ورود هذا الاسم مقترناً باسم الله ﷻ "الحي" يدل على معانٍ عظيمة :

ذكر بعض العلماء أن هذين الاسمين عليهما مدار الأسماء الحسنى ، ومن ذكر ذلك شارح (الطحاوية) ابن أبي العز -رحمه الله- وفي ذلك يقول : "واعلم أن هذين الاسمين المذكوران في القرآن معاً في ثلاث سور ، وهما من أعظم أسماء الله الحسنى ، حتى قيل : إنهما الاسم الأعظم ، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تتضمن وأصدقه ، ويدل "القيوم" على معنى الأزلية والأبدية ما لا يدل عليه لفظ القديم ، ويدل أيضاً على كونه موجوداً بنفسه ، وهو معنى كونه واجب الوجود ، و"القيوم" أبلغ من القيّام ؛ لأن الواو أقوى من الألف ، الواو الواردة في "القيوم" أقوى من الواو الواردة في القيّام ، ويفيد قيامه بنفسه باتفاق المفسرين ، وأهل اللغة ، وهو معلوم بالضرورة ، وهل يفيد إقامته لغيره وقيامه عليه ؟ فيه قولان ؛ أصحهما : أنه يفيد ذلك -وقد ذكرت هذا في المعنى الثاني من

معاني اسم الله ﷻ "القيوم" - دوام قيامه، وكمال قيامه، بما فيه من المبالغة فهو - سبحانه - لا يزول، ولا يأفل فإن الآفل قد زال قطعاً، أي: لا يغيب، ولا ينقص ولا يفنى، ولا يعدم، بل هو ﷻ الدائم الباقي الذي لم يزل، ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال هذا عن "القيوم".

قال: واقترانه بـ: "الحي" يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على بقائها، ودوامها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً وأبداً؛ ولهذا كان قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أعظم آية في القرآن، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ وثبت ذلك في الصحيح هو في الحقيقة فيه إثبات لهذين الاسمين: "الحي"، "القيوم".

### الكلام حول أسماء الله تعالى: "الأول"، "الآخر"، "الظاهر"، "الباطن"، "الرحمن"، "الرحيم"

#### ١. الكلام حول اسم الله "الأول، والآخر، والظاهر، والباطن":

هذه أربعة أسماء؛ لأنها جاءت متتالية في آية واحدة:

#### أ. معاني هذه الأسماء:

إذا أردنا أن نعرف معاني هذه الأسماء، فنلتمس من كلام النبي ﷺ ما يشرح ويبين معاني هذه الأسماء، ولذلك أقول: إنه ورد في السنة النبوية في كلام النبي ﷺ شرح وتفسير لمعاني هذه الأسماء، وذلك فيما أخرجه الإمام مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة < وهذا الحديث في كتاب الذكر، أن النبي ﷺ قال وهو يثني على ربه: ((اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)).



إدًا: معاني هذه الأسماء مأخوذة من قول النبي ﷺ.

أ. الأول: يعني: الذي لا شيء قبله.

ب. الآخر: الذي لا شيء بعده، يقابل الأول.

ج. الظاهر: فهو الذي فوق كل شيء فليس فوقه شيء؛ لأن الله ﷻ مستوٍ على عرشه، وعرشه فوق سمواته في أعلى عليين ﷻ فالظاهر: الذي ليس فوقه شيء.

د. الباطن: قال: الذي ليس دونه شيء.

((اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)).

وهذه الأسماء بتوضيح النبي ﷺ لها واضحة، غاية الأمر قد يستشكل بعض الناس قوله ﷺ: ((وأنت الباطن فليس دونك شيء)) ما معناه؟

نقول: بأنه كما ذكر نبينا ﷺ وهو يفيد أن الله ﷻ محيط بخلقه، فهو ﷻ على عرشه، ومحيط أيضاً بخلقه؛ لأنه إذا كان عظيماً وجليلاً، وكبيراً، والكون كله السماء والأرض وما بينهما وما فيهما هما بالضبط كحلقة ملقاة في أرض فلاة في كرسي الرحمن أو في عرش الرحمن، فما بالك بعظمة الله ﷻ الذي استوى على عرشه؟ فلا يتعارض قوله ﷺ: ((وأنت الظاهر فليس فوقك شيء)) مع قوله: ((وأنت الباطن فليس دونك شيء)).

وأما الحديث الذي ورد في (الترمذي)، وغيره من أن النبي ﷺ قال: ((لو دليتم بجبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله)) وتأوله البعض يعني: لهبط على علم الله ﷻ.

أولاً: هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ.

ثانياً: وتأويله بهذه الصورة الحقيقة فيه تحريف لهذه الصفة، أو لهذا الاسم الجليل الذي أثبتته ربنا ﷻ على حقيقته كما أخبر.

ولذلك أقول: يجب ضرورة الأخذ بتفسير النبي ﷺ لهذه الأسماء الأربع؛ لأنه أعلم الخلق بربه ﷻ وبمعاني أسمائه، وقد جاء ذكر هذه الأسماء الأربعة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وكذلك وردت هذه الأسماء الأربعة في سنة النبي ﷺ في الحديث الذي سقته آنفاً، وهو الذي أخرجه مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة في كتاب الذكر: ((اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء...)) إلى آخر الحديث.

وقال ابن القيم - رحمه الله - في نونيته مثبتاً هذه الأسماء الأربعة:

هو أول هو آخر هو ظاهر ❖ هو بائن هي أربع بوزان

ب. بعض ما تدل عليه هذه الأسماء:

هذه الأسماء تدل على معانٍ عظيمة، لا نخرج في تفسيرها عما ذكره النبي ﷺ، والعلماء يستنبطون ويستخرجون منها بعض المعاني التي تدل عليها هذه الأسماء، وقد ذكر الدكتور / محمد خليل هراس - رحمه الله - في (شرحه للقصيدة النونية) كلاماً جميلاً للشيخ عبد الرحمن آل سعدي - رحمه الله - في معاني هذه الأسماء، نقلًا عن علامة القاصيم الشيخ عبد الرحمن آل سعدي - رحمه الله - قال:

"فتدبر هذه المعاني الجليلة الدالة على تفرد الرب العظيم بالكمال المطلق، والإحاطة المطلقة الزمانية في قوله: الأول والآخر؛ تأمل الكلام ودقته يعني:

كيف أنه فهم - رحمه الله - أن هذه الأسماء تدل على معانٍ عظيمة تليق بجلال الله ﷻ وإحاطته المطلقة بخلقه سواء كانت زمانية ؛ وهي متمثلة في قوله ﷻ : ﴿ **الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ** ﴾ [الحديد: ٣] ، والمكانية في قوله ﷻ : ﴿ **وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾ [الحديد: ٣] .

ف: ﴿ **الْأَوَّلُ** ﴾ : يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن ، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه عليه في كل نعمة دينية أو دنيوية ؛ إذ هو ﷻ السبب في وجود الخلق ، ومنه كان كل ما هو موجود في هذا الكون ، يعني بأمره ﷻ وخلقته ؛ لأنه هو الأول الذي ليس قبله شيء .

﴿ **وَالْآخِرُ** ﴾ : يدل على أنه الغاية ، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات ، بتألمها ورغبتها ورهبتها وجميع مطالبها ، والظاهر : يدل على عظمة صفائه ، واضمحلال كل شيء عند عظمته ﷻ من ذوات وصفات .

﴿ **وَالظَّاهِرُ** ﴾ : اضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات ، وصفات ، وعلو ﷻ على خلقه ؛ لأنه ﷻ فوق كل شيء ، وأنه ﷻ استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله .

﴿ **وَالْبَاطِنُ** ﴾ : يدل على إطلاعه على السرائر والضمائر والخبايا والخبائيا ودقائق الأشياء ﷻ كما يدل على قربته ودنوه .

ولا يتنافى الظاهر والباطن ؛ لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت ، وصدق هذا العالم الجليل في فهمه ، وفي إشارته إلى أنه لا يتنافى إثبات اسم الله الظاهر مع اسم الله ﷻ الباطن ، فهو ﷻ قريب مع علوه ﷻ فوق المخلوقات كلها ، وفوق الكائنات ، كما هو على عرشه كما أخبر ربنا في كتابه ، فهو على عرشه ،

ويعلم كل ما عليه شيء من خلقه، يدبر أمورهم، ويعرف أحوالهم، وما يحتاجون إليه، فهو سُبْحَانَهُ بهم محيط، ولذلك صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما فسر الباطن بـ: ((أنه ليس دونه شيء))، وهذا تفسير جيد كريم من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أود أن أنبه تنبيهاً - ذكره علماء السلف عند الحديث عن هذا الاسم - وهو: أنه أطلق المتكلمون على الله سُبْحَانَهُ اسم القديم، أطلقوه على الله سُبْحَانَهُ وليس من أسمائه؛ لأن الأمر - كما ذكرت - في أسماء الله توقيفية، ولم يرد هذا لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة، وإلى جانب ذلك فإن معناه ليس من أحسن ولا يدل على أحسن المعاني؛ لأن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره فقط، لا فيما لم يسبقه عدم، والله سُبْحَانَهُ لم يسبق بعدم، أما القديم: فيستخدم في المقدم على غيره، فهو ليس معنى حسناً يليق بجلال الله وكماله، هذا يوصف به المخلوق، قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٢٣٩]، يمكن فقط أن يخبر عن الله سُبْحَانَهُ مثلاً بأن أسمائه قديمة، أو بأن صفات الله سُبْحَانَهُ قديمة، أما أن ندخل القديم في أسماء الله الحسنى، ونتعبد الله سُبْحَانَهُ به، فنقول: "يا قديم اغفر لي" على أنه اسم مثلاً، أو يُسمَّى رجل ابنه باسم "عبد القديم"، فهذا باطل لا يجوز.

وجاء الشرع باسم الله سُبْحَانَهُ "الأول" وهو أحسن من القديم؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه، وتابع له، فليتنبه طالب العلم لهذه المسألة الدقيقة، التي وقع فيها المتكلمون حينما أدخلوا في أسماء الله الحسنى وصفات الله سُبْحَانَهُ العلى ما لا يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وكماله.

. اسم الله ﷻ "الرحمن الرحيم" :

أ. معنى اسمي الله ﷻ "الرحمن الرحيم" :

أقول: "الرحمن الرحيم" لأنهما جُمعا معاً، حتى في قول الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الفاتحة: ٢، ٣] قيل في معناهما: هما اسمان كريمان من أسماء الله ﷻ والرحمن: أكثر مبالغة من الرحيم.

وقد اختلف في سر الجمع بينهما في ستّ مرات في القرآن الكريم؛ ف قيل: المراد بـ: "الرحمن" الذي وسعت رحمته جميع خلقه في الدنيا، وبـ: "الرحيم" الذي تختص رحمته بالمؤمنين في الآخرة، واستدل على ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فذكر عن الرحمة فقط أنها وسعت كل شيء.

وقد ذهب العلامة ابن القيم -رحمه الله- إلى أن اسم الله "الرحمن" دال على الصفة القائمة بذات الله ﷻ، أما اسم الله "الرحيم" فهو دال على تعلقها بالمرحوم، يعني: بمن -رحمه الله- ﷻ فهو الرحمن في ذاته، الرحيم لعباده بالفعل، ولعل ما يشهد لهذا أن اسمه ﷻ "الرحمن" لم يستعمل في القرآن متعدياً، بخلاف "الرحيم"، قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

واسمه تعالى "الرحمن" من الأسماء المختصة به، فلا يطلق على غيره، اسم الله ﷻ "الرحمن" من الأسماء المختصة بالله ﷻ اسم عظيم؛ ولذلك لا يطلق على غير الله ﷻ ولهذا أيضاً يقع في ابتداء الكلام، وتجري عليه النعوت، يقع في ابتداء الكلام فتقول مثلاً: الرحمن ﷻ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، تجري عليه

النعوت يعني: تجري عليه الصفات، فاسم الله **رَحْمَنٌ** "الرحمن" يوصف كما جاء ربنا **سُبْحَانَ** وذكر في كتابه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فذكر **سُبْحَانَ** في هذه الآية أنه استوى على العرش بعد أن افتتح الكلام بها فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال أيضا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

ب. دلالة اسم الله **سُبْحَانَ** "الرحمن الرحيم" على ثبوت صفة الرحمة لله **سُبْحَانَ**:

هذا له مغزى عظيم جداً؛ فقد دلّ هذان الاسمان الكريمان على اتصاف الله **سُبْحَانَ** بصفة الرحمة على ما يليق بجلال الله **سُبْحَانَ**، فهذان الاسمان دلّا على أن الله **سُبْحَانَ** يتصف بصفة "الرحمة"، صفة حقيقة قائمة بالله **سُبْحَانَ** يتصف بها على ما يليق بجلال الله وكماله، ولا يجوز القول: بأن المراد بها لازمها كإرادة الإحسان ونحوه - كما فعلت المعطلة -، فلو أراد الله **سُبْحَانَ** لذكره في كتابه، وإنما ذكر اتصافه بالرحمة؛ فقال **سُبْحَانَ** مثلاً: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فهو **سُبْحَانَ** يتصف بهذه الصفة، ودل هذان الاسمان على ثبوت الصفة لله من باب أن هذين الاسمين اشتقا من صفة "الرحمة"؛ فلما كان الله **سُبْحَانَ** يتصف بالرحمة أزلاً وأبداً، اشتق له **سُبْحَانَ** من هذه الصفة اسميه "الرحمن الرحيم" وقد أثبت ذلك أيضاً النبي **صَلَّى** لربه - أثبت "الرحمة" صفة لائقه بجلال الله وكماله - فقد روى البخاري وغيره عن أبي هريرة **رَضِيَ** < عن النبي **صَلَّى** قال: ((جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل جزءاً واحداً، منه يتراحم الخلق، حتى إن الدابة لترفع حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه)).

ولعل مما ألفت النظر إليه بعد أن ذكرت اسم الله "الرحمن الرحيم" وأنهما يدلان على ثبوت صفة "الرحمة" لله **سُبْحَانَ** وهذه أيضاً تعتبر من المبشرات؛

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس التاسع

حيث إن الله ﷻ ذكر اسمه "الرحيم" مقروناً باسمه "الغفور" و"التواب" و"الرؤوف" و"الودود" و"البر" و"الرب" ، وهذه كلها مبشرات تدفع العبد إلى أن يلجأ إلى الله الرحمن الرحيم.

ج. ويظهر ذلك ويتبين لنا بوضوح في التالي :

ونحن نتكلم عن معاني أسماء الله ﷻ الحسنى أود أن أذكر شيئاً من مظاهر رحمة الله ﷻ.

فمن مظاهر الرحمة التي أثبتها رب العزة والجلال لنفسه :

أولاً : إرسال الرسل :

أرسل الله ﷻ الرسل ليأخذوا بأيدي الناس إلى الصراط المستقيم ، ويبنوا لهم الحق الذي جاءوا به من عند الله ﷻ ، وفي هذا أبين آية على الرحمة الإلهية ، كيف ذلك ؟ الله ﷻ قد هدى الناس هدايات متعددة مختلفة ، فخلقهم أولاً على الفطرة ، كما قال ﷻ : ﴿ فَطَرَتَ اللَّهُ النَّاسَ فِطْرَةَ النَّاسِ عَلَيْهَا ﴾ [الروم : ٣٠] ، وقبل ذلك أخذ عليهم العهد والميثاق وهم في ظهر آدم ألا يشركوا بالله شيئاً ، وأيضاً زودهم رب العزة والجلال بالعقل الذي به مناط التكليف ، والحواس آلات أيضاً تزود العقل بألوان المعارف ، ومع ذلك لم يؤاخذ ربنا ﷻ عباده بهذه الهدايا ، ولا بما أخذ عليهم في الميثاق الأول ، ولم يرتب الثواب والعقاب على تحسين العقل مثلاً ، وتقبيحه الذي هو مناط التكليف ، وإنما أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ليأخذوا بأيدي الناس إلى طريق الحق والخير والصواب ، وفي ذلك يقول الله ﷻ مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ،

ويقول عن المرسلين كافة: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدخان: ٥، ٦] هذا مظهر من مظاهر رحمة الله ﷻ بعباده في كونه.

### ثانياً: إباحة المحظور للمضطر:

إباحة المحظور لمن احتاج إليه، فالله ﷻ حرّم أشياء، وحظرها على عباده، فلا يستخدموها ولا يستعملوها، ولكن قد تلجئ الضرورة الإنسان إلى أن يقتترف، أو أن يقع في هذا المحظور الذي حرّمه الله ﷻ، فمن رحمة الله ﷻ أنه أباح المحظور للمضطر، وهي نعمة ورحمة من الله ﷻ بالعباد، ولذلك لما ذكرها ربنا في كتابه ذكر اسمه "الرحيم" الذي يبين رحمته التي وسعت كل شيء، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، وكقوله ﷻ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ولذلك ما من شيء في الوجود إلا وهو تحت رحمة الله ﷻ.

### ثالثاً: إنجاء المؤمنين حين يأخذ الكافرين بالعذاب:

فإنه ﷻ حينما يأخذ الكافرين بالعذاب ينجي المؤمنين رحمة منه ﷻ وفضلاً، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨] وقال ﷻ أيضاً عن شعيب: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [هود: ٩٤]، فيستبشر أهل الإيمان بالرحمة التي تلحقهم حينما يأخذ الله ﷻ أعداءهم من الكفار، والمنافقين، الذين لم يصدقوا برسالة النبي ﷺ.



رابعاً: إذا قبل توبة عبده بدل سيئاته حسنات :

هذا ملحظ جميل يدعو العبد إلى أن يلجأ إلى الله ﷻ لأن ربك الرحمن الرحيم إذا قبلك ، وتبت ورجعت إليه ، بدل سيئاتك التي اقترفتها وأنت على المعصية بدلها إلى حسنات ، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ [الفرقان: ١٧٠] ، ثم ختم هذه الآية بالمغفرة والرحمة فقال: ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [الفرقان: ١٧٠] ، فالسبب تبديل السيئات إلى حسنات وهذا فضل عظيم ، وخير كبير من الله ﷻ ، يعطيه لعباده الذين رجعوا وتابوا وأنابوا إليه ، كان ذلك بسبب الرحمة التي يتصف بها رب العزة والجلال ، فالذين تابوا إلى الله وآمنوا به ، وعملوا أعمالاً صالحة ، يبذل الله ﷻ لهم سيئاتهم التي اقترفوها وقت أن كانوا يعملون المعاصي ويرتكبونها قبل التوبة ، بدلها إلى حسنات السبب في ذلك أن الله ﷻ بالمؤمنين وبالتائبين وبالمنيبين وبالراجعين إليه - سبحانه - غفور رحيم ، ولذلك ناسب أن يختم الآية بقوله : ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [الفرقان: ١٧٠].

**فيجب إذاً على العباد:** أن يتوسلوا إلى الله ﷻ برحمته ، طالما أنه هو الذي يرحم ، والذي يغفر الذنوب ، وهو الذي يقبل توبة التائب ، وهو الذي يبذل سيئاته حسنات ، فلماذا لا تلجأ يا عبد الله إلى الله ﷻ وتطلب منه كما كان الأنبياء يفعلون ذلك؟! قال ﷻ عن سليمان بن داود -عليهما السلام- : ﴿ **وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [النمل: ٢١٩] ، هنا نجد أن سليمان # توسل إلى الله برحمته ، وطلب من الله أن يغفر له برحمته.

**ولهذا أقول:** أيليق بعد ذلك بالمؤمن أن يترك الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، ثم يفزع إلى مخلوق عاجز ضعيف هو مغمور برحمة الله ،

يلتمس منه حاجته، أو يستعينه على بلوغ مأرب، أو يستدفع به مكروه؟ أين هؤلاء الذين يسألون غير الله ﷻ من ربهم الرحمن الرحيم؟ أين هم من قول الله ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا نَحْوِيلًا ٥٦﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]؟ فأنت يا من تطلب من غير الله ﷻ، وتسأله أن يكشف عنك الضر، أو يدفع عنك البلاء، أو يعطيك ما تحتاج إليه، هل يملك شيئاً من ذلك؟ هل عنده شيء من رحمة اتصف بها علام الغيوب الرحمن الرحيم ﷻ!!؟

ولذلك أقول للمؤمنين عامة: عليكم بالتوسل إلى الله ﷻ وسؤال الله ﷻ وحده إن أردتم المغفرة والرحمة؛ لأنه هو الرحمن الرحيم، ولأنه -سبحانه- هو الذي يتصف بصفة الرحمة، وغيره لا يفعل ذلك.

ولهذا أقول: بأن السعيد هو الذي يتعرض لنفحات رحمات الله ﷻ، ويعترف من معيها بصالح العمل الذي يتقرب به إلى الله، ثم بعد ذلك يطلب رحمة الله ﷻ.

وأختم هذه المسألة بقول الله ﷻ موجهًا الخطاب لعامة الناس: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦]، فيا عبد الله ارجع إلى الله ﷻ، وافعل ما أمرك الله به، اطلب منه وحده، وادعه وحده، واسأله وحده، وسر في هذه الحياة الدنيا سيراً سليماً مستقيماً، دون إفسادٍ أو ضلالٍ أو انحرافٍ أو ما إلى ذلك: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، والإفساد في الأرض بعد أن أصلحها الله ﷻ ببعثة الأنبياء والمرسلين، فقامت على التوحيد، وقامت على التمسك بالدين، فإذا

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس التاسع

أصلحها الله ﷻ لا يحق ولا يجوز بعد ذلك أن تفسد فيها يا عبد الله، وادع الله خوفاً وطمعاً، واعلم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، الذين أحسنوا إيمانهم، وكان ذلك سبباً في إحسان أعمالهم لله ﷻ.

الكلام حول أسماء الله تعالى: "الملك"، "القدوس"، "السلام"، "المؤمن"، "المهيمن"، "العزیز"، "الجبار"، "المتكبر"، "الخالق"، "البارئ"، "المصور"

. اسم الله ﷻ "الملك":

من أسماء الله الحسنى: "الملك"،

أ. معنى هذا الاسم:

قال ابن منظور - رحمه الله - في معناه: الملك هو الله تعالى، وتقدس ملك الملوك، له الملك، وهو مالك يوم الدين، وهو ملك الخلق، أي: ربهم، ومالكهم ﷻ؛ ومعنى ما ذكره ابن منظور - رحمه الله - في (لسان العرب): هو المتصرف، والمدير في أمر الدنيا والآخرة، على مقتضى العلم والحكمة؛ لأن هذا هو شأن الملك، وهو ﷻ صاحب السلطان القاهر والمشية النافذة الذي يصرف أمور عباده كما يجب.

فالله ﷻ هو الملك بإطلاق، فهو الذي يتصرف ويدبر أمر الدنيا والآخرة، ويكون ذلك على مقتضى علمه المطلق، وحكمته ﷻ، التي تدخل في كل شيء، صنعه وخلقه رب العز والجلال، وهو صاحب السلطان القاهر، والمشية النافذة، التي لا يجدها أحد، ولا تقف عند شيء، بل مشية الله ﷻ مشية مطلقة، يصرف أمور عباده ﷻ كما يجب.

قد يقول قائل: قد سُمي غير الله ﷻ في الدنيا بـ: "الملك".

**فأقول:** تسمية غير الله ﷻ في الدنيا بالملك هذا يأتي على سبيل المجاز، ويأتي أيضاً أنه من الأسماء التي تُقال بالتواطؤ، يعني: أنه يطلق على المخلوق، ويطلق على الخالق، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]؛ فملك الدنيا، يختلف عن اسم الله ﷻ "الملك" الذي يملك الدنيا والآخرة، ذلك أن "الملك" -وهو اسم من أسماء الله ﷻ على الحقيقة- هو الذي ملك عبده شيئاً من أمور الدنيا، فما لدى ملوك الدنيا هو في الحقيقة منة وفضل من الله ﷻ عليهم، فهو الذي ملكهم، وهو الذي أعطاهم، وهو ﷻ إذا أراد أن يسلب ملكهم أخذه منهم؛ لأنه هو الذي يملكه ﷻ ولذلك قال رب العزة والجلال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فإذا أعطى ملك من ملوك الدنيا وتسمى بذلك فالله ﷻ هو الذي أعطاه، ومن به عليه.

**ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية:**

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في مواطن؛ وذلك كما جاء في أواخر سورة "الحشر" التي ذكر لي أن أشرح الأسماء الواردة فيها:

وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣] فأول اسم بعد أن ذكر التوحيد له ﷻ ذكر اسمه "الملك"؛ لأنه اسم عظيم، سيأتي ذكر بعض ما يدل عليه هذا الاسم الجليل لله ﷻ.

ومن ذلك ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، ومن أعظم الآيات الواردة في ذلك الآية التي سبق أن ذكرتها؛ لأنها تبين أن الله مالك

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس التاسع

الملك، وأن غيره إذا سُمِّي ملكاً، فإنما هو من الله - سبحانه -، فالذي ملكه هو الله، وأن الله ﷻ في الحقيقة هو الذي يملك الملك هذا من ملوك الدنيا، وما ملكه الله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ آل عمران: ٢٦، هذا شيء مما ورد القرآن الكريم من اسم الله ﷻ الملك.

أيضاً ورد هذا الاسم في السنة، وذكره النبي ﷺ لرب العزة والجلال، وذلك في الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب < في دعاء النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة، وقد روى هذا الحديث الإمام مسلم - رحمه الله - في (صحيحه)، وفيه أن النبي ﷺ كان إذا قام للصلاة دعا ربه فقال: ((اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت))، الشاهد من الحديث: ((اللهم أنت الملك)).

وعند البخاري من حديث أبي هريرة < يقول سمعت النبي ﷺ يقول: ((يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟)). تأمل هذه العبارات الدقيقة من النبي ﷺ فهي تبين معنى: ((أنا الملك أين ملوك الأرض؟)) لأن الله حينما يقبض الأرض ويطوي السموات بيمينه، يقول: ((أنا الملك أين ملوك الأرض؟)).

فملوك الأرض هم في الحقيقة عندهم جزء من الملك الذي ملكهم الله ﷻ إياه فليسوا ملوك بإطلاق، ولذلك جاء في (البخاري) و(مسلم) من حديث أبي هريرة < أن النبي ﷺ قال: ((بأن أضع اسم عند الله، رجل تسمى بملك الأملاك، لا مالك إلا الله))؛ لأن هذا الله ﷻ وحده، هو يمكن أن يطلق عليه ملك، وأن الذي أعطاه الملك يجب أن يعلم ذلك، وأن يعتقد هو ذلك أن الله ﷻ أما أن يكون هو ملك الملوك فليس ذلك إلا الله ﷻ جل في علاه، ومن ذكره لمعنى هذا الاسم وقيام الأدلة عليه من القرآن الكريم، والسنة النبوية يظهر عظمة هذا الاسم لله ﷻ ولذلك هذا الاسم يدل على معانٍ عظيمة لله ﷻ هذه المعاني أرى أن أذكر شيئاً منها الآن.

ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

**أولاً:** هذا الاسم العظيم من الأسماء الأصول التي تدور في فلکها كثير من الأسماء الحسنی؛ لأنه إذا كان ملكاً اقتضى ذلك أن يكون: عزيزاً، جباراً، متكبراً، حكماً، عدلاً، كبيراً، متعالٍ... إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك؛ لأن الملك يتطلب هذه الأشياء، والملك يتطلب ذلك، ونجد أن الله عز وجل لما ذكر اسمه "الملك" في آخر سورة "الحشر" عقبه بذكر شيء من هذه الأسماء، قال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] ولذلك أقول: يتعالى الله الملك الحق، إذا أن يرجع أحد من عباده إلى غيره عز وجل.

**ثانياً:** تبطل كل الأعمال التي يرجع بها أصحابها إلى غير الله - سبحانه -؛ لأن دعاء غير الملك باطل، طالما أنه لا يملك فكيف ترجع إليه؟ وكيف تسأله؟ إن كان إنسان فقير ليس بحاجة كيف تطلب منه وترجع إليه؟ فباطل دعاء غير الله عز وجل.

وأضرب لذلك مثلاً: إذا فتح ملك من ملوك الأرض أبواب قصره لشعبه، ثم أمر منادياً ينادي في الناس: إن أبواب قصري مفتحة على مصارعها لا يرد عنها طالب حاجة، فمن كانت له حاجة فليرفعها إليّ، فإني زعيم بقضائها، يقول الملك من الدنيا ذلك، ولا شك أن الملك من الدنيا عنده سلطان وقضاء للحاجات للعباد، يجريها الله على يديه من خلال ما مكنه الله عز وجل من الملك، إذا فعل ذلك الملك هل يحق لأحد يتركه من الرعية عندما تكون له حاجة ويذهب ليطلبها من السوق أو من الذين ليس عندهم من التمكين ما عند هذا الملك؟ هذا من السفه، هذا من حماقة أن يفعل ذلك إنسان عاقل! فما بالك برب العزة والجلال الذي ملك الدنيا والآخرة.

والله ﷻ يستدل في القرآن الكريم بثبوت هذا الاسم له ﷻ وكونه هو الملك على أن دعاء غيره باطل لا يجوز، تأمل مثلًا قول الله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١١٣]، فيا عبد الله كيف تدعو من لا يملك؟ من لا يملك كيف يدعى ويسأل؟ إن من لا يملك ليس عنده شيء يعطيك إياه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١١٣]، وغيره لا يملك شيئاً: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١١٣]، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ١١٦] فرب العزة والجلال له ملك السموات والأرض، وغير الله ﷻ لا يملك، وطالما أنه لا يملك فلا ينبغي ولا يجوز بحال من الأحوال أن تتخذه ولياً أو نصيراً أو شافعياً ترجع إليه وتسأله ما لا يطلب إلا من الله ﷻ؛ ولذلك يقول الله ﷻ مبيناً أن كل من السموات وكل من في الأرض واقع تحت أمره، وواقع تحت سلطانه، وإذا كان الأمر كذلك فلا تخرج يا عبد الله عن سؤال غير الله أحداً ولا شيئاً؛ لأنه لا يملك لك أن يعطيك؛ لأنه لا يملك، والذي يملك الدنيا والآخرة ومن في السموات ومن في الأرض هو الله ﷻ.

وتأمل أو تدبر قوله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٢٦٦]، فكل ما في السماء وكل ما في الأرض يملكه رب العزة والجلال ﷻ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٢٦٦]، فاحرص يا عبد الله على أن تسأل من ملك الملوك الذي يملك الدنيا والآخرة، وهو اسم ترجع إليه كثير من أسماء الله ﷻ الحسنى، فكيف تنصرف عن الملك العزيز الجبار المتكبر، ثم بعد ذلك تسأل غير الله، أو تدعو غير الله!!

كل هذه المعاني إذا عرفناها وأدركناها من أسماء الله الحسنى ، زادتنا معرفةً وعلمًا بالله ﷻ ، وإقبالًا على الله ﷻ ولذلك وجب إذاً على العباد أن يعرفوا شيئاً من أسماء الله الحسنى ، وما تدل عليه هذه الأسماء ، حتى إذا أثبتوها لله ﷻ وأثبتوا معانيها وعرفوا ما تدل عليه ، أقبلوا على الله ﷻ ولجئوا إليه ، وطلبوا منه ؛ لأنه هو الله الذي لا إله إلا هو ﷻ ويحققوا أيضاً ما أمرهم ربهم ﷻ به في كتابه : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فنحن نتعلم هذه الأسماء ، ونعرف معانيها لندعو الله ﷻ بها ، ونعرف أن الله ﷻ يتصف بصفات اشتقت منها هذه الأسماء فنفهمها ، ونعقلها ، ونتوجه إلى الله ﷻ بها.

. اسم الله "القدوس" :

أ. معنى هذا الاسم :

"القدوس" هو: المقدس ، المعظم ، المنزه عن العيوب والنقائص ، والتقديس هو: التطهير ، والتبريك ، وجاء في القرآن الكريم قول الله ﷻ : ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ [البقرة: ٣٠] أي : نطهر أنفسنا لك ، والقدوس من أبنية المبالغة.

ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية :

هذا الاسم ورد في موضعين من القرآن الكريم :

الموضع الأول : ما جاء في قوله ﷻ : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ** ﴾ [الحشر: ٢٣].

الموضع الثاني : في قوله ﷻ : ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الرَّبُّ الْعَلِيمُ** ﴾ [الجمعة: ١].



وقد ورد هذا الاسم أيضاً في السنة النبوية المطهرة:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم، عن أم المؤمنين عائشة > : ((أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: سبح قدوس رب الملائكة والروح)) هذا هو معنى الاسم، والأدلة على ثبوته لله ﷻ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

**أولاً:** تنزيه الله تعالى عن كل ما يضاد صفات كماله التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ.

**ثانياً:** كذلك يفيد ويدل على تنزيه الله ﷻ عن الشريك في الربوبية والألوهية، وعن الظهير، والشفيع، والزوجة، والولد.

**ثالثاً:** كذلك أيضاً يدل على تنزيه الله ﷻ عن أن يشاركه أحد من الخلق له، تنزيه -سبحانه- عن أن يشاركه من الخلق له في صفاته الخاصة به، فلا يُقال مثلاً علم الله كعلم الخلق، حاشا وكلا، فكون الله ﷻ هو "القدوس".

**رابعاً:** كذلك يفيد ويدل على تنزيه الله ﷻ عن التعطيل، والجُحد لصفات كماله التي ثبتت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وعليه أقول بأن صفات الله ﷻ العلى، وأسماء الله الحسنى، وأفعال الله الحكيمة مبرأة من كل نقص، كذلك علمه محيط بكل شيء، وقدرته لا يعجزها شيء، وهذا من الإيمان باسم الله ﷻ "القدوس"؛ لأن هذا الاسم يدل دلالة واضحة على هذه المعاني، لأنه يدل على عظمة الله، وعلى تنزيه الله ﷻ عن العيوب

والنقائص ، ولذلك نجد أن الله ﷻ أتى على نفسه ، وسمى نفسه بأسماء ، ووصف نفسه بصفات عظيمة ، جليلة ، تدل على كمال الله ﷻ ومن ذلك قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ آل عمران: ٥ ، ٦٦ ، والإيمان بقدسيته ﷻ .

واعتقادنا أن من أسماء الله "القدوس" ، هذا يدعونا إلى أمر عظيم ، وهو أنه يجب علينا أن ندعو الله ﷻ وحده دون سواه ؛ لأنه لا مساعد له ، ولا معين ﷻ وألا نتوسل إليه بذوات أحد من المخلوقين ؛ لأنه ﷻ إرادته نافذة لا تُرد ، ومشيتته ماضية لا تصد ، وليس كغيره من الناس الذين تحملهم أهواؤهم إلى أن يظلموا أو ألا يعدلوا ، فالله ﷻ باسمه "القدوس" منزّه عن كل ذلك ، وإذا آمن العبد بأن الله هو القدوس عبده وحده دون سواه ؛ لأن من اتخذ الله الوسيط والشفعاء هؤلاء ضمنا أنكروا قدسية الله ﷻ ؛ كذلك مما ينافي الإيمان بقدسية الله ﷻ وأن الله هو القدوس المتدع الذي يتدع في دين الله ﷻ لأن المتدع يقول بلسان حاله إن لم يقل بلسان مقاله : إن الله أنزل ديننا ناقصاً ، وها أنا ذا بذكائي وعلمي أكمله ، وشرع شرعاً يعوزه الكمال ، يعني : يفتقر إلى الكمال لنقصانه وأنا برأيي الثاقب أتمه ، وحاشا لله ﷻ أن يكون دينه ناقصاً أو شرعه غير وافٍ بحاجة الأنام ، وهذا يتنافى مع قدسية الله ﷻ ومع عظمة الله سبحانه ، ومع تنزيهه ﷻ عن العيوب والنقائص ، و كل هذا مما يفيد اسم "القدوس" الثابت لله ﷻ جل في علاه .

. اسم الله "السلام" :

اسم الله "السلام" من أسماء الله الحسنى ، وهذا الاسم يحتاج إلى أن أتحدث عنه أيضاً في نقاط مختلفة متعددة :

أ. معنى هذا الاسم:

"السلام": اسم من أسمائه ﷺ، وسُمِّي به لسلامته من النقص والعيب، والفناء. وقيل: معناه أنه سلم مما يلحق الغير من آفات الغير والفناء؛ لأن الله ﷻ هو الباقي الدائم، وهو على كل شيء قدير.

و"السلام" في الأصل السلامة، ومنه قيل للجنة: دار السلام، قيل للجنة أو وصفت الجنة وسميت بأنها دار السلام؛ لأنها دار السلام والسلامة من الآفات، فليس فيها ما يتكدر معه العيش، أو أن يشعر من فيها بشيء من التنغيص، أو النكد فهي سالمة، ولذلك كان اسم الله ﷻ "السلام" أيضاً من الأسماء العظيمة الجليلة لله ﷻ التي تسمى بها؛ لأنها تفيد سلامته ﷻ من النقص والعيب والفناء وتنزيهه عما يلحق غيره من ذلك ولا بد؛ لأن الخالق - سبحانه - يتنزه عن المخلوق.

ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية:

الدليل على أن هذا الاسم ثابت لله ﷻ في كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة فقط عقب اسم الله ﷻ "القدوس" في الآية التي سبق ذكرها، وهي قول الله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وأما في السنة فقد ورد كثيراً عن النبي ﷺ:

ومن ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود < وهو في البخاري قال: ((كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ، قلنا: السلام على جبريل، وميكائيل، والسلام

على فلان وفلان)) يعني: كانوا إذا صلوا خلف الرسول ﷺ سلّموا على بعض المخلوقات، فقالوا: السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان السلام على فلان، ((فالتفت إليهم النبي ﷺ فقال: إن الله هو السلام)) فنهاهم ﷺ أن يقولوا ذلك، لا يقولوا السلام على فلان؛ لأن الله ﷻ هو السلام، ثم وجههم إلى ما يقولونه في ذلك فقال: ((قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)).

وفي (صحيح مسلم) من حديث ثوبان < أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته: ((استغفر ثلاثاً وقال: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام))، وهذا يدل على ثبوت هذا الاسم لله ﷻ في السنة النبوية، وذكر النبي ﷺ له كثيراً؛ لأنه كان يفعل ذلك إذا انصرف من كل صلاة، وهذا أثر عنه ﷺ في الصلوات وفيما روي وما رواه عنه الصحابة { كان إذا انصرف من صلاته قال: ((استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله، - ثم قال هذه الكلمة العظيمة الجليلة - اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام)) فالله ﷻ هو السلام.

ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

**أولاً:** لأن معنى اسم الله "السلام"، وهو قريب من اسم الله "القدوس" وقد جاء عقبه مباشرة في الآية التي وردت في سورة "الحشر".

**ثانياً:** هو يفيد: أن الله ﷻ لا تلحقه العيوب ولا النقائص ولا الآفات، ولا يلزم به ﷻ موت ولا فناء، ولا مرض ولا فتور ولا غفلة ولا سهو ولا نسيان، ولا

يصيب صفة من صفات نقص ولا عيب - سبحانه - ؛ لأنه سلم من العيوب والآفات، فعلمه لا يحجب شيء دونه، وسمعه لا يغيب عنه مسموع، وبصره لا يغيب عنه مبصر، وغناه لا يمس فقراً، وعزته لا تصيبها ذلة، وهكذا، ولذلك من جحد اسم الله ﷻ السلام وأنكره يكون قد افتري الكذب على الله ﷻ، ولم يعرف جلال الله - سبحانه -، ولا عظمة المولى ﷺ، فاسم الله "السلام" حينما أتى بعد اسم الله "القدوس"، أفاد هذه المعاني كلها، وهو: أن الله ﷻ سالم من كل آفة ومن كل شائبة نقص وعيب كما دل على ذلك أيضاً اسم الله "القدوس".

ولذلك نجد الإمام الحافظ ابن القيم - رحمه الله - يقول في (الكافية الشافية) ذاكراً هذا الاسم العظيم من أسماء الله ﷻ أيضاً عقب اسم الله ﷻ القدوس فيقول:

هذا ومن أوصافه القدوس ❖ ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن  
وهو السلام على الحقيقة سالم ❖ من كل تمثيل ومن نقصان

فقال: من أوصاف الله ﷻ القدوس، ثم عرج على بيان شيء من معنى هذا الاسم لله ﷻ وما يدل عليه، فقال: "ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن"، وهو السلام على الحقيقة سالم" يعني: أن الله سبحانه من أسمائه السلام، ويفيد ذلك أنه ﷻ سالم من كل آفة على الحقيقة، ثم ذكر بعضاً مما ينافي ثبوت اسم الله "السلام" فقال: "سالم من كل تمثيل، ومن نقصان"، وبالتالي أقول للمثلة والمعطلة معاً: يا من مثلتم الله بخلقه وشبهتموه، وللنفاة المثولة المعطلة الذين نفوا صفات الله ﷻ أقول لكليهما: بأنكم لم تعرفوا جلال الله ولا عظمة الله ﷻ لأن اسم الله ﷻ السلام يفيد ثبوت جميع أسمائه الحسنى، وصفاته العلى لأنها تدل على معانٍ عظيمة، وتنفي كل شائبة نقص، يمكن أن يرجعها العبد إلى الله ﷻ، الممثل، والمشبه، وكذلك نافي الصفات، كلاهما خالف معنى اسم الله ﷻ الثابت لله ﷻ ألا وهو اسم الله ﷻ السلام.

. اسم الله "المؤمن":

"المؤمن" اسم من أسماء الله الحسنى ، وقد ورد ذكره في أواخر سورة "الحشر".

أ. معنى هذا الاسم:

معناه كما جاء في (التهذيب) قال: "المؤمن" من أسماء الله ﷻ الذي وحد نفسه ، وذلك كما جاء في قوله: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، ولقوله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقيل "المؤمن" في صفة الله تعالى: الذي آمن الخلق من ظلمه ، يعني: آمن هو الخلق من ظلمه - سبحانه.

وقيل المؤمن: الذي آمن أولياؤه عذابه ، وقال أبو العباس: المؤمن عند العرب المصدق ، وهو بهذا يذهب إلى أن الله تعالى يصدق عباده المسلمين يوم القيامة إذا سئل الأمم عن تبليغ رسلهم فيقولون: ما جاءنا من رسول ولا نذير أو بشير أو ما إلى ذلك.

هذه معاني اسم الله ﷻ "المؤمن" كما جاء في كتب اللغة ، وهي تدل على أن المؤمن هو: الذي وحد نفسه وهو الله ﷻ ، وتفيد أيضاً أن المؤمن هو الذي آمن الخلق من ظلمه ، وأمن أولياؤه من عذابه ، وهو أيضاً المصدق الذي يصدق المؤمنين في يوم الدين ، وذلك حينما يسأل الله ﷻ الأمم التي أرسل إليها الأنبياء والمرسلون ويحيون ويشهد المسلمون في ذلك بالحق على كل أمة أن الله أرسل إليها رسولا فيصدق الله ﷻ هذه الأمة المحمدية ، حينما تسأل عن الأمم السابقة ، وتشهد بأن الله ﷻ أرسل إلى كل أمة رسول فيصدق رب العزة والجلالة كلام هؤلاء الناس ، وهذا من معاني اسم الله ﷻ المؤمن.

ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قول الله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] فورد بعد ذكر الله "السلام".

ولم يرد في الحقيقة في السنة النبوية هذا اسم الله "المؤمن" بسند صحيح، لم يرد إلا في أحاديث سرد الأسماء عند الترمذي -رحمه الله- من طريق الوليد بن مسلم، وورد أيضاً عند ابن ماجه من طريق عبد الملك الصنعاني، وعند غيرهما أيضاً، والأحاديث الواردة في تعداد أسماء الله الحسنى بينت أنها لم تثبت عن النبي ﷺ وهي مضطربة من جهة السند، ومن جهة المتن معها، وبالتالي يمكن أن نقول بأن هذا الاسم ورد في القرآن الكريم، ولم نقف عليه بسند صحيح في السنة النبوية المطهرة، والقرآن الكريم كافٍ في ثبوت هذا الاسم، فإذا ذكر في القرآن الكريم هذا الاسم لله ﷻ، فنشبهه لله ﷻ كما ورد، ونؤمن به، ولا نحتاج إلى أن نقول لا بد أن يكون ورد لهذا الاسم ذكر في السنة النبوية.

ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

هذا الاسم يدل أيضاً على معانٍ عظيمة جليّة لله ﷻ منها:

**أولاً:** حينما نؤمن بأن من أسماء الله "المؤمن" فالباعث إلى الإيمان بوجوده ووحدانيتها، وأخباره الغيبية بما أقام من أسباب الإيمان، وما أوجد من بواعث الإيمان؛ لأنه ﷻ مصدق لذلك، فكونه مؤمن يعني مصدق بالإيمان بوجوده ووحدانيته.

**ثانياً:** هو أيضاً ﷻ "المؤمن" أي: المصدق لرسله بما أجرى على أيديهم من الخوارق والآيات التي تقوم مقام قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني،

فإنه ﷺ أيد أنبياءه ورسله بما أجراه على أيديهم من معجزات شاهدة لهم بثبوت النبوة والرسالة؛ لأنهم لو كانوا كاذبين ما أيدهم المؤمن ﷺ بهذه المعجزات، وقد قص الله ﷻ علينا في القرآن الكريم أنباء بعض الآيات التي صدق بها رسله سبحانه فقال مثلاً في شأن نبي الله صالح # حينما قال له قومه: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ۝١٥٣ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝١٥٤ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآ شَرِبَ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ۝١٥٥ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥٦ فَعَفَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٣ - ١٥٧]، قال الله بعدها: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ [الشعراء: ١٥٨]، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾: علامة على أنه ﷺ هو الحق، وأنه هو الذي أجرى هذه المعجزات على أيدي هؤلاء الأنبياء والمرسلين، وأنه ﷺ يصدقهم فيما أتوا به.

**ثالثاً:** كذلك يدل اسم الله "المؤمن" أنه المصدق عباده المؤمنين يوم القيامة، كما أشرت إلى ذلك من قبل، إذا سئلت الأمم عن تبليغ رسلهم كما قال ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

**رابعاً:** يفيد اسم الله "المؤمن" أنه ﷺ واهب الأمن والطمأنينة، ومذهب الخوف كما قال تعالى لعباده حينما آمنوا به وكانوا في مكة مستضعفين قال ﷺ: ﴿ فليعبدوا ربَّ هذا البيتِ ۝٣ الذِّيتِ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٣، ٤] فقد آمن ﷺ عباده، كما آمنهم من الظلم لما أخبرهم أنه لا يظلم الناس شيئاً، كما قال ﷺ: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وكذلك آمن أوليائه - سبحانه - عذابه كما قال: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٢ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] فقد



## العقيدة خاص [٢]

### المدرس التاسع

آمن رب العزة والجلال أوليائه من عذابه كما قال ﷺ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٦٤﴾ لِيونس: ٦٢ - ٦٤ وهذا فضل من الله عظيم، وكل هذا بينه معنى اسم الله ﷻ "المؤمن".

. اسم الله "المهيمن":

أ. معنى هذا الاسم:

كما ذكره ابن عباس وغير واحد قال: المهيمن معناه: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى: أنه رقيب ﷻ عليهم، فيكون معنى اسم الله "المهيمن" هو: ما يدل عليه قول الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] وقد ذكر ذلك الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره.

وقال الدكتور محمد خليل هراس - رحمة الله عليه - معقباً على هذا المعنى قال: "والحق أن معنى المهيمن، أوسع من معنى الشاهد، فهو ﷻ القائم على خلقه بأعمالهم، وأرزاقهم، وأجالهم، باطلاعه واستيلائه وحفظه، فهو كما شاهد على أعمالهم فهو أيضاً قائم على أعمالهم، وعلى أرزاقهم، وعلى آجالهم، مطلع ﷻ عليهم، ويحفظهم جل في علاه.

ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قول الله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] ولم يرد أيضاً هذا الاسم في السنة النبوية من طريق صحيح.

ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

لكي أبسط هذه المعاني لا بد أن أذكر وأبين وأحلل بعض ما يدل عليه معنى هذا الاسم بناء على ما سبق أن ذكرته من معناه من حيث اللغة، فمن معاني التي يدل عليها اسم الله ﷻ "المهيمن":

**أولاً:** أنه ﷻ هو الذي يقوم برعاية خلقه وحفظهم إلى أجل مسمى، فالإنسان والحيوان والطيور ينال غافل عن نفسه، وربّه ﷻ يرعاه، ويحرك أعضاء نفسه، ويبعث في القلب نبضاته، هذا يدل على معنى اسم الله ﷻ "المهيمن" أنه ﷻ حافظ لعباده، قائم برعايتهم، عليم ﷻ بهم، كفيل ﷻ بأرزاقهم، فهو الذي يكفل للأحياء أرزاقهم، كما قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فهو يحكم ﷻ في عباده بمقتضى علمه ورحمته، وهذا كله دليل على هيمنة الله ﷻ على خلقه؛ لأنني ذكرت أولاً أن معنى "المهيمن" أنه قائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وأجالهم وما إلى ذلك.

**ثانياً:** من مظاهر هيمنة الله ﷻ على خلقه: أنه لم يترك عباده سُدى ولم يدعهم هملاً، بل وضع لهم الشرائع التي تنظم سلوكهم، وترسم لهم الحدود التي لا ينبغي لهم أن يتجاوزوها في أعمالهم ومعاملاتهم، وقبل ذلك بين هؤلاء الأنبياء والمرسلين أن الله ﷻ إله واحد، أحد، فرد، صمد، ليس له كفؤ، ولا مثيل ﷻ، فكون الله ﷻ يرسل الأنبياء والمرسلين إلى أممهم كي يبلغوهم عن الله ﷻ هذا لون من مظاهر هيمنة الله ﷻ على عباده، والله ﷻ حينما أرسل الأنبياء والمرسلين لم يجعل لهم من أمر التشريع إلا التبليغ، وهذا من مظاهر الهيمنة، فهو أرسل الرسول كي يبلغ عن الله ﷻ فقط، أما أن يشرع هو من عند نفسه أو أنه يرجع الأمر إليه فهذا لا يليق بالمهيمن ﷻ، وحدد الله ﷻ مهمة الأنبياء والمرسلين في قوله للنبي ﷺ: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وكما قال له: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

**ثالثاً:** أيضاً مما يدل عليه ويتضمنه هذا الاسم الجليل الثابت لله ﷻ في آيات القرآن الكريم: معنى الرعاية والحفظ، ويبطل بذلك ما يزعمه المبطلون من التوسل إلى الله ﷻ بذوات أحد من المخلوقين؛ لأنه - سبحانه - إذا كان هو الذي يرعى، وإذا كان هو الذي يحفظ، وإذا كان هو الذي يقوم بأمر العباد في كل ما يحتاجون إليه، وهو الذي زودهم بوسائل الإدراك المختلفة، وأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين، وهو الذي يحفظهم ويرعاهم؛ فهذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس لأحد في الكون مع الله ﷻ شيء، ولا ينبغي للعباد بناء على ذلك أن يلجئوا إلى غير الله ﷻ، أو أن يسألوا غير الله ﷻ؛ لأن غير الله لا يملك شيئاً، ولا يهيمن على شيء، ولا يرعى شيئاً، ولا يحفظ شيئاً، والذي يفعل كل ذلك هو رب العزة والجلال ﷻ.

. اسم الله ﷻ "العزیز":

"العزیز" هو اسم من أسماء الله ﷻ الحسنی.

أ. معنى هذا الاسم:

قال الزجاج: معنى اسم الله "العزیز": هو الممتنع فلا يغلبه شيء، الله ﷻ، وقال غيره: هو القوي الغالب على كل شيء، وهذا معنى عظيم من معاني هذا الاسم لله ﷻ، والقوة والشدة والغلبة من معاني العزة، فهو العزیز الذي يقهر ولا يقهر. وبالتالي يصبح معنى هذا الاسم: القوي القادر الذي لا يغلبه غالب، فيصبح إذا هذا الاسم يدل على القوة، والشدة، والغلبة، والعزة لله ﷻ فهو العزیز سبحانه الذي لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب.

ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية :

في آيات القرآن الكريم نجد هذه المعاني كلها يدل عليها اسم الله ﷻ العزيز، وذلك من خلال سياق الآيات التي وردت فيه ؛ لأن هذا الاسم ورد كثيراً في القرآن الكريم ؛ لأنه طالما أنه يدل على العزة، وعلى الغلبة، وعلى الشدة، وعلى القوة، وعلى أنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فنجد كثيراً من الآيات التي ذكرت أموراً حول هذا المعنى مما تدل من خلالها على عظمة الله وقدرته وجلاله، وما إلى ذلك، يختم ربنا ﷻ ويذيل هذه الآيات بذكر اسمه "العزيز"، وغالباً ما يقرنه بالحكيم ﷻ لبيان أن هذه العزة مع عظمتها ومع جلال الله ﷻ لا تخرجه ﷻ عن الحكمة، بعكس آحاد الناس المخلوقين الذين إذا أصابهم شيء من القوة، أو العلو في الأرض، ويكون ذلك بأمر الله ﷻ خرجوا عن الصراط القويم، أو خرج بعضهم فلم يكن عنده في تصرفه حكمة، ولذلك القرآن الكريم حينما أورد هذا الاسم في كثير من الآيات قرنه بـ: "الحكيم"، ولنتأمل مثلاً شيئاً من ذلك يقول ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٦]، فلما كان تصوير العباد في الأرحام لا يكون إلا من قوي غالب، لا يكون إلا من هو عزيز عليم حكيم أحاط بكل شيء علماً ﷻ عقب ﷻ ختام الآية بعد ذكر التصوير بذكر هذين الاسمين العظيمين الجليلين "العزيز الحكيم".

كذلك ورد هذا الاسم أيضاً في السنة النبوية المطهرة ففي (الجامع الصغير)، وصححه الألباني - رحمه الله - أن النبي ﷺ كان إذا تقلب من شدة الألم قال: ((لا إله إلا الله، الواحد القهار، رب السموات والأرض، وما بينهما، العزيز الغفار))، وهذا الحديث - كما أشرت إليه وذكرته - صحيح عن النبي ﷺ وهو

أيضاً في سياق التمدح بجلال الله وعظمته: ((لا إله إلا الله، الواحد القهار، رب السموات والأرض، وما بينهما، العزيز الغفار)).

ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

**أولاً:** الآية التي سبق أن ذكرتها تدل على قوة الله ﷻ وعظمته، فتصوير الأجنة في بطون الأمهات يدل على عزة الله ﷻ.

**ثانياً:** من مظاهر عزة الله ﷻ: الإيحاء إلى الرسول ﷺ بأخبار الماضين لتكون موعظة للحاضرين كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران: ٦٢، بل إن نصر الله ﷻ للرسول ﷺ وأصحابه مع قتلهم وكثرة عدوهم يدل على مظاهر العزة لله ﷻ، وثبوت هذا الاسم الجليل لله، قال ﷻ: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ آل عمران: ١٢٦، ولما ذكر ﷻ بعثه للأنبياء والمرسلين عقب على ذلك بذكر هذا الاسم الجليل لله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

**ثالثاً:** يدل عليه هذا الاسم العظيم على تقليب الليل والنهار، وإخراج الحي من الميت مثلاً، أو تسيير الشمس والقمر والنجوم بأدق حساب وأضبط نظام، هذا يدل على اسم الله ﷻ "العزيز"؛ لأنه لا يفعل ذلك إلا من عز وغلب، ولذلك لما ذكر ربنا ﷻ تقليب الليل والنهار، وأنه فلق الإصباح، وتدبير الشمس والقمر، وما إلى ذلك، عقب بذكر اسم الله "العزيز" يقول ﷻ: ﴿فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ لَيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

**رابعاً:** ومن مظاهر عزة الله ﷻ ومما يدل عليه هذا الاسم العظيم الجليل لله ﷻ: أن جميع قوى السموات والأرض جنود مسخرة لتنفيذ إرادته، خاضعة لعزته ﷻ، فالعزیز هو الذي يسخر بما يشاء من إرادته كل ما يريد ﷻ، ولذلك لما ذكر الملائكة وهم جنود لله ﷻ لا يخرجون عن أمره، ويعملون ما يعملون بإرادته ﷻ قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤٤]، وعقب عليها بذكر هذا الاسم الجليل العظيم فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤٤].

**خامساً:** كذلك أيضاً مما يدل على عزة الله ﷻ: أنه خلق الموت الذي يهدم اللذات، ويفرق الجماعات، ولا يستطيع أن ينجم منه ملك أو سلطان، ولا شك أن خلق الموت من أروع مظاهر العزة الإلهية، ولذلك ربنا ﷻ لما ذكره خلقه للموت والحياة، عقب على ذلك بذكر اسمه "العزیز" يقول ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك: ٢٢]، فسبحانك يا رب العزة، لا يستطيع أحد من عباده أن يحصي مظاهر عزة الله ﷻ فهو عزیز في حكمه، عزة في حكمة، عزة في علم، عزة في قوة، عزة في رحمة ومغفرة، والعزة كلها لله ﷻ وحده، فلا عزیز بالحق غير الله ﷻ، وهو ﷻ يعز من يشاء ولا يعز إلا أحبابه الذين أنعم عليهم من النبيين والصدیقین والصالحين والشهداء، ومن اعتز بغير عزة العزیز ﷻ ذل، فالذي يريد من العباد أن يكون عنده شيء من العزة، وشيء من القوة فليلجأ إلى رب العزة والجلال يمنحه شيئاً منها، كما قال ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، ولذلك الكافرين والمنافقين لما لجئوا إلى غير الله يطلبون منهم العزة قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَخِذُونِ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

. اسم الله "الجبار" :

أ. معنى هذا الاسم :

الجبار صيغة مبالغة من الجبر، وهو يطلق بمعنيين :

**المعنى الأول:** بمعنى الإرغام والقهر ونفوذ المشيئة ؛ وعلى هذا يكون معناه : الجبار الذي يجبر خلقه على ما يشاء بحيث لا يستطيع أحد منهم أن يخرج عن قبضته وقهره ﷻ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

**المعنى الثاني:** هو إصلاح الخلل ورأب الصدع من قولهم : جبر الله كسرك ، ومنه سميت الجبيرة الذي نشدها على العضو المكسور ؛ وعلى هذا يكون معنى اسم الله ﷻ الجبار : المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم ﷻ. وكلا المعنيين يليقان بجلال الله ﷻ وعظيمته ولا يسمى أحد بهذا الاسم الجبار، وإذا وصف الله ﷻ مثلًا بعض العباد كما وصف بعض سكان الأرض المقدسة الذين وصفهم قوم موسى بأنهم قوم جبارون كما في قولهم : ﴿ **إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٢] فمعنى ذلك : أنهم أقوياء أشداء طوال الأجسام ولا يعني ذلك أنهم يسمون ويتصفون بما يتصف به رب العزة والجلال ﷻ وكيف وقد نفى - سبحانه - عن النبي ﷺ فقال له : ﴿ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ** ﴾ [ق: ٤٥]، ومعناه : لست مسلطًا عليهم ترغمهم على ما لا يحبون، كقوله ﷻ : ﴿ **لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ** ﴾ [الغاشية: ٢٢] وكقوله ﷻ : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وبهذا فمعنى هذا الاسم في اللغة - وهو أن معناه عظيم صيغة مبالغة الجبار - يدل على أن الله ﷻ كل خلقه مقهورون مربوبون تحت مشيئته وإرادته لا يخرج أحد منهم عن قبضته ﷻ، كذلك أيضًا هو ﷻ الذي يتولى أمورهم ويصلحها ويتصرف فيها بما يصلح هؤلاء الناس، ومظاهر ذلك كثيرة.

ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية:

اسم الله "الجبار" ورد في موضع واحد من القرآن الكريم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣]. ولكنه ورد في السنة في مواضع كثيرة.

ومن ذلك: ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري < أن النبي ﷺ قال: ((تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّرُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَتَكَفَّرُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نَزْلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ))، وهذا معناه عظيم جداً يذكره النبي ﷺ ويصف رب العزة والجلالة بهذا الاسم العظيم حينما يقول: ((يَتَكَفَّرُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ)) وسيأتي بيان أن ذكر مثل هذه الأمور تدل على معنى هذا الاسم وعلى عظمة الله ﷻ وعزته وجلال قدره وكبريائه.

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمر } قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: ((يَأْخُذُ الْجَبَّارُ ﷻ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ))، لأن هذا أمر عظيم فأفتح النبي ﷺ الحديث عن هذا الأمر العظيم ببيان هذا الاسم الجليل الذي يدل على القوة والمشية التامة التي تنفذ وتقهر ويفعل ربنا ﷻ بها ما يشاء يأخذ الجبار ﷻ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ.

ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

هذا الاسم الجليل يدل على أن الله ﷻ كما ذكرت يفعل ما يشاء ويحكم ﷻ بما يريد، فهو صاحب السلطان ﷻ، وله مطلق الإرادة والمشية الكاملة التي ليست لأحد من خلقه، فهو ﷻ ذو التصرف المطلق ليس لأحد كائناً من كان عليه من سلطان، بل له ﷻ السلطان التام على جميع الأنام وجميع تصرفاته تتم بمقتضى



العلم الكامل والحكمة البالغة فلا يسأل ربنا ﷻ عما يفعل ، أما عباده فهم يسألون ، وهو ﷻ لأنه جبار لا معقب لحكمه يخلق ما يشاء ويختار ولا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد ، كل ذلك من معاني اسم الله ﷻ الجبار .

. اسم الله ﷻ " المتكبر " :

أ. معنى هذا الاسم :

قال ابن منظور صاحب (لسان العرب) : "الكبير في صفة الله تعالى العظيم الجليل ، والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده ، وقيل : المتعال عن صفات الخلق ، والتاء في المتكبر للتفرد والتخصص".

وهذه - في الحقيقة - تبين معنى هذا الاسم العظيم لله ﷻ وكلام ابن منظور - رحمه الله - هنا كلام جميل ؛ ولذلك نجد بأن الله ﷻ ذم فريقاً من خلقه وصفوا بالكبر والتكبر والاستكبار ، فقال مثلاً عن الشيطان : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] ، ولكن ما نهاية هؤلاء الناس؟ وهل هم فعلاً لهم من هذا الاسم نصيب مع الله ﷻ؟ حاشا وكلا .

وتأملوا ما ذكره ربنا ﷻ عن قوم عاد لما استكبروا ، ماذا كان من شأنهم؟ وماذا فعل الله بهم : ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥] ماذا قال الله؟ قال ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥] ، كانت نهايتهم أن الله ﷻ أرسل عليهم ريحاً - كما ذكر في كتابه - دمرتهم كما قال : ﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٥] .

ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية :

هذا الاسم ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في أواخر سورة "الحشر" بعد اسمه ﷺ الجبار الذي سبق الحديث عنه في نفس الآية فقال ﷺ: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]. وقد ورد هذا الاسم أيضاً في السنة النبوية، وذلك في حديث عبد الله بن عمر } بسند صحيح، وهو في (مسند أحمد) أنه قال: ((قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وهو على المنبر الآية: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] ثم قال: يقول الله ﷻ أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعال، يمجده نفسه، قال - يعني عبد الله بن عمر - : فجعل رسول الله ﷺ يرددها حتى رجف به المنبر حتى ظننا أنه سيخر به)) لأنها معاني عظيمة جليلة أسماء تحمل غاية الكمال لله ﷻ يذكرها النبي ﷺ مجداً بذلك ربه، كما ذكر ذلك راوي الحديث عبد الله بن عمر < قال: يقول الله ﷻ: ((أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعال؛ يمجده نفسه))، نص على ذلك < ، وأن النبي ﷺ ظل يرددها حتى رجف به المنبر حتى ظننا أنه سيخر به.

ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ :

الثابت لله ﷻ من خلال ما ذكرت من معنى لهذا الاسم في اللغة كما ذكره صاحب (لسان العرب) - رحمه الله - . أقول: أما تكبر الله ﷻ الذي ذكرت معناه بأنه التعالي عن صفات المخلوقين والتسامي عن نقائصهم والتنزه عن معائبهم، فهذا يدل على أن الله ﷻ متكبر أي متعال تنزه عن شوائب النقص جميعاً، فلا يلحقه ﷻ عدم ولا فناء، وهو أزلي لم يسبق وجوده الكامل عدم كما أنه لم يتلقَ وجوده ﷻ من غيره، وهو أيضاً منزّه عن مشابهة الحوادث كلها؛ لأنه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، وهو ﷻ قائم بنفسه غير

مفتقر إلى ما يمسكه أو يحمله أو يمنحه شيئاً من صفات كماله ؛ بل لأنه ﷻ هو المتكبر ﷻ ، قامت السموات والأرض ومن فيهن وما فيهن بعظمته وكبريائه ، وهو منزّه أيضاً عن نقيصة الشرك وتأثير المؤثر ، فلا تبديل لكلماته ﷻ ولا معقب لحكمه ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﷻ ، وإن نظرنا نظرة صادقة بشيء من التأمل فيما يوحي به هذا الاسم الجليل من المعاني والأسرار توقفنا على أن الذي يدبر أمر الملكوت ويملكه هو الله ﷻ جل في علاه المتكبر العظيم الجليل الذي لا يظلم الناس شيئاً .

ولذلك يجب على العباد أن يدركوا معاني العظمة والتقديس لرب العزة والجلال ﷻ فلا يلجئون إلى غيره ، ولا يدعون أحد سواه ﷻ لأنه مالك الملك يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ﷻ ويكفي أن يدرك العبد أن الله ﷻ هو الكبير العظيم الجليل المتكبر كما ذكر هو عن نفسه ﷻ .

. اسم الله ﷻ "الخالق" :

أ. معنى هذا الاسم :

الخلق في كلام العرب ، هو : ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه ، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدؤه على غير مثال سبق إليه كل شيء خلقه رب العزة والجلال خلق على غير مثال سابق ، فلم يخلق أحد قبل الله شيئاً ثم هذا ربنا ﷻ حذوه ، بل هو الخالق المبدع ﷻ ولذلك قال ﷻ : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . قال ابن الأنباري - رحمه الله - : "الخلق في كلام العرب على وجهين : أحدهما : الإنشاء على مثال أبداعه . والآخر : التقدير" ، يعني الخلق يأتي في لغة العرب على وجهين أو معنيين :

## العقيدة خاص [٢]

**المعنى الأول:** الإنشاء على مثال أبداعه، وهو ما سبق أن قلت: بأن الله يتصف بالخلق؛ لأنه أبداع وأوجد هذه الكائنات على مثال لم يسبق إليه ﷻ.

**المعنى الثاني:** التقدير، ولذلك قال الله ﷻ وقال أيضاً ابن الأنباري في قوله ﷻ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، معناه: أحسن المقدرين.

وبهذه المناسبة أود أنبه أن هذه الآية - وهي قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] - لا تدل أبداً على أنه ثمة خالقين مع الله ﷻ بمعنى: مبدعين مثل ما أبداع الله ﷻ؛ لأن الإخراج والخلق على غير مثال سابق هذا لا يكون إلا لله ﷻ وحده، ولا يتصف به إلا هو؛ ولذلك قال عن نفسه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠١]، فاطر السموات كما جاء في القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] فخالق - الذي سمى ربنا ﷻ نفسه تفيد أنه هو الذي أوجد الكائنات كلها - على غير مثال سابق.

أما إذا ذكر اسم الخلق على غيره فيكون بمعنى التقدير، فالصانع الذي يصنع شيئاً أو يوجد أمراً لو قال فلان أو قيل عنه بأن فلان خلق كذا بمعنى: أنه حوله من حالة إلى حال أو صيره أو صنعه ومارس فيه شيئاً من التركيب وما إلى ذلك؛ فيكون معنى الخلق المراد هنا هو: التقدير، أما الخلق بمعنى إبداع الشيء على غير مثال سابق، فهذا لا يكون إلا لله ﷻ ولذلك ربنا ﷻ ذكره في الفرق بينه وبين عباده كما قال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية:

هذا الاسم ورد كثيراً في القرآن الكريم، ورد مطلقاً: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس التاسع

وكما جاء في قوله ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣] هذا بإطلاق.

وورد أيضاً مقيداً في مواضع كقول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]. كذلك ورد هذا الاسم أيضاً في السنة النبوية المطهرة في مواضع: منها حديث عمران ابن حصين < أن النبي ﷺ قال: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))، فكون النبي ﷺ يقول: ((في معصية الخالق)) يدل ذلك على ثبوت هذا الاسم الجليل العظيم لله ﷻ في السنة النبوية المطهرة كما ثبت في القرآن الكريم مطلقاً ومقيداً.

### ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

ربنا ﷻ يتصف بأنه خلق الكائنات كلها كما أثنى على نفسه بذلك وحمدها في قوله مثلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، إلى غير ذلك من الآيات كثيرة، وقد استدل الله بهذا الاسم على معاني عظيمة له ﷻ منها:

- أنه سبحانه أقام الدليل بالخلق على أنه وحده رب العالمين، فاستدل بالخلق على نفي الربوبية عن غير الخالق، وإن الناظر في القرآن الكريم يجد آيات بينات بسطت هذا المعنى في وضوح تام وجلاء، قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَكْبِدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُوَفَّقُونَ﴾ [يونس: ٣٤]، وتأملوا أيضاً قول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦]، بعدها: ﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ [الرعد: ١٦]،

هنا رب العزة والجلال - سبحانه - يخاطب الناس جميعاً؛ لماذا تتخذون من دون الله أولياء؟ هل هناك أحد خلق مع الله شيئاً فتشابه الخلق عليكم، هذا خلق الله وهذا خلق غيره؟ هذا لم يكن أبداً ولن يكون، وبالتالي يستدل به ربنا ﷺ على أنه لا رب غيره ولا إله سواه: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد: ١٦].

- أيضاً استدل الله ﷻ بالخلق على أنه اسمه ﷻ الخالق، استدل به على بعث الناس من جديد، وأنه يعيدهم إلى الحياة الآخرة ويخرجهم من قبورهم بعدما يموتون مرة أخرى، وهذا واضح في القرآن الكريم، فالله ﷻ استدل بالنشأة الأولى، أو يمكن أن نقول بالخلق الأول على أنه يعيد الناس من جديد، ولو تأملتم قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وهو الذي يبدأ الخلق لما أراد أن يثبت أنه ﷻ مخرج للكائنات فأشار إلى الخلق أولاً، وهذا جاء في القرآن الكريم كثيراً؛ تأملوا مثلاً قوله ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أو تأملوا قول الله ﷻ في رده على المنكر المكذب بيوم البعث: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ١٧٨]، قال ﷻ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ١٧٩]، فهنا ﷻ استدل بالخلق على أنه يعيد الناس إلى الدار الآخرة بعد ذلك للجزاء والحساب والوقوف بين يدي رب العزة والجلال ﷻ.

- أيضاً استدل الله ﷻ بخلقه للعوالم على علمه الكامل المطلق، فأنت إذا نظرت إلى أقل مخلوقات الله شأناً وأدقها حجماً لمست أثر العلم الإلهي فيها بارزاً وواضحاً، أي شيء تنظر إليه تجد ذلك فيه بوضوح.

ولذلك أقول: بأن الله ﷻ أقام الدليل في القرآن الكريم على علمه بخلقه، يعني: جعل الخلق دليل على العلم المطلق الكامل لله ﷻ ولذلك جاء اسم الله "العليم" بعد اسم الله "الخالق" مباشرة كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦] وتأمل قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتَسُوْسٍ بِهِ نَفْسُهُ ۗ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [لق: ١٦]. أيضاً استدل الله ﷻ بخلقه لهذه العوالم على أنه ﷻ له القدرة المطلقة، فالخلق أصدق دليل على قدرة الله ﷻ المطلقة وإرادته التامة؛ لأنه لا يخلق إلا القادر المريد الذي يفعل ما يشاء، وقد سلك القرآن الكريم في الاستدلال بالخلق على القدرة والإرادة نفس الطريق الذي سلكه في الاستدلال على نفي الربوبية عن غيره ﷻ.

فالله ﷻ حينما بشر زكريا # بالولد، وكان زكريا في سن كبير وكانت زوجته كبيرة عاقر يائسة في سن لا يمكن أن تلد فيه، فتعجب زكريا من ذلك واستبعد أن يحدث له ولد وقد كبر سنه وامراته عاقر؛ فاستدل الله ﷻ بخلقه على تمام قدرته، فقال لزكريا: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، فوجد هنا بأن الله ﷻ استدل بخلقه لزكريا # على تمام قدرته ﷻ وأنه ﷻ يفعل ما يشاء بإرادته، ومن ذلك أنه يخلق ما يشاء، وهذا فيه إثبات لإرادة الله -سبحانه- لأن التفاوت في الخلق هذا يولد طويل، وهذا يولد قصير، وهذا أبيض، وهذا أسود به من العيوب، وهذا به من الكمال ما فيه، وما إلى ذلك هذا التفاوت يدل على الإرادة التي خصصت هذه الكائنات، ولذلك ربنا ﷻ استدل أيضاً بالخلق على إرادته التامة المطلقة الذي بها يفعل ما يشاء، تأمل قول الله ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۗ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، وهذا واضح غاية الوضوح.

- ثم كلمة أخيرة في هذا الخلق أقول فيها: بأن الله ﷻ في خلقه منزه عن العبث فيه، فهو حينما خلق هذه الكائنات وسخرها للإنسان وأوجدها هذا الإنسان وأرسل إليه الأنبياء والمرسلين لم يدعه عبثاً ولم يتركه هملاً، بل أرسل إليه الأنبياء والمرسلين كي يحقق هذا العبد المخلوق عبوديته الكاملة لله ﷻ ولذلك سيعيده للحساب والوقوف بين يديه كما قال ﷻ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١١٦﴾. ولذلك أيضاً الله ﷻ حينما خلق هذا الخلق هدى كل مخلوق هداية عامة بها تقوم حياته ولذلك قال ﷻ: ﴿ الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، وكما قال على لسان إبراهيم # : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨]، وقال ﷻ: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ١-٣] فهو ﷻ قدر جميع الكائنات وهداها هداية عامة إلى ما تقوم بها حياتها.

ولذلك أقول: بأن الذي خلق يجب على العباد جميعاً أن يعبدوه وحده دون سواه، ولذلك كل من اتخذوا من دون الله أنداداً وصرّفوا أي لوان من ألوان العبادة لغير الله هم مخطئون - في الحقيقة - فيما يفعلون، وهم بهذا يقعون في بعض ألوان الشرك حتى ولو شهدوا الله بالوحدانية، ولنبيه ﷺ بالرسالة؛ لأنهم لم يحققوا معنى هذه الشهادة، فأنت - يا أيها العبد المسلم الذي أسلمت لله وأمنت بأن الله خالقك - كيف تتوجه وتلجأ إلى غير هذا الخالق ﷻ فالذي خلق هو أحق أن يعبد وحده دون سواه.

واعتقد أنكم علمتم أن الاستدلال بالخلق على توحيد الربوبية أمر معلوم وواقع والإنسان يستدل بعد ذلك بتوحيد الربوبية على أن توحيد الألوهية لازم إذا اعترف الإنسان أن بتوحيد الربوبية لله ﷻ.



- كذلك أيضاً من المعاني التي أود أن أشير إليها هنا قبل أن أنهى الحديث عن اسم الله "الخالق" أن أشير إلى القوم الذين جعلوا الخالق يتحد بال مخلوق، فليس هناك إلا خالق ومخلوق، والله ﷻ بائن من خلقه لم يحل - ولا يجوز أن يحل بذاته وكماله المطلق وجلاله ﷻ أن يحل - في شيء من مخلوقاته، وقد كبرت كلمة قالها قوم حول هذا المعنى؛ فخرجوا بها عن الصراط القويم والدين الحق الذي جاء من عند الله ﷻ فالخالق له صفات الجلال والعظمة والمخلوق أمره يناسب حاله وعجزه وتقصيره، فكيف يمكن لنا أن نقول بعد ذلك بأن الخالق اتحد مع المخلوق لو قلنا ذلك.

إذاً لن نثبت أن هناك خالقاً بحال من الأحوال، وإن الإنسان ليأسف غاية الأسف حينما يجد بعض الناس الذين ينتسبون زوراً إلى الإسلام، يقولون ذلك أو يفعلون شيئاً مما يدل على مثل هذه المعاني المنكرة التي يتنزه رب العزة والجلال ﷻ عنها.

. اسم الله ﷻ "البارئ":

أ. معنى هذا الاسم:

قال ابن منظور -رحمه الله-: "البارئ: هو الذي خلق الخلق أولاً لا عن مثال سابق"، قال: "ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلما تستعمل في غير الحيوان فيقال: براء الله النسمة، وخلق السموات والأرض"، ولعل هذا المعنى يكون قد اتضح أمامنا عندما ذكره ابن منظور -رحمه الله- لما قال: "البارئ هو الذي خلق الخلق لا عن مثال"، وبالتالي يكون هناك صلة وربط بين اسم الله ﷻ "الخالق" وبين اسم الله ﷻ "البارئ"؛ لأن معنى الخالق البارئ هو الذي خلق الخلق لا عن مثال، ثم قال

- رحمه الله - : بأن هذه اللفظة وهي البارئ فيها من الاختصاص ما ليس لغيرها وقد بين - رحمه الله - حينما قال له من الاختصاص ما ليس لغيره من المخلوقات وهذه الكلمة تستعمل في غير الحيوان قليلاً وهي كلمة البارئ.

### ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم والسنة النبوية :

هذا الاسم ورد مطلقاً في آخر سورة "الحشر" عقب اسم الله ﷻ "الخالق" قال ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وهذا يكون ورود الاسم هنا بإطلاق، كذلك ورد أيضاً مقيداً في قول الله ﷻ: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

وفي الحقيقة لم يرد هذا الاسم في السنة النبوية المطهرة إلا في حديث سرد الأسماء عند الترمذي - رحمه الله - وابن ماجه، وقد بينت سابقاً أن هذا الحديث لم يثبت عند نقاد الحديث.

### ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ :

يدل هذا الاسم على خلق الله ﷻ لجميع العوالم، وليس هذا فحسب، بل يدل على أن الذي يبرأ الخلق يكون على مقتضى حكمة الله ﷻ فالخلق الذي خلقه الله ﷻ وبرأه كان على مقتضى ما جرت به حكمته ومشيبته ﷻ ولذلك لو نظر المؤمن، وتأمل كيف برأ الله النحلة وألهمها أن تتخذ: ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨] وأن تأكل من كل الثمرات فتسلك سبل ربها كل ذلك يدل ويشير: كيف أن الله ﷻ يخلق الخلق بنظام وإبداع، ويوجده ﷻ على مقتضى حكمته التي يفعل بها ما يشاء.

## العقيدة خاص [٢]

### المدرس التاسع

ولو انتقلت من النحلة إلى النملة ستجد أنه كيف ﷻ برأ النملة وألهمها أن تجمع في الصيف قوتها وتدخر هذا القوت للشتاء، وكيف تحتفظ به حتى لا يفسد كل ذلك يدل على أن الله ﷻ يفعل ما يشاء وفق ما تجري به مشيئته وحكمته ﷻ ولذلك أود أن نتأمل قول الله ﷻ: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [٢٢] لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ [الحديد: ٢٢-٢٣]، المؤمن إذا ذكر اسم الله ﷻ "البارئ" صدق إيمانه ببارئته، وصح إسلامه له، وزاد إقباله عليه، وثقته به، وأيقن أنه، وحده هو المعين هو الناصر هو المعيث، وهو الرازق، وهو الضار وهو النافع ﷻ؛ لأنه يفعل ما يشاء، ولذلك حرصت على أن أذكرك -أيها المسلم- الذي تدرس العلم وتطلبه إلى قوله ﷻ: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]، مما يدل على عظمة الله ﷻ وبالتالي نقول: لا يستحق أحد أن يصرف العبد أو أن يرجع أي أمر يهمه أو أن ينزل حاجة له لغير هذا البارئ ﷻ جل في علاه.

. اسم الله ﷻ "المصور":

هو من أسماء الله ﷻ الحسنى الواردة في كتاب الله ﷻ.

أ. معنى هذا الاسم:

المصور كما جاء في (لسان العرب): اسم فاعل من التصوير، وهو عمل الصورة، وهو بالنسبة لبارئ الكائنات إعطاء كل شيء من المخلوقات صورة خاصة يتميز بها عن غيره، ولذلك نقول "المصور" هو الذي صور جميع

الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها، والصورة هي الشكل الذي يتميز به الشيء وهي نوعان: حسية تدرك بالحواس، ومعنوية تدرك بالعقل.

### ب. أدلة ورود هذا الاسم في القرآن الكريم:

اسم الله "المصور" ورد مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، ثم قال بعدها: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤].

وهذا الاسم لم يرد في الحقيقة فيما وقفت عليه في السنة النبوية المطهرة.

### ج. بعض ما يدل عليه هذا الاسم من معانٍ:

هذا الاسم يدل على معانٍ عظيمة جليلة قائمة بالله ﷻ؛ ولذلك أقول: إن لله ﷻ وحده هو المصور، فمهما تحاول أنت أو غيرك أن يكون لك ولد على صورة خاصة أو هيئة تستحسنها أو شكل تحبه فلست بمستطيع إلى ذلك سييلا، فالله ﷻ هو الذي يصور في الرحم كيف يشاء و: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [٤٩] أو يَزُوْجُهُمْ ذُكْرَانًا ﴿[الشورى: ٤٩، ٥٠]، ليس في وسع امرئ بحال أيا كان عنده شيء من العلم أن يجعل الذكر أنثى أو العكس؛ لأن ذلك تصوير الحكيم الخبير، ولا تظن -أيها الإنسان- أن التصوير ينتهي بخروج الجنين من ظلمة الرحم وتفتح عينيه لنور الحياة، بل لا يزال المصور الحكيم يتابع تصويره حتى يفارق الحياة الدنيا وتتفرق أجزاؤه؛ فصورة الطفل مثلاً: الوليد غير صورة الفطيم، وصورة الصبي غير صورة الشاب، وصورة الشاب غير صورة الكهل غير صورة الشيخ الفاني... فسبحان الله المصور الذي لا يخفى عليه شيء.

ولقد امتن ﷻ على الإنسان بهذه الصورة الجميلة التي ركبها فيها فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]، فبين ﷻ أنه قدر الماضي اللازمة لتكوين الإنسان، ثم صور هذه المادة في الهيئة الخاصة والشكل الذي أراد أن يجعل عليه الإنسان قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، فهنا التصوير إلى جانب الخلق خلق بشكل وهيئة خاصة لا يقدر عليها ولا يفعلها ولا يقيمها إلا الله ﷻ وأشار القرآن الكريم إلى ذلك مراراً وفي أكثر من موطن ليدل عباده ويرشدهم على أنه ﷻ كما خلق وبرا هو الذي صورهم ﷻ كيف يشاء.

تأملوا قول الله ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣] ودل بذلك -سبحانه- على أنه صور الإنسان في أحسن صورة وأعدلها كما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨]، سبحان من جعل الإنسان في أحسن صورة وأعدلها، فهو ليس مكباً على وجهه كسائر الحيوان أو من يمشي على أربع، وفي كل ذلك إثبات لاسم الله ﷻ "المصور".



## الكلام في إثبات صفات الكمال لله تعالى

### عناصر الدرس

- العنصر الأول : إثبات صفات الكمال لله تعالى ٢٧٥
- العنصر الثاني : بعض الآيات المتضمنة للمثل الأعلى من القرآن الكريم ٣٠١
- العنصر الثالث : الصفات الشرعية العقلية والخبرية ٣٥٢





## إثبات صفات الكمال لله تعالى

١. صفات الله تعالى كلها كمال :

أ. أهمية الكلام في الصفات بعد الأسماء :

يأتي الحديث عن الصفات بعد الأسماء ، وهذا له أهمية كبيرة. وتظهر أهمية الكلام في الصفات بعد الأسماء في أن الأسماء مشتقة من الصفات ، فإثبات الأسماء واعتقاد العبد المؤمن أن الله ﷻ له أسماء منصوطة مسرودة بأعيانها هو في الحقيقة إثبات للصفات ، فإذا أثبت الاسم وأمنت به وعلمت أنه وارد ومطلق ، وقد أطلق على الله ﷻ في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة ذلك ذلك ولا بد على وجوب ثبوت الأسماء والصفات لله ﷻ ، لأنه إذا ثبت الاسم في القرآن وجب الأخذ به أو في السنة كذلك ، وإذا ثبت الاسم في النص وورد به النص وأثبتته وجب عليك أن تثبت الصفة ولا بد ، ذلك أن الاسم مأخوذ من الصفة ، فالأسماء مشتقة من الصفات بخلاف مذهب المعتزلة في ذلك وهو مذهب باطل وسيأتي - إن شاء الله تعالى - رد عليهم فيما بعد ؛ لأنني أسير وفق المنهج أو مفردات المنهج المقرر ، ولكنني هنا فقط أريد أن أشير إلى أن الحديث عن الصفات بعد الأسماء أمر ضروري ومهم لأن في إثبات الأسماء إثبات للصفات بخلاف المعتزلة ؛ لأن المعتزلة قالوا بأن الأسماء لا تدل على معانٍ ، فهي أعلام محضة.

وقد سبق الحديث عن ذلك ، وبينت بطلان قولهم فيه. فأسماء الله الحسنى لها دلالات وعلامات وآثار ، ومن دلالاتها: أنها تدل على ثبوت الصفات لله ﷻ ، هذا هو الأمر الأول الذي أحببت أن أشير إليه هنا.

## ب. بيان معنى الصفة:

نحن نقول: الكلام في صفات الله تعالى، عنوان العنصر: صفات الله ﷻ كلها كمال، فما معنى كلمة "صفة" التي هي مفرد صفات؟

**في اللغة:** قال ابن منظور: "وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة حلاه، تقول: وصفت الشيء وصفاً وصفة: حليته وضحته". قال الليث: "الوصف، وصفك الشيء بحليته ونعته - يعني بحقيقته وما يدل عليه - وميزته وبيئته عن غيره". هذا معنى الصفة في اللغة.

**في الاصطلاح:** فعرفت الصفة بأنها: ما قام بالذات من المعاني والنعوت، وهي في حق الله تعالى نعوت الجلال والجمال والعظمة والكمال، فالصفة في الاصطلاح ما قام في الذات من المعاني والنعوت، وهي في حق الله ﷻ حينما نقول: صفات الله وننسبها إلى الله ﷻ تكون نعوت الجلال والجمال والعظمة والكمال كصفة القدرة والإرادة والعلم والحكمة والسمع والبصر إلى غير ذلك من الصفات الثابتة لله، ﷻ.

وينبغي أن يعلم - وأنا أتكلم عن صفات الله تعالى وأعرف بها في الاصطلاح بعد تعريفها في اللغة - أن الصفة غير الذات وزائدة عليها من حيث مفهومها وتصورها، فمن حيث مفهوم الصفة ومن حيث تصور الصفة، فالصفة غير الذات أمر زائد على الذات بيد أنها لا تنفك عن الذات، لا تنفك عنها هي وإن كانت تفيد معنى زائداً على الذات.

الصفات كلها تفيد معنى ولها مفهوم وخصائص وتصور زائد على الذات إلا أنها لا تنفك عن الذات؛ إذ لا نتصور في الخارج ذاتاً مجردة عن الصفات.

ومما يجب ذكره في هذا المقام والإشارة إليه هو أن صفات الله تعالى أيضاً توقيفية، فلا مجال فيها للاجتهاد أو الاستحسان، بل الواجب فيها هو الوقوف عند ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

وقد وضح هذا الأمر إمام أهل السنة والجماعة، الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - لما قال: لا يتجاوز الكتاب والسنة. لماذا؟ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ولا يصفه من خلقه أعلم من رسوله ﷺ ولا يقال في صفاته - بل من الخطأ البين والضلال المبين أن نقول - : بأن صفات الله مجاز، بل صفاته سبحانه كلها حقيقة على ما يليق به ﷻ، فكما أن صفات خلقه حقيقة حقيقية وتناسب حالهم وضعفهم وحدوثهم، فكذلك صفات الله ﷻ تطلق عليه من باب الحقيقة، ولكن ليست الحقيقة كالحقيقة، ليست حقيقة صفات الله ﷻ الثابتة له ليست كحقيقة صفات الخلق التي هي مناسبة لهم تناسب عجزهم وضعفهم وافتقارهم كالشأن في الذات، فذات الله حقيقة تليق به سبحانه، وذوات المخلوقين أيضاً حقيقة ولكن الحقائق مختلفة.

هذا مقام مهم قد زلت فيه أقدام كثير من علماء الكلام والله المستعان؛ فإيماننا بصفات الله تعالى هو تماماً مثل إيماننا بذات الله سبحانه، فكما أننا نؤمن بذات الله ﷻ على الحقيقة وهو إيمان إثبات وتسليم لا تكيف فيه ولا تشبيه، فكذلك يجب أن نؤمن بصفات الله تعالى على الحقيقة وعلى وفق إيماننا بذات الله ﷻ دون تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تمثيل فالله ﷻ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ١٦٥]، ونصوص الكتاب والسنة تدل على التنزيه الكامل لله ﷻ مع إثبات الصفات إثباتاً بعيداً عن التشبيه والتيسيم أو الدفع بها وتأويلها وتعطيلها؛ وهذه النصوص في

الحقيقة - التي أشرت إلى شيء منها - تتفق مع الأدلة العقلية التي تدعو إلى الإيمان بجميع كمالات الرب تعالى بالجملة: كمال الذات، وكمال الصفات، وكمال الأفعال، وإن شاء الله سيأتي التعريف بها، والصفات كلها ثابتة لله ﷻ على ما يليق منها بجلال الله ﷻ وكماله.

### ج. ثبوت الكمال المطلق لله تعالى:

لأن الموضوع في إثبات صفات الكمال وأن صفات الله ﷻ له فيها الكمال المطلق، وهذا يدعو إلى أن أقول بأن ثبوت الكمال المطلق واجب لله ﷻ بل الثابت له أقصى ما يمكن من الأكملية ﷻ فما من كمال ليس فيه شائبة نقص إلا وهو ثابت للرب ﷻ يستحقه بنفسه المقدسة.

### د. ثبوت الكمال ينفي النقص عن الله تعالى:

ذكرت في الفقرة السابقة بأن الكمال ثابت لله ﷻ بل أقصى ما يمكن من الأكملية ثابت لله ﷻ وهذا يدعوننا إلى أن ننفي أي نقص عن ذات الله سبحانه؛ لأن الكمال يناقض ويناقض النقص، فإذا ثبت الكمال للذات الإلهية انتفى عنها النقص ولا بد، والمراد بالنقص هنا وما أعنيه من أننا ننفي عن الله أي شائبة نقص ما يمكن أن يقع ويكون فيه نقص ومن ذلك: الشيء الذي يكون فيه نقصاً في حقيقة الأمر؛ يعني إذا كان الشيء فيه نقص في حقيقة الأمر، فهذا لا شك لا يمكن أن يرجع منه شيء إلى الله ﷻ فالمراد بالنقص: ما كان نقصاً في حقيقة الأمر، وإنما قيدته بذلك يعني قلت ما كان نقصاً في حقيقة الأمر لأن كل قوم اصطالحوا على ما نفوه نقصاً اعتبروا إثبات هذه الصفات نقصاً في حق الله ﷻ ولذلك عطلوها وأولوها كما زعموا تنزيهاً لله سبحانه.

فأقول لهم: إثبات الصفات على الحقيقة لله مع نفي مشابهة الخالق فيها للمخلوق وعدم الوقوع فيها بالتمثيل أو التشبيه لا يكون نقصاً بل كمالاً في حق الله ﷻ.

#### هـ. الأمور التي تجعل المعنى ناقصاً:

والمعنى يكون ناقصاً بعدة أمور:

**الأول:** بنص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ على أنه من النواقص فالله ﷻ لما ينفي عن نفسه السنة أو النوم أو ينفي عن نفسه العجز أو عدم تمام القدرة وما إلى ذلك، هنا يكون نقص القرآن على أن هذا نقص والله منزّه عنه.

**الثاني:** أيضاً المعنى يكون ناقصاً بأمر أخرى مثل أن يكون المعنى الكمال فيه نسبياً وليس مطلقاً، وما يتصف الله ﷻ به من صفات الكمال فيها مطلق.

**الثالث:** أيضاً إن كان محتملاً للنقص والكمال يكون في الحقيقة معناه ناقصاً.

**الرابع:** أيضاً الألفاظ المجملة فيها من معاني النقص ما فيها لأن اللفظ المجمل لفظ محتمل يحتمل أكثر من معنى، وقد يكون من معانيه أو يدخل في بعض معانيه شيء ناقص، وبالتالي إذا علم أي نقص من خلال ما ذكرت من أمور ننزه ربنا ﷻ عنه.

إذاً خلاصة ما أود أن أذكره هنا أن النقص يعلم بعدة أمور:

- بنص القرآن الكريم والسنة.
- أن يكون كمالاً نسبياً.
- أن يكون محتملاً للنقص والكمال.
- أن يكون لفظاً مجملاً.

هذه الأمور الأربعة يدرك بها أن المعنى يكون ناقصاً، فلا يرجع ولا يطلق من ذلك شيء على الله ﷻ.

### و. شروط الكمال:

ولعل من الفائدة وتام القول أن أذكر أن للكمال شروطاً معتبرة حتى يكون المعنى أو اللفظ كاملاً لا بد أن تتحقق في اللفظ المطلق الذي نعتبره كمالاً هذه الشروط:

**الأول:** أن يكون سليماً من نقص حقيقي، أن يكون اللفظ سليماً من أي نقص حقيقي.

**الثاني:** أن يكون ممكن الوجود لأن الشيء إذا ظننت كماله ويستحيل وجوده فهو ليس من الكمال وشروط الكمال غير معتبرة فيه.

**الثالث:** أن يكون وجودياً مستلزماً للوجود.

**الرابع:** ألا يكون عدماً أو مستلزماً للعدم.

**الخامس:** أن يكون أعلى درجة في الأكملية، أن يبلغ من الكمال ذروته في الحقيقة.

نقول: هذه الشروط بعد أن بينت الأمور المعتبرة التي يكون بها اللفظ ناقصاً، كل ذلك لحماية جناب التوحيد في أن يطلق على الله ﷻ ما لا يليق بجلال الله ﷻ وبالتالي يظهر لنا صحة معتقد أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون بأن صفات الله ﷻ كلها كمال وبالتالي أثبتوها الله ﷻ.

### ٢. دلالة السمع على ثبوت الكمال لله ﷻ:

قد يسأل سائل ما هو الدليل على أن صفات الله ﷻ كلها كمال، وأن أعلى درجات الأكملية ثابتة له؟ وتشتمل الإجابة على الدلالات التالية:

#### أ. دلالة القرآن الكريم:

دل القرآن الكريم على ثبوت الكمال لله تعالى من وجوه متعددة، القرآن الكريم دل على ثبوت الكمال لله ﷻ من طرق ومن وجوه مختلفة:

**الأول:** خبر الله الصادق، فما أخبر الله به ورسوله ﷺ فهو حق كما أخبر الله به، فخير الله ﷻ عن صفاته وأنها كلها كاملة يجعلنا نؤمن ونصدق ونعتقد ثبوت الكمال المطلق في صفات الله سبحانه.

**الثاني:** دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب، فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها، وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل، فدلالة القرآن بضرب الأمثال ودعوة الإنسان إلى أن يستخدم عقله في فهم الأدلة وفي فهم الأمثال التي ضربها رب العزة والجلال على الأمور المطلوبة، ومن ذلك ما ذكره لنفسه عن أسمائه الحسنی وصفاته العلی؛ وفي الحقيقة دلت الأدلة الشرعية والعقلية والأمثال المضروبة في القرآن على ثبوت الكمال لرب العالمين سبحانه، ومما جاء في ذلك في القرآن الكريم ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

**الثالث:** أيضاً قوله ﷻ في النصوص التي فيها تفصيل محامد الله ﷻ وذكر الشاء عليه بذكر شيء من أسمائه وصفاته كقوله مثلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المالك: ٤١]. هذه النصوص فيها بيان وتوضيح وأدلة، والعقل إذا تأمل فيها أيقن بصدق الخبر الوارد إليه فيها، وأنه يجب عليه أن يذعن وأن يسلم وأن يصدق بخبر الصادق ﷻ.

**الرابع:** ومن ذلك أيضاً ما جاء في كتاب الله من أن الله له المثل الأعلى كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ [الروم: ٢٧] والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى، وسيأتي - إن شاء الله تعالى - حديث عن المثل الأعلى.

**الخامس:** أيضاً ما جاء في كتاب الله تعالى من إثبات معاني أسمائه الحسنی كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هذه أدلة من القرآن الكريم إذا نظر فيها الإنسان وتأملها أدرك من خلالها ثبوت الكمال لله ﷻ بالأدلة النقلية، ويمكن أن ينظر الإنسان فيها بعقله ويتأمل من خلال الأمثال المضروبة في القرآن التي تبين ذلك وتوضحه، وسأشرح ذلك بتحليل وتفصيل إن شاء الله تعالى.

### ب. دلالة السنة النبوية المطهرة:

ففي السنة النبوية أيضاً ما يدل على ثبوت الكمال المطلق لله ﷻ وذلك فيما ثبت عن ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي طلحة < في تفسير قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢] على أن الصمد معناه: المستحق للكمال، وهو السيد الذي كمل سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في جميع صفات الشرف والسؤدد، وهو الله ﷻ وهذه صفة لا تنبغي إلا له، فليس له كفاء ولا كمثلته شيء ﷻ وسيأتي أيضاً حديث عن هذه الصورة التي افتتحها ربنا بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبيان دلالتها على ثبوت الصفات العليا لله ﷻ.



#### ج. دلالة الفطرة:

أيضاً الفطرة تدل على ثبوت الكمال لله ﷻ دلالة الفطرة، وأذكرها هنا قبل الأدلة العقلية التي ستأتي بعد لأهميتها، فالفطرة التي جبل الإنسان عليها وفطر عليها تدله على ثبوت الكمال المطلق لله ﷻ ونسوق دلالة الفطرة قبل الأدلة العقلية ليرجع الإنسان عليها لأنها من داخله وقد فطر عليها، وهي أن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله ﷻ وتعظيمه وعبادته؛ وهل تحب وتعظم النفوس إلا من علمت منه أنه متصف بصفات الكمال اللاتقة بربوبيته وألوهيته! فالنفوس التي جبلت على محبة الله وتعظيمه لا يمكن أن تجبل على ذلك وتحب وتعظم إلا من علمت وأيقنت له أنه متصف بصفات الكمال والجمال اللاتقة به ﷻ.

وهذا أمر في الحقيقة مهم، أحببت أن أشير إليه وأن أقيم الأدلة المتكاثرة المتوافرة وأنا في بداية الحديث عن صفات الله ﷻ على أن صفات الله كلها كمال مطلق؛ بدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكذلك دلالة الفطرة.

#### ٣. الأدلة العقلية التي تثبت صفات الكمال المطلق لله ﷻ:

وهذه الأدلة أيضاً كثيرة معلومة بالنظر والتأمل والتدبر، وهي تنقسم أيضاً أو تتفرع إلى نقطتين:

#### النقطة الأولى: الاستدلال بالفعل على القدرة:

يعني: نحن ننظر إلى أفعال الله ﷻ وما أوجد في هذا الكون، ونستدل بهذه الأفعال على كمال قدرته وعلى اتصافه ﷻ بصفات الجلال والكمال من خلال

هذا التأمل وهذا النظر، وأعني بالفعل هنا حينما أقول: الاستدلال بالفعل على القدرة؛ أعني به: خلق الله ﷻ لهذه العوالم بما فيها من تدبير عجيب ونظام محكم، ولا شك أن الذي يفعل ذلك يتصف بصفات العظمة والجلال والكمال كالعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك، لأن من لم يتصف بهذه الصفات لا يمكن أن يوجد شيئاً من ذلك أو أن يفعله، فالتأمل في الكون كله علويه وسفليه يكشف عن حقيقة كبرى، ويكتشف هو المتأمل حقيقة كبرى لا مجال لإنكارها أو أن يتجاهلها ويغض منها؛ وهي هذا النظام الدقيق العجيب الذي ربطت به أجزاء هذا الكون كله من الذرة إلى المجرة، هذا النظام الدقيق العجيب الذي ربطت به أجزاء الكون كله نظام مدهش محير للعقول لو نظر الإنسان فيه بتأمل لشك أن عقله يستبعد ويستحيل أن يكون هذا ناجماً عن صدفة أو تلقائية، وإنه لمن أبطل الباطل أن يصدر هذا النظام أو أن يظن إنسان أنه يمكن أن يكون هذا النظام الشامل للخلق كله من غير ذي إرادة وقصد وعلم وحكمة وتدبير، فهنا الفعل دل على مثل هذه الصفات، نستدل بأفعال الله ﷻ على ثبوت الكمال المطلق لله سبحانه.

إن نظرة واحدة إلى السماء: إلى خلقها وتكوينها، إلى الإحكام والإتقان فيها، إلى سعتها إلى عدد نجومها إلى مواقع الأفلاك الدائرة فيها، إلى ضوء شمسها، إلى غير ذلك يجعلنا نسلم بوجود إله عظيم متصف بصفات الجلال والكمال.

وإن نظرة أيضاً فاحصة دقيقة إلى الأرض إلى خلقها إلى تكوينها إلى محيطاتها إلى أنهارها إلى جبالها ووهادها إلى مرتفعاتها وسهولها إلى النباتات والأشجار، إلى التنوع في الحيوانات وإلى الاختلاف في أجناس البشر لوناً ولساناً تجعل الناظر يقف عند حقيقة لا يستطيع أن ينكرها ولا أن يجحدها وهي: أن وراء هذا الخلق والإبداع خالقاً عليماً حكيماً: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢].

ولذلك ربنا ﷻ لفت نظر الإنسان إلى أن ينظر ويتأمل في ملكوت السموات والأرض ليصل من خلال هذا النظر إلى إثبات وجود الله أولاً ثم إلى الإذعان له بالوحدانية والألوهية وإثبات صفات الجلال والكمال له ﷻ قال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ۗ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٦﴾ لِق: ٦-١٧، ثم يعقب ربنا على ذلك بقوله: ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَتْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١٨﴾ لِق: ١٨.

الإنسان يتذكر من خلال ذلك أن نظرة عابرة فقط إلى النور والسواد، وهذا الهواء المشترك إلى ائتلاف الهواء إلى عناصر الماء إلى النوعية والزوجية في كل شيء فيها وعليها؛ تكفي في إقناع ذي العقل بوجود إله ذي إرادة وحكمة وتدبير وقدرة لا تحد، ولا يحيط به أحد، وهو العزيز الحكيم، الله الذي أوجبت العقول السليمة وجوده، ودلت كل ذرة في الكون على علمه سبحانه وقدرته وتدبيره وحكمته، كل ذرة في الكون تشير إلى ذلك وتؤكد على أن صفات الكمال ثابتة لمن له الكمال المطلق ﷻ هذا بدلالة العقل، بدلالة النظر، بدلالة التأمل التي أشار إليها القرآن الكريم قال الله ﷻ داعياً للنظر في ذلك: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

وابن تيمية - رحمه الله - يتكلم عن هذه الآية كلاماً جميلاً ويبين أن هذه آية عظيمة في إثبات وجود الله ﷻ وما ينبغي له من الجلال والكمال ويقول بأن هذه دلالة شرعية عقلية دل القرآن الكريم عليها وأرشد إليها وأنها من أحسن طرق الاستدلال، ذلك أن الله ﷻ جعل الإنسان هو الدليل وهو المستدل؛ هو الدليل، دليل نفسه وهو الذي يستدل بنفسه على نفسه، وتأمل أيضاً قول الله ﷻ: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٥﴾ [الطارق: ٥-١٨].

## الشاهد من كل ذلك :

أن نظرة يسيرة تدلنا على ذلك وترشدنا إلى ثبوت صفات الكمال لله ﷻ وقد أدرك ذلك البدوي في الصحراء، الرجل الأعرابي الذي يرعى الغنم والإبل في الصحراء، ذكر شيئاً من ذلك وأدركه ووقف بالنظر اليسير عليه حينما قال: "البعرة تدل على البعير" تأمل العبارة: "البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير" فلما نجد أثر لإنسان يمشي يدلنا هذا الأثر على أن هناك من سار في هذا الطريق ثم يقول: "سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، يدلان على اللطيف الخبير". تأمل كلمته؛ يعني هو لما نظر في هذا الكون وما فيه استدل بما فيه على ثبوت بعض أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى حينما ذكر اللطيف الخبير بعد قوله: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج".

وأن الفعل يدل ولا شك على وجود آثار الله ﷻ في الكون يدل على قدرة الله ﷻ وعلى غير ذلك من الصفات الجليلة التي نثبتها لله -سبحانه- إذا نظرنا في أفعال الله ﷻ في هذا الكون.

## النقطة الثانية: الاستدلال بالأثر على المؤثر:

نستدل بالأثر على المؤثر، ولذلك أقول: لا شك أن لصفات الجلال والكمال التي يتصف بها رب العزة والجلال لها آثار في الكون، وهي تدل وتشير إلى الإيمان بهذه الصفات لمشاهدة آثارها؛ فالله الذي خلق كل شيء ودبر هذا الكون وحده، وهو وحده المنعم المتفضل.

هذه الأمور كلها تكمن في أسمائه الحسنی وصفاته العلی، فلا شك أننا نشاهد ظهور آثار أسمائه وصفاته في هذه الحياة في النفس البشرية، بل وفي الكون كله ظهور آثار الأسماء والصفات تجعلنا نؤمن بهذه الصفات لأن الأثر لا شك يدل على المؤثر الذي أثر في هذا الأثر.

ولو أجال الإنسان فكره في هذا الكون الفسيح بل لو فكر في نفسه جيداً وراجع ماضيه وأطوار حياته، ثم فكر فيما حوله لرجع من هذه الجولة بعجائب، واستفاد منها فوائد، ولعلي أجعل هذه الآيات منطلقاً لبيان هذه الحقيقة، وهي قول الله ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) **فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ** ﴿ للمؤمنون: ١١٥، ١١٦، فحكمته تعالى تأبى أن يخلق الخلق عبثاً، وأن يتركهم سدى ويسلمهم للفوضى، ويتركهم لا أمر ولا نهي ولا تدبير ولا تعليم ولا توجيه، بل موجب حكمته تعالى أن يكونوا على عكس ما ذكر، كما هو واقع، خلقهم ربهم فدبر أمرهم من السماء إلى الأرض، وبعث إليهم من يقوم بتعليمهم وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم وإلى ما يعرفهم بربهم وخالقهم ويعرفهم بحقه عليهم، وهو أن يعبدوه وحده لا شريك له، وهذه كلها نقطة يسيرة في بحر علم الله ﷻ وتلطفه بعباده ورحمته التي وسعت كل شيء، وآثار ملكه ﷻ فالله ﷻ حينما يكون له الملك ويصف نفسه بالعزة ويصف نفسه بالحكمة، ونجد نحن آثار ذلك في الكون يجعلنا نؤمن ونسلم بموجب هذه الصفات التي أخبر الملك ﷻ عن نفسه بها وهو أنه يتصرف في مملكته كيف يشاء، ويفعل فيها ما يريد، وتأبى صفات الله ﷻ أن يكون ﷻ معطلاً عن الفعل؛ ولذلك هذه الآثار تدل على ثبوت الكمال المطلق لله ﷻ من خلال دلالة الأثر على المؤثر.

وهذه نقطة مهمة يحدثنا عنها ابن القيم -رحمه الله- فيقول: "والأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية، والأمر اقتضاؤها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها". إلى أن قال -رحمه الله-: "فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا".

وهذه الإشارة اللطيفة من الإمام ابن القيم -رحمه الله- تثير الانتباه إلى أن من آثار الأسماء الحسنى والصفات العلى تلك المعاني التي يجدها العبد في عبوديته القلبية لله ﷻ التي تثمر له التوكل، وهكذا ترجع العبودية كلها إلى موجب أسماء الله ﷻ وصفاته بل ترتبط بها -أي بأسماء الله وصفاته- جميع شئون الخلق، ونحن نجد أن من أسماء الله ﷻ: الغفار التواب العفو، وهذه الأسماء له موجبات ومتعلقات، فالغفار هو الذي يغفر الذنوب، والعفو هو الذي يعفو ويصفح عن الهفوات والخطايا ويمحوها، والتواب هو الذي يقبل التوبة عن عباده، بل ويفرح بها.

وهذه آثار موجودة تظهر جلياً ثبوت أسماء الله ﷻ الحسنى وصفات الله ﷻ العلى وهذا أمر لا يحتاج إلى كبير بيان، وكلام ابن القيم -رحمه الله- فيها دقيق، وقد أشرت إلى شيء منه قبل قليل، وقد قال أيضاً كلاماً دقيقاً وجميلاً في بيان هذا الأمر، وهو "أن آثار الصفات التي نشاهدها تجعلنا نثبت بالعقل أن هذه الآثار لا شك أن من ورائها من هو متصف بالصفات التي كانت هذه الآثار أثرًا من اتصاف الله ﷻ بصفاته العليا الكريمة". ويقول ابن القيم -رحمه الله- مبيناً هذه الحقيقة: "ومن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم تبين له أن

مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال" إلى أن قال: "فله في كل ما قضاؤه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة".

ثم يقول -رحمه الله-: "وأكمل الناس عبودية هو المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم والرحيم، أو يحجبه التعبد باسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع...." إلى آخر ما ذكر.

**والشاهد:** أن هذا يدل على ثبوت صفات الكمال لله ﷻ لظهور آثارها في الكون كما نشاهد.

#### ٤. الدليل على ثبوت الصفات لله تعالى بطريق "قياس الأولى":

##### أ. حكم استعمال الأقيسة في حق الله تعالى:

نود أن نعرف هل يجوز استخدام القياس في حق الله ﷻ أو ماذا؟ ولذلك عنوان هذه النقطة "حكم استعمال الأقيسة في حق الله تعالى"، ولذلك أقول: ينبغي أن يعلم أولاً أن الله تعالى لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه لأن الله ﷻ لا مثل له، فلا يجوز أن يشرك هو والمخلوقات في قياس تمثيل ولا قياس شمول يستوي أفرادهم وطريقة الرسل في ذلك هي الاستدلال على الرب ﷻ بذكر آياته والشواهد الدالة عليه بما بثه هنا وهناك في الآفاق، وإن استعملوا في ذلك القياس استعملوا قياس الأولى وهو من الأقيسة العقلية البرهانية المذكورة في القرآن الكريم.

وبالتالي أقول بأنه ينبغي أن نعلم أن الله ﷻ لا تضرب له الأمثال التي يدخل فيها المخلوق أو يستوي فيها مع المخلوق أو تكون هناك شيء من المماثلة أو المشابهة بين الخالق وبين المخلوق ﷻ والأصل في القرآن الكريم وطريقة الرسل التي دلت على الرب ﷻ من خلال الوحي الرباني الذي جاءنا من عند الله، ثم بعد ذلك الآيات الدالة على عظمة الله ﷻ في كونه، وإذا استخدمنا قياساً كان هو قياس الأولى الذي سيأتي بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

### ب. ما معنى "قياس الأولى"؟

ما المراد بكلمة "قياس الأولى"؟ صاغه أهل العلم بعبارة وجيزة مختصرة جميلة، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما ذكرها غيره وهي "أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق ﷻ أولى به وما تنزه عنه المخلوق من النقائص فالخالق أولى بالتنزيه عنه".

إذاً لكي يتبين لنا معنى "قياس الأولى" نقول: إن كل كمال في المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه لماذا؟ لأنه كما سيأتي أن واهب الكمال هو رب العزة والجلال، وهو أولى به.

وأيضاً كل ما يتنزه عنه المخلوق الضعيف الذي من سماته: العجز والحدوث والفقر والاحتياج وما إلى ذلك، فكل ما يتنزه عنه المخلوق الناقص من النقائص فالخالق ﷻ أولى بالتنزيه عنه، وهذا يبين لنا معنى وقيمة ومكانة المثل الأعلى الذي سأفصل الحديث عنه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

### ج. الدليل على صحة استعمال قياس الأولى:

ما هو الدليل على صحة استعمال "قياس الأولى"؟



قلت: بأن "قياس الأولى" هو كل كمال لا نقص فيه من جميع الوجوه اتصف به المخلوق، فالله وَعَلَّمَكَ أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق سُبْحَانَهُ أولى بالتنزه عنه.

ولهذا فالقياس يكون مبنياً على إثبات صفات الكمال والجلال لله سُبْحَانَهُ إذ مؤداه أن الله أولى بصفات الكمال من عباده المربوبين، وهذه معانٍ طيبة تبين صحة استعمال "قياس الأولى".

ويدل أيضاً على صحة استعمال واطراد العمل به وجوه أخرى:

**أولاً:** أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديمة لا شك أنه أكمل من المخلوق القابل للعدم، المخلوق المحدث، المخلوق المقهور المربوب.

**ثانياً:** أن كل كمال في المخلوق فإنما استفاده من ربه وخالقه - كل كمال في المخلوق استفاده هذا المخلوق من ربه وخالقه - فإذا كان هو مبدعاً للكمال وخالقاً كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال، وخالق الكمال، ومبدع الكمال أولى بأن يكون متصفاً به من المستفيد المبدع المعطى.

**ثالثاً:** أن لو عري رب العزة والجلال - سبحانه - عن الكمال الذي وهبه لغيره لزم أن يكون المحدث المربوب أكمل من الرب الخالق القديم الأزلي.

**رابعاً:** أن فاقد الشيء لا يعطيه فالعقول السليمة ترفض بفطرتها عطاء الكمال ممن لا كمال له فإذا كان الرب وَعَلَّمَكَ ليس كاملاً ولا يتصف بالكمال، بل يجب أن يكون له المثل الأعلى منه إذا لم يكن ذلك كذلك، كان ولا بد لا يمكن أبداً أن يتصف أي مخلوق بلون من ألوان الكمال؛ لأن العقول كما ذكرت ترفض بفطرتها أن يعطى وأن يخرج وأن يبرز الكمال من ليس له أي لون من ألوان الكمال.

## د. الأقيسة الباطلة في حق الله ﷻ وبيان فسادها:

قلت بأن قياس الأولى هو الذي يستخدم في حق رب العزة والجلال ﷻ وسيأتي عنصر خاص بمعناه وتوضيحه والأقوال التي وردت فيه وما إلى ذلك، وقبل أن أقرر هذا أود أن أبين نوع الأقيسة الباطلة في حق الرب ﷻ لذلك أقول بحصر الأقيسة المستعملة في باب الأسماء والصفات واستقراء الاصطلاحات. ظهر لأهل العلم أن الأقيسة الفاسدة في حق الرب ﷻ والتي لا يمكن أن تستخدم في شأن ذي الجلال ﷻ ظهر أن هذه الأقيسة الفاسدة تنقسم إلى قسمين:

**القسم الأول:** قياس تمثيلي، وقياس التمثيل يراد به جعل الله أصلاً تقاس عليه المخلوقات، يعني نجعل الله أصلاً ونقيس المخلوقات على الله أو نعكس أو نجعل المخلوق أصلاً يقاس عليه الخالق مما تتضح فيه معالم التمثيل والتشبيه، إذ لا معنى لهذا القياس من الجهتين إلا مساواة كلا الذاتين للأخرى ولا شك أن هذا يدل على فساد هذا النوع من القياس، وبالتالي أقول: يحرم استعماله في حق الرب ﷻ، إذ القياس الأول من الأقيسة الباطلة الفاسدة هو قياس التمثيل.

**القسم الثاني:** هو قياس الشمول وقياس الشمول يراد به دخول الخالق والمخلوق تحت أصل كلي يستلزم المساواة بينهما بحيث يكون كل منهما جزئياً لهذا الأصل يصبح كل واحد منهم جزءاً لهذا الأصل، وهذا أيضاً قياس فاسد لأن مبناه على تساوي الجزئين في نسبتها الكلية مما يستلزم من ذلك تمثيل كل من الذاتين بالأخرى، وهذا لا يجوز في حق رب العزة والجلال - سبحانه - ويظهر كما ذكرت فساد هذين القياسين إذ كان مرجعهما إلى التمثيل المنفي عن رب العالمين وقد نفى ربنا ﷻ عن نفسه أن يشبهه أحد من خلقه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وكل ما استلزم مساواة الخالق بغيره من المربوبات فهو

التشبيه المذموم، إذ الاصطلاحات اللفظية التي يصطلح عليها الناس لا تغير الحقائق المعنوية فطالما أن هذا يؤدي إلى التمثيل والتشبيه وقياس الخالق بالمخلوق فلا يمكن مجال أن يدخل ذلك بأي وضع في صفات رب العزة والجلال، ونخلص إذًا إلى فساد وبطلان هذه الأقيسة، وهي قياس التمثيل وأيضًا القياس الذي ذكرته من قياس الشمول.

### ٥. قياس الأولى هو المثل الأعلى :

#### أ. بيان أن قياس الأولى هو المعبر عنه في القرآن الكريم بالمثل الأعلى :

ذلك أن الله ﷻ وصف نفسه بأن له المثل الأعلى في مواطن من كتابه فقال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، فجعل ﷻ مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده دون سواه، ولهذا كان المثل الأعلى وهو أفعل تفضيل أي أعلى من غيره لله ﷻ إذ كيف يكون أعلى وهو عدم محض ونفي صرف؟ فدل ذلك على إثبات صفات الكمال لله ﷻ طالما أن المثل الأعلى ثابت له؛ لأن عدم المحض والنفي الصرف لا يكون أعلى من غيره مجال من الأحوال؛ ولذلك يتعالى ربنا ويتقدس ويتعظم عن قول المعطلين علوًا كبيرًا فمثل السوء لعدم صفات الكمال ضربه ربنا ﷻ لعدم صفات الكمال؛ ولهذا في هذه الآية جعله مثل الجاحدين لتوحيده وكلامه وحكمته لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملًا، وهي: الإيمان، والعلم،

والمعرفة، واليقين، والعبادة لله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والصبر، والرضا، والشكر... وغير ذلك من الصفات التي من اتصف بها من آمن بالآخرة، فلما سلب الله ﷻ تلك الصفات عن هؤلاء الأرباب سلبها عنهم، وهي صفات كمال صار لهم مثل السوء.

وبالتالي نقول: من سلب صفات الكمال عن الله وعلوه ﷻ على خلقه وكلامه وعلمه وقدرته وسائر ما وصف به نفسه - فقد جعل الله ﷻ مثل السوء ونزفه عن المثل الأعلى، لأن مثل السوء هو العدم وما يستلزمه وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل؛ كان أعلى من غيره وكان أفضل ولا شك من النقص الذي يستولي على غيره مما لا يستحق صفات الجلال والكمال.

ولهذا أقول: لما كان الرب ﷻ هو الأعلى ووجهه الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا كان له ﷻ المثل الأعلى وكان أحق به من كل ما سواه، بل أقول كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - : يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان بحال من الأحوال لأنه إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده يستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا أمر واضح يستحيل أن يتصف اثنان بالمثل الأعلى لأنهما إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، ولا بد أن الإله صاحب الكمال المطلق أعلى من غيره وإن لم يتكافأ، وهذا أمر واقع فالموصوف بالمثل الأعلى هو من اتصف به وحده دون سواه وهو رب العزة والجلال ﷻ وهذا برهان قاطع يدل على إثبات صفات الكمال لله ﷻ ويدل أيضاً على نفي التمثيل والتشبيه لله ﷻ وهذا في غاية الظهور والقوة، ونظير هذا الكلام القهر

المطلق لأن الله يتصف بالقهار مع أنه واحد أحد، فكلاهما متلازمان فلا يكون القهار إلا واحداً إذ لو كان معه كفؤ له، فإن لم يقهره لم يكن قهاراً على الإطلاق وإن قهره لم يكن كفؤاً وكان القهار واحداً.

وبالتالي نقول: يستحيل أن يكون أو أن يشترك أحد في المثل الأعلى مع الله ﷻ لأنه لا يمكن أن يتكافأ لأنه إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى، وإن لم يتكافأ هو الأعلى وهو الثابت رب العزة والجلال ﷻ.

### ب. الأقوال الواردة في تفسير المثل الأعلى :

أقول: ذكر العلماء أقوالاً متعددة في معنى المثل الأعلى، وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - أن حقيقة المثل الأعلى قد استشكلها بعض الناس من المفسرين وغيرهم من السلف ووردت فيها أقوال متعددة، وفي الحقيقة بعض هذه الأقوال يفسر بعضاً، ويضاف إلى غيره وتوضيح ذلك أذكر شيئاً من الأقوال التي وردت عن أئمة المفسرين وغيرهم من السلف في معنى المثل الأعلى:

قال ابن عباس < وغيره مثل السوء، هو: العذاب والنار، والمثل الأعلى الذي هو الله ﷻ: شهادة أن لا إله إلا الله، إذاً يكون قول ابن عباس < أن المثل الأعلى هو الشهادة لله ﷻ بالوحدانية.

وقال قتادة: "المثل الأعلى هو الإخلاص والتوحيد".

قال الواحدي: "هذا قول المفسرين في هذه الآية، ولا أدري لماذا قيل للعذاب مثل السوء وللإخلاص المثل الأعلى" هكذا قال.

وقال قوم: مثل السوء، هو: الصفة السيئة من احتياجهم، أي: الأرباب والآلهة التي لها مثل السوء تحتاج إلى الولد وتكره الإنث خوف الفقر والعار، أما المثل الأعلى، فهو: الصفة العليا لله ﷻ التي تدل على تنزهه ﷻ وبراءته عن الولد.

وقد ذكر الواحدي -رحمه الله- أن هذا قول صحيح فالمثل كثيراً يرد بمعنى الصفة، قال ذلك جماعة من المتقدمين.

وقال ابن كيسان: "مثل السوء ما ضربه الله ﷻ للأصنام وعبدها، أما المثل الأعلى وذلك نحو قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِءِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقال ابن جرير -رحمه الله- في المعنى المثل الأعلى: "أنه هو الأطيب والأفضل والأحسن والأجمل وذلك هو التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره ﷻ".  
هذه هي الأقوال التي ذكرها العلماء في معنى المثل الأعلى، وهي كما يتبين لنا باختصار:

**الأول:** أنها تشتمل على كلمة الإخلاص لله ﷻ والتوحيد يعني شهادة أن لا إله إلا الله وما يتبعها من شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

**الثاني:** فيها أيضاً إثبات الواحدانية لرب العزة والجلال ﷻ.

**الثالث:** أيضاً يكون من معاني المثل الأعلى كما ذكرت أنه: ما ضربه الله لنفسه من الأمثال في القرآن كقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

**الرابع:** وكما ذكر أيضاً من معاني المثل الأعلى ما ذكره ابن جرير -رحمه الله- بأنه هو الأطيب والأفضل والأحسن على أفعال التفضيل. بمعنى أنه أفضل من اتصف بالصفات وأحسن وما إلى ذلك:

ج. ذكر مراتب المثل الأعلى :

المثل الأعلى له أربعة مراتب :

**المرتبة الأولى : ثبوت الصفات العليا لله تعالى :**

تأمل هذه المرتبة حتى تحققها كاملة لرب العزة والجلال ﷻ سواء علمها العباد أو جهلوا، وهذا معنى قول من فسره بالصفة ؛ لأننا سبق أن ذكرت بأن البعض فسر المثل الأعلى بالصفة، وهنا نقول بأنه يقتضي ذلك أو تكون أول مرتبة من مراتب المثل الأعلى هي ثبوت الصفات العليا لله ﷻ في نفس الأمر، وهي صفات حقيقة كما نعلم بذكرنا هذه الصفات التي نثبتها لله ﷻ بإثباتنا المثل الأعلى له ﷻ هي ثابتة في الحقيقة له ﷻ سواء علمها العباد أو لم يعلموها فالصفات ثابتة في نفس الأمر، إذاً المرتبة الأولى من مراتب المثل الأعلى ثبوت الصفات الكاملة العليا التي تليق بجلال الله وكماله.

**المرتبة الثانية : وجودها في العلم والتصور :**

أشرح ذلك وأوضحه أيضاً بما ذكره ابن القيم -رحمه الله- حينما قال : بأن معنى قول من قال من السلف والخلف بأنها موجودة في العلم والتصور معناه ما قام في قلوب عابديه وذاكره من معرفته سبحانه وذكره ومحبته وإجلاله وتعظيمه، وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشترك فيه غيره معه بل يختص به ﷻ وحده دون سواه كما اختص في ذاته.

وهذا معنى قول من قال من المفسرين : أهل السماء يعظمونه ويحبونه ويعبدونه وأهل الأرض يعظمونه ويجلونه وإن أشرك به من أشرك وعصاه من عصاه وجحد صفاته من جحدها، فكل أهل الأرض معظمون له مجلون له خاضعون

لعظمته مستكينون لعزته وجبروته قال ﷺ: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، فلست تجد أحداً أبداً من أوليائه وأعدائه إلا والله أكبر في صدره وأكمل وأعظم من كل ما سواه لأنه الكبير ﷻ، إذا المرتبة الثانية وجود هذه الصفات والمثل الأعلى في قرارة الإنسان وعلمه به ومعرفة معناه، والكل يشعر بأنه مربوب مقهور مستكين لرب العزة والجلال ﷻ.

### المرتبة الثالثة: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيهها عن النقائص والعيوب والتمثيل:

أود أن أقف هنا وقفة يسيرة لأشيد بمنهج أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون الحق في هذا الباب ويتكلمون به ويكثرون الحديث عن صفات الكمال والجلال والعظمة والكبرياء لله ﷻ فنجد أهل السنة والجماعة يتميزون تماماً عن المبتدعة بكثرة ذكر صفات الله تعالى والخبر عنها وإثبات التنزيه الكامل لله ﷻ فيما يمكن أن ينسبه إليه أحد غيرهم فهم لم ينسبوا لله ﷻ أي نقص بحال، بل نزهوه ونزهوا صفاته ﷻ عن النقائص والعيوب والتمثيل.

### المرتبة الرابعة: محبة الموصوف بها، وتوحيده، والإخلاص له:

من مراتب المثل الأعلى: محبة الموصوف بها، وتوحيده، والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى، فمن مراتب المثل الأعلى أن تحب من اتصف بهذه الصفات وتفرد وحده بالعبودية دون سواه، وتخلص له غاية الإخلاص؛ لأن هذا ما أمرت به قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] وأيضاً تتوكل عليه وأن تكون



كامل الإنابة إليه ، وكلما كان الإيمان بالصفات لدى الإنسان أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

وقد سبق أن ذكرت أن أكمل الناس عبودية لله ﷻ هم أكثر الناس معرفة بأسماء الله الحسنى وصفات الله العلى ؛ فكلما كان العبد عالماً عارفاً بأسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى كان حبه لله أكثر وإخلاصه له أقوى.

وعبارات السلف -رحمهم الله تعالى- التي وردت في تفسير المثل الأعلى عباراتهم كلها تدور حول هذه المعاني الأربعة ومراتبها ، ومما أشير إليه هنا أنه طالما أن له المثل الأعلى بهذه المراتب التي يشملها ويتضمنها أقول : يجب إذاً أن نعتقد في ثبوت هذا المثل الأعلى المتضمن لصفات الجلال والكمال لرب العزة ﷻ وهو في المقابل لما أثبت لنفسه الكمال ضرب لمن اتخذ من الأصنام والأوثان ممن عبدهم الناس من دون الله ﷻ ضرب لهم مثل السوء فضرب مثل السوء للأصنام وذكر أنها لا تخلق شيئاً ، وهي مخلوقة ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وكل هذا يدل ويشير إلى أن ثبوت المثل الأعلى كماء جاء في كتاب الله ﷻ أمر ضروري يجب أن يعرفه العبد وأن يقوم في قلبه وأن يفرد الله ﷻ به.

### د. بيان أركان المثل الأعلى :

المثل الأعلى الثابت لله ﷻ له أركان وهذه الأركان عبارة عن ركنين :الركن الأول يعني لكي يتحقق المثل الأعلى ويعرفه العبد ويأتي به كما يجب أن يكون لا بد أن يأتي بهذين الركنين الأساسيين :

**الركن الأول:** نقول فيه إن كل كمال وجودي كمال موجود، لا نقص فيه بوجه من الوجوه غير مستلزم للعدم، اتصف به المخلوق فإن الخالق عَلَيْهِ السَّلَامُ أولى به.

**الركن الثاني:** أن كل نقص تنزه عنه المخلوق، فإن الخالق عَلَيْهِ السَّلَامُ أولى بالتنزه عنه.

### هـ. طريقة الاستدلال بالمثل الأعلى:

ما هي الطريقة التي نسلکہا في استدلالنا في إثبات المثل الأعلى لله عَلَيْهِ السَّلَامُ؟  
طريقة الاستدلال بالمثل الأعلى على ثلاث مراتب:

**المرتبة الأولى:** أن يقال: إذا كانت نفس المخلوق - والمخلوق محدث ناقص - متصفة بأنها حية قادرة عالمة سمیعة بصيرة فإن الرب المعبود الأول والآخر والظاهر والباطن أولى بأن يكون حياً عالماً قادراً سمیعاً بصيراً عَلَيْهِ السَّلَامُ.

**المرتبة الثانية:** أن يقال: إذا كان سلب الصفات مثل: الحياة والعلم والسمع والبصر يعتبر نقصاً في المخلوق المحدث فلأن يعتبر ذلك نقصاً في الخالق أولى، يعني لو سلب من المخلوقات مثلاً السمع أو البصر هذا لا شك أنه نقص فيه فإن كان هذا يعتبر نقصاً في المخلوق وهو محدث فما بالنا بالخالق عَلَيْهِ السَّلَامُ! فلأن يعتبر ذلك نقصاً في الخالق أولى.

**المرتبة الثالثة:** أن يقال: إذا كانت الغفلة عيباً ونقصاً في المخلوق المربوب الناقص بذاته فلأن تكون نقصاً في حق الخالق المدبر الغني بذاته لا شك من باب أولى فإن كانت هذه الأمور كالغفلة أو العيوب نقص في حق المخلوق فلأن تعتبر ذلك في حق الخالق أولى وبالتالي يجب أن لا تدور في أذهاننا صفات النقص بحال من الأحوال لله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

#### بعض الآيات المتضمنة للمثل الأعلى من القرآن الكريم

#### ١. آيات متضمنة للمثل الأعلى من القرآن الكريم:

بعض آيات القرآن الكريم تضمنت ثبوت المثل الأعلى لله ﷻ وذلك بناء على الترجيح والتفضيل بمعنى: أن الكامل أولى من الناقص، والله ﷻ له الكمال المطلق من كل الوجوه، تأمل مثلاً قول الله ﷻ: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨].

تأمل مثلاً آخر وهو ما ذكره ربنا ﷻ في قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٧٥].

أيضاً تأمل هذا المثل الآخر: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٧٦].

ولو ذهبت أستعرض بعض ما جاء في ذلك يطول، ولكن لو نظرنا بأدنى نظر وتأمل إلى ما ضربه الله ﷻ في بعض هذه الأمثال لما ضرب مثل بالعبد المملوك الذي عند سيده لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء وبين من وسع عليه في المال فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئاً وهو تحت أمر سيده وبين الحر الطليق الذي وسع عليه لا يمكن بحال أن يستويان وبالتالي لا يمكن أن نقول لا يمكن أبداً أن يكون الخالق كالمخلوق بل لا بد أن يتصف الخالق ﷻ بصفات الجلال والكمال ﷻ.

ولو تأملت المثل الثاني ستجد مثلاً أن الله ﷻ يضرب مثلاً للرجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلَّ على مولاه على الذي يقوم برعايته ثقيل متعب، أينما يوجهه لا يأت بخير، ويفهم من ذلك أنه قد يأتي بالشر، هل يستوي هذا الذي بهذه الصفة ألا وهو الأبكم، هل يستوي هو من يأمر بالعدل؟ السوي المستقيم والذي يسير على صراط مستقيم كما وصفته الآيات لا يمكن بحال هذه بعض الآيات التي ضرب الله ﷻ فيها لنفسه المثل الأعلى، وضرب فيها مثل السوء للأصنام.

ولذلك ابن القيم -رحمه الله- بعدما ذكر المثليين الأخيرين الواردين في سورة "النحل" قال -رحمه الله-: "فهذان مثلان ضربهما لنفسه وللأصنام، فللأصنام مثل السوء، وله ﷻ المثل الأعلى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُٓ إِنَّكَ الْذِيكَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُٓ وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج: ٧٣- ٧٤] فهذا المثل الأعلى الذي لله ﷻ والأول مثل السوء للصنم وعابديه وقد ضربه ﷻ للمعارضين بين الوحي وعقولهم ضرب لهم مثل السوء كي يعتبروا ويرجعوا فلا يجعلوا لأحد غير الله ﷻ شيئاً من المثل الأعلى.

### النتائج المهمة حول هذه المسألة:

في الحقيقة هناك نتائج مهمة للغاية، ونحن نتحدث عن ثبوت المثل الأعلى لله ﷻ أرى أن ننبه إليها وأن نعرفها؛ لأنها من الأمور المهمة التي تعين على إثبات المثل الأعلى لله ﷻ وما يتضمنه هذا المثل من ثبوت الكمال لله ﷻ ولذلك أقول:

**النتيجة الأولى:** أن إثبات صفات الكمال لله ﷻ:

فكما أن السمع والبصر والمحبة وغيرها من الصفات تعتبر كمالاً في المخلوق المربوب؛ فالرب ﷻ أولى بالاتصاف بها مع الفرق ما بين الخالق وما بين المخلوق.

**النتيجة الثانية:** نفي صفات النقص:

النتيجة الثانية التي نخرج بها من خلال هذا الدرس أن نعلم أنه كما يدخل في معنى قياس الأولى الذي هو المثل الأعلى إثبات صفات الكمال لله ﷻ فكذلك يدخل فيه نفي صفات النقص والعيوب.

**النتيجة الثالثة:** إثبات المثل الأعلى لله ﷻ فيه رد على نفاة الصفات أو بعضها:

إن إثبات المثل الأعلى لله ﷻ فيه رد على نفاة الصفات أو بعضها، فإن ما نفوه من الصفات كمال في المخلوق لا نقص فيه ألبتة، وعري الخالق من كمال هو معطيه من أعظم المحالات.

**النتيجة الرابعة:** أنه لا يجوز أن يستدل في حق الله ﷻ بقياس تمثيل أو قياس تشبيه.

٢. سورة "الإخلاص" ودلالاتها على الصفات:

أ. بيان فضل سورة "الإخلاص":

وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تبين فضل ومكانة ومنزلة سورة "الإخلاص"، ومن ذلك ما أخرجه البخاري -رحمه الله- عن أبي سعيد

الحدري < قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ((أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلاث القرآن في ليلة، فشق عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله ﷺ؟ قال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن)).

وأيضاً جاء في (صحيح مسلم) عن أبي الدرداء < عن النبي ﷺ قال: ((أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن)).

وروى مسلم أيضاً عن أبي الدرداء < عن النبي ﷺ قال: ((إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن)).

وفي (صحيح البخاري) عن أبي السعيد: ((أن رجلاً سمع النبي أو سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها -يعني: عدداً قليلة- فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)).

إذاً هذه الأحاديث وغيرها تبين مكانة وفضل هذه السورة، وما كان ذلك كذلك إلا لما ورد فيها من صفات الجلال والكمال لرب العزة ﷻ وها هو النبي ﷺ كما يروي عنه مسلم في صحيحه، كان يعرف قدر ومكانة ومنزلة هذه السورة وكان ينادي أصحابه لسماعها حتى يقرءوها كما كان يفعل ﷺ ففي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة < قال: ((قال رسول الله ﷺ: احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد -يعني: هو يدعوهم إلى الإقبال وإلى الاجتماع وأن يحضر عدد كبير؛ لأنه كما أخبرهم سيقراً عليهم ثلث القرآن- ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبراً جاء من السماء فذاك الذي أدخله ثم خرج نبي الله ﷺ فقال إني قلت

## العقيدة خاص [٢]

### الدروس العاشر

لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن)) وفي لفظ له قال: ((خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾)) [الإخلاص: ١، ٢]

فدل ذلك على أن هذه السورة لها فضل عظيم بينه وأشار إليه النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وهذا يدل على أن صفات الجلال والكمال والصور التي ورد فيها ما يؤيد ذلك لها مكانة عظيمة جلييلة عند الله ﷻ.

ب. بيان معنى أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن:

قد يسأل سائل بعد أن بينت وقلت بأن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ما معنى ذلك؟ وكيف هذه السورة القصيرة في مبنائها، وإن كانت عظيمة في معناها تعدل ثلث القرآن بأجزائه الكبيرة الكثيرة؟! ما وجه ذلك؟ وهل ثوابها يقدر بقدر ثواب ثلث القرآن؟ وإذا قدر أن الأمر كذلك فما وجه قراءة سائر القرآن؟

ذهب العلماء -رحمهم الله تعالى- في ذلك إلى أقوال متعددة فمن الوجوه التي ذكروها، ولعله أحسنها، والله أعلم بالصواب، ما ذكر عن الإمام أبي العباس بن سريج عن أبي الوليد القرشي أنه سأل أبا العباس بن سريج عن معنى قول النبي ﷺ: ((﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن))، فقال معناه: أنزل القرآن على ثلاثة أقسام ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعد، وثلث منها الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات.

وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي -رحمه الله- هذا الحديث الذي هو فيه أن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن وذكر فيه ثلاثة أوجه:

- بدأ بهذا الوجه الذي نقل عن الإمام أبي العباس بن سريج - رحمه الله - .
- وذكر وجهاً آخر من الوجوه وهو أن معرفة الله ﷻ هي معرفة ذاته وأسمائه وصفاته ومعرفة أفعاله ، فهذه السورة تشتمل على معرفة ذات الله ﷻ إذ لا يوجد شيء إلا وجد من شيء ما خلا الله ﷻ فإنه ﷻ ليس له كفاء ﷻ .
- وقيل في وجه آخر بأن معنى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن ، معناها : أن من عمل بما تضمنته من الإقرار بالتوحيد والإذعان للخالق كان كمن قرأ ثلث القرآن ، ولم يعمل بما تضمنته .

وقد ذكر ابن عقيل وقال أيضاً : " ولا يجوز أن يكون المعنى من قرأها فله أجر ثلث القرآن لقول رسول الله ﷺ : ((من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات)) يعني يريد أن يقول : بأن ليس معنى أن ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن : أن من قرأها أخذ أجر ثلث القرآن ؛ لأن قراءة القرآن أيضاً من هذا الجانب لها فضل كبير وعظيم .

إذاً الذي رجحه أبو العباس بن سريج - رحمه الله - ومال إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن أحسن الوجوه : أن معاني القرآن ثلاثة أنواع : أحسن الوجوه في معنى قول النبي ﷺ : (( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن)) : أن معاني القرآن ثلاثة أنواع : توحيد ، وقصص ، وأحكام ، وهذه السورة فيها صفة الرحمن فيها التوحيد ، وذلك لأن القرآن كلام الله ﷻ والكلام نوعان : إما إنشاء وإما إخبار ، والإخبار إما خبر عن الخالق وإما خبر عن المخلوق ، والإنشاء هو الأحكام كالأمر والنهي والخبر عن المخلوق هو القصص ، والخبر عن الخالق هو ذكر أسمائه وصفاته وليس في القرآن سورة هي وصف الرحمن محضاً إلا هذه السورة ؛ يعني ليس في القرآن فيها وصف لله ﷻ فقط يعني تخصصت وتكلمت عن صفة الله ﷻ إلا هذه السورة .



## العقيدة خاص [٢]

### الدرس العاشر

ولذلك جاء في البخاري ومسلم عن عائشة > : ((أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله يحبها)).

تأمل كيف روت أم المؤمنين عائشة > هذا الحديث عن النبي ﷺ والذي أخبر فيه أن هذا الرجل كان يقرأ هذه السورة لأنها اشتملت على صفة الرحمن وهو يجب أن يقرأ بها لذلك، وأخبر النبي بعدها ﷺ أن الله يحب هذا الرجل، وهذا يدعونا إلى إثبات صفات الكمال والجلال لله ﷻ فهي دعوة لنا أن نعرف وأن نتعلم صفات الكمال الواردة ونثبتها لله ﷻ.

ونجد أن الإمام البخاري - رحمه الله - قال في باب الجمع بين السورتين في ركعة، وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس: ((كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم بها في الصلاة مما يقرأ به، فافتح ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ بسورة أخرى معها يعني كان يفتح بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإذا انتهى منها قرأ بسورة أخرى معها فكان يصنع ذلك في كل ركعة؛ فكلمه أصحابه وقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم ترى أنها لا تجزيك حتى تقرأ بأخرى، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بباركها إن أحببتهم أن يؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم ذلك تركتم، وكانوا يرونه أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال: يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك أصحابك، فإما أن تكتفي بهذه السورة أو أن تقرأ غيرها، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: إني أحبها. قال له ﷺ: حبك إياها أدخلك الجنة)).

إذاً هذه السورة العظيمة تعدل ثلث القرآن كما ذكرت ، وكونها تعدل ثلث القرآن يدل ذلك على مكانة عظيمة جليلة لهذه السورة. وأرجح الأقوال في أنها تعدل ثلث القرآن لأن القرآن اشتمل على ثلاثة أمور، منها: التوحيد وإثبات، الأسماء والصفات لرب العزة والجلال، وهذه السورة خلصت لذلك فهي سورة محضة في إثبات صفات الله ﷻ.

ج. توضيح وبيان ما تضمنته هذه السورة من المعاني والأحكام:

هذه السورة تضمنت معاني عظيمة وأحكام جليلة، منها:

أولاً: معنى ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ :

الله ﷻ أخبر في كتابه أنه ﷻ هو الواحد الأحد، و﴿عَبْدٌ﴾ فما معنى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

في الحقيقة ذكر ابن الأثير -رحمه الله- كلاماً جميلاً حول ذلك فقال: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحد في الألوهية والربوبية قال الزمخشري: "أحد بمعنى واحد" أما ابن الأثير -رحمه الله- فذكر كلاماً أجمل من ذلك قال: "الأحد في أسمائه تعالى الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وهو اسم بُني لنفي ما يذكر معه من العدد".

وكلام ابن الأثير -رحمه الله- فيه شمول عما ذكره مثلاً الزمخشري أو ذكره غيره، فالأحد في أسمائه تعالى الفرد الذي لم يزل سبحانه و﴿عَبْدٌ﴾ فهو واحد أحد فرد صمد كما سيأتي بيان ذلك ؛ وهو اسم بُني كما ذكر ابن الأثير لنفي ما يذكر معه من التعدد.

والهمزة في أحد بدل من الواو وأصله: وحد، لأنه من الوحدة أصل وحد لأنه من الوحدة، وقيل بأن أحد تأتي مرادفة لواحد في موضعين سماعاً: أحدهما: وصف اسم الباري تعالى فيقال: هو الواحد، وهو الأحد لاختصاصه بالأحدية فلا يشركه فيها غيره، ولهذا لا ينعت به غير الله لا ينعت بكلمة أحد غير الله ﷻ ولذلك لا يقال: رجل أحد ولا درهم أحد، وإنما هذا لفظ يختص برب العزة والجلال ﷻ.

الموضع الثاني الذي يأتي فيه "أحد" مرادفاً لـ"واحد" في أسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال فيقال: أحد وعشرون، وواحد وعشرون وما إلى ذلك. إذا دلنا هذا الأمر على أن اسم الله ﷻ الأحد خاص برب العزة والجلال ﷻ.

ولذلك ابن تيمية - رحمه الله - (الفتاوى) يقول في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **أَحَدٌ** **أَللهُ الصَّمَدُ** : فأدخل اللام في الصمد ولم يدخلها في أحد، وإن شاء الله سيأتي حديث عن كلمة ﴿**أَللهُ الصَّمَدُ**﴾ بالتفصيل، ولكن قال: أدخل اللام في الصمد ولم يدخلها في أحد، قال: لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحداً في الإثبات مفرد غير مضاف إلا الله تعالى بخلاف النفي، وما في معناه كالشرط والاستفهام فإنه يقال: هل عندك أحد؟ وإن جاءني أحد من جهتك أكرمته وإنما استعمل في العدد المطلق يقال: أحد اثنان ويقال أحد عشر، وفي أول الأيام يقال: يوم الأحد فإن فيه على أصح القولين أن الله ﷻ ابتدأ خلق السموات والأرض وما بينهما كما دل عليه القرآن والأحاديث الصحيحة فإن القرآن الكريم أخبر في غير موضع أن الله ﷻ خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام.

وقد ثبت في الحديث الصحيح المتفق على صحته أن آخر المخلوقات كان آدم، خلق يوم الجمعة، وإذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة؛ دل على أن أوله كان يوم الأحد لأنها ستة أيام.

**الشاهد من ذلك:** أن لفظ "الأحد" لم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله ﷻ وحده وإنما يستعمل في غير الله في النفي، قال أهل اللغة: يقال: لا أحد في الدار ولا تقل فيها أحد، ولهذا لم يجب في القرآن الكريم إلا في غير الموجب كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنَهُ حَازِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٧].

وكقوله: ﴿لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ السَّاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وكقوله: ﴿وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، إذا لفظ "أحد" لفظ اختص الله ﷻ به وحده؛ فلا يطلق على غير الله ﷻ لا يقال فلان أحد، وإنما يقال واحد، أما الأحد فهو الله ﷻ بخلاف اسم الله الصمد، فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين، وقد أشرت إلى ذلك من قبل، ولهذا لم يقل رب العزة والجلال الله صمد، بل قال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فبين أنه المستحق أن يكون هو الصمد دونما سواه فإنه المستوجب لغايته على الكمال والمخلوق وإن كان صمداً من بعض الوجوه، فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه فإنه يقبل المخلوق يقبل التفرق والتجزئة وأيضاً يحتاج المخلوق إلى غيره، فإنه كل ما سوى الله محتاج إلى الله ﷻ من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله ﷻ، وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ كل المخلوقات تتجزأ وتتفرق ويفصل بعضها عن بعض، أما الله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن بوجه من الوجوه أن تكون لغير الله ﷻ.

وأنا أذكر كلمة الصمد هنا لأبين وأؤكد وأركز على أن الله ﷻ أحد لا يماثله شيء من الأشياء بوجه من الوجوه، وأن هذه اللفظة لا تطلق إلا على رب العزة والجلال ﷻ ولذلك قال ربنا ﷻ في آخر السورة كما سيأتي: ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ٤] استعملها هنا في النفي أي ليس شيء من الأشياء كفواً له ﷻ في شيء من الأشياء؛ لأنه ﷻ واحد أحد فرد صمد ﷻ.

### ثانياً: معنى كلمة "الصمد":

نأتي بعد ذلك إلى زيادة في التوضيح، المراد بمعنى كلمة ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾ وأنا ذكرتها وأنا أتكلم ﴿ **اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ لأبين عظمة وصف الله ﷻ بالأحادية؛ لأن الصمد وإن أطلق على الله ﷻ إلا أنه أيضاً أطلق على غير الله ﷻ، أما لفظ "أحد" فلم يطلق على غير الله ﷻ.

هنا أود أن أعرف أو أبين معنى كلمة "الصمد"، كلمة "الصمد" فيها للسلف أقوال متعددة، وقد يظنها البعض حينما يسمعونها أنها مختلفة والأمر ليس كذلك بل هي كلها صواب لأن ما بينها ليس اختلاف تضاد، وإنما يمكن أن يقال عنه بأنه اختلاف تنوع، والمشهور في كلمة "الصمد" وإن ذكر فيه أقوال متعددة:

الأول: أن "الصمد" هو: الذي لا جوف له. والثاني: "أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج".

والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة، والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدنا في كتب التفسير المسندة وفي كتب السنة وغير ذلك تبين أن الصمد أكثر ما يذكر على أنه هو الذي لا جوف له.

وهذا التفسير معروف عن ابن مسعود، وقد ورد عنه موقوفاً ومرفوعاً وأيضاً ورد عن ابن عباس والحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي كل هؤلاء جاء عنهم أن الصمد هو الذي لا جوف له، ولذلك لعله هو أنسب الأقوال وأرجحها.

وأما تفسيره بأنه السيد يعني الذي يصمد إليه في الحوائج فهو أيضاً مروى عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً، فهو من تفسير الوالبي عن ابن عباس قال: "الصمد: السيد الذي كمل في سؤده".

وهذا مشهور عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: "هو السيد الذي انتهى سؤده". وعن أبي إسحاق الكوفي عن عكرمة: الصمد: "الذي ليس فوقه أحد".

وهذا أيضاً عن علي وعن كعب الأخبار في معنى الصمد: "الذي لا يكافئه من خلقه أحد".

وذكر السدي أيضاً معنى قريباً من هذا فقال: "هو المقصود إليه في الرغائب والمستغاث به عند المصائب".

وروي عن أبي هريرة < في معنى كلمة الصمد: "أنه هو المستغني عن كل أحد المحتاج إليه كل أحد".

وعن سعيد بن جبير أيضاً قال: "الكامل في جميع صفاته وأفعاله" وهذه الأمور كلها كلمات تفيد معنى كلمة الصمد وتحللها وتبين معناها، وليس بينها اختلاف تضاد كما ذكرت، وإنما هي كلها ترجع إلى معنيين كما سبق أن أشرت إلى ذلك، وهو أن الصمد الذي لا جوف له أو أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، وإذا كان يصمد إليه في الحوائج فهو صمد العلي الأعلى العظيم وما إلى ذلك.

ولهذا قال أبو بكر الأنباري -رحمه الله-: "لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم". وقال الزجاج: "هو الذي ينتهي إليه السؤدد، فقد صمد إليه كل شيء -أي قصد قصده- يعني قصده ورجع إليه".

وقال الخطابي -رحمه الله-: "أصح الوجوه أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد القصد يقال: اصمد صمداً فلان؛ أي: اقصد قصده، فالصمد -قال-: السيد الذي يصمد إليه في الأمور ويقصد في الحوائج".

وقال قتادة: "الصمد الباقي بعد خلقه".

هذه كلها كلمات لمعنى الصمد، وتعريفه، ولعله من المناسب أن أذكر هنا بعض أقوال الصحابة { والسلف الصالح في تفسير الصمد بأسانيدها، والهدف من ذلك أو العبرة من كل ذلك أننا نعلم أننا نأخذ معتقدنا عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان وما روي بالإسناد الثابت إليهم، ويتبين لنا من خلال ذلك أن الله ﷻ واحد أحد فرد صمد حينما نذكر شيئاً من أقوال سلف هذه الأمة الصالحين في إثبات صفات الجلال والكمال لرب العزة ﷻ.

فقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره قال: حدثنا محمد بن موسى إلى أن وصل إلى عكرمة في قوله عن ابن عباس في قوله الصمد قال: "الصمد الذي تصمد إليه الأشياء إذا نزل بهم كرب أو بلاء".

كذلك أيضاً ذكر ابن أبي حاتم -رحمه الله- قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز قال: حدثنا سفيان بن حسين عن الحسن قال: "الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له".

كما ذكر أيضاً في إسناده عن الأعمش عن شقيق في قوله الصمد قال: "السيد الذي قد انتهى سؤده".

وذكر أيضاً عن ابن عباس في قوله: الصمد قال: "السيد الذي كمل في سؤده، والشرف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله ﷻ".

هذه صفة إداً ولا تنبغي إلا له ﷻ، فهذه الصفات لا تكون إلا للواحد الأحد الذي ليس له كفاء وليس له شبيه وليس له نظير والله ﷻ لا مثل له فهو ﷻ ذلك لأبين مدى تقدير السلف لربهم سبحانه ومدى معرفتهم وإحاطتهم بعظمة الله ﷻ، وكيف أنهم كانوا يعلمون من صفات الجلال والكمال ما يليق برب العزة والجلال ﷻ!

### ثالثاً: تنزيه الله تعالى عن الولد:

قال الله ﷻ: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ﴾ في هذه السورة العظيمة، ولا بد أن أقف وقفة طويلة حول هذا المعنى الجليل الذي ذكره رب العزة والجلال لنفسه، ويفهم من ذلك أن الله ﷻ ليست له صاحبة طالما أنه نفى عن نفسه الولد فكذلك أيضاً الصاحبة لا تليق ولا تجوز بمقام رب العزة والجلال ﷻ.

ولذلك أقول: إن هذه السورة بينت لنا أن الله ﷻ نزه نفسه ونفى عنها أن يكون له ولد؛ فقال ﷻ: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣] كما أثنى على نفسه وذكر أن المشركين نسبوا ذلك إلى الله ظلماً وزوراً وبهتاناً فقال ﷻ عنهم وعن



## العقيدة خاص [٢]

### العشر العاشر

قولهم وصنيعهم، وبين أنهم كاذبون فيما ذهبوا إليه: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [الصفات: ١٥١-١٥٢] حاشا وكلا أن يكون لرب العزة والجلال ذل.

وقد ذكر أيضاً عن المشركين أنهم جعلوا ذلك لله ﷻ واتخذوا الجن شركاء مع الله ﷻ ووصفوه بالبنين وجعلوا له البنات كذلك؛ فقال ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠٠- ١٠١] فهذا يعم جميع الأنواع التي تذكر في هذا الباب عن بعض الأمم الذين ذكروا اتخاذ الولد لله ﷻ أو البنات أو جعل حتى شركاء لله سبحانه أو ما ذكر أن عيسى بن مريم # جزء من الله أو روح من الله، وما إلى ذلك، وقد ذم الله ﷻ هؤلاء القوم الذين ذهبوا إلى ذلك ونسبوه إلى الله ﷻ فقال عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَاهُ﴾ [المائدة: ١٨] فرد عليهم رب العزة والجلال بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨] وقد نفى ربنا ﷻ عن نفسه الولد في أكثر من آية من القرآن الكريم؛ لأن هذا في الحقيقة يتنافى مع عظمة الله وجلال الله وكبرياء الله ﷻ فقال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقال ﷻ: ﴿ثَنِيًّا عَلَىٰ نَفْسِهِ مَجْدًا لَهَا﴾: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿﴾ [الفرقان: ١: ٢] ولذلك نعى ﷺ على من نسب الولد لله ﷻ أو ذهبوا إلى أن بعض المخلوقين فيهم جزء من الإله ﷻ كل ذلك باطل لا يجوز ولا يليق بمقام رب العزة والجلال ﷻ فقد نعى على من جعل له من عباده جزءاً كما قال:

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ [الزخرف: ١٥].

قال بعض المفسرين جزءاً يعني: نصيباً وبعضاً، وقال بعضهم جعلوا لله نصيباً من الولد، وعن قتادة ومقاتل: عدلاً، وكلا القولين صحيح فإنهم يجعلون له ولد، والولد يشبه أباه؛ ولذا قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ [الزخرف: ١٧] يعني البنات كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ﴾ [النحل: ٥٨] فقد جعلوها للرحمن مثلاً: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ فإن الولد جزء من الوالد كما قال النبي ﷺ: ((إنما فاطمة بضعة مني)) يعني: قطعة مني، وقوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٠]

قال الكلبي: "هذه نزلت في الزنادقة قالوا: إن الله وإبليس شريكان، فالله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات".

أما العرب فقد وقعوا أيضاً في منكر عظيم ووصفوا الله ﷻ بما لا يليق بجلال الله ﷻ وكماله، كما فعل أيضاً النصراني، فالنصارى قالوا بأن عيسى بن مريم # ابن الله، وقال اليهود أيضاً عن عزيز بأنه ابن الله تعالى ﷻ عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فهؤلاء افتروا الكذب على الله ﷻ ولا يليق بجلال الله وكماله أن يتخذ ولداً، ونفى ربنا ﷻ عن نفسه الولد بعد أن ذكر أنه ﷻ أحد، فهو الذي له الوحدانية

وحده دون سواه، وهو أيضاً الصمد بمعنى: أن الخلق كلهم يحتاجون إليه جل في علاه، وبالتالي نسبة الولد إلى الله سبحانه فيها من الإثم ومن الضلال ومن البهتان الشيء الكثير.

ولذلك فإني أوجه نداء عاماً إلى البشرية كلها ألا ينسبوا ذلك إلى الله ﷻ فالله ﷻ لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، والأغرب أيضاً من ذلك أن بعض العرب ذكروا بأن الملائكة بنات الله، وبعضهم قال بأن الله صاهر الجن فولدت له الملائكة، وقد نفى ربنا ﷻ ذلك عن نفسه فقال: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١] ولذلك ليس لله ﷻ شريك في هذا الملك، وليست له صاحبة، كذلك ليس له ولد، ونسبة ذلك إلى الله ﷻ فيه افتراء على الله سبحانه، وما يليق بمسلم يعرف قدر ربه أن ينسب ذلك إلى الله ﷻ جل في علاه - بل ينزه ربنا عن ذلك ولذلك أؤكد الدعوة لعموم البشر أن يرتفعوا بمعتقداتهم فلا ينزلوا إلى الحضيض حينما ينسبون إلى الله ﷻ ما لا يليق بجلال الله ﷻ لأن نسبة الولد إلى الله والصاحبة إلى الله فيها من البهتان وفيها من الإثم، وفيها من النقص، وفيها من الحدوث، وفيها من الاحتياج ما يتنزه رب العزة والجلال ﷻ فهو ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وليست له صاحبة ولا يفصل شيء عنه ليحل في شيء من مخلوقاته، وهذا ضلال عظيم وإفك مبین إذا صدر من بعض المخلوقين، والله ﷻ يقول عنهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَوَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢]، تأمل هذه الآية ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ بأداة الاستفتاح للتنبية ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ يعني: ارتكبوا ظملاً عظيماً وزوراً وبهتاناً وضلالاً وكذباً حينما نسبوا ذلك إلى الله ﷻ وقالوا: ﴿وَوَلَدَ اللَّهُ﴾ وأخبر ربنا أنهم كاذبون في ذلك: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَوَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ .

رابعاً: نفي الكفاء والمثل عن الله تعالى:

من المعاني العظيمة التي أشارت إليها هذه السورة الكريمة، وهي نفي الكفاء والمثل عن الله ﷻ فالله ﷻ ختم السورة بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] وهذه لفظة جليظة عظيمة هذه السورة حقاً تعدل ثلث القرآن لما تضمنته من معاني عظيمة جليظة لله ﷻ فهو ﷻ منزه أن يكون له كفؤ أو مثل أو شبيه فالله ﷻ لا يكافئه أحد أو يماثله، لا صاحبة ولا غيرها؛ ولذلك يقول القاسمي -رحمه الله-: الكفاء معناه المكافئ والمماثل في العمل والقدرة، وهو نفي لما يعتقد بعض الوثنيين في الشيطان مثلاً، فقد نفى بهذه السورة جميع أنواع الشرك، وقرر ﷻ جميع أصول التوحيد والتنزيه.

ثم ذكر القاسمي -رحمه الله- قول ابن جرير: الكفاء، الكفاء، والكفاء في كلام العرب واحد وهو: المثل والشبه يعني أن الله ﷻ ليس له شبيه أو مثل، وقرئ: "كُفُوًا" بضم الكاف والفاء وقلب الهمزة واواً، وقرئ بتسكين الفاء وهمزها، وهما قراءتان معروفتان ولغتان مشهورتان، و"له" في ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ﴾ قدمت علي ﴿كُفُوًا﴾ مع أن حقها التأخير عنه.

وهذا للاهتمام به، وبيان أن المقصود نفي المكافئة عن ذات رب العزة والجلال ﷻ، ولو رجعت إلى أعلام أئمة الهدى والسلف ممن وصفهم بعض الناس بأنهم ممثلة أو مشبهة أو مجسمة أو ما إلى ذلك؛ نجد أنهم فهموا أيضاً من هذه الآية نفي الكفاء والشبه والمثل عن الله ﷻ نفوا أن يكون لله شبيه أو نظير أو مثل، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الذي أيضاً نقل عنه القاسمي -رحمه الله- هذه الكلمات قال: قال ابن تيمية: "كما يجب تنزيه الرب عن كل نقص وعيب ﷻ يجب تنزيهه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء

من صفات الكمال الثابتة له، وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله، وهذه الصورة دلت على النوعين، فقوله "أحد" من قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ينفي المماثلة والمشاركة، وقوله: "صمد" يتضمن جميع صفات الكمال لله ﷻ فالنقائص جنسها منفي عن الله تعالى - هذه كلمات جميلة للغاية - النقائص منفية عن الله ﷻ وإذا انتفت النقائص عن الله ﷻ لا شك أن الكمال كله سيكون ثابتاً لرب العزة والجلال ﷻ.

ولذلك قال بعد ذلك: "وكل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التي يجب تنزيه الرب عنها بخلاف ما يوصف به الرب، ويوصف العبد بما يليق به مثل: العلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك، فإن هذه ليست نقائص بل ما ثبت لله من هذه المعاني، فإنه يثبت لله على وجه لا يقاربه فيه أحد من المخلوقات فضلاً عن أن يماثله فيه أحد، بل ما خلقه الله في الجنة من المآكل والمشرب والملابس لا يماثل ما خلقه الله في الدنيا، وإن اتفق في الاسم فكلاهما مخلوق، فالخالق تعالى أبعد في مماثلة المخلوقات من المخلوقات إلى المخلوق، وقد سمي الله نفسه علمياً حليماً رءوفاً رحيماً سميعاً بصيراً عزيزاً ملكاً جباراً متكبراً وسمى أيضاً بعض مخلوقاته بهذه الأسماء مع العلم أنه ليس المسمى بهذه الأسماء من المخلوقين مماثلاً للخالق ﷻ في شيء من الأشياء".

هذه الكلمات النيرة أردت أن أسوقها في هذا المقام لأبين أن أهل السنة والجماعة يرتفعون بصفات الله وجلال الله وكمال الله ﷻ عن النقائص، وأنهم لم يشبهوا الله ﷻ بخلقه، وحينما أثبتوا لله ﷻ صفات الجلال والكمال أثبتوها بحيث أنها لا تشبه شيئاً من المخلوقات فالله ﷻ بأسمائه وصفاته إله واحد لا كفاء له ولا مثل له ولا شبيه له ولا نظير له، وإثبات الأسماء والصفات لا يقتضي مشابهة بين الخالق والمخلوق، وأنا أحببت أن أنص على هذه الجزئية في هذا المقام لأهميتها

حتى لا يفهم أحد من المستمعين أن نفي الكفو والمثل والشبيه والنظير عن الله ﷻ يستدعي نفي صفات الكمال عن الله ﷻ بل إن هذه الصورة ما سيقت إلا لإثبات صفات الجلال والكمال لله ﷻ.

ثم أود أن أبين أمراً آخر وهو أن أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة الصالحين -رحمهم الله تعالى- كانوا ينزهون الله ﷻ عن صفات الحدوث والاحتياج والمخلوقين، وهم إن أثبتوا لله الأسماء والصفات كما وردت، يعلمونها ويعتقدون ويؤمنون أنه ﷻ لا يشبه فيها أحداً من المخلوقين، فالله أجل وأعظم من أن يشبه أحداً من المخلوقين؛ ولهذا كانت هذه السورة العظيمة الجليلة هي صفة الرحمن ﷻ ويمكن أن نفهم كذلك منها كما ورد في الأحاديث إطلاق أو صحة إطلاق لفظ الصفة على الله ﷻ لأن بعض الناس يقول بأنه لا يقال بأن الله صفة، والنبى ﷺ في حديث البخاري حينما سأل الرجل قال: لم تقرأ بهذه السورة. قال: لأن فيها صفة الرحمن. فدل ذلك على أن الله ﷻ صفات.

### ٣. الكلام حول آية الكرسي:

#### أ. فضل آية الكرسي:

هل آية الكرسي لها فضل عظيم أو لا؟ وهل آية الكرسي لها من الفضل ما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أم لا؟

يتبين لنا ذلك بالرجوع إلى السنة النبوية المطهرة، ففي (صحيح مسلم) في كتاب صلاة المسافرين عن أبي بن كعب < قال: قال رسول الله ﷺ: ((يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم)) النبي ﷺ يسأل أبي بن كعب، كلنا يعلم مكانة أبي بن كعب < عند النبي ﷺ

## العقيدة خاص [٢]

### الدروس العاشر

وخاصة في القرآن وقراءته له فالنبي ﷺ يسأله هذا السؤال، ولا شك أن هذا السؤال كي يهيئ أبي بن كعب لتلقي الجواب وأن يفقه الجواب الذي سيقوله ﷺ وهذا يدل أيضاً على أن النبي ﷺ سيقول معنى عظيم جليل يستحق أن يهيئ المستمع له.

((قال: يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم أبا المنذر!)) أي: ليكن العلم هنيئاً لك. لماذا؟ لأنه عرف وأدرك أن أعظم آية في كتاب الله ﷻ هي آية الكرسي التي افتتحها ربنا ﷺ بقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وما كانت كذلك إلا لما اشتملت عليه من صفات الجلال والكمال لله ﷻ كما سنبين ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى.

ومما يدل أيضاً على فضل هذه الآية العظيمة في كتاب الله ﷻ ما رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن عن أبي هريرة < : في القصة المعروفة التي وكله فيها النبي ﷺ بحفظ زكاة رمضان فالنبي ﷺ قد أسند هذه المهمة إلى أبي هريرة < وكله بحفظ زكاة رمضان التي كانت تأتي إلى النبي ﷺ في مسجده كي يوزعها على الفقراء والمحتاجين والمساكين، فكان أبو هريرة حارس لهذه الأموال أو لهذه الزكاة، فأتى الشيطان يحثو ويحمل من هذه الزكاة، فمسكه أبو هريرة < وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فشكا الشيطان، وأبو هريرة لا يعرف من الذي يحثو من مال الزكاة ويسرق، ويريد أن يحمل، فقال له: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فشكا الشيطان الذي يسرق، وأبو هريرة لا يعرفه شكا فقراً وحاجة وعيلاً، ووعد الشيطان أبا هريرة أنه لن يعود فخلاً سبيله.

وهذا يدل على رحمة وشفقة هؤلاء الصحب الكرام، { أجمعين. والنبي ﷺ يتنزل الوحي عليه من السماء فأعلمه رب العزة والجلال بما كان من أمر الشيطان

مع أبي هريرة، فلما أصبح قال: ((يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟)) فقال أبو هريرة للنبي ﷺ: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً وفقراً فخليت سبيله، قال: ((كذبك وسيعود)) يعني كذبك في أنه لن يعود وسيعود، فقال أبو هريرة < : فعلت أنه سيعود. لماذا؟ لأن النبي ﷺ أخبر أنه سيعود، فعاد فعلاً في الليلة التالية لكي يسرق، فمسكه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. فأيضاً شكا حاجة وعيالاً وفقراً فخلى سبيله، فلما أصبح الصباح قال النبي ﷺ لأبي هريرة ((ما فعل أسيرك البارحة؟)) قال له مثل ما قال أولاً: شكا حاجة وفقراً وعيالاً قال: ((كذبك وسيعود)) قال أبو هريرة: فعلت أنه سيعود لأن النبي ﷺ أخبر بذلك، فجاء الثالثة يسرق ويحثو من مال الزكاة فمسكه أبو هريرة وقال له: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - لأن هذه كانت المرة الثالثة، أدرك الشيطان أنه ربما لن يترك، فقال لأبي هريرة < : سأعلمك كلمات ينفعك الله بها. وبالتالي يطلب من أبي هريرة أن يخلي سبيله، قد جاء في رواية الحديث أن الصحابة كانوا أحرص الناس على الخير، وأبو هريرة < فرح لما أعلمه الذي يسرق أنه سيعلمه كلمات عظيمة، فسأله ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك - يعني إذا جئت إلى النوم - فاقراً: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخلى أبو هريرة سبيله؛ لحرصه على الخير ولأنه استفاد منه هذه الفائدة العظيمة، فلما أصبح الصباح وأتى إلى النبي ﷺ فسأله: ((ما فعل أسيرك البارحة؟)) فأخبر النبي ﷺ بما كان، وبأنه علمه آية أو علمه كلمات ينفعه الله ﷻ بها، فلما أخبر بها النبي ﷺ قال له عليه الصلاة والسلام ((صدقك وهو كذوب)) هو صدق في هذا وإن كان هو كاذب، ثم أخبره: ((أتدري من كنت تكلم منذ ثلاث؟ قال: لا، قال: ذاك الشيطان)).



الشاهد من ذلك أن نفس الشيطان يعلم فضل هذه السورة وهو الذي أخبر بذلك أبو هريرة < والنبي ﷺ أخبر أن الشيطان صدق في هذا لأن هذه الآية العظيمة لها هذا الفضل الجليل العظيم، ولذلك كان من هدي النبي ﷺ أن يقرأ الإنسان عند نومه هذه الآية العظيمة.

كما أن النبي ﷺ أيضاً كان يقرأها وهو يذكر الأوراد الواردة عنه ﷺ والتي كان يقولها بعد أن يسلم ويفرغ من صلاته، ﷺ. وهذا يدل على فضل هذه الآية العظيمة، وعلى فضل ما احتوت وما اشتملت عليه من معان جلييلة وما ذاك إلا لاشتمالها على إثبات صفات الكمال لله ﷻ.

### ب. صفات الكمال الواردة في هذه الآية:

لسائل أن يقول: لماذا هذا الفضل العميم لهذه الآية؟ آية واحدة تفضل آلاف الآيات من كتاب الله ﷻ لم لها هذا الفضل؟

نذكر الآن صفات الكمال الواردة في هذه الآية، وإذا علمنا شيئاً من صفات الكمال الواردة في هذه الآية دلنا ذلك وأرشدنا وأعلمنا لماذا كانت هذه الآية أفضل سورة في القرآن الكريم.

هذه الآية العظيمة اشتملت على صفات جلييلة جداً لله ﷻ:

**الصفة الأولى:** دلالتها على وحدانية الله ﷻ هذه الآية العظيمة أول شيء دلت عليه: هو أنه ﷻ إله واحد لا إله إلا هو، وتأمل مطلع هذه الآية العظيمة ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أعظم كلمة في الوجود، وأفضل ما قال الأنبياء جميعاً هي كلمة لا إله إلا الله، وهي التي أمر الله ﷻ عباده أن يعلموها وأن يعملوا بما فيها، وخاطب الله ﷻ النبي ﷺ بقوله: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ [محمد: ١٩]، وهي الكلمة التي لو

خرج العبد من الدنيا، وهي معه أدخله الله ﷻ الجنة إذا قالها صادقاً من قلبه عاملاً بمقتضاها بما وعد الله ﷻ أوليائه والمؤمنين من عباده.

**الشاهد:** أول صفة أو أول فضل عظيم اشتملت عليه هذه الآية: هي أنها أثبتت لله ﷻ الوحدانية بذكر لفظ "لا إله إلا الله" التي من أجلها خلق الله ﷻ السموات والأرض، والجنة والنار وما إلى ذلك، وأعتقد أنه قد مر ذلك عليكم.

**الصفة الثانية: الحي.**

**الصفة الثالثة: القيوم.**

وقد سبق الحديث عن الحي القيوم، وتبين لنا من خلالها معنى الحي، ومعنى القيوم. الحي: الذي له الحياة الأزلية الدائمة الباقية لله ﷻ.

القيوم: القائم بنفسه، وكذلك الذي يقوم بجميع شئون خلقه ﷻ.

وقد أشرت فيما مضى أن الحي القيوم، وقد جاء في القرآن الكريم مقترنين في مواطن، ونقلت عن ابن أبي العز الحنفي في (شرح الطحاوية) أن على هذين الاسمين مدار جميع أسماء الله الحسنى، وما ذكرته هناك يغني عن إعادة القول فيه هنا.

**الصفة الرابعة:** أنه ﷻ مالك كل شيء بدليل ما جاء في هذه الآية: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالملك كله لله ﷻ الأرض وما عليها، والسماء وما فيها، وما بين السماء، وما بين الأرض للملك الجبار ﷻ فهو مالك الملك ﷻ كما قال عن نفسه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وهذه الآية العظيمة أشارت إلى ذلك وهو أنه ﷻ مالك كل شيء، فليس مع الله أحد يملك شيئاً فهو المالك وحده جل في

## العقيدة خاص [٢]

### الدرس العاشر

علاه، وقد سبق أيضاً ذكر اسم الله ﷻ الملك، وأشارت هناك إلى بعض ما يدل عليه هذا الاسم العظيم من معانٍ لله ﷻ.

**الصفة الخامسة: العلم؛** لأن الله ﷻ قال فيها: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وعلم الله ﷻ صفة ذاتية، بها يعلم ﷻ كل شيء، وعلم الله ﷻ لا يقف عند حد، علم الله محيط بكل شيء كما أخبر عن نفسه أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، جل في علاه فهو ﷻ العليم ويتصف ﷻ بصفة العلم، وهي صفة كمال لله ﷻ ثبتت له في كتابه، وفي سنة النبي الكريم ﷺ ومن الخطأ البين أن ينفي أحد من الناس فضلاً عما ينتسب إلى الإسلام هذه الصفة الجليلة لله ﷻ فنجد مثلاً الفلاسفة أنكروا علم الله ﷻ بالجزئيات وقالوا: علم الله ﷻ علم كلي، وتبعهم على ذلك وللأسف بعض أفراد قلائل من القدرية وكانت القدرية الأولى تقول: لا قدر، والأمر أنف يعني مستأنف لا يعلمه الله ﷻ إلا بعد وقوعه، وهذا ضلال عظيم وإفك مبین حين يعتقد الإنسان في رب العزة والجلال، واعلم أن الله يقول عن نفسه: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ١٧٦].

ولذلك الملائكة لما قالوا لرب العزة والجلال حينما أخبرهم بأنه سيخلق آدم ليعيش في هذا الكون قالوا لله ﷻ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] رد الله ﷻ عليهم قولهم فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ونجد أن الله ﷻ ختم بعض آيات القرآن الكريم باسمه ﷻ العليم المشتق من صفة العلم وأخبر عن نفسه بذلك في أكثر من آية حينما قال: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾

**بِعَلْمِهِ** ﴿ النساء: ١٦٦ ﴾ يعني أخبر بنفسه عن هذه الصفة كذلك النبي ﷺ أثبتها لرب العزة والجلال ﷻ كما في حديث الاستخارة ((أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك)).

**الشاهد:** أن هذه الصفة الجليلة العظيمة صفة كمال الله ﷻ لا يحق ولا يجوز لإنسان مجال أن ينفيها عن الله ﷻ لأن نفيها فيه من النقص ما فيه، ولا يليق ذلك بجلال الله وكماله، وإذا كان لا يجوز لإنسان، فكيف يليق بمسلم يشهد لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة يفعل ذلك؟!.

**الصفة السادسة:** وصف الله ﷻ بالعلي، فالله ﷻ هو العلي الأعلى، وكما سبح نفسه ونزهها وقدسها في القرآن الكريم، وقال: ﴿سَبِّحْ أَسْمَاءَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

لأن الله ختم هذه الآية العظيمة بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهو ﷻ العلي الأعلى، له العلو بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان، سواء كان علو الذات أو علو الشأن أو علو القهر، فالله ﷻ مستوٍ على عرشه عالٍ بائنٍ من جميع خلقه، جل في علاه وهو ﷻ أيضاً له علو القهر، وله علو الشأن، وله علو المكانة، وإن شاء الله تعالى ستتكلم عن صفة العلو العظيمة الثابتة لله ﷻ.

**الصفة السابعة:** هي آخر اسم سمي الله ﷻ نفسه به في هذه الآية، وهو اسم الله "العظيم" الذي ختم الله به هذه الآية فقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ العظيم: اسم جليل من أسماء الله ﷻ ومعناه: الذي جل عن إدراك العقول، فلا تحيط بكنهه ذاته وتدرک حقائق صفاته جل في علاه، فالله ﷻ أعلى وأعظم من أن يحيط به أحد من خلقه، وهو ﷻ لعظمته - جل شأنه - له من صفات العلى والكمال المطلق الذي يليق بجلال الله ﷻ.

## العقيدة خاص [٢]

### الدروس العاشر

مواضع اسم الله "العظيم" في القرآن:

وهذا الاسم الجليل "العظيم" ورد في القرآن الكريم في خمسة مواضع، وكلها تشير إلى العظمة لجلال الله وَجَلَّ.

**الموضع الأول:** ما جاء في آية الكرسي التي معنا: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ ونود الإشارة إلى موطن هذا الاسم في هذه الآيات، وأعلق على شيء مما اشتملت عليه؛ لأبين معنى اسم الله العظيم، وقد تكلمت في شيء مما مضى عن بعض المعاني الواردة في آية الكرسي، وهي أفضل آية كما ذكرت، وهي أول آية ورد اسم الله سُبْحَانَ العظيم فيها في القرآن الكريم.

**الموضع الثاني:** ما جاء في سورة "الشورى" في قول الله سُبْحَانَ: ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ [الشورى: ٤٤] ولو تأملت أيها المستمع الكريم ستجد أيضاً أن هذه الآية قريبة في معناها من آية الكرسي التي ذكر ربنا سُبْحَانَ فيها أنه مالك الملك له ما في السموات وما في الأرض.

**الموضع الثالث:** ما جاء في سورة "الواقعة"، لما قال ربنا سُبْحَانَ: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ** ﴿٥٨﴾ **أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ** ﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٥٩] إلى آخر ما ذكر من أفعال عظيمة لا يقوم بها أحد سواه، ختم هذه الآيات بقوله: ﴿ **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** ﴾ [الواقعة: ١٧٤].

فانظر وتأمل، كيف ساق الله وَجَلَّ لك أدلة عظمته في هذه الآيات حينما بين أولاً خلق الإنسان، ثم إعادته بعد ذلك إلى البعث والحساب والنشور، والوقوف بين يدي رب العزة والجلال؟! كذلك أشار ربنا -سبحانه- إلى الماء النازل من السماء الذي أخرج الله سُبْحَانَ به النبات من الأرض وكيف أنه جعل الله الناس يستمتعون

بما أودعه في الأنهار من ماء عذب فيشربون منه، وتشرب منه أنعامهم، ويسقون منه زروعهم؟! كل ذلك يحتاج إلى أن يسبح العبد بعظمة العظيم ﷻ.

**الموضع الرابع:** جاء ذكر الله "العظيم" في الآية التي جاء ذكر الله ﷻ فيها باسمه "العظيم" أيضاً، جاءت في سورة "الواقعة" في أواخر هذه السورة ويبدأ السياق من قول الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتَ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٤] إلى أن قال سبحانه ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦] جاءت هذه الآيات وختم هذه السورة بعد ما أشار ربنا ﷻ إلى من كذب بالقرآن الكريم وكفر نعمة الله ﷻ عليه وظن أنه ﷻ ربما لا يقدر عليه فبين ربنا ﷻ أنه يقبض الأرواح وأحبابها وأهلها وأصحابها جالسون حولها، لا يستطيع واحد منهم أن يتدخل في ردها أو أن يمنع قضاء الله ﷻ إذا نزل العلة في ذلك أن الله ﷻ هو العظيم؛ ولذلك ختم بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].

**الموضع الخامس:** في قوله ﷻ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤١].

إلى أن ختم ربنا هذه الآيات بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فالله ﷻ في هذه الآيات يتحدث عن القرآن وعن نزوله إلى النبي ﷺ وعلى أن الله ﷻ هو الذي أنزل القرآن من عنده وأن القرآن الكريم ليس هو كلام جبريل، ولا كلام محمد بن عبد الله ﷺ والذي ينكر ذلك آثم كذاب بما أورده ربنا في كتابه لم يعرف الله جلالاً ولا قدراً فناسب ذلك أن يختم ربنا أيضاً ﷻ هذه الآيات بتنزيه نفسه وتقديسها، وبيان شيء من عظمتها بذكر هذا الاسم العظيم الجليل لله ﷻ فختم الكلام في هذا الموضع بهذا الاسم الجليل فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

هذه بعض الأسماء والصفات الواردة لرب العزة والجلال ﷻ في هذه الآية أشرت إلى شيء منها إشارة يسيرة، وإلا فالمقام يحتاج إلى تفصيل أكثر، ولكن يكفي طالب العلم أن يعرف هذه المعاني اللاتقة بجلال الله ﷻ وكماله حتى يصف رب العزة والجلال ﷻ بها، وليعلم أيضاً أن هذه الآية ما فضلت على غيرها في القرآن الكريم إلا لما تضمنته واشتملت عليه من صفات الجلال والكمال لله ﷻ.

### ج. بيان معنى الكرسي الوارد في هذه الآية:

قال الله ﷻ في هذه الآية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فما معنى وما المراد بالكرسي الوارد في هذه الآية؟ أقول: ذكر ابن أبي شيبة في كتاب (صفة العرش) والحاكم في (المستدرک) عن ابن عباس < أنه قال في الآية: الكرسي: "موضع القدمين. والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى". وقد روي ذلك عن ابن عباس مرفوعاً، والصواب أنه موقوف على ابن عباس < وقد روي أيضاً عن ابن عباس أنه قال في كرسيه: علمه. وهذا في الحقيقة ليس بمحفوظ عن ابن عباس - رحمه الله -.

وقد حقق ذلك الإمام أبو عبد الله بن منده - رحمه الله - في (الرد على الجهمية) وساق بسنده إلى ابن عباس - رحمه الله - في حديث شجاع، قال شجاع في حديثه: أنه سأل - أي: ابن عباس - النبي ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: ((كرسيه موضع قدمه والعرش لا يقدر قدره)).

أما ما رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس < أنه قال: "الكرسي علمه، هذا لم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوي". يعني جعفر بن

أبي المغيرة ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير حتى يأخذ عنه مثل هذا القول، والصواب أن الكرسي هو موضع القدمين، وقد رجح ذلك الإمام ابن منده - رحمه الله - حيث قد ذكر أن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس ورد عنه أنه قال في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ﴾ قال: علمه. قال أيضاً: "هذا خبر لا يثبت؛ لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس، ونهشل متروك". ولهذا قال: "مما يدل على صحة قول ابن عباس وأبي موسى في الكرسي - يعني أنه موضع القدمين - ما ذكره الربيع بن أنس عن أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا للنبي ﷺ: ((هذا الكرسي وسع السموات والأرض فكيف بالعرش؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾)) [الأنعام: ٩١] إذا التحق أن المراد بالكرسي هو موضع القدمين، وأنه ما ذكر عن ابن عباس أن المراد بالكرسي هو العلم لم يثبت إلى ابن عباس < والصواب ما سبق، كما ذكرت أن الكرسي موضع القدمين.

ولذلك شارح (الطحاوية) - رحمه الله - قال بأن الصواب أن الكرسي هو موضع القدمين، وهذا هو المحفوظ عن ابن عباس < وهو ما رواه عنه ابن أبي شيبه، كما تقدم وقال - يعني شارح الطحاوية -: من قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن، والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم؛ يعني تفسير الكرسي بأنه العلم.

وقد ذكر ابن تيمية في الفتاوى عن الإمام ابن أبي زمنين في أصول السنة أنه قال: أن قول أهل السنة في الكرسي أنه بين يدي العرش وأنه موضع القدمين، هذا معنى كلمة الكرسي الوارد في قول الله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].



د. الكلام حول الشفاعة الواردة في آية الكرسي :

أولاً: بيان أن الشفاعة لله جميعاً:

الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أن الشفاعة له جميعاً فقال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] يعني هو مالکها، ولا يستطيع أحد شفاعة ما إلا أن يكون المشفوع له مرتضى، والشفيع مأذوناً له، وهذه الآية: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ رد الله ﷻ بها على المشركين الذين اتخذوا من دون الله شفعاء، ولو تأملنا سياق الآيات سنجد ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [٤٣] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤]. فبين رب العزة والجلال أن الأصنام لا تملك شيئاً لأن الشفاعة كلها حق، وهي لله ﷻ وحده دون سواه.

وقد يستشكل ذلك على بعض الناس فيقول: كيف أن الشفاعة لله جميعاً، ونحن نعلم أن هناك شفاعة للملائكة وللأنبياء وللعلماء وما إلى ذلك؟ فكيف تقول بأن الشفاعة لله جميعاً؟ هذا يدعونا إلى أن نتكلم عن شروط الشفاعة.

ثانياً: شروط الشفاعة:

أبين شروط الشفاعة، وإذا عرفنا شروط الشفاعة استطعنا أن ندرك كيف أن الشفاعة لله جميعاً؟ وقد ذكرت سابقاً أن الشفاعة لله جميعاً بمعنى: أن الله ﷻ هو الذي يملكها، وهو الذي يأذن لمن شاء من خلقه في الشفاعة، هذه الشفاعة التي أضافها ربنا ﷻ إلى نفسه لا تتحقق إلا بشروط ذكرت في القرآن الكريم، وقد نصت آية الكرسي التي نحن بصدد الحديث عنها على شرط منها وهي:

**الشرط الأول:** الإذن من الله ﷻ للشافع ؛ لأن الله ﷻ قال : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلا بد من إذن الله ﷻ للشافع.

**الشرط الثاني:** رضا الله ﷻ عن المشفوع له ، وهذا يؤكد ما جاء في قول الله ﷻ : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبِرِضْوَانِهِ ﴾ [النجم: ٢٦]. فهذه الآية ذكرت هذين الشرطين :

**الأول:** إذن الله ﷻ للشافع أن يشفع ، رضا الله ﷻ عن المشفوع له ، وهذا يدل على أنه حقاً الشفاعة لله ﷻ جميعاً ، وأنه لا يملكها أحد ، وحينما يشفع أحد من خلق الله ﷻ لا يستطيع ولا يجزؤ ولا يمكن له أن يتقدم بين يدي الله للشفاعة إلا إذا أذن الله ﷻ له فهي حق لله ﷻ وهذا من تمام التعظيم والتقديس لرب العزة والجلال ﷻ.

**الثاني:** الذي هو رضا الله ﷻ عن المشفوع له يقتضي أن يكون المشفوع له مسلماً موحداً ، يقتضي بأن يكون المشفوع له مسلماً وقد مات على التوحيد ، لأن المشرك والكافر لا شفاعة له ، وسيأتي بيان ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى ، ونستدل بهذا الحديث على ذلك ، ألا وهو حديث أبي هريرة < لما سأل النبي ﷺ : ((من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ﷺ؟ قال ﷺ : لقد علمت يا أبا هريرة أنه لن يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ؛ لما علمت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي : من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)). وفي رواية : ((صدقاً من قلبه)).

**ثالثاً:** ذكر أنواع الشفاعة الثابتة في القرآن والسنة :

بعد أن قررت أن الشفاعة لله جميعاً وذكرت الشروط التي بها تتحقق الشفاعة ، وتبين لنا من خلال ذلك أنه حينما يشفع ملك أو نبي أو مؤمن صالح إنما يكون ذلك بعد إذن الله ﷻ له أن يشفع ورضا الله ﷻ عن المشفوع له مما يؤكد أن

الشفاعة لله جميعاً ويشترط أيضاً أن يموت الذي يشفع له على التوحيد، أود أن أذكر بعض أنواع الشفاعة الثابتة:

**النوع الأول:** الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة لأهل الموقف جميعاً، وقد وردت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة < : ((أن النبي ﷺ أتى بلحم، فرفع إليه الذراع وكان يعجبه ﷺ، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة أتدرون مما ذلك؟)) ثم ساق الحديث ﷺ وهو حديث طويل، وفيه أن الناس حينما يجمعهم ربنا ﷻ في أرض المحشر وتدنو الشمس من الرؤوس ويبلغ العرق من الناس مبلغاً عظيماً ويتفاوتون فيه على قدر أعمالهم؛ يود أهل الموقف أن ينصرفوا من هذا الموقف فيذهبون إلى آدم وإلى موسى وإلى إبراهيم، ويذهبون أيضاً إلى عيسى - عليهم السلام- يطلبون من كل الشفاعة، فالجميع يتأخر عنها، فيأتون إلى النبي ﷺ فيقول: أنا لها، ثم يذهب فيخر تحت العرش ساجداً لربه، ويفتح الله ﷻ عليه من حسن الثناء عليه من محامد لم يكن يعلمها من قبل، يثني بها ﷻ على ربه، فيأذن له رب العزة والجلال في الشفاعة، فينصرف الناس من الموقف، هذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ هذه شفاعة خاصة برسول الله ﷺ لا يشاركه فيها أحد، وهي تشمل وتعم جميع الناس في الموقف، تشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر وما إلى ذلك؛ لأنها في انصراف الناس للحساب والجزاء ووزن الأعمال وما إلى ذلك.

**النوع الثاني:** الشفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة، يعني حينما يدخل أهل الجنة الجنة تكون هناك شفاعة في رفع الدرجات في الجنة لأن الجنة درجات كما تعلمون، بعضها أعلى من بعض، المعتزلة قد وافقت على هذه الشفاعة خاصة، وسيأتي ذكر أن المعتزلة نفوا الشفاعة في مرتكب الكبائر وغيرها من الشفاعات، ولكنهم وافقوا على هذه الشفاعة.

**النوع الثالث:** الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

**النوع الرابع:** شفاعة خاصة بالنبي ﷺ وهي في تخفيف العذاب عن أبي طالب ولا يستشكل أحد هذه الشفاعة، فيقول: كيف يشفع النبي ﷺ في رجل مات على الشرك نقول أن هذه الشفاعة خاصة في جزئية محدودة تنفعه شيئاً ولكنها لا تخرجه من النار إلى الجنة، فالجنة حرمها الله ﷻ على كل مشرك، وهذا لن يخرج من النار ليدخل الجنة، وإنما لما كان مدافعاً عن النبي ﷺ ذاباً عنه منع قريش أن تصل إليه، وفي هذا تمكين للنبي ﷺ من تبليغ رسالة ربه كان له هذا القدر من الشفاعة.

النبي ﷺ سئل هل نفعت عمك بشيء فإنه كان يحوطك ويمنعك؟ فقال ﷺ: ((نعم نفعته هو في ضحضاح من نار (يعني في جانب من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه) ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)).

**النوع الخامس:** الشفاعة المهمة التي وقع فيها خلاف وإنكار كبير من الخوارج، ومن المعتزلة الشفاعة في أهل الكبائر، والشفاعة في أهل الكبائر ثابتة يقيناً بسنة النبي ﷺ والأحاديث فيها كثيرة للغاية، بل إن بعض العلماء ذكر أن هذه الأحاديث تبلغ حد التواتر، وهي الشفاعة في أهل الكبائر وصح عن النبي ﷺ أنه قال: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)). وقال ﷺ أيضاً بأنه: ((لكل نبي دعوة مستجابة، وإنني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن شاء الله - من مات لا يشرك بالله شيئاً)).

**رابعاً: الشفاعة المنفية:**

الله ﷻ في القرآن الكريم نفى شفاعة، فما هي هذه الشفاعة المنفية في القرآن الكريم؟ هي شفاعة الآلهة المزعومة، التي اتخذها المشركون من دون الله ﷻ هذه الشفاعة غير صحيحة، بل منفية وقد قطع الله ﷻ جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون في اتخاذ الشفعاء، فقال ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ

دُونَ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

فبين سبحانه أن هؤلاء المدعويين ليسوا مالكين معه، فلا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ثم بين سبحانه أنهم أقل وأذل من أن يكونوا مالكين لهم من الملك مع الله سبحانه أو من الشراكة في أقل ذرة في السموات والأرض، وإذا بطل ملكهم وأنهم لا يملكون؛ فأيضاً لا يملكون شيئاً من الشفاعة.

### خامساً: الرد على منكري الشفاعة الثابتة:

حيث إن بعض أهل الأهواء استدلوا بآيات من القرآن الكريم على نفي الشفاعة، ومن ذلك الحوارج والمعتزلة نفوا الشفاعة في مرتكبي الكبائر، واستدلوا مثلاً بقول الله ﷻ: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨]، وليست لهم حجة في ذلك لأن المراد بالظالمين هنا المشركون، وكلمة الظلم عندما تقال بإطلاق تنصرف إلى الشرك، فلما نزل قول الله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقت على الصحابة، فلما شقت عليهم ورجعوا إلى النبي ﷺ قال: ((ليس الظلم الذي تعنون، ألم تسمعوا قول العبد الصالح ﴿ يَبْتغِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣؟])).

فالظالم عند الإطلاق هو المشرك، وقد بينت فيما مضى أن من شروط الشفاعة أن يرضى الله عن المشفوع له، وهذا يقتضي أن يموت المشفوع له على الإسلام والتوحيد؛ لحديث أبي هريرة الذي سقته سابقاً، وبالتالي لا شفاعة لمشرك، وقوله ﷻ: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] نفي للشفاعة التي تكون لأهل الشرك، فالمشرك لا شفاعة له؛ لأنه لا يرتضى بحال، وكيف يرتضى وقد اتخذ الله ﷻ الأنداد والشركاء؟! فالله ﷻ نفى أن يكون للمشركين

شفاعة لأنهم اتخذوا الأنداد والشركاء مع الله سبحانه، والقرآن الكريم بعد ذلك والسنة أثبتا الشفاعة لغيرهما من أهل الإيمان والحمد لله على ذلك، فالشفاعة ثابتة للنبي ﷺ وللملائكة وللعلماء، بل إن رب العزة والجلال سيشفع أيضاً في يوم القيامة وقد طفحت بذلك الأحاديث من السنة النبوية.

هـ. نفي السنة والنوم والعجز عن الله :

أولاً: نفي السنة والنوم عن الله ﷻ :

ذلك أن الله سبحانه لما أثبت لنفسه في آية الكرسي أنه الحي القيوم، وأنه بكل شيء عليم، وأنه مالك الملك أكد ذلك بنفي السنة والنوم المستلزمان للغفلة؛ لأن السنة والنوم تستلزم ذلك.

قال المهامي -رحمه الله- السنة فتور يتقدم النوم، والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء دماغه من رطوبات أبخرة متصاعدة تمنع الحواس الظاهرة عن الإحساس، وبالتالي يصبح السنة والنوم صفات نقص تنافي قيومية الله ﷻ على عباده، وأنه يدبر أمر مملكته؛ لأنهما من التغيرات المنافية لوجوب الوجود الذي للقيوم ﷻ.

ثانياً: نفي العجز عن الله :

ذلك أن الله ﷻ بعد أن أثبت لنفسه سبحانه كثيراً من الكمال الثابت له في هذه الآية الموضح لتمام القدرة وكمالها نفى ﷻ العجز والنقص عن نفسه، لأنه لا يليق بصاحب الكمال المطلق أن يكون لديه أدنى عجز أو قصور أو نقص ينافي الكمال، ولذلك قال ﷻ: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي لا يكرثه

## العقيدة خاص [٢]

### الدرس العاشر

ولا يثقله ولا يعجزه سبحانه، لماذا؟ لأنه على كل شيء قدير، كما قال ﷺ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وكما قال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَتِ اللَّهُ يُعْجِزُهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وهذا النفي الوارد في هذه الآية - أعني به نفي السنّة والنوم والعجز - عن الله في قوله: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ من النفي المجمل الذي يتضمن ثبوت كمال ضده، وسيأتي حديث عن ذلك إن شاء الله ﷻ بالتفصيل.

٤. الكلام حول قوله ﷺ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ :

أ. أدلة القرآن الكريم على ثبوت هذه الصفة لله ﷻ:

القرآن الكريم أثبت ربنا ﷻ فيه هذه الصفة فقال ﷺ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ١٧٥]، الشاهد: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ فأثبت لنفسه يدين خلق بهما آدم # كما أنه سبحانه رد على اليهود حينما افتروا على الله ﷻ الكذب، ونسبوه إلى النقص والعجز، فرد عليهم ذلك سبحانه، كما قال ﷺ في كتابه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فهو هنا أخبر سبحانه أيضاً أن له يدين، ووصفهما بذلك فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ، إلى غير ذلك مما يدل على ثبوت هذه الصفة الجليلة لله ﷻ.

ب. أدلة السنة على ثبوت هذه الصفة لله ﷻ:

كما أن السنة النبوية فيها أحاديث كثيرة تثبت هذه الصفة لله ﷻ، فمثلاً في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه، وفيه يقول النبي ﷺ: ((يقبض الله سمواته بيده، والأرض باليد الأخرى))، وكقوله ﷻ:

أيضاً فيما رواه البخاري في كتاب التوحيد: ((يمين الله ملى، لا يغيضها نفقة - يعني: لا ينقصها نفقة - سحاء الليل والنهار، أرايتم ما أنفق منذ خلق الخلق؟! فإنه لم يغيض ما في يمينه، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع))، وفي الحديث أيضاً الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه في أعلى أهل الجنة منزلة، وقد جاء فيه قول النبي ﷺ: ((أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها))، وقال أنس بن مالك < فيما رواه الحاكم عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خلق الله جنة عدن وخرس أشجارها بيده، فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون))، وهذا الحديث وإن ذكره الحاكم في (المستدرک)، وقال بأنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه، إلا أن الحافظ الذهبي - رحمه الله - تعقبه فيه وذكر أنه ضعيف، وقال عبد الله بن مسعود < قال رسول الله ﷺ: ((الأيدي ثلاثة)).

أقول وأذكر قول عبد الله بن مسعود < الذي يرويه عن النبي ﷺ: ((الأيدي ثلاثة: بيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى))، وفي الصحيح عنه ﷺ في (صحيح مسلم): ((المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما ولوا)).

وهكذا لو أردنا أن نتبع الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي ﷺ في إثبات صفة اليد لوجدناها كثيرة، وما ذكرته أردت به أن أبين أن السنة المطهرة تكاثرت ووردت فيها الروايات الكثيرة التي رواها الصحابة عن النبي ﷺ مما يؤكد ثبوت هذه الصفة الجليلة لله ﷻ، وفي بعض الأحاديث ذكر شيء مما يفعله الله ﷻ بيديه كما أشرت في أول حديث: ((يقبض الله السموات بيمينه))، وكما قال أبو موسى الأشعري < فيما رواه الترمذي عنه، وقال: حديث حسن صحيح عن



النبي ﷺ قال: ((خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فمنهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن والطيب والحبيث))، فأيضاً هذا فيه ذكر لأمر يفعلها رب العزة والجلال بيده، ومثله ما قاله أبو هريرة < عن النبي ﷺ والحديث رواه البخاري ومسلم يقول: ((ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت ثمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل))، ومثله ذكر أنس ونافع بن عمر وغيرهما عن النبي ﷺ مما يؤكد ثبوت هذه الصفة الجليلة لله ﷻ وكما أشرت وذكرته من أحاديث كثيرة أردت به أن ينشرح إخواني المستمعين إلى أن هذا المعتقد هو الصحيح الذي نطق به القرآن والسنة النبوية المطهرة.

### ج. بيان معتقد السلف الصالح في هذه الصفة:

هذه الصفة كغيرها من الصفات التي يؤمن بها سلف هذه الأمة الصالحون، ويشبونها لله ﷻ على ما يليق بجلال الله وكماله، يشبونها دون تشبيه أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل، وهي صفات كمال، بها يخلق ربنا ويعطي ويقبض، وما إلى ذلك، وكل هذا دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وهذا الكلام الذي ذكرته عن السلف في هذه الصفة هو موقفهم -رحمهم الله تعالى- من جميع الصفات الثابتة لله ﷻ فهم يشبونها الصفة دون تشبيه لأنهم يعتقدون ويعلمون أن ما يضاف لله ﷻ يليق بجلال الله وكماله، ولو ذكرت الصفة وأضيفت إلى المخلوق، فهي تناسب حاله وعجزه وافتقاره، وتكون الصفة في المخلوق ليست كالصفة في الخالق، كما أن ذات المخلوق ليست كذات الخالق.

## د. تفسير الخلف لهذه الصفة وبيان بطلانه :

لن أكتفي بذكر ما قاله الخلف من تأويلات لهذه الصفة، وكيف أنهم خرجوا بما ذكروه عن الحق القويم الذي جاء من عند الله ﷻ ثم أبين بطلانه.

فصفة اليد طاشت فيها سهام الخلف عن إصابة الهدف، وأخذوا يفسرونها تفسيراً يتفق مع معتقدهم في تأويل صفات الله ﷻ وكان تفسيرهم لها واضح الخطأ ومضطرب مختلف، فنجدهم مرة مثلاً فسروها بالقدرة، قالوا -مثلاً- في قوله ﷻ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، يعنى قدرة الله فوق قدرتهم، ومرة أخرى فسروها بالنعمة، والذي دفعهم إلى ذلك خوفهم من التشبيه أو التجسيم، قالوا: هذه أعضاء وجوارح في الإنسان فلو أثبتناها لله ﷻ نكون بذلك قد شبهنا الخالق بالمخلوق، وأقول لهم: الله ﷻ هو الذي أخبرنا بذلك في كتابه، والنبى ﷺ هو الذي ذكر ذلك في سنته، والقرآن والسنة كلاهما وحي من عند الله ﷻ فيهما من الهداية والإرشاد والدلالة على الحق والخير والصواب ما أراه رب العزة والجلال أن نفهمه منهما، والله يقول: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، فكيف إذا أخبرنا ربنا ﷻ أنه مثلاً خلق آدم بيديه كما ذكرت الآية: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥]، أو كما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فهل يجوز لإنسان أن يتناول على مقام رب العزة والجلال وعلى كتاب الله الحق المبين، ويقول بأن المراد بيدي يعنى بنعمتي؟

لا شك أن هذا لا يستقيم، بل هو باطل؛ لأن الذي يؤمن به جميع المؤمنين - ومنهم الخلف الذي يؤولون هذه الصفة - يؤمنون ويعلمون أن نعم الله ﷻ لا تعد ولا تحصى كما قال ربنا ﷻ في كتابه: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [النحل: ١٨]، فكيف نقول بأنه خلق بنعمتي؟، ولا يجوز أيضاً أن يقال في: ﴿مَا

مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ<sup>ط</sup> ﴿١﴾ ، خلقت بقدرتي ، لماذا؟ لأن ما ندين به نحن وهؤلاء المؤولة أيضاً - فيما أعلم - أن الله قدرة واحدة باهرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ ، فدل ذلك على أنه لا يصلح تأويل الآية على أن المراد بها القدرة ؛ إذ الجميع خلق بقدرة الله ﷻ وإنما أراد ﷻ إثبات يدين لم يشارك إبليس آدم # في أن خلق بها ، وليس يخلو قوله ﷻ : ﴿لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ<sup>ط</sup>﴾ ﴿٣﴾ ، أن يكون معنى ذلك إثبات يدين نعمتين مثلاً كما ذكروا ، أو قدرتين ، أو إثبات يدين على الحقيقة ، والظاهر من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ أنه لا يمكن أن يراد بها كما ذكرت نعمتين أو قدرتين أو جارحتين - كما زعموا - لأن الله ﷻ لا يوصف إلا بما وصف ﷻ به نفسه ، فلم يبق إذاً إلا أن نؤمن ونصدق بأن له يدين حقيقة ، ولا يمكن أن يكون المراد بهما نعمتين أو قدرتين ؛ لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل : عملت بيدي وهو يعني نعمتي ، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين ؛ لأن الله ﷻ أيضاً منزّه عن ذلك ، ولا يجوز أيضاً عندنا وعند خصومنا كما سبق أن ذكرت أن نعني قدرتين ، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع وهو أن معنى قول الله ﷻ : ﴿لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ<sup>ط</sup>﴾ ﴿٤﴾ ، إثبات يدين له ﷻ ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين ، واحتجت إلى أن أقول : ليستا جارحتين ؛ لأرد على المؤولة المعطلة الذين ينسبون ذلك إلى السلف ، وإن كانت مثل هذه الألفاظ لا تقال نفيًا ولا إثباتًا ؛ لأنها من الألفاظ المبتدعة الموهمة التي ليس لها ذكر في القرآن والسنة ، ولكن من باب الرد على الخصوم قلت ذلك ، وأئمة أهل العلم ذكروا أيضاً بطلان هذا التأويل الذي ذهب إليه من ذهب ، ومنهم ابن بطل - رحمه الله - ، وأود أن أذكر كلامه لأن فيه أيضاً ردًا على بعض الشبهات التي وردت حول ثبوت هذه الصفة لرب العزة والجلال ﷻ .

يقول ابن بطال - رحمه الله - فيما ذكره عنه ابن حجر في (فتح الباري) عند قول الله سبحانه: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ، قال: في هذه الآية إثبات يدين لله ﷻ، وهما صفتان من صفات ذاته، وليستا بجارحتين، هكذا ذكر.

ونحن لو استقرأنا القرآن الكريم لوجدنا أن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع: جاء مفرداً كقوله ﷻ: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وجاء مثنى كقوله ﷻ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ، وجاء جمعاً كقوله ﷻ: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ أَيَدِينَ﴾ [يس: ٢٧]، وإذا رجعنا هذه الاستعمالات الثلاثة لليد؛ نجد الله إذا ذكر اليد مثناة يضيف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد، ويتعدى الفعل بالباء إليهما أي إلى اليدين، فقال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ، وإذا ذكرها بصيغة الجمع أضاف العمل إلى اليد، والفعل يتعدى بنفسه لا بالباء، كما في قوله: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ أَيَدِينَ﴾ ، وأما في حالة الجمع يكون معنى: ﴿عَمِلْتَ أَيَدِينَ﴾ أي عملنا نحن، وهو يساوي عملنا وخلقنا ورزقنا وما إلى ذلك.

وذكرت هذا حتى لا يشوش أحد من المؤولة أو المعطلة بأن اليد جاءت في القرآن مفردة وجاءت مثناة وجاءت جمعاً، وبالتالي لا تكون صفة لله ﷻ ونحن نقول بأن الله أثبت لنفسه يدين كما ذكر في القرآن، وكما جاءت في السنة النبوية المطهرة، وقد قرأت شيئاً من نصوصها فيما مضى، وفي بعض الأحاديث ورد قول النبي ﷺ: ((وكلتا يدي ربي يمين))، وبالتالي يبطل زعم من زعم تأويل هذه الصفة الجليلة لله ﷻ التي بها يقبض ويخلق ويعطي ويمنع وكل ذلك بيد الله ﷻ.

٥. إثبات صفة الأصابع لله ﷻ:

أ. ثبوت هذه الصفة لله ﷻ في الأحاديث النبوية:

حيث وردت أيضاً أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في إثبات هذه الصفة لله ﷻ، ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب ١٣ بعنوان: باب تصريف الله ﷻ القلوب كيف يشاء، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص } ولفظه عند مسلم: ((إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفها حيث يشاء، ثم قال: يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك))، وفي معناه أيضاً حديث النواس بن سمعان < عند مسلم، ونصه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((الميزان بيد الرحمن، إن شاء يرفع أقواماً ويضع آخرين، وقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه، وكان يقول رسول الله ﷻ: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)).

وهذه الأحاديث الصحيحة أثبتها علماء الحديث وأهل السنة، واعتقدوا بموجبها، وهي إثبات صفة الأصابع لله ﷻ، إذا هذه الأحاديث تثبت هذه الصفة لله ﷻ.

السنة إذا صحت وجب العمل بها، والأخذ بها حتى ولو لم يرد لها نظير في القرآن الكريم، أقول ذلك لأن هذه الأحاديث صحت عن النبي ﷺ في أصح الكتب في البخاري ومسلم، وغيرهما من كتب السنن، ولم يأت ذكرٌ لهذه الصفة في كتاب الله ﷻ وورودها في السنة كافٍ في إثباتها.

ب. قول المؤولة المعطلة لهذه الصفة والرد عليهم :

هذه الأحاديث التي ورد فيها إثبات صفة الأصابع لله ﷻ أيضاً لم تسلم من تحريف المحرفين وتأويلاتهم الباطلة، بل نالها ما نال غيرها من كثير من نصوص الصفات، فمثلاً في بعض الأحاديث التي رواها مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ والحديث: روى عبد الله بن مسعود: ((أن أحد أحبار اليهود أتى إلى الرسول ﷺ فقال: له: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله ﷻ يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأراضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسول الله ﷻ تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له، ثم قرأ قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

المؤولة زعموا أن إثبات الأصابع في هذا الحديث تخليط من اليهود؛ لأن اليهود مجسمة، وأما ضحك النبي ﷺ من كلام الحبر ليس دليلاً على تصديقه لليهودي، بل هو دليل الكراهة والغضب والاستنكار، والناظر في كلامهم هذا يرى أن هذا الكلام ينقصه الشيء الكثير من الإنصاف، وأن مجانبة الصواب فيه واضحة ومكشوفة لكل طالب علم، وقد نسي المعارضون النافون أو تناسوا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وحديث النواس بن سمعان، وقد ذكرتهما آنفاً في أول ذكري لإثبات هذه الصفة، وليس في إسنادهما يهودي ولا نصراني بحمد الله ﷻ، فحديث عبد الله بن عمرو بن العاص: ((إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها حيث يشاء))، وليس فيه ذكر لا لليهودي ولا لغيرهم، فكيف يزعم هؤلاء أن أحاديث الأصابع إذاً فكرة يهودية

لا ينبغي الاعتماد عليها؟ وفاتهم بهذا أنهم يسيئون التصرف والقول في أصحاب رسول الله ﷺ الذين رووا الحديث بعد أن فهموا أن النبي ﷺ أقر اليهودي على ما أخبر من قدرة الله ﷻ؛ حيث يحمل الرب تلك الأشياء المذكورة في الحديث على أصابعه، وضحك النبي ﷺ يدل على التصديق والإعجاب بكلام الحبر ثم أراد أن يزيل عنه الاستغراب والاستعظام فقرأ ﷻ الآية التي أيضاً سقتها سابقاً، وهي قوله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ﴾ .

هكذا فهم الرواة من الصحابة ومن بعدهم هذا الحديث وهذه الآية، ولا شك أن من أغرب ما فعله المؤولة حينما حاولوا تخطئة الراوي الذي قال: "وتصديقاً للحبر وتعجباً من كلامه" ثم فسروا ضحك النبي ﷺ هنا بالاستنكار والكراهة، وهنا أقول لهم: متى علم المسلمون الذين يدرسون سيرة الرسول ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام إذا سمع من يصف الله بما لا يليق له، أو إذا انتهكت حرمت الله، أو تَقَوْلَ أحد على الله بغير علم، متى علموا بأن النبي ﷺ يعبر عن ذلك بالضحك؟! هذا أمر عجيب بالحق، وكيف يكون ذلك؟، وكيف يقول أحد اليهود أمام النبي ﷺ ما لا يليق بجلال الله، ولا يصح أن يتصف به؟! ثم بعد ذلك يضحك النبي ﷺ، هذا لا يمكن أبداً؛ لأنه من المعروف من سيرته ﷺ أنه في مثل هذه المواقف يغضب الله، وكيف لا يغضب في مثل هذه الظروف التي يكون الحديث فيها خاصاً بذى الجلال والإكرام ﷻ؟!.

بهذا أقول: إن محاولة النفاة رد أحاديث الأصابع بعد أن رواها الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما -رحم الله الجميع- بسبب هذا الأمر الذي ذكروه -وهو أن ما ورد في الحديث فكرة يهودية- وتناسيهم الأحاديث الأخرى التي ذكرت هذه الصفة دون أن يكون فيها ذكر لليهودي أو نصراني، وقد قال بعضهم أيضاً كلاماً

بعيداً عن الحقيقة في هذه الصفة، فبعضهم قال -مثلاً إلى جانب ما سبق أن ذكره قال- : يحتمل أن يكون المراد بالأصابع خلقاً يخلقه الله ليحمله ما تحمله الأصابع، وقال آخرون: لعل المراد بالأصابع نعمة النفع والدفع، أو أثر الفضل والعدل إلى آخر تلك التكلفات، لاحظوا معي أيها الكرام، هم أولاً: حاولوا أن يردوا هذه الصفة بحجة أنها فكرة يهودية لما أتى الخبر إلى النبي ﷺ وذكر ذلك، وقد سبق أن رددت على هذا الأمر وبينت بطلانه؛ لأن تصديق النبي ﷺ له كافٍ إلى جانب الأحاديث الواردة الأخرى في ذلك، أما قولهم بأن الله ﷻ يخلق خلقاً يحمله ما تحمله الأصابع، أو المراد بالأصابع نعمة النفع والدفع وما إلى ذلك، فهذا كلام بعيد كل البعد عما أراده الله ﷻ وما نص عليه النبي ﷺ في سنته، ولا شك أن هذا تحريف وتكلف في معنى الحديث يأباه السياق ولا يدل عليه، والحافظ ابن حجر -رحمه الله- أنكر هذا التحريف والتكلف في معنى الحديث في (فتح الباري) وأوضح أن فعل هؤلاء المؤولة هو في الحقيقة طعن في ثقات الرواة، ورد الأخبار الثابتة عن النبي ﷺ إلى أن قال -رحمه الله-: ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الراوي للزم فيه تقرير النبي ﷺ على الباطل، وهذا يعني ألفة النظر إليه، لو أن الأمر على خلاف ما فهمه الراوي من إثبات صفة الأصابع لله ﷻ للزم في ذلك أن النبي ﷺ أقر الباطل الذي فهمه هذا الراوي، وسكت عن إنكاره وحاشاه من ذلك ﷺ، ثم قال الحافظ: وممن أنكر بل تشدد في الإنكار على من ادعى أن الضحك في الحديث كان على سبيل الإنكار، الإمام ابن خزيمة -رحمه الله- بعد أن أورد هذا الحديث في كتاب التوحيد من صحيحه، وبالتالي إذا ظهر لنا إبطال قول المؤولة المعطلة في هذه الصفة أيضاً الثابتة لله ﷻ لاح لنا منهج أهل السنة الصحيح في تلقي الأخبار التي وردت بها نصوص الصفات والتسليم بها عن الله ﷻ.



#### ج. التأكيد على نفي مماثلة الخالق للمخلوق:

لماذا؟ لأنه قد يستوحش البعض من ذكر صفة الأصابع لله ﷻ ونحن نقول: هي صفة غيرها من الصفات التي أثبتها النبي ﷺ لربه، ومعروف موقف أهل السنة في هذا، وقد سبقت الإشارة إليه، وسيأتي له مزيد بيان إن شاء الله ﷻ، ولكنني هنا أحب أن أؤكد أن أهل السنة والجماعة حينما يثبتون صفة اليد أو الأصابع أو ما إلى ذلك لا يشبهون الله ﷻ بخلقه، بل هم في الحقيقة يعتمدون على النصوص دون تشبيه أو تحريف أو تأويل، فهم من أبعد الناس عن كلا البدعتين: التشبيه والتأويل والتعطيل، ومنهجهم في الحقيقة هدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين، فهم سلموا للنصوص، وفوضوا علم حقيقتها وكيفيتها إلى الله ﷻ فهموا معناها، وفوضوا فيما وراء ذلك، فلم يكيفوا ولم يشبهوا أو يمثّلوا رحمهم الله ﷻ، وهذا هو المنهج الصحيح الذي تركهم عليه النبي الكريم ﷺ.

#### ٦. طريقة القرآن في الصفات هي الإثبات المفصل، والنفي المجمل:

##### أ. دلالة القرآن على ذلك:

دلالة القرآن على أن ما ورد فيه هو الإثبات المفصل والنفي المجمل، ودلالة السنة أيضاً، فلو تأملنا في كتاب الله ﷻ نجد أن الإثبات يأتي في القرآن كثيراً، كقول الله سبحانه فيما وصف به نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٧]، وقوله مثلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، وكما ذكر فيما سبق شرحه من آيات: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ١ - ٣]، وأنه الحي القيوم، وأنه عزيز حكيم، وأنه غفور رحيم، وأنه

سميع بصير، وأنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين، وأنه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، وأنه ﷺ يرضى عن المؤمنين ويغضب على الكفار ويلعنهم، تجد مثل ذلك في القرآن كثيراً، أما النفي فإن القرآن يجمل فيه غاية الإجمال: كقول الله مثلاً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هذا إجمال في النفي، أو كقول الله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أو ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، تجد هذه الآيات بينت أن الله لا كفاء له ولا ند له ولا مثل ولا شبه ولا نظير ولا شبيه له ﷺ، ولذلك يقول ويبين الإمام ابن القيم - رحمه الله - موقف أهل السنة في ذلك الذين اتبعوا النبي ﷺ يقول - رحمه الله - إن الرسل ﷺ جاءوا بنفي مجمل وإثبات مفصل، ولهذا قال ﷺ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠: ١٨٢]، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وطريقة الرسل هي ما جاء به القرآن، والله ﷺ في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه على طريق الإجمال التشبيه والتمثيل.

وأود أن أبين لماذا كان الإثبات مفصلاً والنفي مجملاً؟ أقول: إن النفي المحض الذي لا يستلزم إثباتاً ليس بمدح في الحقيقة ولا ثناء لأنه عدم، والذي يكون به المدح والثناء والتمجيد والتعظيم هو صفات الإثبات، فلا يثبت الله لنفسه صفة سلب إلا إذا كانت متضمنة لثبوت، وقد سبق أن أشرت في أول اللقاء أن نفي السنة والنوم مثلاً أو نفي العجز عن الله ﷻ في قوله: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] يتضمن ثبوت كمال لله ﷻ، فأني نفي في القرآن الكريم يستلزم ثبوت كمال ضده، كما في قوله: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾، فهذا يستلزم كمال القدرة وتمامها

بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء مثلاً بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته وعيب، وكذلك لما قال ﷺ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٣]، هذا نفي، نفي العزوب هنا مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض، وكذلك نفي اللغوب - وهو التعب - في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، هذا أيضاً يستلزم كمال القدرة ونهاية القوة، وهذا هو منهج القرآن الكريم في النفي، في أن النفي الوارد فيه يستلزم ثبوت كمال ضده، فإذا كان النفي لا يستلزم ثبوتاً فإن الله ﷻ لا ينفيه عن نفسه بمثل هذا التفصيل، وإنما يدخل في النفي العام المجمل كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

والتكلمون هم الذين خالفوا هذا الأمر حيث أغرم أصحاب المنهج الفلسفي الكلامي أغرم هؤلاء في صفات الله ﷻ بالنفي المفصل والإجمال في الإثبات، فلو فتحت مثلاً كتب علماء الكلام تجدهم حينما يتكلمون عن الذات الإلهية يقولون: ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم وما إلى ذلك، ويستحي العبد أن يطلق هذا حتى في النفي على الله ﷻ لأن هذا النفي يحدث ليس عليه دليل وهو في الحقيقة فيه إساءة أدب مع الله ﷻ، حينما يقول الإنسان مثل هذه الكلمات ويعبر بمثل هذه العبارات يكون في الحقيقة ما فهم مقام رب العزة والجلال، ولا جلال الله ﷻ وتطاول على الذات الإلهية بما لم يذكره ربنا ﷻ لنفسه أو ينفيه ﷻ عنها، وكل ذلك من الكلام المحدث الباطل، هذا النفي المفصل الذي أدخله علماء الكلام على معتقد أهل السنة والجماعة بعيداً عن روح القرآن الكريم وعن روح السنة النبوية المطهرة.

٧. بيان دلالة الأسماء الحسنى على إثبات الصفات لله ﷻ :

أ. أسماء الله ﷻ تدل على ذاته وصفاته :

أسماء الله ﷻ تدل على ذات الله ﷻ وتدل على صفات الله ﷻ وقد سبق أن بينت وتكلمت عن الدلالات الثلاثة، وفي المنهج أشير إلى أن أذكر هذا الأمر ألا وهو دلالة الأسماء الحسنى على الصفات، فبعد أن ذكرت الدلالات فيما مضى أقول: إن أسماء الله الحسنى تدل على ذات الله ﷻ بالمطابقة، وعلى الصفات المشتقة منها بالتضمن، وعلى غيرها من الصفات بالالتزام، ولأضرب مثلاً على ذلك يوضح المراد من هذا الكلام، فمثلاً: اسم الله "الرحمن الرحيم" هذا يدل على ذات المسمى وهو الله ﷻ بالمطابقة؛ لأن "الرحمن الرحيم" هو الله ﷻ ويدل على الصفات المشتقة منها وهي: الرحمة، بالتضمن لأن الأسماء مشتقة من الصفات، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك، وفي ردي على المعتزلة فيما سيأتي إن شاء الله تعالى سأفصل الكلام حول هذا الأمر.

إذاً الرحمن الرحيم يدل على ذات الله ﷻ بالمطابقة، ويدل على صفة الرحمة بالتضمن، كما يدل على غيرها من الصفات التي لم تشتق منها كالحياة والقدرة والعلم التزاماً، لأن الذي يتصف بالرحمة يلزم من ذلك أن يكون حياً، وأن يكون قادراً حتى يرحم من يجب ويود أن تصل رحمته إليه، والعلم أيضاً وهكذا، وهذا بخلاف أسماء المخلوقين، فأسماء المخلوقين ليست كذلك، لا تدل على ذواتهم وصفاتهم، ولا يشترط فيها هذا، لأنه قد يسمى المرء قديراً وهو عاجز، وقد يسمى أميناً وهو خائن، وقد يسمى عزيزاً وهو ذليل، وقد يسمى سعيداً وهو شقي، أما أسماء الله ﷻ فهي تدل على ذاته وعلى صفاته لأن الكمال المطلق ثابت لرب العزة والجلال ﷻ.

ب. بيان أن أسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف:

أسماء الله الحسني أعلام وأوصاف ؛ فهي أعلام يدل كل واحد منها على الواحد الأحد ينادى به ويناجى ويستغاث ، وهي من هذه الحيشية مترادفة لأنها أعلام لذات الله ﷻ وكل اسم من أسمائه -يعني من أسماء الله ﷻ فإنه دال على ذاته ، وهي أيضاً أوصاف لأن كل واحد منها يدل على صفة من صفات الرب ﷻ اللاتفة بكمال الله وجلاله ، وهي أيضاً من هذه الحيشية متباينة ؛ أعنى : من حيث دلالتها على الصفات ، فالرحمن الرحيم -من حيث دلالتها على الرحمة- مباينان لاسم القدير الدال على القدرة ، واسم السميع الدال على السمع ، واسم البصير الدال على البصر ، وقد يشترك أكثر من اسم من أسماء الله ﷻ في الدلالة على صفة واحدة مثل الرحمن الرحيم ، ومثل القادر والمقتدر ، وما إلى ذلك .  
والوصف بأسماء الله ﷻ لا ينافي علميتها ، بخلاف أوصاف العباد فإن الوصف بها ينافي علميتها لأمرين :

**الأول:** أن أوصافهم مشتركة ، واشتراكها يمنع من العلمية المختصة بخلاف صفات الله ﷻ التي لا يشاركها فيه أحد ؛ لأن الله ﷻ لا يشاركه أحد في صفاته .

**الثاني:** أن العبد قد يسمى بالأمين والقوي والمؤمن ولا يكون متصفاً بما دل عليه الاسم من صفات ، وبالتالي فأسماء الله الحسنى فقط هي أعلام وأوصاف أيضاً على ذات الرب ﷻ ، وهذه لا شك من قوة وجلال وعظمة رب العزة والجلال التي لا يشاركه فيها أحد ، وهي أن أسمائه أعلام ، وهي أيضاً دالة على اتصافه بصفات الجلال والكمال ﷻ بخلاف المخلوقين في ذلك لأنهم يتصفون بالعجز والقصور والضعف وما إلى ذلك .

## الصفات الشرعية العقلية والخبرية

## ١. الصفات الشرعية العقلية والخبرية السمعية :

ذلك أن الصفات كما جاء في المنهج تنقسم من هذه الحيشة إلى قسمين : صفات شرعية عقلية ، و صفات خبرية سمعية ؛ ويشتمل على النقاط التالية :

## أ. بيان المراد بالصفة الشرعية العقلية :

ما المراد بكلمة صفة شرعية عقلية؟ أقول : الصفات الشرعية العقلية هي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي والفطرة السليمة ، وهي أكثر صفات الله ﷻ بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيها الدليلان السمعي والعقلي ، وسيظهر ذلك لنا بوضوح في النقطة التالية.

## ب. موافقة العقل لما جاء به الشرع في هذا الباب :

لأنني أقول : صفات شرعية عقلية ، وأقول أيضاً بأن الشرع والعقل كلاهما قد دل على إثبات هذه الصفات لله ﷻ ، فأود أن أبين وأن أعلم إخواني إلى أن العقل لا يناقض الشرع في هذا الباب بل يؤيده ويوافقه ؛ ولهذا أقول : إنه قد ثبت بالعقل الصريح والنقل الصحيح ثبت ثبوت صفات الكمال للرب ﷻ وأنه أحق بالكمال من كل ما سواه ، ثبت ذلك بالعقل الصريح كما أنه أيضاً ثابت في النقل الذي جاءنا من عند الله ﷻ وفيما صح من خبر النبي ﷺ ؛ وبذا يعلم أن جانب الإثبات عند السلف يقوم على أساسين :

الأساس الأول : الإخبارات الشرعية.

الأساس الثاني: الأدلة العقلية الثابتة.

وهم في ذلك متبعون لطريق القرآن في الاستدلال والبيان، والقرآن لم تتجرد نصوصه عن استعمال المقاييس العقلية الصحيحة، بل استعمل في معالجة عقيدة الأسماء والصفات عددًا من مقاييس العقل وموازينه، وقد سبق أن أشرت إلى إثبات قياس الأولي، الذي هو المثل الأعلى الذي أثبتته ربنا ﷻ، ولا شك أنه قياس أيضاً شرعي عقلي جاء في القرآن الكريم واستخدمه العقل.

ومن المقاييس العقلية أيضاً التي جاء بها القرآن الكريم طريق الاستدلال بالتلازم بين الفعل والقدرة وغيرها من الصفات، كيف ذلك؟ الفعل الاختياري مثلاً يستلزم ذلك استلازماً ضرورياً، فالذي يفعل وترى أنت أثراً لهذا الفعل، استلزم ذلك أن تثبت له من الصفات التي رأيت أنت آثارها، وتأمل مثلاً قول الله ﷻ في آخر سورة "يس" وهو يرد على المنكرين للبعث، ويستخدم طريق الاستدلال بالتلازم بين الفعل لإثبات القدرة وغيرها أيضاً من الصفات كالعلم وما إلى ذلك، تأمل قول الله ﷻ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿يس: ٢٨١﴾، فهنا نجد أن الله ﷻ يخاطب الناس وعقولهم، الذي خلق السموات والأرض يعجز أن يخلق مثل السماء والأرض؟ أو يعجز أن يخلق مثل هؤلاء المخاطبين؟ كلا، ولذلك أثبت لنفسه صفة الخلق والعلم والقدرة أيضاً لما قال: ﴿بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.

أيضاً من الطرق العقلية التي سلكها القرآن الكريم في إثبات الصفات طريق الاعتبار وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر أو بالصنعة على الصانع كما في قول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ لفصلت: ١١٥، ووجه

دلالة هذه الآية على الاستدلال بالأثر على المؤثر أو بالصنعة على الصانع - وهو كما ذكرت طريق الاعتبار - وجه دلالتها أن كل ما في المخلوقات من قوة وشدة تدل على أن الله أقوى وأشد، كما أن ما فيها من علم يدل على أن الله أعلم، وما فيها من علم وحياء يدل على أن الله أولى بالعلم والحياة، وهذه طريقة يقر بها عامة العقلاء حتى الفلاسفة الذين يقولون كل كمال في المعلول فهو من العلة، وعلى هذا فيجب إثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، والأدلة العقلية الصحيحة توافق ذلك لا تناقضه، ولكن السمع والعقل يناقضان البدع المخالفة للكتاب والسنة والسلف، ولكن لا يفوتني هنا أن أنبه وأن أتكلم عن الاستدلال بالمقاييس العقلية الصحيحة في إثبات صفات الرب ﷻ، لا يفوتني هنا التنبيه والتأكيد على أن المراد بالعقل الموافق للشرع هو العقل الذي استنار بنور النبوة واهتدى بهداية السماء، إذ هو العقل الصحيح الذي سلمت موازينه واستقامت أقيسته، وأما غيره من أنواع العقول التي امتلأت بأدران البدع وتلطخت بأوساخ الانحراف وانغمست في أوحال الضياع، فتلك عقول لا يعول عليها في الصلاح الديني، فضلاً عن إدراك المطالب العقيدية الصحيحة، ولهذا فإنني أقرر القواعد التالية:

**الأولى:** أن ما علم بصريح العقل لا يتصور أبداً أن يعارضه الشرع ألته، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط.

**الثانية:** أن ما خالفه العقل من السمع فهو إما حديث موضوع أو أن دلالة ضعيفة ولا تصلح أن تكون أدلة شرعية.

**الثالثة:** أنه ليس في القرآن صفة إلا وقد دل العقل الصريح على إثباتها لله تعالى، فقد تواطأ عليها دليل العقل والسمع، فلا يمكن أن يعارض ثبوتها دليل صحيح



ألبتة لا عقلي ولا شرعي، بل إن كان المعارض سمعياً كان كذباً مفترى أو مما أخطأ في فهمه من يعارض، وإن كان عقلياً فهي شبهة خيالية وليست أمراً صحيحاً عقلياً مستقيماً.

**الرابعة:** أن العقليات الصريحة إذا كان مقدماتها وترتيبها صحيحاً لم تكن إلا حقاً، لا يناقض ما قاله الرسول، وأن كل من أثبت ما أثبته ﷺ ونفي ما نفاه كان أولى بالمعقول الصريح كما كان أولى بالمنقول الصحيح، وأن من خالف صحيح المنقول فقد خالف أيضاً صريح المعقول، ولعل بذلك يتضح المراد من كلامي حين ذكرت أن العقل الصريح يتفق مع النقل الصحيح فهما في الحقيقة لا يتعارضان وإنما يلتقيان ويتفقان.

### ج. ذكر بعض الأدلة العقلية على إثبات الصفات لله تعالى :

ذكرت أن هناك مقاييس عقلية صحيحة أثبت بها بعض الصفات، واتفقت في ذلك مع النقل الصحيح الوارد عن الله ﷻ، وهنا أود أن أذكر بعض الصفات العقلية التي ثبتت بالطريق العقلي في هذا المقام، ومن ذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: لو لم يكن موصوفاً -يعني رب العزة والجلال- بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، انتبه للقياس العقلي لو لم يكن رب العزة والجلال موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبكم، وهكذا نستطرد في بقية الصفات، ولذلك إذا أردنا بناءً على ما

ذكره ابن تيمية - رحمه الله - ، إذا أردنا أن نثبت بعض الصفات بالعقل مثلاً نقول بأن دليل حياة الله وقدرته الله وعلمه ظهور فعله سبحانه في خلقه ، وظهور ذلك الفعل بما يشتمل عليه من إحكام وإتقان يدلنا على أن فاعله متصف بالحياة والقدرة والعلم ، هذا بالعقل ، لماذا؟ لأن ذلك لا يصح وقوعه من متصف بأضاد هذه الصفات من موت وعجز وجهل ، وفي ذلك يقول البيهقي - رحمه الله - :  
 فإن قال قائل وما الدليل على أنه حي عالم قادر؟ قيل : ظهور فعله دليل حياته وقدرته وعلمه ، لأن ذلك لا يصح وقوعه من ميت ولا عاجز ولا جاهل به ، وهذا يدل على أنه ﷻ يتصف بالصفات التي تنافي صفات العجز.

أما دليل اتصافه مثلاً بالإرادة أيضاً من الطريق العقلي ، فثبوت اتصافه سبحانه بالحياة والقدرة والعلم ، لماذا؟ لأن من كان كذلك ، لم يكن مكرهاً ، ولم يكن مغلوباً ودل ذلك على أن له إرادة واختيار وقصد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﷻ ، وأيضاً اتصافه بصفة السمع والبصر من طريق العقل ، نقول فيها : إنه قد ثبت له سبحانه صفة الحياة ، ووجود حي خال من الاتصاف بما يدرك المسموع والمرئي ، ومن الاتصاف بالآفة المانعة من ذلك أمر مستحيل ، أمر مستحيل أن يكون حياً ولا يتصف بالسمع والبصر؛ لأنه لا بد أن يدرك كل مسموع وأن يبصر كل مرئي ، فلا بد إذاً أن يكون متصف بصفتي السمع والبصر ، وهكذا يمكن أن نقول في كثير من الصفات الواردة عن رب العزة والجلال ﷻ بالعقل ، ونجد أن بعض المؤولة أثبتوا لله ﷻ بعض الصفات وقالوا بأن العقل والشرع دلاً عليها ، ونحن نقول : هذا حق ، فالشرع والعقل يدلان على بعض صفات الله ﷻ ، ولكن هناك صفات لا يدل عليها العقل.

#### ٢. الكلام حول الصفات الخبرية:

##### أ. تعريف الصفات الخبرية:

الصفات الخبرية هي: التي تسمى أيضاً النقلية والسمعية، وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن الله ﷻ، أو عن رسوله الأمين ﷺ ولا سبيل للعقل على انفراده إلى إثباتها، تأمل دقة هذا الكلام يعني طريق ثبوتها هو الوحي أو الخبر عن الله أو رسول الله ﷺ وهي أيضاً مع ذلك لا سبيل للعقل على انفراده بإثباتها وإن كان العقل يمكن أن يقر ويدعن ويؤمن ويصدق بما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ، ولو قلت أو ذكرت بقياس الأولى، الذي هو أن كل كمال اتصف به المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالله ﷻ أولى به يمكن كدليل عقلي أن يدخل فيه هذه الصفات الخبرية، ولكن إثباتها أصلاً لا يكون إلا بطريق الخبر عن الله أو عن رسول الله ﷺ ولكن العقل لا يعارضها، ولكن أقول بأنه لا سبيل للعقل في إثباتها على انفراد، يعني لا يستطيع العقل بمفرده أن يثبت شيئاً من هذه الصفات.

##### ب. إيراد أمثلة عليها:

الصفات الخبرية مهمة جداً، وهي الصفات التي وقع فيها تناحر وخلاف كبير بين أهل السنة والجماعة، وغيرهم ممن ينتسبون إلى السنة، ولكنهم ما خلصت طريقتهم على منهج السلف الصالح كما يجب أن يكون، ولهذا تأتي الأهمية هنا إلى ذكر بعض هذه الصفات، وبيان أنها ثبتت عن طريق الخبر، وإن أولها أحد المؤولة فنرد عليه، وأول صفة أتكلم عنها هنا صفة المجيء: أعني بها إتيان مجيء

الله ﷻ يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، وهذا قد ثبت بآيات من الكتاب العزيز وبأحاديث نبوية صحيحة تلقاها علماء السلف بالقبول ونقلوها إلى من بعدهم كما فهموها، ودرج على الإيمان بها من بعدهم وأقروها وأمرؤها كما جاءت بعد أن فهموا معناها؛ لأن ما خوطبوا به أمرٌ له معنى يعقل، وهم خير القرون رحمهم الله تعالى، بل هم الناس الذين يسألون عن فهمهم للنصوص كيف فهموها؟ وكيف عملوا بها ليتقدي بهم من جاء بعدهم؟ ولاسيما في باب الأسماء والصفات، وأبدأ بذكر الآيات التي وردت في إثبات صفة المجيء لله ﷻ.

ومن خلال سياقها لهذه الآيات أرد على المعطلة المؤولة الذين صرفوا معناها إلى ما لا يليق بجلال الله ﷻ وأستشهد على ذلك أيضاً بأحاديث للنبي الكريم ﷺ فمن الآيات التي جاءت في كتاب الله سبحانه تخبرنا عن مجيء الله يوم القيامة ليفصل بين عباده وليحكم بينهم قول الله ﷻ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ولا بد من أن أذكر الآية التالية لأهميتها، وهي قول الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، هذه آيات جليلة أثبتت هذه الصفة لرب العزة والجلال ﷻ، والسلف الصالح آمنوا بها، كما آمنوا ببقية الصفات، كما نزهوا الله ﷻ في كل ما أثبتوه عن مشابهته ﷻ للحوادث، ولكن بعض الناس صرفوا هذه الآيات عن ظاهرها، ومنهم بعض المفسرين فبعض المفسرين مثلاً في قول الله ﷻ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، يقول بأن المراد بالمجيء الوارد في الآية: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ هو مجيء أمر الله ﷻ، ونحن نسأل هؤلاء المفسرين وأصحاب هذا الرأي، من أين يأتي أمر الله ﷻ؟

أقول لهم ذلك لإفحامهم ؛ لأن الجواب سيكون يأتي أمر الله من عند الله ، هذا جواب لا بأس به ، ولكن بقي سؤال آخر : أين الله الذي يأتي الأمر من عنده؟

هنا يضطرب النفاة ، فأول ما يفعله النفاة في مثل هذا الموقف أن يقولوا : لا يسأل عن الله بأين ، هكذا يفهمون ، وبذلك يبرهنون على بعدهم عن هدي الرسول ﷺ الذي هو أول من سأل عن الله بأين ؛ ليختبر بذلك إيمان تلك الجارية التي يريد مولها أن يعتقها ، وأعود إلى صفة المجيء بعد ذلك لأقول لهؤلاء النفاة : إذا كنتم أنتم لا تثبتون علو الله على خلقه فلا معنى لقولكم : جاء أمر الله ﷻ ، وهو أن المراد بالأمر في قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ يعني : وجاء أمر ربك ، وهذا يدل على أنهم لا يجدون جواباً مقنعاً ، ولا دليلاً واضحاً على ما وصلوا إليه من تأويلات وآية سورة "الأنعام" التي ذكرتها آخرًا - وهي مهمة معنا- إن قال هؤلاء النفاة في ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ : وجاء أمر ربك ، ماذا يفعلون في هذه الآية ، وهي قوله ﷻ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، ماذا يقولون فيها ، لا يجدون لها مبرراً في صرفها عن ظاهرها بحال ، لأن الله ذكر إتيان الملائكة وذكر إتيانه هو ، وذكر إتيان بعض آياته ، ومع هذا التقسيم والترديد يستحيل تأويل شيء من هذه الآية ، ولذلك نجد أن الإمام ابن جرير وهو عمدة المفسرين - رحمه الله - يقول في هذه الآية : "هل ينتظر هؤلاء الذين يعدلون بربهم الأوثان والأصنام ويكفرون بلقاء الله وجزاءه إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم ، أو أن يأتيهم ربك يا محمد يوم القيامة بين خلقه أو أن يأتيهم بعض آيات ربك" ، هذا القول السابق هو قول شيخ المفسرين ابن جرير - رحمه الله - وقد ذكر أن رب العزة والجلال يأتي يوم القيامة.

وقد نقل أيضاً الإمام الشوكاني في تفسيره عند الآية المذكورة تفاسير كبار المفسرين ، مثل مقاتل وابن مسعود ، وحديثاً موقوفاً أيضاً على أبي سعيد

الحدري < في معنى مجيء الملائكة ومجيء الله تعالى، ومجيء بعض آياته دون أدنى اختلاف إلا ما كان في العبارة والأسلوب؛ لأنهم يستقون جميعاً من معين واحد، وبالتالي ليس أمام النفاة جواب بالنسبة لهذه الآية فإن وجدوا مدخلاً أولوا به هذه الصفة في الآية الواردة في سورة "الفجر": ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ فلا يستطيعون بحال من الأحوال أن يجدوا مبرراً في تأويل هذه الآية؛ لأن الآية قطعت عليهم خط الرجعة كما يقولون؛ حيث ذكرت مجيء الملائكة لقبض الأرواح، ثم ذكرت مجيء الرب ﷻ للحساب والقضاء، ثم ذكرت مجيء بعض آيات الله ﷻ بأمر الله ﷻ.

### ج. إثبات صفة "العين" لله ﷻ:

من الصفات الخبرية التي ليس لنا دليل على ثبوتها إلا من طريق النص الوارد في القرآن الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ: صفة "العين" لله ﷻ على ما يليق به سبحانه، و"العين" صفة لله تعالى بلا كيف، وهي من الصفات الخبرية الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة، وقد جاء ذكر "العين" في القرآن الكريم على حالتين:

**الأولى:** ذكرت العين مضافة إلى الضمير المفرد في مثل قول ﷻ: ﴿وَلِنُصَنَعَ عَلَيَّ عَيْنًا﴾ [طه: ٣٩].

**الثانية:** وذكرت العين بصيغة الجمع مضافة إلى ضمير الجمع في مثل قوله ﷻ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وذكر العين مفردة - وأقول هذا حتى لا يأتي معارض فيذكر ذلك - ذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة فقط لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد، وذلك مثل قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] وكقول الله ﷻ: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾

الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴿﴾ ، فالمراد بقوله : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾ نعم الله ، والمراد : ﴿ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ ﴾ جميع ليالي رمضان ، ولو قال قائل : نظرت بعيني أو وضعت المنظار على عيني لا يكاد يخطر ببال أحد ممن سمع هذا الكلام أن هذا القائل ليست له إلا عين واحدة ، هذا لا يخطر بحال من الأحوال على إنسان يعرف أسلوب الخطاب الذي جاء في القرآن الكريم ، وقد دلت السنة النبوية المطهرة على إثبات هذه الصفة لله ﷻ ، وإثباتها يدل على إثبات الكمال لله ﷻ والإنسان بذلك يعجب حينما يأتي المؤولة المعطلة لصفات الله ﷻ فينفون هذا الكمال عن رب العزة والجلال ﷻ ، فهذه الصفة كما جاءت في القرآن الكريم وردت أيضاً في السنة النبوية المطهرة ، ومن ذلك ما جاء في قصة المسيح الدجال في حديث عبد الله بن عمر الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : ((إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه ، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنها عنية طافية)).

وقبل أن أسترسل في ذكر الأحاديث أقول بأن ورد "طافية" في بعض الأحاديث ، ووردت "طافئة" بالهمزة في أحاديث أخرى ، وكلا الروايتين صحيحة ، ولكل معنى "فطافئة" بالهمزة هي التي ذهب نورها ، وهي الممسوحة ، و"طافية" بالياء هي التي نتأت وطففت مرتفعة وفيها ضوء ، ولكن ثبوت هاتين الروايتين يفيد شيئاً مهماً وهو أن كلا عيني الدجال فيها نقص ، فواحدة منها ممسوحة لا ضوء فيها ، والتي فيها الضوء ناتئة بارزة فهي معيبة أيضاً ناقصة ، ولذلك صدق النبي ﷺ حينما قال : ((إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور ، وأشار بيده إلى عينيه ، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنها عنية طافية)) ، وللحديث سبب ، وهو أن الدجال ذكر عند النبي ﷺ وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه ما من نبي إلا وقد أمر أمته أو نصحهم بالاستعاذة منه ، ثم ذكر أن من صفاته أنه أعور

العين اليمنى، وأنه على الرغم من دعوى الألوهية وما يحدث على يديه من الأمور الخارقة للعادة امتحاناً واستدراجاً فيه عيوب ونقائص وهو عاجز عن دفع ذلك عن نفسه، فلن يلتبس عليكم الأمر إذًا في شأنه لأنه ناقص إذ به عور، ودل ذلك على أن الذي لا يرى فيه عيب ونقص وأن من يتصف بصفة العين والبصر ويرى ويدرك يكون كمالاً، ولذلك أخبر النبي ﷺ أن هذا الدجال ناقص إذ به عور، والرب -جلال جلاله- ليس بأعور، بل له سبحانه عينان يبصر بهما لأنه ﷺ سميع بصير، وردت زيادة عند مسلم وبعض أصحاب "السنن"، وهي أن النبي ﷺ قال يومئذ للناس: ((تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت)).

هذا ملخص قصة المسيح الدجال مع بيان السبب، ولذلك قال الشيخ شهاب الدين في كتاب "العقيدة" له: أخبر الله في كتابه، وثبت عن رسوله ﷺ الاستواء على العرش والنزول والعين واليد والنفس، فلا يتصرف فيها بتشبيهه ولا تعطيل إذ لولا إخبار الله وإخبار رسوله عليه الصلاة والسلام ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى، وهذا هو المذهب المعتمد الذي كان يقول به السلف، وأما إشارة النبي ﷺ في الحديث الوارد: ((إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه)) هذه الإشارة تفيد تأكيد المعنى الحقيقي للعين على ما يليق بالله تعالى، ولا يفهم منها أنها أو أن عين الله ﷻ كأعين الخلق، بل له ﷻ عين حقيقة تليق بعظمته وجلاله ﷻ، وللمخلوق أيضاً عين حقيقية، ولكنها تناسب حاله وحدوثه وضعفه وعجزه وليست الحقيقة كالحقيقة، وهكذا الشأن في جميع الصفات الواردة عن الله ﷻ وبهذا بان لنا ما هي الصفات الخبرية وطريق ثبوتها بعد ذكرى للصفات الشرعية العقلية وضربت أمثلة لذلك.



## انقسام الناس في نصوص الصفات إلى ستة أقسام

### عناصر الدرس

- العنصر الأول : مذاهب المُثبتين للصفات ٣٦٥
- العنصر الثاني : مذاهب النُّفاة للصفات ٣٨٠



## مذاهب الثبوتين للصفات

القسم الأول: من يجريها على ظاهرها كما يليق بجلال الله: وهم سلف هذه الأمة الصالحون ومن تبعهم من أئمة الدين ممن عرفوا بالفقه فيه والتمسك بالسنن والآثار والسير على منهاج النبوة ومخالفتهم للمبتدعة في كل ما أدخلوه على أصول الديانة، وهذا العنصر يشتمل على نقاط متعددة؛ لأنني أود أن أجلي موقف السلف القويم من صفات رب العالمين من خلال هذا العنصر، خاصة وهم خلاصة الناس ألا وهم السلف، وهو القسم الأول الذي سأحدث عنه من خلال بيان انقسام الناس في نصوص الصفات:

## ١. بيان موقف السلف من الصفات:

موقف السلف من الصفات يتحدد في ضمن قواعد نص عليها وأحكموا القول فيها، وذلك من خلال معرفتهم بالنصوص واستقراءهم لها، ومن ذلك ما قاله الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: ما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به، وإن لم يفهم معناه، وكذلك ما ثبت باتفاق الأمة وأئمتها، يقول -رحمه الله-: ما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن أن يؤمن به وإن لم يفهم معناه، وكذلك ما ثبت باتفاق الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصاً عليه في الكتاب والسنة، ومتفقاً عليه بين سلف الأمة، وهذا أمر واضح للغاية، والمراد بقوله -رحمه الله-: ما جاء في الكتاب والسنة، يعني ما جاء فيهما مما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به الرسول ﷺ عن ربه من أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، والمراد بأن لم يفهم معناه يعني: إن لم يعلم ويدرك

## العقيدة خاص [٢]

المعنى المراد من اللفظ على وجه البيان التام والإيضاح الكامل لجميع أجزاء المعنى؛ لأن هذا النوع من الفهم من فروض الكفايات، ولكن عليه أن يفهم فهماً مما يفهمه من اللفظ المتبادر منه، يفهم ما يتبادر من اللفظ لا فهم جملي إن لم يدرك في الحقيقة كل كلمة فيه، وإن لم يفهم هو فليسلم بما ثبت في النص وليكل ما لم يعلمه إلا من يعلمه ويفهمه من أهل العلم.

ولذلك أقول بناء على هذا الأصل - وهو كل ما جاء به النبي ﷺ في القرآن أو السنة وجب الإيمان به - : إن هذا مما اتفقت عليه كلمة المسلمين، اتفقت كلمة المسلمين على اعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية هما المعتمدان في التشريع، فإليهما المرجع والمآل في جميع مناحي الشريعة أصولها العقدية وفروعها العملية، واستدامة لهذا الأصل وعملاً به وجب الإيمان في باب الأسماء والصفات بكل ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به رسوله ﷺ عنه بما يجب إثباته للرب ﷻ وتقدست أسماؤه إجمالاً وتفصيلاً، إجمالاً وذلك في الأخبار المجملات، وتفصيلاً وذلك في الأخبار المفصلات، فعلم بهذا أن الإيمان بإخبار الله وإخبار رسوله ﷺ يقع على مرتبتين:

## المرتبة الأولى: الإيمان المجمل:

وهو من فروض الأعيان، وهذا هو مقصد شيخ الإسلام حينما قال: كل ما جاء في الكتاب والسنة وجب الإيمان به وإن لم يفهم معناه، يعني يؤمن إيماناً مجملًا، وهذا واجب على كل مسلم أن يؤمن ويصدق بما يدل عليه النص، سواء ظهرت له حقيقة المعنى المدلول عليه باللفظ الإلهي والنبوي أو لم تظهر، وذلك لعدة وجوه:

**الوجه الأول:** أن عدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في نفس الأمر، فما أخبر به الصادق المصدوق عليه السلام هو ثابت في نفس الأمر سواء علمنا صدقه أو لم نعلم، ومن أرسله الله إلى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول وصدقوا به أو لم يعلموا، كذلك ما أخبر الله به فهو حق وإن لم يصدقه الناس؛ لأنه حق في نفسه حق في ذاته، وما أمر به عليه السلام عن ربه فهو أمره وإن لم يطعه الناس، فثبوت الرسالة نفسها وثبوت الرسول عليه السلام وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر ليس موقوفاً على وجودنا، فضلاً أن يكون موقوفاً على عقولنا، كما أن وجود الرب سبحانه وما يستحقه من الأسماء والصفات ثابت له في نفس الأمر سواء علمنا نحن ذلك أو لم نعلمه.

**الوجه الثاني:** أنه إذا علم الإنسان أنه لا أصدق من الله قِيلاً ولا أحسن حديثاً، وأن محمداً عليه السلام هو رسول الله بالعقل والنقل والبراهين اليقينية، إذا صدق الإنسان بذلك، ثم وجد في عقله ما ينازعه في خبره كان عقله يوجب عليه أن يسلم في موارد النزاع إلى من هو أعلم منه، وهذا التسليم يقتضي ألا يقدم رأيه على قوله، ويعلم أن عقله قاصر بالنسبة إليه، يعني لا يقدم رأيه على قول الله أو قول رسول الله عليه السلام ويتهم هو عقله القاصر بالنسبة إليه، ويعلم أن الله أعلم بأسمائه وصفاته واليوم الآخر منه، وأن التفاوت الذي بينهما في العلم بذلك لا شك عظيم أعظم من التفاوت الذي بين العامة وأهل العلم بالطب، وإذا كان عقل الإنسان يوجب عليه أن ينقاد لأي طبيب - حتى لو كان هذا الطبيب يهودي - فيما أخبره به من أمور تتعلق بفوائد الأغذية والأشربة والطعام والدواء واستعمال ذلك على وجه مخصوص - مثلاً - مع أن ذلك قد يكون فيه شيء من الكلفة والألم، ولكنه يقبل ذلك ويصدق هذا الطبيب وينقاد لقوله مع علمه أن الطبيب يخطئ كثيراً وأن كثيراً من الناس لا يشفى بما يصفه الطبيب، بل يكون

استعماله أحياناً لما يصف الطبيب سبباً لهلاكه، ومع هذا يقبل قوله ويقلده وإن كان ظنه واجتهاده يخالف وصفه، فكيف حال الخلق مع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - والرسل صادقون مصدقون لا يجوز بحال أن يكون خبرهم على خلاف ما أخبروا به قط.

**الوجه الثالث:** أن يعلم الإنسان أن العلم نوعان:

**أحدهما:** العلمي، وهو ما كان شرطاً في حصول العلوم، كتصور أحدنا مثلاً ما يريد أن يفعله، فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج إليه.

**والثاني:** النظري، وهو ما كان المعلوم غير مفتقر في وجوده إلى العلم، كعلمنا بوحدانية الله وأسمائه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك، فإن هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها، فهي مستغنية عن علمنا بها؛ لأنها حق في حقيقة الأمر، وجهل الإنسان بها لا يضر ولا ينفي وجودها.

**الوجه الرابع:** تكليف العامة ومن لا يفهم العربية وما في معناها، فمن اشتبهت عليه بعض نصوص الكتاب والسنة، وهذا أمر متفق عليه بين السلف والخلف، يعني إذا اشتبهت على الإنسان بعض النصوص، هذه النصوص التي يمر عليها ولا يفهم لفظها وجب عليه أن يؤمن بها باللفظ وإن لم يفهم معناه، ويسعه في ذلك ما وسع سلف هذه الأمة الصالحين من التسليم والتصديق، ولا يعني ذلك أن في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما لا يفهم أصلاً، فإن معاني النصوص مفهومة من لغة التخاطب، النصوص معلومة مفهومة، ولكن قد يقوم بالشخص من عوامل القصور ما هو مدعاة لعدم الفهم ووضوح الخطاب، وعلى هذا أقول: كل من اشتبه عليه آية من القرآن ولم يعرف معناها وجب عليه الإيمان بها، وأن يكل علمها إلى الله ﷻ وأن يقول: الله أعلم، ويمكن أن يرجع في ذلك

إلى من هو أعلم منه وأدرى وأعرف بمعاني النصوص وما تدل عليه، هذه هي المرتبة الأولى من مراتب وجوب الإيمان بإخبار الله وإخبار الرسول ﷺ، وهي مرتبة الإيمان المجمل.

### المرتبة الثانية: الإيمان المفصل:

وهذا مختص بكل ما وضحت دلالاته، وبان معناه، وظهر مدلوله من نصوص الكتاب والسنة، فهو فرض عين على من وضحت عنده مفاهيمه وبرزت إلى عقله حقيقته، وأما البحث عنه على من وجدت عنده القدرة عليه فهو من فروض الكفايات، فيجب على من قدر عليه أن يحصلها طلباً لحماية الدين، وكفاية المسلمين بتعليمه وتفهمه، وهذا بحر تتفاوت فيه همم الطالبين، وتتناول فيه أعناق الراغبين، فبقدر المعرفة به تكمل المعرفة بالله ودينه، وهذا مشاهد بين مسارعة طلبة العلم في تحصيل العلوم، والناس يتفاوتون في الفهم والإدراك والتحصيل، وقد مدح الله ﷻ من ينتفع بالعلم ويسعى إليه فقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وبذلك يعلم أن الناس عليهم أن يجعلوا الله ورسوله ﷺ هو الأصل المنيع والإمام المقتدى به سواء علموا معناه أو لم يعلموه، فيؤمنوا بلفظ النصوص، وإن لم يعرف حقيقة معناها، وما سوى كلام الله ورسوله ﷺ فلا يجوز أن يجعل أصلاً بحال، وهذا في الحقيقة أصل عام شامل لجميع أبواب الشريعة كلها سواء مسائل العقيدة أو غيرها، إلا أنه في باب أسماء الله وصفاته ألزم؛ لأن الخبر عن الله وعن رسول ﷺ هو المتعين لمعرفة، لا يمكن أن نعرفها إلا عن طريق خبر الله أو خبر رسول الله ﷺ، وذلك على وجه التفصيل والبيان.

وقد اتفقت الأمة المحمدية المزكاة على ذلك وصارت عليه وقال الله: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، إذ لا تجتمع الأمة على خطأ لاسيما ما نقل فيه الاتفاق عن سلف الأمة أصحاب القرون المفضلة، فإن إجماعهم مما يمكن ضبطه وحصره نظراً لعدم تفرق العلماء في البلاد وعدم تباعد الديار مما يتسبب في عسر النقل وصعوبة الإجماع، وفي الحقيقة هذا الباب بفضل الله وحده قد بينه كتاب الله والنبى ﷺ أتم البيان وأكمله، ولا تكاد تجد مسألة فيه إلا والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد جاءا فيها بالفصل والبيان، مما لم يترك لتكلم طريق، ولا لمتحير سبيل.

وبذا يعلم أن الإيمان بما جاء به القرآن الكريم من الأخبار وما جاء به النبى ﷺ من الأنبياء مما هو من باب الأسماء والصفات له ثلاث طرق: طريق الخبر القرآني، طريق الخبر النبوي، طريق النقل عن سلف الأمة وأئمتها.

## ٢. التأكيد على أن القرآن الكريم يجب أن يؤخذ على ظاهره:

لأن هذا هو موقف السلف عموماً مما جاءهم من التشريع، وأئمة أهل السنة على ذلك: أنهم يقبلون القرآن على ظاهره؛ لأن الله خاطبهم به وخاطبهم بما يعقلون وبما يعرفون، وقد نص على ذلك الإمام الأشعري -رحمه الله- في أكثر من موطن في كتابه (الإبانة) وهذا الكتاب ثابت له ويعد من آخر ما كتب -رحمه الله-، وقد ذكره ابن عساكر -رحمه الله- في (تبيين كذب المفتري) ونقل منه بعض النصوص، نجد الأشعري -رحمه الله- يقول مثلاً وهو يرد على نفاة الرؤية من المعتزلة وغيرهم، فبعد ما رد عليهم ورد تأويلاتهم الباطلة التي نفوا بها صفة الرؤية الثابتة لله ﷻ.



قال -رحمه الله- : والقرآن العزيز على ظاهره ، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة وإلا فهو على ظاهره ، وقد قال أيضاً مثل ذلك فيمن أنكر صفة اليدين لله ﷻ قال نفس العبارة بعد أن ذكر أن صفة اليدين ثابتة لله سبحانه -وقد سبق الحديث عنها- ثابتة في القرآن الكريم وثابتة في السنة النبوية ، ورد على من تأول اليد بالقدرة أو النعمة ، وأبطل قولهم ، أكد في رده عليهم ليبين أنهم قد ذهبوا إلى الباطل حينما أولوا الصفات ؛ لأنهم خالفوا ظاهر القرآن.

قال أيضاً بأن القرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن هذا الظاهر إلا بحجة وإلا فهو على ظاهره ، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهو من هو في العلم والدين والفهم والفقهاء ، وقد قعد قواعد وأصول عظيمة في منهج أهل السنة والجماعة ، يقول : إذا قال القائل ظاهر النصوص مراد أو ظاهرها ليس بمراد ، لو قائل ظاهر النصوص مرادة أو غير مرادة قال : فإنه يقال لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك ، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم ، فلا ريب أن هذا غير مراد ، ولذلك لما ذكرت عن الأشعري - رحمه الله- أنه قال : نأخذ نصوص الصفات والقرآن بصورة عامة على ظاهره ، ما هو المراد بالظاهر؟ إن قال قائل : التمثيل بصفات المخلوقين ، نقول : ليس هذا هو الظاهر ، وكما ذكر ابن تيمية : أن السلف والأئمة -رحمهم الله تعالى- لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها ، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً ، والله ﷻ أعلم وأحكم من أن يكون كلام الله سبحانه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر أو ضلال ، ثم إنه من المعلوم أن الرب تعالى لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير لم يقل المسلمون إن ظاهر ذلك غير مراد ؛ لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا ، فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن يكون أيضاً ظاهر ذلك غير مراد ؛ لأن مفهوم ذلك في

## العقيدة خاص [٢]

حقه كمفهومه في حقنا، بل لم يقولوا ذلك؛ لأن صفاته سبحانه تليق بجلاله وكماله، وصفات المخلوق تناسب عجزه وضعفه وافتقاره، فإذا كانت نفسه المقدسة ﷺ ليست مثل ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته ليست كصفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه، كيف ذلك؟ يعني صفة المخلوق حينما ننسبها إليه تكون مثله في الضعف والحاجة والافتقار والحدوث وما إلى ذلك.

أما صفة الخالق حينما تنسب إليه فإنها تكون كذات الله ﷻ أعظم وأجل من أن يعلمها أحد، يعني أن يعلم كيفيتها أو أن يحيط بها أو أن يعرف حقيقتها على ما هي عليه، ولكنه يؤمن بها وبما يعرفه من معناها على ضوء الخطاب الذي وجه إليه، ولا يتجاوز هذا القدر فنسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب كالمنسوب، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه، كما قال ﷺ: ((ترون ريكم كما ترون الشمس والقمر))، فهنا ﷺ شبه الرؤية بالرؤية، يعني شبه رؤيتنا لله ﷻ برؤيتنا للقمر، ولكنه لم يشبه المرئي ألا وهو القمر بالمرئي وهو رب العزة والجلال ﷻ، حاشا وكلا أن يعني أو أن يقصد رسول الله ﷺ ذلك، وبالتالي يظهر لنا أن الذي يتكلم بكلام لا شك أنه يريد ظاهره، ويجب أن نأخذ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على ما ظهر لنا من معانيها؛ لأننا خوطبنا بذلك ووجب علينا أن نعقل وأن نفهم المعنى الذي خاطبنا به رب العزة والجلال ﷻ.

## ٣. الواجب على المتكلم إفهام المخاطب بحقيقة قوله:

يجب على المتكلم بكلام أن يفهم المخاطب الذي يخاطبه بحقيقة قوله، وإلا لم يكن كلامه داخل في البيان، وهذا يشتمل على النقاط التالية:

## النقطة الأولى: بيان أن مراد المتكلم يحصل بأمرين:

لأن المتكلم إن قصد من المخاطب أن يفهم كلامه وأن يدل عليه وأن يثبت في نفسه وجب عليه أن يسلك أقرب الطرق الموصلة إلى ذلك؛ لأن المتكلم لا شك يقصد بخطابه أن يدل السامع وأن يفهمه مراده بكلامه، وذلك يتوقف على أمرين، أو يحصل بأمرين: الأمر الأول: بيان المتكلم، والأمر الثاني: تمكن السامع من الفهم، يعني لكي يفهم المخاطب كلام السامع ويعقله ويعنيه ويثبت لديه لا بد أن يحدث أمرين:

## الأمر الأول: بيان المتكلم.

## والأمر الثاني: تمكن السامع من الفهم.

فإن لم يحصل البيان من المتكلم، أو حصل البيان من المتكلم ولم يتمكن السامع من الفهم لم يحصل مراد المتكلم، فإذا بين المتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده ولم يعلم السامع معنى تلك الألفاظ لم يحصل له البيان، وبالتالي لا بد إذاً من هذين الأمرين، لا بد من تمكن السامع من الفهم، وحصول الإفهام من المتكلم، ولذلك أقول: لو أراد الله ﷻ، ورسوله ﷺ من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب لكان قد كلفه أن يفهم مراده بما لا يدل عليه، وهذا لا يليق برب العزة والجلال، لا يليق أن يخاطب عباده ويكلفهم أن يفهموا مراده بما لا يدل عليه كلامه، بل بما يدل على نقيض مراده، وأراد منهم فهم النفي بما يدل على غاية الإثبات، وأراد منهم أيضاً فهم الشيء بما يدل على ضده، وأراد منه أن يفهم أنه ليس فوق العرش إله يعبد، يعني أن الله ﷻ أراد أن يفهم عباده أنه ليس فوق العرش إله يعبد ولا إله يصلى له ويسجد له سبحانه، وأنه لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا فوقه ولا تحته ولا أمامه

## العقيدة خاص [٢]

بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، يكون هذا ضلالاً، وأيضاً يكون أراد إفهام أنه خلق آدم بيديه ولا يريد ذلك، يعني أراد أن يفهمهم أنه خلقه بقدرته ومشيتته ومع ذلك قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ١٧٥]، هذا لا يقوله قائل، يعني لا يقوله قائل بأن الله ﷻ أراد من عباده أن يفهموا عكس ما أخبرهم به، فيصبح مثلاً حينما أراد أن يدلهم على أنه لم يستو على عرشه، وأنه ليس في العلو ﷻ، ومع هذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، لا يليق هذا بجلال الله، ولا يكون بذلك المخاطب عاقلاً واعياً فاهماً ما يلقي إليه نتيجة تعمية المتكلم له بكلامه، والله ﷻ يتنزه عن ذلك، فهو ﷻ حينما خاطب عباده أراد منهم أن يعقلوا خطابه وأن يفهموا مراده، وعكس ذلك تعمية للخلق، وإذا اتفقنا على أن الله ﷻ بين غاية البيان، بل أكمل البيان لهذه الأمة ببعثة النبي ﷺ فلا يأتي قائل بعد ويؤول شيئاً من كلام الله أو كلام الرسول ﷺ على غير ظاهره؛ لأن ذلك يعني كما ذكرت أن القرآن الكريم وما أخبر به النبي ﷺ لم يكن بياناً ولا إفهاماً للمخاطب، بل إن المخاطب عكس وخاطبه بما لم يعقل، أو أراد منه أن يفهم معنى بذكره معنى آخر أو كلاماً آخر عكس ما أراد، كما مثلت لذلك بالمثل السابق في قول الله سبحانه لما خاطب إبليس بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ .

قال المعطلة: لما خلقت بقدرتي، وفهموا أن هذا هو مراد الله ﷻ فإذا كان هذا هو مراد الله لما لم يقله رب العزة والجلال، لما قال بيدي، ولما يأت النبي ﷺ في سنته كما سبق أن أشرت، ويؤكد أن الله يدين حينما يقول: ((يقبض الله سمواته بيده اليمنى والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك))، إذا النبي ﷺ يكون بذلك - إن يقصد ويعني هذا المعنى ويريد من المخاطب أن يفهمه - يكون بذلك قد عمي عليه، ويكون بذلك قد أتى بما لا يعقل من الخطاب، وهذا لا

يليق بجلال الله وكماله ، ولا يليق بالنبي ﷺ الذي أرسله ربه إلى هذه الأمة وأمره في كتابه أن يبين لهم ما أنزله الله ﷻ عليهم ، وقد بلغ ﷺ أتم بلاغ ، وبين أكمل بيان ، ونزل عليه قول الله ﷻ : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٢٣].

**النقطة الثانية: ذكر ما يلزم من اللوازم الباطلة لو حمل كلام الله ﷻ على غير ظاهره:**

هناك لوازم باطلة تلزم لو صرفنا ما أخبرنا ربنا به في كتابه أو النبي ﷺ في سنته عن ظاهره ، ولنتحدث عن موقف السلف والصفات وأنهم آمنوا بظواهر هذه النصوص الواردة في ذلك وسلموا بها ، سواء كان إيماناً وقع منهم عن طريق الإجمال لبعضهم أو الإيمان التفصيلي لأهل العلم والمعرفة منهم رحم الله الجميع ، المتكلمون خالفوا هذا المنهج ولم يأخذوا بظواهر النصوص الواردة ، فلزمهم على ذلك لوازم باطلة ، وقد ذكر كثيراً مما يلزمهم وفصلهم ابن القيم - رحمه الله - ناقلاً له عن شيخ الإسلام ابن تيمية عن شيخه رحمهم الله جميعاً.

وفي ذلك يقول ابن تيمية - رحمه الله - : إن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة الذين لا يوجد ما يقولونه في الكتاب والسنة ، وكلام القرون الثلاثة المعظمة المفضلة على سائر القرون ، وما في كلام أحد من أئمة الإسلام المقتدى بهم ، بل ما في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة يوجد دالاً على خلاف الحق عندهم إما نصاً وإما ظاهراً ، بل دالاً على الكفر والضلال ، لو كان هذا ما يقوله هؤلاء النفاة صحيحاً ، وأن الأمر ليس على ظاهره ، وأن الظاهر يفهم منه الباطل والضلال ؛ لزم من ذلك هذه اللوازم الباطلة :

## العقيدة خاص [٢]

**اللازم الأول:** أن يكون الله ﷻ قد أنزل في كتابه وسنة نبيه ﷺ من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره ويوقعهم في التشبيه والتمثيل، وهذا في الحقيقة أيضاً لا يليق بجلال الله وكماله.

**اللازم الثاني:** أن يكون قد نزل الله ﷻ لهم بيان الحق والصواب، ولكنه لم يفصح به لهم، بل رمز إليه رمزاً، وألغزه إلغازاً لا يفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهد، وهذا أيضاً باطل.

**اللازم الثالث:** أن يكون الله ﷻ قد كلف عباده ألا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها، وكلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل معها قرينة تدل على ذلك أو تفهم خطابه.

**اللازم الرابع:** أن يكون دائماً متكلماً في هذا الباب بما ظاهره خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب، يعني يكون الله ﷻ في باب الأسماء والصفات تكلم بما ظاهره خلاف الحق، يعني أراد شيئاً وتكلم بشيء آخر، ومع ذلك لما تكلم بما تكلم به نوع الخطاب فيه، ومع هذا التنوع والتفصيل والإخبار والبيان ما أراد هذا الظاهر، هذا لا يمكن أن يكون.

وأضرب على ذلك مثلاً: لو قلنا أن الله ﷻ ما استوى على عرشه، لو قلنا ذلك، وأن ظاهر الآيات الواردة في ذلك غير مراد، يلزم من ذلك أن يكون الله ﷻ دائماً متكلم بما ظاهره خلاف الحق إذًا، ويتكلم خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب؛ لأنه لما أراد أن يعلمنا أنه استوى على العرش نوع الكلام في ذلك، فتارة أخبر بأنه استوى على العرش، وتارة أخبر بأنه فوق عباده، وتارة بأنه العلي الأعلى، وتارة بأن الملائكة تعرج إليه، وتارة بأن الأعمال الصالحة ترفع إليه، وتارة بأن الملائكة في نزولها من العلو إلى أسفل تنزل من عنده، وتارة

بأنه رفيع الدرجات، وتارة بأنه في السماء، وتارة بأنه الظاهر ليس فوقه شيء، وتارة بأنه فوق سمواته ﷻ، إلى غير ذلك مما أخبر به، هل يمكن أن يعقل أن ينوع على القرآن الكريم الخطاب في هذه المسألة بهذا التنوع، ويكثر الذكر في هذه المسألة بأنه ﷻ على عرشه فوق سمواته، ثم بعد ذلك يريد من عباده ألا يعتقدوا هذا الأمر، هذا لا يليق أبداً.

**اللازم الخامس:** أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من أولهم إلى آخرهم عن قول الحق في هذا الشأن العظيم الذي هو من أهم أصول الإيمان، وذلك إما جهل ينافي العلم، وإما كتمان ينافي الحق، والذي يظن ذلك في سلف هذه الأمة يكون قد أساء الظن بخيار هذه الأمة، ونسبهم إلى ما لا يليق أيضاً بهم، وهم من هم من الفهم والوعي والإدراك، والنصرة لدين الله ﷻ وقائل ذلك ما قدر هؤلاء السلف، بل عكسوا هذا الأمر، فالتزموا تجهيل السلف، وأنهم كانوا أميين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل، ولكنهم لم يفهموا الحقائق، ولم يعقلوا مراد الله ﷻ أو اعتقدوا في الله ما لا يليق به؛ لأن السلف الذين آمنوا وصدقوا بهذه النصوص ما قالوا مثل ما قال هؤلاء المؤولة المعطلة.

**اللازم السادس:** أن ترك الإنسان من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب، يعني الناس لو تركوا دون هذه النصوص كان أحسن لهم وخيراً لهم؛ لأنهم ما استفادوا بنزولها إلا أن عرضوا أنفسهم للضلال إن أخذوها على ظاهرها كما يقول هؤلاء المعطلة، ولا شك أن هذا باطل، وبالتالي ما يؤدي إليه أيضاً باطل، وبالتالي مع هذه اللوازم أقول يجب إذاً أو أكون قد حررت هنا الكلام في أن القرآن الكريم يجب أن يؤخذ على ظاهره حتى لا نلزم أنفسنا بلوازم

باطلة حينما ذهب المعطلة أو المؤولة إلى غير ما قررتة الآن، إذا القرآن الكريم على ظاهره، ولو حمل على غير ظاهره للزم من ذلك لوازم باطلة، فليرباً المسلمون إذا بأنفسهم وبما يجب عليهم اعتقاده في جانب رب العزة والجلال عن مثل ذلك.

### بيان أن الله ﷻ يستحيل أن يريد بكلامه خلاف الظاهر:

لأنه مع كمال علم المتكلم، وفصاحته، وبيانه، يمتنع عليه أن يريد بكلامه خلاف ظاهره وحقيقة ما أخبر به، يمتنع عليه طالما أنه كامل البيان وطالما أنه على كل شيء قادر وعليم، والفصاحة والنصح هو ديدنه، وما يمكن أن يخاطب عباده به - أعنى رب العزة والجلال - ما يريد أن يخاطبهم به يريد منهم أن يعقلوه وأن يفهموه وأن يعملوا به، يستحيل مع ذلك أن يريد بكلامه خلاف هذا الظاهر، والنبي ﷺ كان دائم الكلام مع أصحابه يعلمهم ما نزل عليه من عند ربه ﷻ ودلهم على ذلك وأراد منهم أن يعتقدوه وأن يفهموه في رب العزة والجلال ﷻ.

### ٤. تيسير القرآن للذكر يوجب أخذه على ظاهره:

تيسير القرآن للذكر يوجب أن نأخذه على ظاهره، ونتحدث عنه في نقاط يسيرة:

### الأولى: بين الله ﷻ القرآن للعباد بياناً شافياً:

فالله ﷻ أنزل الكتاب شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني وألفاظه أفصح الألفاظ وأعظمها، والله ﷻ قال لنبيه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فالحق هو المعنى والمدلول الذي تضمنه الكتاب، والتفسير الأحسن هو الألفاظ الدالة



على ذلك فهي الحق ، وهي تفسيره وبيانه ، والله عَجَبٌ قد أخبر أنه بين كتابه كما سبق أن ذكرت لكم.

### الثانية : أنواع تيسير القرآن :

هذا التيسير ينافي حمله على خلاف حقيقته وظاهره ، فتيسير القرآن الكريم يضمن أنواعاً من التيسير :

**النوع الأول :** تيسير ألفاظه للحفظ .

**النوع الثاني :** تيسير معانيه للفهم .

**النوع الثالث :** تيسير أوامره ونواهيهِ للامتثال .

ومعلوم أنه لو كان القرآن الكريم بألفاظ لا يفهمها المخاطب لم يكن ميسراً له ، بل كان معسراً عليه ، فهكذا إذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني أو يدل على خلافه ، فهذا لا شك أنه من أشد التعسير ، وهو منافي للتيسير ، فإنه لا شيء أعسر على الأمة من أن يراد منهم أن يفهموا قول الله ﷻ لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصلاً به مثلاً بقوله سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، كذلك يستحيل ألا يقصد الله ﷻ ولا يريد أن يفهموا أنه فوق عرشه فوق سمواته بقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، إذا قائل ذلك أو معتقده يقر ويوقن أن القرآن الكريم ليس ميسراً للذكر والفهم ، وقلت بأن الله ﷻ كما أخبر عن كتابه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧] ، وهذا التيسير لا شك أنه كما تضمن تيسير الألفاظ تضمن تيسير المعاني للفهم والأوامر والنواهي للامتثال .

## مذاهب النفاة للصفات

## ١. المشبهة:

القسم الثاني من أقسام الناس في نصوص الصفات هم المشبهة، والحديث حول هذا الموضوع ينتظم في النقاط التالية:

## أ. التعريف بالمشبهة:

من هم المشبهة؟ المشبهة، ويقال لهم أيضاً المجسمة هم: الذين فهموا من صفات الله تعالى مثل ما للمخلوقين منها، وظنوا أن لا حقيقة لها سوى ذلك، فهموا من صفات الله تعالى مثل ما لدى المخلوقين، وظنوا أن الحقيقة التي عليها رب العزة والجلال فيما أخبر به من صفاته هي مثل الحقيقة الموجودة عند المخلوقين، ولذلك فالمشبهة سوا بين الخالق والمخلوق فيما يختص بأحدهما، فصار للتشبه بهذا طرفان:

**الطرف الأول:** تسوية الخالق بالمخلوق فيما هو من خصائص المخلوق، سوا بين الخالق والمخلوق فيما هو من خصائص المخلوق.

**الطرف الثاني:** تسوية المخلوق بالخالق فيما هو من خصائص الخالق.

ولا شك أن هذا كله باطل؛ لأن الأول يوجب أن نصف الله ﷻ بما يضاد كماله المقدس، والثاني يوجب أن نرفع المخلوق عن منزلته، ونصفه بصفات الخالق، وكلاهما باطل، ولذلك، قبل أن أسترسل في الحديث عن التشبيه أبين ضلال هؤلاء المشبهة، وأن الأمر كما قال نعيم بن حماد شيخ البخاري -رحمه الله-:

من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى ما أثبتته الله ورسوله ﷺ عن ربه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا فيما وصف به النبي ﷺ ربه تشبيه، فكما أن نفي الصفات مذموم، كذلك أيضاً تشبيه الله ﷻ بخلقه مذموم، نفي الصفات مذموم ليس من معتقد السلف، كذلك التشبيه أيضاً، والإنسان يعجب غاية العجب حينما تظهر هذه الطوائف المنحرفة عن الحق، وتخالف الطريق القويم، ولا يسلموا للنصوص الواردة في القرآن والسنة، ويفهموا منها غير ما أراده الله ﷻ منها، كل ذلك بسبب البعد عن التمسك بالوحيين.

### ب. أول ظهور التشبيه:

أول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة، الروافض أساس كل بلية، فهم أول الطوائف قولاً بالتشبيه، وأول طائفة يقال لها البيانية نسبة إلى بيان بن سمعان، حيث قد زعم هؤلاء أن معبودهم إنسان من ثور على صورة إنسان في أعضائه، وأنه يفنى كله إلا الوجه.

تعالى الله عن قول هؤلاء الظالمين علواً كبيراً، وقيل: إن أول من قال بالتشبيه هم طائفة السبئية المنتسبين إلى عبد الله بن سبأ بن وهب الحميري، اليهودي الأصل، الذي خرج من اليمن وألب الناس على أمير المؤمنين عثمان < حتى قتل، ثم بعد ذلك وقع هذا الرجل في التشبيه حينما سمي علياً إلهاً، وشبهه علياً بذات الإله، وهذا الرجل أدخل شراً مستطيراً على الأمة الإسلامية ليس هذا بيان تفصيله الآن، وإنما أتحدث فقط عن ضلاله في مسألة الصفات، فهو لما سمي علياً إلهاً، وشبه ذات علي بذات الإله وقع في الضلال المبين، وأكد هذا الرجل قوله بفعل علي < لما أحرق هؤلاء الروافض الذين غالوا فيه، فلما أحرقهم علي

بن أبي طالب < قال له: علمنا أنك إله. عبد الله بن سبأ، قال: علمنا أنك إله، لماذا؟ قال: لأن النار لا يعذب بها إلا الله، والحقيقة لا يتعارض القول بأن طائفة البيانية هي أول من قالت بالتشبيه في الملة الإسلامية، لا يتعارض هذا مع السبئية؛ لأن الأولية قد تكون فيهما مقيدة، كيف ذلك؟ يعني قد يكون بيان بن سمعان التي تنتسب إليه طائفة البيانية هو أول من صرح بالتشبيه، أما أول من قال بمضمونه بلا تصريح هم هؤلاء الذين وقعوا في الضلال والباطل، وأصل التشبيه مأخوذ عن اليهود، في الحقيقة أو من نشره يعني وإن كان البيانية تحدثوا ووقعوا في التشبيه، والسبئية قال به عبد الله بن سبأ وأشار إليه.

ولكن أول من نشر هذا التشبيه في الملة المحمدية هو هشام بن الحكم الرافضي الذي تنتسب إليه طائفة الهشامية من الرافضة، وفي الحقيقة الرافضة أمرهم عجيب، فهؤلاء الروافض قالوا أولاً بالتجسيم والتشبيه، هم أفسدوا كثيراً في الملة الإسلامية، ومن إفسادهم أنهم قالوا أولاً بالتشبيه، ثم بعد ذلك قالوا بقول الجهمية والمعتزلة في الصفات بعد أن زرعوا هذا الشر المستطير، ولكي أبين هذا الأمر واسمحوا لي أن أتوسع فيه شيئاً لأبين ضلال هؤلاء الناس في الصفات؛ لأنهم يتكاثرون ويحاولون أن يظهروا بين الحين والآخر بما عندهم من اعتقاد باطل وفاسد، ويدعون الناس إليه، ولذلك لعله من باب التحذير أن أبين فساد معتقدتهم هنا، وأن أوضح ما وصلوا إليه من ضلال حتى ولو تراجعوا عنه، لأنهم قد يعودون إليه، وهم حينما تراجعوا عن القول بالتجسيم ما رجعوا إلى قول السلف، ولكن رجعوا إلى قول الجهمية والمعتزلة، وكلاهما على باطل وطرفي نقيض، وأبو الحسن الأشعري -رحمه الله- تكلم في كتابه (مقالات الإسلاميين) عن هؤلاء الروافض، فقال: واختلفت الروافض أصحاب الإمامة

في التجسيم، ثم ذكر أنهم ست فرق، وذكر أولاً الهشامية الذين هم أصحاب هشام بن الحكم الرافضي، وأود أن أذكر لكم بعض ما ذكره الأشعري -رحمه الله- عن هؤلاء الناس في معتقدهم في رب العزة والجلال، وهو لولا أنهم قالوه ونصوا عليه، ولولا أنني أود أن أحذر من باطلهم ما ذكرت ذلك.

فالفرقة الأولى الهشامية هذه أصحاب هشام بن الحكم الرافضي: يزعمون أن معبودهم جسم، وله نهاية وَحَدٌّ، طويل عريض عميق، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه؛ ولا شك أن هذا ضلال مبين، ولو استرسلت في ذكر أقوالهم لرأينا من ذلك العجب العجاب، وهم مما قالوه أيضاً بأن الله قد كان، لا في مكان، ثم حدث المكان بأن تحرك الباري فحدث المكان بحركته فكان فيه، وزعم بعد ذلك أن المكان هو العرش؛ هذا ضلال، ولذلك أبو الهذيل هو من المعتزلة، ويعرف بأبي الهذيل العلاف، ذكر في بعض كتبه أن هشام بن الحكم قال له إن ربه جسم ذاهب جاء، يعني ذكر هذا أبو الهذيل ذكر في بعض كتبه أن هشام بن الحكم قال له ذلك أن ربه جسم ذاهب جاء، فيتحرك تارة ويسكن أخرى، ويقعد مرة ويقوم أخرى، وذكر أنه قال بأن ربه طويل عريض عميق لأن ما لم يكن كذلك دخل في حد التلاشي، قال أبو الهذيل: وكلاهما على ضلال، قال لهشام بن الحكم: قال: فقلت له: فأيهما أعظم إلهك أو هذا الجبل، وأومأت إلى أبي قبيس، جبل يطل على بيت الله الحرام في مكة المكرمة، قال هشام: هذا الجبل أعظم منه؛ يعني تأملوا الضلال الذي وصل إليه هؤلاء المنحرفون.

ثم ذكر الأشعري -رحمه الله- الفرقة الثانية من الروافض، فقال هؤلاء بأنهم يزعمون أن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام، وإنما يذهبون في قولهم إنه جسم

إلى أنه موجود، ولا يثبتون الباري ذا أجزاء مؤتلفة وأبعاض متلاصقة،  
ويزعمون أن الله ﷻ على العرش مستو بلا مماسة ولا كيف.

أما الفرقة الثالثة التي ذكرها الأشعري - رحمه الله - عن الرافضة، وهي: الفرقة  
التي تزعم أن ربهم على صورة الإنسان ويمنعون أن يكون جسمًا، والفرقة  
الرابعة أيضًا يقال لها الهشامية ويفرق بينها وبين هشام بن الحكم فيقال الهشامية  
الجوالقية؛ لأن مؤسسها أو صاحبها هشام بن سالم الجواليقي، وهذا الرجل  
يزعم أن ربه على صورة الإنسان، وينكر أن يكون لحمًا ودمًا، ويقول هو نور  
ساطع يتلألأ بياضًا، وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان، له يد ورجل  
 وأنف وأذن وعين وفم، وأنه يسمع بغير ما يبصر به، وكذلك سائر حواسه  
متغايرة عنده، فهو لم يكتف بثبوت الصفات لله ﷻ وإنما شبه فيها الخالق بخلقه  
لما زعم أن ربه على صورة الإنسان، وأن صفاته حواس كالمخلوقين، تعالى الله  
عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وقد حكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجواليقي هذا كان يزعم أن لربه  
وفرّة سوداء، ومعنى وفرّة سوداء يعني شعر يجتمع على الرأس، وقد ذكر ابن  
كرام السجستاني مثل هذه الأقوال الباطلة في حق رب العزة والجلال ﷻ، ولا  
شك أن هذا من الباطل الذي لا يليق أن ينسبه مسلم بحال إلى رب العزة  
والجلال ﷻ، وهؤلاء المشبهة لا شك أنهم بتشبيهم هذا وقعوا في ضلال مبين  
وانحرفوا عن الصراط القويم الذي بعثه به محمد بن عبد الله ﷺ.

ويمكنني أن أختصر بعض الاختصار وأوجز بعض الإيجاز بعد أن ذكرت أن  
الرافضة كانوا من أسبق الناس إلى القول بالتشبيه، فأقول: إن أصناف المشبهة  
تنقسم إلى قسمين: من شبه ذات الرب ﷻ بذات المخلوق، وهذا وقع من السبئية  
والهشامية الذين هم من الرافضة كما سبق أن ذكرت، والصنف الثاني أيضًا من

المشبهة - وهذا تكملة للقول وإشارة يسيرة من شبه صفات رب العالمين بصفات غيره من المخلوقات، كما وقع في ذلك المعتزلة البصرية الذين قالوا بأن الله يريد بإرادة حادثة.

### ج. براءة أهل السنة من التشبيه:

بعد أن ذكرت المشبهة وشيئاً من أقوالهم وبينت أن الروافض كانوا من أسبق الناس إلى التشبيه، وأن أصل هذا التشبيه مأخوذ من اليهود، أود أن أبين أن أهل السنة والجماعة الذين تحدثت عنهم في اللقاء السابق، وهم الذين يثبتون كل ما جاء عن الله أو عن رسوله ﷺ أنهم براء من التشبيه، والذي يدعوني إلى ذلك هو للأسف الشديد، أن كل من نفى صفة من صفات الله ﷻ سمي من أثبتها على وجه الكمال اللائق بالله ﷻ سماه مشبهاً، وهذا واقع من المعطلة المؤولة، تجد في كتبهم هذه العبارة كثيراً "المجسمة الحشوية"، ويعنون بذلك أهل الحديث، وينبذونهم بذلك، ويقولون عن أهل السنة بأنهم حينما سلموا للنصوص الواردة في القرآن والسنة أنهم مشبهة، وفي الحقيقة أهل السنة والجماعة بإثباتهم لصفات الرب ﷻ على ما يليق بجلاله وكماله سلموا من أمرين، وإن صح التعبير، أقول سلموا من مرضين: مرض التشبيه، ومرض التأويل والتعطيل، وتمسكوا بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وفهموا ذلك غاية الفهم، وعرفوا المراد من هذه الآية، وأدركوه غاية الإدراك.

والذي يتأمل ذلك وينظر في هذه الآية يجد أن الله ﷻ نفى عن نفسه المثلية والتشبيه، وهذا حق، فالله لم يكن له كفواً أحد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، كما أخبر في كتابه وكما قال عن نفسه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٦٥]، وهنا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فنفى عن نفسه أن

## العقيدة خاص [٢]

يمثله أحد من مخلوقاته بحال، ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والسميع اسم، والبصير اسم، وإثبات الأسماء إثبات للصفات كما سبق القول، فالأسماء مشتقة من الصفات ودالة عليها، فلما أثبت لنفسه الاسم يكون قد أثبت الصفة، وحينما يذيل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فهما من ذلك أنه لما نفى عن نفسه التشبيه لا يريد بذلك نفي الصفات بدليل أنه بعد أن نفى التمثيل والتشبيه أثبت لنفسه الأسماء والصفات، فدلنا ذلك على وجوب أن تثبت الأسماء والصفات، ونفي عن الله ﷻ مشابهة المخلوقات، فنثبت الاسم والصفة على ما يليق بجلال الله وكماله دون أن تقع في التشبيه، وبالتالي فاز أهل السنة والجماعة بمنقبة عظيمة للغاية، وهي أنهم ابتعدوا عن النفاة المعطلة بإثباتهم للنصوص الواردة في صفات الله ﷻ، وابتعدوا عن المشبهة المجسمة لما أثبتوا الصفات على ما يليق بجلال الله وكماله ونفوا عنها ما يشبه المخلوقات بحال من الأحوال، معتمدين كما ذكرت على قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

والذي دعاني إلى ذكر ذلك هو ما أود أن أؤكد عليه مرة أخرى، وهو أن المبتدعة رموا أهل السنة بأنهم مشبهة، وهذا في الحقيقة باطل، فأهل السنة والجماعة المثبتين لصفات الله وجلاله وكماله من أبعد الناس عن التشبيه؛ لأنهم يعرفون جلال الله وعظمة الله وقدر الله ﷻ وأن ما يطلق على الله يناسب كماله ﷻ، وليس كما للمخلوق أو ليس كصفات المخلوق، وهذا واضح بحمد الله، وقد سبق أن أشرت إليه في اللقاء السابق.

د. من باب التمهيد لهذا البيان، تنبيه مهم:

أود من خلال هذا التنبيه أن أبين معاني لفظ كلمة التشبيه؛ لأنها كلمة صارت سهلة عند كثير من الناس يطلقونها على من يثبت الأسماء والصفات إن كان هو



نافٍ لها أو نافٍ لشيءٍ منها، فكل من نفى عن الله وَعَجَّلَ كما ذكرت شيئاً من الصفات قال لمن أثبتها بأنه مشبه، إذاً يحتاج الأمر إلى توضيح معنى لفظ التشبيه وما المراد به.

أقول: لفظ التشبيه لفظ مجمل يطلق ويراد به معنيان: معنى صحيح ومعنى فاسد أو باطل، المعنى الصحيح للتشبيه: أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته عملاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، هذا هو المعنى الصحيح للتشبيه، حينما أقول فر من التشبيه، أو لا تقع في التشبيه، أو لا تشبه الله وَعَجَّلَ بخلقه، يعني أريد أن أقول لك أن خصائص الرب سبحانه لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، لماذا؟ لأن الله تَعَالَى قال لنا في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وهذا معنى صحيح للتشبيه، هذا هو المعنى الصحيح هو المعنى الوحيد حينما أقول بأن الله تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ويجب نفي التشبيه عن الله سبحانه، يعني أقول بأن خصائص الرب وصفات الرب تَعَالَى التي وصف بها نفسه لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقات.

المعنى الباطل: وهو أنه لا يثبت لله شيئاً من الصفات كما وقع من النفاة، النفاة الذين نفوا الصفات كما ذكرت. قالوا: نحن نفرّ من التشبيه، وأطلقوا على من أثبت الصفة أنه مشبه، وهذا باطل، فالتشبيه لا نعني به نفي صفات الله وَعَجَّلَ وإنما المعنى الصحيح أن أثبت الصفة وأن أنفي مشابهة الله تَعَالَى فيها لأحد من خلقه، أما إطلاق لفظ التشبيه وأعني به أنه ينفي بذلك ما ثبت لله تَعَالَى من أسماءٍ حسنى أو صفاتٍ علا، فهذا كله باطل وأي باطل!.

## ٢. النفاة المعطلة : الجهمية :

وكما وضع في المنهج حديث عن الجهمية والمعتزلة ، وأنا هنا سأبدأ الحديث عن الجهمية ، وأتكلّم بعد أيضاً عن المعتزلة ، ثم أشير أيضاً إلى الفلاسفة ؛ لأن هؤلاء جميعاً استقوا من الفلاسفة وذكروا أقوالهم في نفي الصفات واقتدوا بها ، وقبل أن أتحدث عن صفاة الجهمية وما ذكروه في صفات الله سبحانه ، أو معتقدهم فيه ، أود أن أعرف أيضاً بالجهمية كما تكلمت وتعرفت سابقاً عن الروافض والمشبّهة ، وما إلى ذلك .

**أ. الجهمية :** نسبة للجهم بن صفوان السمرقندي المعطل ، ويقال ذلك لأنه هو الذي أظهر مذهب النفي للصفات والأسماء ونشره بين المسلمين ، وهو أول من أظهر هذه البدعة وكان قد أخذها عن الجعد بن درهم ، والجعد أخذها عن أبان بن سمعان ، وأبان أخذها عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم ، وطلوت أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ ، ولذلك نقول : بأن أيضاً بدعة نفي الصفات هي رافد أو استقت روافدها أيضاً من اليهود ، كما أن المشبّهة والمجسمة أخذوا أيضاً تشبيهمهم وتجسيمهم من اليهود ، فهذه سلالة تتصل إلى اليهود ؛ لأن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ لو نظرنا سنجد أن الجهم أخذها من الجعد والجعد أخذها من أبان وأبان أخذها من طالوت وطلوت أخذها من لبيد بن الأعصم ، وأرجع إلى الجهم هذا فأقول : بأنه أخذها من الجعد ، والحقيقة ، الجعد كان فيما قيل عنه يسكن حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة من بقايا دين أهل الترمود والكنعانيين ، ولذلك كما ذكرت بأن سند هذه المقالة يتصل باليهود ويتصل أيضاً بالمشركين ويتصل بضلال الصابئة .

ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي قالها جهم، وأطلق عليها السلف مقالة الجهمية، انتشرت في حدود المائة الثالثة من القرن الثالث الهجري بسبب بشر المريسي وهو بشر بن غياث المتكلم شيخ المعتزلة، وهذا الرجل أحد من أضل المأمون، هذا الرجل كان سبباً في أن تنتشر مقالة الجهمية في القرن الثالث الهجري، والجعد بن درهم الذي هو شيخ جهم مع ضلالته كان يحمل السلاح ويقاوم مع السلطان ويخرج معه، وأنا أذكر ذلك لأبين للناس أنه يجب عليهم ألا ينخدعوا بشيء من مظاهر الورع مثلاً، أو ما يطلق عليه الزهد أو ما إلى ذلك حينما يتلمسه هؤلاء الناس أو يقومون به؛ لأن صحة المعتقد أساس لقبول العمل، فشيخ جهم ذكر عنه ما ذكر أنه كان يخرج ويقاوم مع السلطان وما إلى ذلك، وهو الجعد بن درهم، ولكنه كان على ضلال مبين، ولذلك أراح الله ﷻ الأمة منه حينما ضحى به خالد بن عبد الله القسري - رحمه الله - بواسطة في العراق؛ لأنه خطب في يوم الأضحى وقال: أيها الناس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه، وكان هذا بعد استفتاء علماء زمانه، يعني لم يفعل ذلك أو يتخذ هذا القرار من رأسه، وإنما استفتى أهل الحل والعقد، وهم سلف هذه الأمة الصالحين - رحمهم الله تعالى.

وجهم أخذ هذه المقالة من الجعد، وجهم أيضاً كان ضالاً، لأنه كان في خراسان وأظهر مقالته هناك، وتبعه على ذلك بعض الناس، وقد ذكر في ترجمته أنه ترك الصلاة على سبيل الشك أربعين يوماً، وذكر هذا كثير ممن ترجموا له، ونقل ابن

حجر في أول كتابه أول شرحه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري شيئاً أيضاً عن ضلال هذا الرجل، وذكر أنه ترك الصلاة على سبيل الشك أربعين يوماً، وهؤلاء في الحقيقة أخذوا معتقدهم لما توسع الناس بعد ذلك في ترجمة كتب الرومان واليونان وما إلى ذلك، وكل هذا من الضلال المبين الذي أتى به هذا الجهم وأدخله على الأمة الإسلامية.

### ب. ذكر شيء مما تفرد به جهم وأدخله على المسلمين:

وقد ذكر ذلك - ما تفرد به جهم - الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في كتابه (مقالات الإسلاميين)، ولا شك أنه كان عالماً بمقالات الناس وبما كانوا يذكرون، وهو لما عقد في الجزء الأول من كتابه (مقالات الإسلاميين)، لما عقد كلمة أو عنواناً وقال: ذكر قول الجهمية، ذكر بعد ذلك ما تفرد به جهم فقال: الذي تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتغنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده.

تأمل هذا الضلال! يذكر أن الجنة والنار تبيدان وتغنيان، وإذا كان هذا قول جهم فلا شك أنه ليس قولاً لأحد من أهل السنة والجماعة، لأن بعض الناس يحاول أن يقول بأن رموزاً من أهل السنة والجماعة قالوا بذلك، والصواب أن أهل السنة والجماعة ما قالوا ذلك، وما قال أحد منهم بهذا، وإن كانت هناك أقوال منسوبة إلى بعضهم فلها معنى تخرج عليه، وهو أن المراد بالنار مثلاً التي تفتنى نار العصاة وما إلى ذلك، أما الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار باقيتان لا تبيدان ولا تغنيان، والذي ذكر ذلك هو الجهم، كما ذكر أن الإيمان بالله هو المعرفة

فقط ، وهذا أيضاً لون آخر من ألوان الضلال ، لأنه يلزم منه أن يكون إبليس من المؤمنين لأن إبليس من أعرف الناس بالله ، ولذلك أيضاً الجهم جمع ضلالات متعددة مع قوله بالصفات كما سأذكر فيما بعد معتقده في الأسماء والصفات ، كان يقول بفناء الجنة والنار ، وكان هو شيخ المرجأة الأول لما قال بأن الإيمان هو المعرفة ، كذلك أيضاً هو إمام الجبرية لما قال بأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله ﷻ وأن الله هو الفاعل على الحقيقة ، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز ، كما يقال : تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس وما إلى ذلك ، هذا كله في الحقيقة ضلال ، ومما تفرد به هذا الرجل وأدخله على الأمة الإسلامية ، وأيضاً من باب التحذير أقول : لا ينبغي لأحد أن ينطلي عليه شيء من بدع هؤلاء الناس ؛ لأن عندهم لون من ألوان الخير مثلاً ، فالأشعري - رحمه الله - ذكر عن جهنم هنا أنه كان يتحلل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن هذا لا يفيد مع ضلاله ، وأي معروف عنده ، وأي معروف يأمر به وهو على هذا الضلال ، لا شك أن كل ما يأمر به سيكون منكراً ، ولذلك كانت نهايته هذا الرجل نهاية شيخه ، الذي هو الجعد ، فالجهم تلميذ للجعد ، والجعد سبق أن ذكرت أن خالد بن عبد الله - رحمه الله - قتله في عيد أضحى ، كذلك جهنم قتل بمرو ، قتله سلم بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية ؛ لأن هذا الرجل كان يقول بأن الله ﷻ ليس شيئاً ، يعني ينفي عن الله نفياً مطلقاً ، ينفي نفي مطلق عن أي شيء يقع على الله ﷻ من إثبات لله ﷻ .

### ج. انقسام الجهمية في نصوص الصفات :

أود أن أبين معتقد الجهمية في أسماء الله الحسني وصفات الله ﷻ العلي ، فالجهمية تنقسم في معتقدها بالنسبة للأسماء والصفات إلى طائفتين :

## العقيدة خاص [٢]

**الطائفة الأولى:** غلاة الجهمية، هؤلاء يصفون الله بالسلوب؛ يعني بالعدم المحض الذي هو ليس بشيء البتة، يعني لا يثبتون لله شيئاً أبداً، ما عندهم إلا سلوب، كل عقائدهم سلوب سلبية وعدم محض، فيقولون مثلاً: ليس بعالم، وليس بسميع، وليس ببصير، وليس بمتكلم، وهؤلاء لو تأملت تجدهم أنهم ينفون عن الله ﷻ حتى ما يتصف به المخلوق، ووصفه به الناس؛ يعني وصفوا الله ﷻ به بالعقل وصف ربهم ﷻ بالسمع، وقالوا بأن الدليل السمعي صحيح، المخلوق يتصف بالسمع المخلوق يتصف بالبصر ولكن قالوا دل العقل على أن الحي الذي أوجد هذه الكائنات لا بد أن يكون سميعاً وأن يكون بصيراً وأن يكون مريداً وأن يكون متكلماً، وما إلى ذلك، فهؤلاء نفوا كل ذلك، يعني لا عندهم نص يرجعون إليه ولا عقل يحتكمون إليه، كما أنهم أيضاً جمعوا بين النقيضين في صفات السلب هذه، يعني هم يصفون الله بالسلوب بإطلاق، وهم أيضاً يصفون الله بالعدم المحض جمعوا بين النقيضين، كيف ذلك؟ كانوا يقولون: لا خارج العالم ولا داخل العالم، ولا هو مباين للعالم ولا هو محادث للعالم، ولذلك يطلق على هؤلاء الناس السلبية المحضة.

**الطائفة الثانية:** طوائف من الفلاسفة وأتباعهم، ولعلي أشير فيما بعد إشارة يسيرة إلى طائفة الفلاسفة إن شاء الله تعالى، وأذكر أيضاً ما هم عليه من ضلال في ذلك، لأن الجهمية اتبعوا في ذلك الفلاسفة وسلكوا مسلكهم، هؤلاء الناس قالوا: إن الله هو الوجود المطلق، ولذلك يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات، ولم يفرق هؤلاء بين الصفة والموصوف، فجعلوا العلم عين العالم والسمع عين السميع والبصر عين البصير وهكذا، فكبر هؤلاء الناس بذلك بديهيات العقول، وجعلوا كل صفة هي الأخرى، فلم يميزوا

بين السمع والبصر ولا العلم ولا القدرة ولا المشيئة ولا الحكمة، مما يعلم فساد ذلك بالضرورة من دين الإسلام، وخالصة القول أن كلا الطائفتين - وهي الطائفة الأولى الغلاة التي تميزت بوصف الله بالسلب والعدم المحض، والطائفة الثانية التي تقول بأن الله هو الوجود بشرط الإطلاق الوجود المطلق، كلا الطائفتين - قد اتفقتا على نفي الأسماء والصفات، وفي الحقيقة يعني إضافة يسيرة ممكن أن أدخلها هنا، وهي أن قول هؤلاء الناس بأن الله هو الوجود؛ دفع إلى وجود الاتحادية والحلولية الذين ذكروا بعد بأن الله ﷻ حل في المخلوقات، وهذا أيضاً من الضلال المبين، وهي بدعة ترتبت على بدعة الجهمية أو نتجت من فساد معتقد الجهمية، وقد أشار إلى ذلك بعض العلماء رحمهم الله تعالى.

### د. أصول الجهم في باب الأسماء والصفات :

بعد ما تحدثت عن معتقد الجهمية في أسماء الله وصفاته أود أن أذكر أصول الجهم أيضاً في هذا الباب حتى يحذرها الناس جميعاً، هذه أصول ولهم تفرعات أيضاً كثيرة في أنهم كما ذكرت في معتقدهم ينفون جميع الأسماء وينفون جميع الصفات، أصول الجهم في باب الأسماء والصفات تتلخص فيما يلي :

**الأصل الأول:** أن علم الله حادث وليس في محل، وهذا باطل، فالله ﷻ بأسمائه وصفاته مازال قديماً قبل خلقه، لأنه كما أخبر عن نفسه في كتابه بأنه هو الأول، وهم بهذا في الحقيقة لا يثبتون علم الله ﷻ على ما يليق بالله.

**الأصل الثاني:** أن الله لا يعلم الأشياء قبل خلقها، وهذا أيضاً من الضلال المبين الذي وقع فيه هؤلاء الجهمية، وهو أن الله ﷻ لا يعلم الأشياء قبل خلقها، وقد أخذ الجهمية هذا القول من الفلاسفة؛ لأن الفلاسفة سبقوهم إلى هذا وأنكروا علم الله ﷻ بالجزئيات.

**الأصل الثالث:** نفي الأسماء والصفات جملة عن الله ﷻ، فهو لم يثبت لله ﷻ أي صفة، وكان يقول: أنا لا أثبت لله ﷻ ولا أطلق عليه لفظ يشترك فيه مع المخلوق، حتى ولو كان إثبات الوجود بناء على قوله، ولذلك نفوا كلام الله ﷻ ورؤيته وغير ذلك من الصفات الثابتة لرب العزة والجلال ﷻ.

### ٣. النفاة المعطلة: المعتزلة:

#### أ. التعريف بالمعتزلة:

المعتزلة كما ذكر عنهم ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- في شرحه للطحاوية، عرفهم ببعض الأشخاص الذين اشتهر عنهم هذا المذهب وأسسوه وقاموا ببنائه، فقال -رحمه الله-: والمعتزلة هم: عمر بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال، وأصحابهما، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري -رحمه الله- وكان ذلك في أوائل المائة الثانية وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره أولئك المعتزلة.

وقد ذكرت بعض المقالات أيضاً أن الحسن البصري -رحمه الله- هو الذي أطلق عليهم هذا اللقب، وذلك لما اختلف مع واصل بن عطاء في مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة وخالف واصل شيخه الإمام الحسن البصري -رحمه الله- فاعتزل إلى سارية من سواري المسجد، فقال الحسن البصري عنه: اعتزلنا واصل فسموا بالمعتزلة، ولذلك قيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد، وكلاهما كان تلميذاً للحسن البصري -رحمه الله-، وبدءوا ينشطون في ترويح بدعهم وانحرافاتهم وضلالتهم حتى



كان زمن هارون الرشيد - رحمه الله - صنف لهم أبو الهذيل العلاف كتابين وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على أصولهم الفاسدة. ولذلك أبين الأصول التي كانوا عليها؛ لأنها فرقة اشتهرت وعرفت باستخدامهم العقل، ولهم مؤلفات وكتب ودعاة إلى يومنا هذا، ولذلك وجب على طالب العلم أن يعرف شيئاً من أوزارهم حتى يعرف أيضاً أنهم مخالفون للحق الذي جاء من عند الله ﷻ.

### ب. بيان أصول مذهب المعتزلة:

المعتزلة بنوا مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها: العدل، التوحيد، إنفاذ الوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولبسوا في هذه الأصول الحق بالباطل إذ شأن البدع هذا، فإن البدع تشتمل على حق أحياناً وباطل في الغالب الأعم، ولذلك هؤلاء - قبل أن أبين ضلالهم وفلسفتهم في هذه الأصول الخمسة - أقول بأنهم أيضاً مشبهة في الأفعال، لماذا؟ لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن من رب العزة والجلال ﷻ، وما يقبح من العباد يقبح من الله ﷻ، ولذلك قالوا: يجب على الله أن يفعل كذا ولا يجوز عليه أن يفعل كذا. بمقتضى ذلك القياس الفاسد، مما يبين أنهم لم يعرفوا قدر وجلال رب العزة والجلال ﷻ، لأن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك؛ لعد إما مستحسنًا للقبیح وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله ﷻ على أفعال عباده، هذا لا يليق وهذا في الحقيقة انحراف عن الطريق القويم والصراط المستقيم الذي بعث به وبينه نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله ﷺ، ثم أعود بعد ذلك إلى بيان قول المعتزلة في هذه الأصول الخمسة:

## الأصل الأول: العدل:

قالوا هذه الكلمة ولكنهم أرادوا من ورائها أن الله ﷻ لم يخلق أفعال العباد، وابتدعوا وشاركوا المبتدعة في نفي القدر، وقالوا: إن الله ﷻ لا يخلق الشر ولا يقضي به إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً، والله ﷻ عادل لا يجور، ولذلك لزم على قولهم هذا لوازم باطلة فاسدة، هي إشارة هنا في أنهم لما نفوا القدر وقالوا بأن الله ﷻ لا يخلق الشر ولا يقضي به لأنه لو خلقه وعذب عباده عليه كان ذلك جوراً منافياً للعدل لزمهم على هذا الأصل الفاسد أن الله ﷻ يكون في ملكه ما لا يريد، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز، تعالى الله عن ذلك.

فالعدل هو الأصل الأول، وقد قالوا هذه الكلمة وسترها تحتها نفي القدر، ولزمهم أن الله ﷻ لا يفعل ما يشاء ويكون في ملكه ما لا يريد، ولذلك صاح عليهم أئمة أهل السنة والجماعة من كل جانب، وقالوا لهم: بأنكم قلمتم أو شابهتم المجوس في قولكم هذا، وجعلتم لله في ملكه شركاء يخلقون معه لما قالوا بأن العبد يخلق فعل نفسه، وليس هذا هو موطن الرد على هذه البدع، وبيان ضلالها.

## الأصل الثاني: التوحيد:

التوحيد كلمة جميلة، ولكن ماذا عنوا وأرادوا بكلمة التوحيد الذي هو أصل عندهم؟ أرادوا به أن الله ﷻ لا يتصف بصفات الجلال والكمال، وأعظم وأعلى صفة تطرق للحديث عنها بتفصيل هي صفة الكلام لله ﷻ ولذلك ابن أبي العز - رحمه الله - وهو يتحدث عن هذه الأصول قال: وأما التوحيد فستروا تحته

القول بخلق القرآن، ستروا تحت كلمة التوحيد القول بخلق القرآن؛ لأنهم لا يؤمنون بأن الله متكلم ولا يتصف بصفة الكلام، ولذلك قالوا بأن القرآن الكريم مخلوق خلقه الله ﷻ منفصلاً عنه، وسيأتي أيضاً تفصيل القول في ذلك إن شاء الله تعالى وبيان ضلالهم والرد عليهم في صفة الكلام، وقالوا ذلك، قالوا بأن القرآن مخلوق، قالوا لأنه لو كان القرآن غير مخلوق لزم من ذلك تعدد القدماء، وهذه لوازم أدخلوها على أنفسهم باطلة؛ لأنه نقول لهم يلزم على ذلك أيضاً على ما ذكرتم من أصول أن علم الله وقدرة الله وسائر صفات الله مخلوقة، وهذا في الحقيقة تناقض ولا يقول به عاقل.

### الأصل الثالث: الوعيد:

قالوا في الوعيد: إن الله ﷻ إذا أوعد بعض عبده وعيماً فلا يجوز أن يعذبهم ويخلف وعيده؛ لأنه لا يخلق الميعاد، ويلزم على ذلك أن الله ﷻ، تعالى عن قولهم - لا يعفو عن من يشاء ولا يغفر لمن يريد ﷻ عندهم، يعني أوجبوا على الله ﷻ أن يعذب عباده الذين أوعدهم بشيء من الوعيد، ولم يدركوا أن الله ﷻ حكماً بالغة في هذا الكون، فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وطالما أنه مالك الملك فلا ترد عليه هذه الأمور الباطلة التي ألزموا رب العزة والجلال ﷻ بها، وتناقضوا فلم يعرفوا الله قدرًا ولا مكانًا، وزعموا بذلك أنهم ينزهون الله ﷻ.

### الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

ومعنى المنزلة بين المنزلتين أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان بارتكابه إياها ولا يدخل في الكفر، تأملوا هذه البدع، الخوارج قالوا: مرتكب الكبيرة كافر خارج من الملة في الدنيا، والمعتزلة قالوا: لا هو في منزلة بين المنزلتين لا هو كافر ولا هو

مؤمن، يعني هو خرج من الإيمان، خرج من الإيمان لأنه ليس بمؤمن عندهم، ولم يدخل في الكفر لأنهم تحاشوا أن يطلقوا عليه كلمة الكفر في الدنيا، وإن كان في الآخرة اتفقوا مع الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة بأنهم في النار مخلدون فيها، يعني الخوارج والمعتزلة بدعتهم واحدة في مسألة خلود عصاة المؤمنين ومرتكبي الكبائر في النار فلا يخرجون منها، ولذلك أنكروا الشفاعة وما إلى ذلك، ضلالهم في هذا أيضاً واضح، فالمسلم المصدق الموقن المقر الذي يشهد الله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة ويقوم بأركان الإسلام أو بعضها ثم يقع في منكر كأن يسرق أو يزني أو يقتل أو ما إلى ذلك، فلا شك أنه مرتكب أمراً عظيماً، إلا أنه لا يخرج بارتكابه لهذا المنكر العظيم عن الإسلام، مع قولنا بأنه متوعد بعذاب الله ﷻ وهو تحت المشيئة إن شاء غفر الله له وعفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار بعد ذلك بالشفاعة، وهذا مصداق قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

### الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوا القول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جواز الخروج على الأئمة، وقتالهم بالسيف إذا جاروا، يعني قالوا نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر وضمنوا هذا الأصل الذي هو أصل مقرر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الشريعة، ولكنهم أرادوا به وعنوا به الخروج على أئمة الجور، وهذا أيضاً مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في الصبر على أئمة الجور وعدم الخروج عليهم وطاعتهم في المعروف حتى لا تتأثر كلمة الأمة وينفطر عقدها حينما يخرج نفر منها على إمام المسلمين أو حاكمي المسلمين.

### ج. ذكر معتقد المعتزلة في الأسماء والصفات :

في الحقيقة ما قلته هو بيان لأصول المعتزلة الخمسة التي خالفوا بها أصول الدين، ولكن ونتحدث عن المعتزلة كُنْفَاءً لصفات الله ﷻ فأود أن أبين هنا معتقدهم، خاصة وبتفصيل في أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلى، وتتلخص بدعة المعتزلة في الأسماء والصفات في الأمور التالية :

**أولاً:** نفي الصفات جملة عن الله ﷻ وقد ذكر ذلك عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في (التدمرية) وغيرها في مواطن متعددة من كتبه، ثم هم لما نفوا الصفات في الجملة أثبتوا أحكام هذه الصفات، وسأبين بعد طريقتهم في ذلك، وذكروا أن هذه الصفات راجعة إلى اسم الله ﷻ العليم القدير، أيضاً من بدع المعتزلة في الأسماء والصفات أنهم قالوا بأن أسماء الله ﷻ أعلام محضة لا تدل على معنى كمال، وقد سبق أن تحدثت عن ذلك بتفصيل، وبينت بطلان مذهب المعتزلة في ذلك، تحدثت وأنا أتحدث عن أسماء الله الحسنى ومعانيها، وأن لها دلالات تدل عليها فهي ليست أعلام محضة، وإنما تدل على معان عظيمة، تدل على كمال مطلق يليق بجلال الله ﷻ.

كما أن المعتزلة من بدعهم الضالة أنهم اتفقوا على أن كلام الله ﷻ محدث مخلوق قالوا ذلك بأن الله ﷻ لم يتكلم ولا يتكلم، وبالتالي قالوا عن القرآن بأنه مخلوق، ومن الأمور التي ذكروها من البدع في مسألة الصفات: أنهم وصفوا الله بالقديم، وقالوا بأن القدم أخص وصف ذاته، وقد سبق أيضاً وأنا أتحدث عن أسماء الله الحسنى وضوابطها أن أشرت إلى أن القديم ليس من أسماء الله الحسنى؛ لأنه ليس من أحسن الأسماء، وقد ذكرت ذلك فيما مضى فلا داعي

## العقيدة خاص [٢]

للإعادة، وقلت أن الله ﷻ ذكر اسمه الأول بدلاً من القديم. الشاهد من ذلك أن نفي الصفات في الجملة والقول بأن أسماء الله أعلام محضة، والقول بأن القرآن الكريم مخلوق، هذا من أبرز فساد معتقد المعتزلة في أسماء الله ﷻ وصفاته.

ولتوضيح هذه المسألة أكثر أقول بأن المعتزلة اتخذوا لنفي الصفات طريقين: الطريق الأول: إثبات الأسماء دون ما تضمنته من الصفات - هذا عند بعضهم - إثبات الأسماء طريق من الطرق التي ذكروها في أسماء الله وصفاته، وقد ذكرها أيضاً ابن تيمية - رحمه الله - في (التدمرية) قال: بأنهم أثبتوا الأسماء دون ما تضمنته من الصفات فيقولون: هو سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وعليم بلا علم، وقدير بلا قدرة وهكذا..

**ثانياً:** ليس هو إثبات الأسماء، وإنما إثبات الترادف بين الأسماء، قالوا: الأسماء مترادفة كل اسم منها يقوم مقام الآخر، وذلك لدلالاتها على الذات، فيقولون مثلاً عن اسم الله العليم هو عليم بذاته سميع بذاته بصير بذاته قدير بذاته، وعند التحقيق تجد أن كلا الطريقين ترجع إلى نفي الصفات، وإثبات الأسماء على أنها أعلام محضة لا دلالة فيها على الصفات، وعلى هذا فالمعتزلة طائفتان، بعد بيان طرق المعتزلة في نفي الصفات يبرز لنا ويظهر أن المعتزلة طائفتان:

**الطائفة الأولى:** من تنفي الصفات وتثبت الأسماء على أنها أعلام محضة تدل على الذات، طائفة تنفي الصفات وتثبت الأسماء على أنها أعلام محضة تدل على الذات.

**الطائفة الثانية:** من تنفي الصفات وتثبت الأسماء على أنها بمعنى متعلقاتها، فيقولون للسمع بمعنى المسموع والعلم بمعنى المعلوم وهكذا، وعند التحقيق كما ذكرت كل هذه الفرق والطوائف والطرق التي سلكتها المعتزلة في أسماء الله

وصفاته ترجع كما ذكرت إلى نفي الصفات وإثبات الأسماء على أنها أعلام محضة لا دلالة فيها على الصفات.

#### ٤. المفوضة:

##### أ. تعريف التفويض:

نود أن نعرف قبل أن أتحدث عن المراد بالمفوضة أن أُعرّف كلمة التفويض، التفويض هو: رد العلم بالصفات إلى علم الله ﷻ بها إما معنى أو كيفية، وعلى هذا التعريف فالتفويض نوعان: انتبه معي، التفويض رد العلم بالصفات إلى علم الله ﷻ إما معنى أو كيفية، وهذا التعريف يبين أن التفويض إذاً نوعان:

**النوع الأول:** تفويض العلم بحقيقة الصفات وماهيتها إلى الله رب العالمين، وهذا أصل عظيم من أصول السلف الصالح، فالسلف -رحمهم الله تعالى- يعرفون معاني الصفات وما تدل عليه، ولذلك يثبتونها لله سبحانه دون تمثيل أو تشبيه أو تأويل أو تفويض، ومع إثباتهم للصفات وفهمهم لمعانيها المتبادرة إلى الذهن والتي تدل عليها بمقتضى الخطاب العربي يفوضون بعد ذلك في الكيفية، هذا تفويض صحيح، وهذا هو النوع الأول من أنواع التفويض في الصفات ألا وهو تفويض العلم بحقيقة الصفات وماهيتها إلى الله رب العالمين.

**النوع الثاني:** تفويض العلم بمعاني الصفات إلى الله تعالى، وهذا بدعة في الشرع تناقض القول الأول الصحيح، فالقول الأول الصحيح: يثبتون الصفة ويعرفون معناها وما تدل عليه، ويفوضون في الكيفية والحقيقة، أما النوع الثاني: يفوضون في العلم بمعاني الصفات، ويقولون بأنها ألفاظ لا معاني لها، تقرأ دون

## العقيدة خاص [٢]

أن يكون لها معنى تدل عليه، ولذلك أقول بناء على هذا إن المفوضة هم الذين يثبتون ألفاظ الصفات كما وردت في الكتاب والسنة مع تفويضهم العلم بمعانيها اللغوية إلى الله ﷻ، فلا يعلم معناها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد أبداً، فالمفوضة إذاً يثبتون ألفاظ الصفات كما وردت في القرآن والسنة، ويفوضون العلم بمعانيها اللغوية التي تتبادر إلى ذهن السامع منها عند إلقائها، يقولون: لا يعلم معناها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وفي الحقيقة هذا لا شك أنه باطل، وسيأتي الرد عليهم إن شاء الله تعالى عند حديثي عن الواقعة؛ لأن هؤلاء بدعهم واحدة، بعد أن عرفت التفويض وبينت نوعيه وذكرت أن النوع الأول التفويض في الحقيقة والكيفية، وهذا هو معتقد السلف، والنوع الثاني هو التفويض في العلم والمعنى وهذا هو الباطل، وحينما أقول المفوضة أعني بهم هؤلاء الذين يفوضون العلم بمعاني الصفات.

## ب. عقيدة المفوضة في الصفات:

ماذا قال هؤلاء الناس في صفات الله ﷻ؟، تتلخص عقيدة هؤلاء المفوضة في البنود التالية:

**أولاً:** وجوب الإيمان بألفاظ الأسماء والصفات الواردة، يعني قالوا: نحن نؤمن بالألفاظ التي وردت في الأسماء والصفات ونقرأها ونتعبد الله ﷻ بها، فأول أمر عندهم وجوب الإيمان بألفاظ الأسماء والصفات الواردة، أين التفويض إذاً؟ أو أين الخطأ في ذلك؟ يتبين في الأمر الثاني حينما قالوا بأنه يجب التفويض فيما عدا هذا، سواء قيل لها معنى أو لا، يعني قالوا: نؤمن بألفاظها ونفوض بعد ذلك فيما عدا ذلك سواء كان لهذه الأسماء أو لهذه الصفات معانٍ أو لم تكن لها



معانٍ، ويوضح وجوب التفويض عندهم قصدهم في ذلك، وهو ماذا قصدوا من وراء إخفاء معاني الصفات؟ لماذا أن الله ﷻ ذكر في كتابه ألفاظ فيها أسماءه الحسنى وصفاته العلى ثم أخفى معانيها عن الخلق؟ قالوا هذا لاختبار الخلق بالتسليم لما يؤمرون به، لأن الخلق جميعاً على زعمهم يجهلون معاني أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، فقالوا: بأن هذه الأسماء وهذه الصفات لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد البتة، إذاً قالوا بأننا نؤمن بألفاظ الأسماء والصفات ثم يجب علينا أن نفوض العلم بمعانيها، والخلق جميعاً يجهلون معانيها فلا يعلمونها ولا يعرفونها سواء كان ذلك ملك مقرب أو نبي مرسل، وإذا سألناهم ما المقصود إذاً من ذكر ألفاظ في القرآن الكريم تتعلق بالذات الإلهية لا معاني لها كما تزعمون؟ قالوا: لأن في ذلك اختبار الخلق بالتسليم لما يأمرون، في ذلك اختبار للخلق هل يؤمنون ويسلمون بما لم يعرفوا معناه أم لا؟.

وهذا في الحقيقة تعطيل للصفات والأسماء، هذا القول منهم تعطيل للأسماء وللصفات، إذ التعبير بما لا معنى له أو حتى لو كان له معنى، ولكن لا يمكن للمتكلم والمستمع فهمه لأنه قصور في الكلام، وهذا لا يليق برب العزة والجلال ﷻ والحقيقة مذهب التفويض مذهب خطير أخطر من نفي الصفات، لماذا؟ لأنه قد ينطلي على بعض الناس حينما يقرءون نصوص الصفات ثم بعد ذلك يقولون بأنها لا معنى لها، فما فائدة إثبات ألفاظها إذاً؟، وما المراد منها؟ فقد يحسن الظن بهؤلاء قوم، وهذا صنف من أصناف أو طائفة من طوائف الأشاعرة قالوا بذلك، والشيخ الباجوري -رحمة الله تعالى عليه- في عقيدته ذكر هذا، حينما قال:

وكل نص أوهم التشبيه ❖ أوله أو فوض ورم تنزيهاً

## العقيدة خاص [٢]

قال: أوّلُهُ، يعني اصرفه عن ظاهره أو فوض وأراد بذلك التفويض في المعنى لا في الحقيقة والكيفية، وهذا في الحقيقة باطل، وأنا أركز على أن التفويض عقيدة باطلة حتى لا تنطلي على العوام أو على طلبة العلم؛ لأن هذه العقيدة في الحقيقة ليس فيها شيء من إثبات الأسماء والصفات، بل فيها إساءة لرب العباد ﷻ حينما يتكلم بكلام لا يقصد ولا يريد معناه، وليس له فائدة ولا يستفيد منه الخلق، ولا يتعبد الله ﷻ بشيء من المعنى، هذا لا يكون في كلام في متكلم كلامه أبلغ الكلام، وأصدق الكلام، وأفصح الكلام، ورب العزة والجلال ﷻ يتنزه عن مثل هذه الأقوال الباطلة، وبالتالي أحذر إخواني من أن تنطلي عليهم بدعة التفويض.

## ٥. الواقفة:

الواقفة في أسماء الله وصفاته، أتحدث عنهم أولاً وأبين أقسامهم وأذكر معتقدتهم الباطل، ثم أتناول بعد ذلك الرد عليهم، والرد عليهم هو رد أيضاً على المفوضة؛ لأن الواقفة والمفوضة كلاهما يشتركان في بدعة متقاربة، وأفضل الحديث في النقاط التالية:

## أ. بيان أقسام هذه الفرقة:

القائلون بالوقف في صفات الله ﷻ ينقسمون إلى قسمين، وأقول هذا لأن من بين مفردات المنهج أنهم تحدثوا في انقسام الناس في نصوص الصفات إلى أقسام، ذكروا هاتين الفرقتين، كل فرقة على حده، وكان هذا هو ختام بيان انقسام الناس في نصوص الصفات، وفي الحقيقة أن كلا الفرقتين ترجعان إلى القول بالتوقيف، ولذلك الواقفة إذاً ينقسمون إلى قسمين:

**الطائفة الأولى:** الذين يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها هو المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ألا يكون صفة لله، وهذه طريقة كثير من الفقهاء والمتكلمين

وغيرهم، إذاً الفرقة الأولى من فرق الواقعة الذين يقولون: قد يكون ظاهر الصفات هو المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ألا يكون صفة لله، وبالتالي قالوا: نحن نتوقف، وهذا عليه كثير من الفقهاء والمتكلمين، وظنوا بذلك أيضاً أنهم قد سلموا لما قرءوا آيات ونصوص الصفات ولم يثبتوا معانيها.

**الطائفة الثانية:** هم الذين يسكون عن هذا كله، لا يقولون ظاهرها مراد ولا غير مراد، ولا يجوز أن تكون لها صفة أو لا يجوز، وإنما لا يتكلمون في هذا أبداً، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضون بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التخيرات، في الحقيقة تنظرون في هاتين الفرقتين ستجدون أن هؤلاء يلتقون في نقطة قريبة جداً من هؤلاء المفوضة، ولا شك أيضاً أن هذا باطل.

### ب. الرد على معتقدتهم:

ولكن قبل أن أتناول الرد أذكر ببطلان هذا المنهج، وأذكر معتقد السلف الصالح في أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، من باب التذكير، وقد سبق القول فيه مراراً، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- قد جلى مذهب السلف في ذلك ونص عليه ووضحه وبينه، ومثله فعل ابن القيم -رحمه الله- وخاصة في كتابه القيم (الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة) ولا بأس من أن أذكر نصاً واحداً الآن عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في توضيح مذهب السلف المخالف لمن قال بأن معاني الصفات غير معروفة ولا معلومة، أو أننا نقرأ ألفاظ القرآن والحديث قراءة دون تدبر، بل نعرض عنها بألسنتنا وقلوبنا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مذهب السلف إجراء أحاديث الصفات وآيات الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، فلا نقول: إن معنى اليد

القدرة، ولا إن معنى السمع العلم، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه، ونتبع لا شك فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا كيفية.

وللشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- كلمات أيضاً في ذلك يقول فيها: مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز، وأن لها معان حقيقة تليق بجلال الله وعظمته، وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر، ومعاني هذه الصفات ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض، فقد أخذ أصحاب رسول الله ﷺ ونقلوا عنه القرآن ونقلوا عنه الأحاديث، لم يستشكلوا شيئاً من معاني هذه الآيات والأحاديث؛ لأنها واضحة صريحة، وكذلك من بعدهم من القرون الفاضلة، بهذه النقول عن شيخ الإسلام، وأيضاً قول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ يتضح لنا مذهب السلف وفساد مذهب هؤلاء، وزيادة في الرد عليهم ولا بد من ذلك لأن البعض يزعم أن مذهب التفويض هو مذهب السلف الصالح، والتحقيق أن السلف لا يفوضون معاني الأسماء والصفات، وإنما يفوضون في كيفية الصفات أما المعاني فإنها معلومة من لغة العرب، ولذلك التذكير والتركييز على الرد على الواقفة والمفوضة أمر مهم بمكان لدفع هذه الشبه التي قامت بعقول بعض الناس.

**الرد الأول:** أن نقول: إن السلف الصالح رحمهم الله تعالى ثبت عنهم تفسير معاني أسماء الله وصفاته وفق ما تفهمه العرب من كلامها ولم يثبت عنهم خلاف ذلك، فكيف يقول قائل إذاً بأن معاني أسماء الله وصفاته غير معلومة وقد تكلم فيها السلف الصالح وثبت عنهم تفسير هذه الأسماء ومعاني هذه الصفات؟، وما يدل ذلك على هذا أن الإمام مالك -رحمه الله- قال في الإجابة

عندما سئل عن كيفية الاستواء قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول. فقله: الاستواء معلوم يعني معلوم المعنى، ومعنى استوى يعني: علا وارتفع. كما ذكر ذلك مجاهد وأبو العالية وغيرهما، وأخرج كل ذلك البخاري في صحيحه - رحمه الله -، فالاستواء معناه معلوم أما المجهول فهو الكيف كيفية الاستواء، حقيقة الاستواء، هذا أمر وراء الإيمان به، ونحن لم نكلف ذلك، ولم نؤمر به، والله عز وجل فوق أن يعلم العباد عنه ذلك.

**الرد الثاني:** أن نقول: لو كانت الأسماء ألفاظاً لا معاني لها لم تكن حسنى، كما أخبر الحق ﷻ، والله ﷻ قد أخبر أن أسماء حسنى، إذا تدل على معان ولها معان، ودالة هذه الأسماء على مدح وكمال، فأسماء الله ﷻ تدل على مدح الله ﷻ وجلاله وكماله؛ لأن حسنيتها باعتبار معانيها، فإن لم تكن لها معنى ولم يعرف لها معنى كيف نقول عنها بأنها حسنى؟ فالله ﷻ حين يصف وينعت أسماء بأنها حسنى نفهم من ذلك أن لها معان عظيمة تدل عليها، ومن هذه المعاني أنها صفات كمال، إثبات صفات الكمال والجلال، ومدح الله ﷻ بما يليق به.

**الرد الثالث:** أن نقول: لو كانت نصوص الأسماء والصفات ألفاظاً لا معاني لها لساغ وقوع أسماء الغضب والانتقام في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس، يعني لو كانت هذه الأسماء والصفات ليس لها معنى؛ لساغ لنا أن نضع صفة الرحمة مكان صفة الغضب، وصفة الغضب مكان صفة الرحمة، وهكذا، وما كان لقائل أن يقول: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، وإنما يقول فاغفر لي إنك أنت الجبار المنتقم، أو أعطني إنك أنت الضار المانع وهكذا، لا يجوز ذلك، فإذا بطل هذا دل على أن أسماء الله لها معان نعبد الله ﷻ بها، ونثبت الصفات من ورائها.



## قواعد في تأصيل مذهب أهل السنة في الصفات

### عناصر الدرس

- العنصر الأول : وجوب الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ أدركه ٤١  
العقل أم لم يدركه
- العنصر الثاني : القول في الصفات كالقول في الذات، والقول في ٤٢٤  
بعضها كالقول في البعض الآخر





وجوب الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ أدركه العقل أم لم يدركه

١. وجوب الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ أدركه العقل أم لم يدركه :

يعني يجب علينا أن نؤمن بكل ما جاء به النبي ﷺ عقله العقل أم لم يعقله ، أدركه أم لم يدركه .

١. القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما أصل الدين :

لأن ما جاء به النبي ﷺ أمران : القرآن الكريم والسنة النبوية ، وبالتالي لا يخرج الإنسان عنهما بل يجب عليه أن يلتزمهما ؛ لأن القرآن الكريم هو كما ذكرت عمدة الملة وآية الرسالة ونور البصائر والأبصار فلا طريق إلى الله ﷻ سواه ، مع السنة طبعاً كما سيأتي الحديث عن ذلك ولا نجاه بغيره وإذا تمسك الإنسان بشيء يخالفه فقد حاد وخرج عن الصواب ، وقد أوفى القرآن الكريم على الغاية في بيان العقيدة وتصحيحها في النفوس .

وأقول ذلك لأنني أتحدث عن نصوص الصفات في مسائل الاعتقاد فأود أن أبين هنا بأن القرآن الكريم أوفى على بيان هذه المسائل وتصحيحها في نفوس الناس على أتم وجه وأكمله وبخاصة في السور المكية ، وكان هذا البيان يأتي مرة إجمالاً ويأتي مرة تفصيلاً ، وكان أول ما نزل على النبي ﷺ قول الله له : ﴿ أَقْرَأْ بِسُورَتِكَ الَّتِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ﴾ [العلق : ١ ، ٢] وهذه تتضمن أصول الدين والعقيدة من أدلة عقلية وفطرية وشرعية على وجود الله ﷻ وتوحيده والإيمان بربوبيته ، وهذا يؤدي إلى عبودية الله وحده دون سواه ، وكذلك أيضاً دعا إلى صدق الرسول ﷺ في مفتتح سورة "العلق" ، وإذا نظرت إلى سائر سور القرآن

## العقيدة خاص [٢]

الكريم تجد أن السورة الواحدة تجمع أركان العقيدة بأصول عامة تبين أركان الإيمان، وأعظمها الإيمان بالله تعالى وما يتفرع عن هذه الأركان وينضم إليها، أو يكون من مقتضياتها ومستلزماتها، وكذلك تضع الإجابة الصحيحة الحاسمة على الأسئلة التي تفسر للإنسان أصل وجوده ونشأته وغايته التي يسعى إليها والمصير الذي ينتهي إليه بعد رحلته في هذه الحياة، وهكذا يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله- في بيان هذا الأمر وتقريره: وغالب السور المكية تقرر ثلاثة معانٍ، أصلها معنى واحد، وهو: الدعاء إلى عبادة الله وتوحيده، ثم يذكر هذه الأصول التي تقرر معنى واحد هي الدعوى إلى عبادة الله وتوحيده فيقول:

**المعنى الأول:** تقرير الوجدانية لله الواحد الأحد الحق سبحانه غير أنه يأتي على وجوه كنفى الشريك بإطلاق، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة من كونه مقرب إلى الله زلفى أو كونه ولد من غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة.

**المعنى الثاني:** تقرير النبوة للنبي محمد ﷺ وأنه رسول الله إليهم أجمعين، صادق فيما جاء به من عند الله تعالى، وأيضاً هذا المعنى وارد على وجوه متعددة، كإثبات كونه رسولاً حقاً ونفى ما ادعاه عليه من أنه كاذب نفي ما ادعوه هؤلاء المشركين على النبي ﷺ من أنه كاذب أو ساحر أو مجنون أو ما إلى ذلك.

**المعنى الثالث:** إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه، بالأدلة الواضحة والرد على من أنكر ذلك بكل وجه يمكن حتى لا يجد الكافر مجالاً للإنكار إلا إذا غره عقله.

الشاهد من ذلك والذي أريد أن أصل إليه أن القرآن الكريم أحكم الباب في أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، وغير ذلك من مسائل العقيدة؛ ولذلك وجب علينا الإيمان بكل ما جاء فيه، وقد ركزت كما ذكرت السور المكية وجعلت الحديث عن مسائل العقيدة موضوعاً رئيسياً إلا أن السور المدنية أيضاً

التي نزلت لتعالج قضايا التشريع كانت تعرض أيضاً من خلال ذلك كلام عن العقيدة، كذلك الأمر بالنسبة للسنة النبوية فإذا كان القرآن الكريم هو مصدر الدين عقيدةً وشريعةً وأصل الملة والدين كما ذكرت، فإن السنة النبوية مثل القرآن في ذلك؛ لأنها وحي من الله تعالى والله ﷻ قد وصف ما يصدر عن نبيه ﷺ بأنه وحي فقال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ [النجم: ٣-٤]. فكل ما ينطق به النبي ﷺ حق وهو وحي من عند الله ﷻ وفي ذلك يقول حسان بن عطية: ((كان جبريل # ينزل على النبي ﷺ بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن))، تأمل هذا النص الجليل، بأن جبريل # كان ينزل على النبي ﷺ بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن، وكان النبي ﷺ يعلم بعد ذلك أصحابه الكتاب والسنة.

ومما يدل على أن السنة بمثابة القرآن في هذا أن الله تعالى امتن على المؤمنين ببعثة النبي ﷺ ليعلم الكتاب والحكمة، ليعلم ﷺ الناس الكتاب والحكمة، فقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقال تعالى مخاطباً أمهات المؤمنين: ﴿ وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وقد قال غير واحد من السلف: الحكمة هي السنة؛ لأن الذي كان يتلى في بيوت أزواج النبي ﷺ ورضي عنهن سوى القرآن وسنته، ولذلك صح عنه ﷺ أنه قال: ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)). ((أوتيت الكتاب)) يعني: القرآن، ((ومثله معه)) يعني: سنة النبي ﷺ، ولذلك نجد الإمام الشافعي -رحمه الله- يقول بعد أن ساق الآيات الكريمة التي يأمر الله فيها باتباع الكتاب والحكمة ويمتن بهما علينا، يقول: ذكر الله تعالى الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت من

## العقيدة خاص [٢]

أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ وهذا يشبه ما قال والله أعلم؛ لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة، فلم يجز - والله أعلم - أن يقال: الحكمة ها هنا إلا سنة الرسول ﷺ، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله وأن الله افترض طاعة رسوله ﷺ وحتم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله ﷺ لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله ﷺ مقروناً بالإيمان به.

وسنة رسوله ﷺ مبنية عن الله ﷻ معنى ما أراد، وبذلك يتبين لنا أن النبي ﷺ قد نص على كل ما يعصم الأمة من المهالك نصاً قاطعاً للعدر، ولا يمكن أن يبين ﷺ للناس أمور حياتهم وما يحتاجونه في الشريعة، ثم يترك الجانب الرئيسي وهو العقيدة دون بيان؛ ولهذا وجب التسليم لكل ما جاء به ﷺ والإيمان به، وهذه أول نقطة أردت أن أتحدث عنها في هذا العنصر؛ لأنها مهمة، ألا وهي وجوب الإيمان بكل ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والحكمة، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أحكمت مسائل الاعتقاد أيما إحكام، ولم تترك لقائل فيها قولاً، وهذا أول ما اعتنى به كتاب الله، وأكثر ما تكلم وذكر وعلم أمته به محمد بن عبد الله ﷺ.

## ب. الأدلة على وجوب الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ:

قد يقول قائل: ما الدليل على أنه يجب علينا أن نقبل ونؤمن ونصدق بكل ما جاء به الرسول ﷺ وهل من ضرورة إلى ذلك؟

قلت أولاً في الفقرة الأولى: يجب الإيمان بكل ما جاء به النبي ﷺ يسألني سائل: ما الدليل على ذلك؟ أقول: أوجب الله تعالى على المسلمين اتباع الرسول ﷺ فيما يأمر وينهى، وقرن الله طاعة الرسول ﷺ بطاعته سبحانه في آيات كثيرة من

القرآن فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. وحث ﷺ على الاستجابة لما يدعو إليه من الحياة الكريمة التي تتمثل في الاعتقاد الصحيح وفي التمسك بالدين، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وجعل طاعة الرسول ﷺ طاعةً لله وعلامةً على محبته يقول ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. كما جعل الله ﷻ مخالفة النبي ﷺ سبباً للفتنة تصيب الإنسان أو سبباً لعذابٍ أليم، فقال ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ولهذا أقول بأن طاعة الرسول ﷺ ووجوب الإيمان بكل ما جاء به والتسليم له أمر لا خيار فيه لمؤمن، بل يجب عليه أن يسلم له تسليمًا مطلقًا، ففي مسائل الاعتقاد خاصة التي قد نص القرآن الكريم عليها وكذلك السنة النبوية على بيانها وأحكام النبي ﷺ هذا الباب، لا يجوز لأحدٍ كائنًا من كان بعد ذلك أن يدخل فيه برأيه أو بعقله أو بهواه.

### ٢. العقل، ودوره في مسائل الاعتقاد:

قد يقول قائل: إذا كنت ذكرت أنه يجب علي أن أسلم لكل ما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ ولا أخرج في مسائل وأصول الدين عن هذين المصدرين، فما قيمة العقل إذا؟ يشتمل هذا الموضوع على نقاط متعددة:

#### أ. ذكر مكانة العقل في الإسلام:

أقول: لا شك أن العقل نعمة أكرم الله بها الإنسان، وميزه على سائل المخلوقات، فبالعقل أعطاه الله المفتاح الذي يفتح به أبواب الملكوت، ويدخل

## العقيدة خاص [٢]

ساحة الإيمان بالله الذي سخر الله ﷻ هذا الكون للإنسان بما فيه من سماء وأرض ينظر ويتأمل ويعي ويفهم ويعقل ، والله ﷻ قد من على العباد بكل ذلك ، وجعل العقل موضوع المسؤولية ومناط التكليف وسبباً له ، فالخطاب الشرعي لا يتوجه إلا للعاقل ؛ لأن العقل أداة للفهم والإدراك وبه تتوجه الإرادة إلى الامتثال ، ومن هنا جاءت أحاديث النبي ﷺ ترفع القلم أي التكليف والمؤاخذة عن من فقدوا مناط التكليف وهو العقل بسبب الجنون ، أو ما يأخذ حكمه ولهذا صح عن النبي ﷺ أنه قال : ((رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم)).

والشاهد من كلامي هذا وما أود أن أبينه أن العقل نعمة عظيمة ، وهبة من الله ﷻ لمن خلق من البشر ، وله مكانة كبيرة ، وقد يقول قائل : إذا كان الأمر كذلك وذكرت أنت أن العقل هو مناط التكليف وأنه نعمة من الله على العباد ألا يكون إذاً له دور في مسائل الاعتقاد؟.

## ب. دور العقل في مسائل الاعتقاد :

لأن قولي بأن العقل نعمة عظيمة ومنة كبرى وجعله الله ﷻ سبباً للتكليف قد يدفع هذا القول بعض الناس ليظن أن هذه العناية بالعقل والإعلاء لمكانته تبيح لنا أن نجعل منه مصدراً نستقي منه العقيدة ، أو نجعله حاكماً عليها يقبل منها ما يدركه ويرفض منها ما لا يدركه أو ما لا يحيط به ، والله ﷻ هو أعلم بالإنسان وطاقاته كلها ، يعلم أن العقل البشري الذي وهبه له هو مناط التكليف ولا يكفي بعد ذلك في أن يبلغ به الهدى لنفسه ، أو المصلحة لحياته في دنياه وآخرته ولو كان العقل مستقل بذلك ويعرف أن يبلغ إلى الهدى بنفسه لأوكله الله ﷻ إلى هذا العقل ، ولكن الله ﷻ يعلم أن العقل الذي أتاه للإنسان أداة قاصرة بذاتها عن

الوصول إلى الهدى بغير توجيه من الرسالة وعون وضبط، وأيضاً قاصر كذلك عن رسم منهج الحياة الإنسانية التي تتحقق من خلالها المصلحة الصحيحة للإنسان، ومن هنا قضت رحمة الله ﷻ بعباده أن يبعث الرسل للناس، وألا يؤاخذهم إلا بعد الرسالة والتبليغ وقبلها لا يؤاخذ كما قال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] فالله ﷻ لم يوكل العباد إلى عقولهم ولا يحاسبهم ويجازيهم بمقتضى ما أودعه فيهم من العقل، وإنما رتب الحساب والجزاء والثواب والعقاب على بعثة الأنبياء والمرسلين؛ لأن العقل لا يستقل بمعرفة الأحكام التي توصله إلى الطريق الصحيح الذي أراده الله ﷻ لعباده.

ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحتها، وبه يكمل العلم والعمل لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس، وإذا انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية قد يكون فيها محبة وذوق كما يحصل للبهيمة.

الشاهد من ذلك: أن مسائل الاعتقاد مسائل غيبية لا مجال للعقل في أن يتدخل فيها أو أن يقول فيها قولاً، وإنما كما سيأتي وأبين ماذا يجب على العقل في مسائل الاعتقاد؟ ولكني هنا ذكرت مكانة العقل في الإسلام دور العقل في مسائل الاعتقاد وأنه لا يستقل بمعرفة الأحكام.

### ج. موقف الناس من العقل:

ماذا قال الناس في العقل؟ وكيف اعتمدوا عليه في مسائل الاعتقاد؟. الناس في الاستدلال بالعقل انقسموا إلى طرفين ووسط:

## العقيدة خاص [٢]

**الطائفة الأولى:** فهم الفلاسفة ومن نحا نحوهم من المعتزلة والجهمية وغيرهم ويمكن بيان قولهم فيما يلي:

قالوا: إن العقل هو أصل الأدلة وأساسها وأنه مقدم على الشرع وأن أدلة العقل أدلة يقينية بخلاف دلالة النصوص يعني نصوص الشرع قالوا بأنها ظنية، وأن الثواب والعقاب مترتب على حكم العقل وحسن الأفعال وقبحها أيضاً أمر يرجع إلى العقل، هذه هي الطائفة الأولى في أقسام الناس الذين تكلموا عن العقل.

**الطائفة الثانية:** طائفة الأشاعرة، الأشاعرة تأثروا بالمعتزلة في هذه المسألة وسار لهم أيضاً في تعظيم العقل وتقييحه، ونفوا الحكمة في أفعال الله تعالى وهذا كله غير صحيح، يعني تأثروا بالمعتزلة ولكنهم أنكروا تحسين العقل وتقييحه ونفوا الحكمة في أفعال الله تعالى كأنهم بذلك يقفون موقفاً مضاداً أو معاكساً للمعتزلة، ولكن في حقيقة الأمر أيضاً في كثير من المواطن - خاصة في مسائل الصفات - اعتمدوا على العقل وقدموه على النقل.

**القول الوسط في ذلك:** هو مذهب السلف - رحمهم الله تعالى - وقول محقق الإسلام والأئمة كالإمام أحمد والبخاري وابن تيمية وغيرهم يذهبون إلى أن للعقل فهماً وإدراكاً ولكنه ليس مقدماً على الشرع، فالشرع مقدم على العقل لعصمة الشرع وعدم عصمة العقل، وواجب العقل أن يفهم ما جاء في الشرع، هذا دوره وهذه مهمته، أما أن يستقل هو بمعرفة الأحكام فهذا ما لا سبيل للعقل بحال إليه.

**د. العقل يقضي ضرورة بتصديق الصادق:**

أود من خلالها أن أخاطب هؤلاء العقلاء، فأقول لهم: كيف تحتكمون إلى العقل؟ والعقل نفسه هو الذي يلزمكم أن تتبعوا الرسول ﷺ سواء فهمتم



وأدرکتُم معنی ما قاله وما جاء به أو لم تفهموه، لماذا؟ لأن العقل يقضي ضرورة بتصديق الصادق واتباعه طالما أنه ثبت صدقه فوجب على العاقل أن يتبعه.

ولعل ما يمكن أن أستدل به هنا ما ذكر في السيرة والتاريخ، من سبب تقليب أبي بكر < بالصدیق؛ لأن لما أسري بالنبي ﷺ وعرج به إلى السموات العلى وكان أبو بكر أول المؤمنين المصدقين فالمشركين قالوا: ما في أحد سيستمع لهذا القول؛ لأنه أمر بعيد الخيال كيف يذهب في جزء من الليلة ثم يعود، ونحن نضرب أكباد الإبل شهراً ذهاباً وشهراً إياباً إلى بيت المقدس، ذكروا ذلك لأبي بكر كي يردوه ويصدوه عن الاستجابة للنبي عليه الصلاة والسلام، فماذا قال؟ قال: إن كان قال فقد صدق، في هذا الوقت الذي حدث النبي ﷺ بالإسراء والمعراج كما تعلمون، ولكن لما كان الصحابة { يؤمنون ويصدقون ويسلمون بصدق النبي ﷺ سلموا له بكل ما أتى به حتى ولو لم تعقله عقولهم، في الحقيقة الكلام يطول حول ذلك.

٣. الرد على من يقول: إن دلالة النصوص ظنية في العقيدة سواء كانت متواترة أو آحاداً:

قد يقول البعض من هؤلاء نحن نسلم لما جاء عن الله، وأنا أقول بأن التسليم لا يعني ألفاظ تقرأها فقط، وإنما تسلم للفظ والمعنى فيقولون بأن نصوص الصفات ظنية سواء كانت متواترة أو آحاداً وبالتالي يضربونها في صدورهم إن كانت متواترة إما بالتأويل وإن كانت آحاداً إما بالرد؛ ولذلك أود أن أرد على هؤلاء وأيضاً أسير في نقاط متعددة لتوضيح هذا، وهي كما يلي:

## أ. المراد بالمتواتر والمراد بالآحاد:

المتواتر: عرفه الخطيب البغدادي وغيره من علماء أصول الحديث، واخترت هنا تعريف الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - الذي يقول فيه: المتواتر هو الخبر الذي جمع أربعة شروط وهي:

**الأول:** عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب.

**الثاني:** روي ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

**الثالث:** كان مستند انتهائهم الحس.

**الرابع:** أن ينضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه.

هذا هو المتواتر الذي قال به وعرفه العلماء. أما حديث الآحاد فعرف بأنه الخبر الذي لم ينته إلى حد التواتر، لم يبلغ حد التواتر، ولم يقصر عن درجة الاحتجاج به وإن روته جماعة، وبناء على ذلك يعد الحديث المشهور من أحاديث الآحاد إذ لا واسطة بين المتواتر والآحاد.

## ب. بيان ما يفيد الخبر المتواتر:

قلنا: الخبر المتواتر هو الذي رواه جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وتوافقهم عليه من أول السند إلى منتهاه. إلى آخر ما ذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعالى في تعريفه، وهنا أود أن أبين بتفصيل ما يفيد هذا الخبر المتواتر لكي أعرف المستمع الكريم أن دلالة النصوص يجب أن تكون يقينية ومعلومة ومعروفة وأن الأحاديث المتواترة والآحاد ونصوص القرآن الكريم يجب - كما سبق وأن قلت - تؤخذ على ظاهرها، وهنا أتناول الحديث عن المتواتر والآحاد.

فأقول: الخبر المتواتر يفيد ما يلي: الخبر المتواتر يفيد العلم النظري: وهو ما كان عن نظر واستدلال. هذا قول لبعض العلماء، ونقل عن الكعبي وأبي الحسين البصري.

القول الثاني فيما يفيد الخبر المتواتر وهو القول الصواب وهو قول الجمهور: أنه يفيد العلم الضروري وهو الذي يضطر الإنسان إليه بحيث لا يمكنه دفعه وهذا هو المعتمد، وبه قال الجمهور. فالمعتزلة قالوا: الخبر المتواتر يفيد العلم النظري، وهذا غير صحيح. أما جمهور أهل العلم من المحدثين والفقهاء وهو القول الصحيح المعتمد أنه يفيد العلم الضروري، وهو الذي يضطر الإنسان إليه إذا سمعه بحيث لا يمكنه دفعه بحال، هذا ما يفيد الخبر المتواتر على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهذا هو قول الجمهور عامة.

وقد احتج الجمهور على كون العلم الحاصل بخبر التواتر ضرورياً بأنه لو كان نظرياً لما حصل لمن لا يكون من أهل النظر كالصبيان المراهقين وكثير من العوام، ما حصل لهم هذا العلم الضروري ولكنه في الحقيقة حصل لهم هذا العلم وهم في سن وعقول بسيطة، فدل ذلك على أن الخبر المتواتر يفيد العلم الضروري.

### ج. بيان ما يفيد خبر الآحاد:

بعد أن تحدثت عن الخبر المتواتر أود هنا أن أتحدث عن خبر الآحاد وما يفيد خبر الآحاد، وسأطيل الحديث عنه؛ لأن هذا الموضوع بالذات تناوله من لم يسلم لنصوص الصفات بالرد، وقالوا بأن خبر الآحاد ومعظم أصول الدين في العقائد التي نص عليها النبي ﷺ في سنته وكذلك الأمور التشريعية الأخرى ثابتة بأحاديث الآحاد؛ لأن الأحاديث المتواترة لفظاً قليلة جداً؛ ولذلك أقول بأن خبر

الآحاد يفيد العلم والقطع إذا صح، وقد ذهب إلى ذلك الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه -رحمه الله- واختاره جماعة من أصحابه، ونصره القاضي في (الكفاية) وهذا القول هو قول جمهور أهل الظاهر وجمهور أهل الحديث.

يقول ابن حزم -رحمه الله- تعالى: وقد يضطر الإنسان إلى خبر الواحد وأنه يفيد العلم بصحته، يفيد العلم بصحته، يعني أن خبر الواحد إذا كان صحيحاً أفاد العلم يقيناً فما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العدل إلى رسول الله ﷺ وجب العمل به، ووجب العلم بصحته أيضاً، هذا كلام ابن حزم، يقول: ما نقله الواحد عن الواحد فهذا إذا اتصل برواية العدل إلى رسول الله ﷺ وجب العمل به.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله-: أن من نص على أن خبر الواحد يفيد العلم -الإمام مالك والإمام الشافعي وأبي حنيفة وداود بن علي- وأصحابه كأبي محمد بن حزم ونص عليه غيرهم، فالحقيقة خبر الواحد يفيد العلم والعمل معاً، وهو كما ذكرت قول جمهور الأمة من العلماء والفقهاء والمحدثين ولا ينظر لقول خلاف هذا القول وحتى ينشرح صدر المستمع بأن خبر الواحد يفيد العلم وأنه قول الجمهور، أسوق له هنا بعض أدلة القائلين بإفادة خبر الواحد العدل العلم، ذكروا أدلة كثيرة منها ماذا أنه لو لم يفد العلم؟ لما جاز اتباعه لتهيئه تعالى عن اتباع الظن بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. والله ﷻ ذم متبعي الظن فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦]. وقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

وقد انعقد الإجماع على وجوب اتباع على ما تبين فيستلزم ذلك إفادة العلم لا محالة، وحذر النبي ﷺ أيضاً من اتباع الظن فيما ثبت عنه، في قوله ﷺ: ((إياكم

والظن فإن الظن أكذب الحديث)). إذا لو لم يفد خبر الواحد الصحيح العلم ما جاز لنا اتباعه ؛ لأنه سيكون من باب الظن ، والله ﷻ نهى عن اتباع الظن فدل ذلك على أن خبر الواحد العدل إذا اتصل سنده أفاد العلم ، وأيضاً يتبين لنا أن خبر الواحد موجب للعلم والعمل أيضاً بقول الله ﷻ في كتابه : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّبِنْفِقَهُمْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

أقول : أمر الله تعالى في هذه الآية بأن تنفر من كل فرقة طائفة لتتفقه في الدين وتنذر قومها إذا رجعت إليهم وذلك يقتضي وجوب قبول إنذارها ولفظ الطائفة في لغة العرب التي بها خوطبنا يقع على الواحد فصاعداً ، وطائفة من الشيء بمعنى بعضه هذا مما لا خلاف فيه بين أهل اللغة ، وإذا أمر الله ﷻ أن تنفر طائفة لتتفقه في الدين وتأتي بعد ذلك لتعلم من بعدها وجب على المستمع إذا أن يقبل من هؤلاء الناس ، ولو كانوا واحداً وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - حيث قد ذكر أن البخاري يريد من سياق قوله تعالى في صحيحه : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. أن لفظ طائفة يتناول الواحد فما فوقه ، ولا يختص بعدد معين ، قال : وهو منقول عن ابن عباس وغيره ، كالنخعي ومجاهد نقله عن الثعلبي وغيره ، وأيضاً من الأدلة على قبول خبر الواحد وأنه يفيد العلم والعمل ، قول الله ﷻ : ﴿ بِتَأْيِهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال الله له : ﴿ وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]. وقال ﷺ : ((بلغوا عني ولو آية)). وقال لأصحابه في الجمع الأعظم في يوم عرفة : ((أنتم تسألون عني فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت)). ﷺ.

ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ويحصل به العلم، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العباد، فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم، وقد قامت الحجة على الناس كلهم بخبر رسول الله ﷺ وهو واحد، فقد يقول قائل: النبي ﷺ معصوم فيما يبلغ عن الله وأنه لو خالفه لنزل الوحي ببيان ذلك، أقول: الأمر ليس مقصوراً على ذلك فالنبي ﷺ أخذ بخبر الواحد وأوجب العلم به يعني أنه يوجب العلم، وذلك أنه ﷺ كان يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه الدين ومسائل الاعتقاد، وكانت الحجة تقوم على من بلغه خبر هذا الواحد، فكان النبي ﷺ يرسل رسله وأمراءه إلى البوادي والقرى والبلاد والزعماء والملوك يدعوهم إلى الله ﷻ وكان يرسل رجلاً واحداً بذلك، وكانت الحجة تقوم بهذا الذي أرسله نبي الهدى والرحمة ﷺ ولعل من أوضح ما نستدل به على ذلك حديث معاذ بن جبل < لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن وقال له: ((إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)). وفي رواية: ((أن يوحدوا الله)) وذهب معاذ وبلغ الناس ذلك وأقيمت الحجة على العباد بخبر هذا الواحد.

### القول في الصفات كالقول في الذات، والقول في بعضها كالقول في البعض الآخر

١. القول في الصفات كالقول في الذات، والقول في بعضها كالقول في البعض الآخر:

هذان في الحقيقة أصلان عظيمان للغاية، وهما: القول في الصفات كالقول في الذات والقول في بعضها كالقول في البعض الآخر، ولتوضيح هذا أسير فيه في نقاط مختلفة متعددة، وأفضل القول فيه في أكثر من موطن كما يلي:

أ. أود أن أشيد بهذه القاعدة العظيمة التي قررها أئمة أهل السنة والجماعة ، وهي أن القول في الصفات كالقول في الذات ، وأن القول في بعضها كالقول في البعض الآخر ، ذلك أنها اشتملت على قاعدتين عظيمتين وأصلين شريفيين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ورد بهما على المخالفين على منهج السلف المخالفين لمنهج السلف ، والمبتعدين عنه ، والخارجين عليه ، فهما إداً قاعدتان عظيمتان وأصلان شريفان تجب العناية بهما ، وإبرازهما والحديث عنهما ؛ لأنهما بمثابة الأصول التي ترجع المخالف إلى منهج الحق.

ب. فهم وفقه هاتين القاعدتين ، ثم أبرز الحديث عنهما أيضاً بشيء من التفصيل ، مبنى هاتين القاعدتين على التسوية بين المتشابهات وعدم التفريق بين المتجانسات في الأحكام ، ومما يزيد ذلك وضوحاً وكمالاً تطبيق هاتين القاعدتين على أساليب البحث والمناظرة حتى يظهر أثرها في إلزام الخصم وإثبات الحق وإدانتته به ، وذلك كما يلي :

### أولاً: القاعدة الأولى: القول في الصفات كالقول في الذات :

أسير في خطوات متتابعة متتالية ، فأحدث أولاً عن تطبيق الأصل الأول أو القاعدة الأولى : القول في الصفات كالقول في الذات ، وتطبيق هذا الأصل في شقين ؛ لأنه أفاد هذين الجانبين أو هذين الشقين :

**الشق الأول :** أنه أظهر وبيّن بطلان التكييف ، وهو حكاية حقيقة الصفة كما هو متصف بها ﷻ ، فهذا الأصل الأول أبطل التكييف لصفات الله ، يعني : أبطل معرفة حقيقتها ، وبالتالي لا يجوز السؤال عنها ؛ ولذلك يقال لمن طلب التكييف وحكاية الحقيقة ومعرفة كنه الصفة : كيف هو في ذاته ﷻ؟ فإن قال : لا يعلم

## العقيدة خاص [٢]

كيفية ذاته إلا هو، يعني: لا يعرف أحد كيفية ذات الله سبحانه؛ لأنه أمرٌ غيبيٌّ، قيل له: وكذلك صفته -أيضاً- لا يعرف أحد كيفيتها ولا كنهها وحقيقتها؛ لأنها فرع ذاته، فكيف تطالبني بكيفية صفة أنا أجهل كيفية المتصف بها؛ لأن الصفة تابعة للذات وفرع منها، وكما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ذلك بقوله: "العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف"، فإذا كنت أنا أجهل الموصوف أجهل حقيقة كنه ذاته ما أعرف ما هو عليه ﷻ فكذلك الصفة لا تعرف حقيقتها ولا كيفيتها.

ويتضح هذا الكلام بهذا المثال: لو قال قائل مثلاً: كيف سمع الله وبصره وكلامه وحياته... ونحو ذلك من الصفات؟ نقول له: أعلمنا أولاً ما كيفية ذاته، فإن قال: لا أعلم ذلك. قيل له: وهكذا نحن لا نعلم كيفية سمعه ولا بصره ولا كلامه ولا حياته؛ لأن معرفة حقيقة اتصاف الرب بها فرع معرفتنا بحقيقة ذاته، ونحن لا نعلم حقيقة الذات؛ فموجب ذلك شرعاً وعقلاً إذاً جهلنا بحقيقة الصفات، فإذا كنا لا نعلم حقيقة الذات ونجهل كيفية ما هي عليه كذلك -أيضاً- لا نعلم حقيقة الصفات، هذا هو الشق الأول في تقرير الأصل الأول.

**الشق الثاني:** أنه بين بطلان التمثيل، وهو دعوى أن إثبات الصفات مساواة له بالمخلوقات، وهذا يقوله المنكرون لصفات الرب ﷻ يقولون: إثبات الصفات فيه مساواة وتمثيل للخالق بالمخلوق، هذه القاعدة أبطلت هذا التمثيل وأبطلت هذه الدعوى التي ادعاها نفات الصفات، وذلك بأن نقول للمنكر: ما قولك في ذات ربك؟ هل يماثلها أحد من الموجودات، هل يماثل ذات الرب ﷻ أحد من الموجودات؟ الذات موجودة وغيرها موجود، فهل وجود الذات يماثل وجود ذوات الآخرين من غير الله من الموجودات؟ فإن قال: لا، قيل له: فكما أن إثباتك لذاته لا يستلزم التشبيه والتمثيل فكذلك إثبات صفاته لا يستلزم ذلك؛ إذ



فرع الذات والقول فيها وفي صفاتها قولاً واحداً؛ لأن المخالف لنا والذي يقول بأن إثبات الصفات يلزم منه المساواة والتمثيل والتشبيه، نقول له: أنت تثبت الذات وغير الله من الموجودات ذات، فهل ماثلت ذات الله ﷻ ذات أحد من الموجودات، فيقول: لا، فنقول له: إذاً كذلك قل في صفات الله ﷻ مثل ما قلت في الذات، فكما أن ذات الله سبحانه لوجودها لا تستلزم ذلك التشبيه ولا التمثيل ولا المساواة فكذلك وجود الصفات واتصاف الله ﷻ بها لا يستلزم منه التشبيه أو المساواة أو التمثيل؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. ويتضح ذلك أيضاً بمثال أضربه وأقرره هنا، وهو: أن نقول: إذا قلنا: لله سمعٌ وبصرٌ وكلامٌ، وقال قائل: أنتم بذلك مثلثوه بالموجودات، نقول له: ما قولك في ذاته؟ هل تثبتها على أنها مماثلة للمحدثات - للمخلوقات -؟ فإن قال: لا، وكذلك سمعه وبصره وكلامه لا يشبه سمع وبصر وكلام المخلوقات، وهذا يقال لكل من الطوائف التالية التي وقعت إما في إنكار الأسماء والصفات، أو في إنكار الصفات فقط، أو في نفي بعضها وإثبات البعض الآخر، هذا الكلام تردُّ به على كل هذه الطوائف، وهم كما يلي:

**الأشاعرة:** الذين قالوا بنفي بعض الصفات وإثبات بعضها.

**والمعتزلة:** الذين قالوا بنفي الصفات.

**والجهمية:** الذين قالوا بنفي الأسماء والصفات.

ونقول هذا الكلام لكل هذه الطوائف؛ لأن الكل نفي ما نفي بدعوى أن ما نفاه مستلزم لتمثيل رب العالمين بغيره من المخلوقات.

إذاً القاعدة الأولى أو الأصل الأول الذي تكلمت عنه الآن، وهو: أن القول في الصفات كالقول في الذات. ووضحت وبينت هذه القاعدة، وفي شقين مهمين،

## العقيدة خاص [٢]

وأن هذه القاعدة أبطلت التكييف -يعني: أبطلت تكييف صفات الله بصفات أحدٍ من خلقه- كذلك أيضاً أبطلت نفي التمثيل عن ذات الله ﷻ.

## ثانياً: القاعدة الثانية: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر:

تطبيق هذه القاعدة أو هذا الأصل له ثلاث طرق؛ لكي أطبقه وأرد به على المخالفين؛ ولذلك فذكر الطرق التي تضمنها هذا الأصل أمر مهم، وهذه الطرق ثلاث هي:

## الطريق الأول: الرد على الأشاعرة الذين قالوا بنفي بعض الصفات وإثبات بعضها:

الأشعرية أثبتوا بعض الصفات وهي صفات سبع المعاني المعروفة عندهم، وأطلقوا عليها صفات المعاني، ونفوا بعد ذلك الصفات الاختيارية الشرعية-فرد أولاً وبالطريق الأول من خلال هذه القاعدة العظيمة على هؤلاء الناس الذين ينفون قيام الأفعال الاختيارية بالرب ﷻ كالحبة والغضب والاستواء والنزول والمجيء... وغير ذلك؛ لأنهم يقولون: إن إثبات هذه الصفات الاختيارية يستلزم التمثيل، ولا شك أننا وإياهم متفقون على إثبات الصفات السبع، التي هي معروفة عند الأشاعرة بصفات المعاني، وهي: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، ولكن الخلاف الدائر بين أهل السنة من السلف وبين هؤلاء الأشاعرة في إثبات الصفات والأفعال الاختيارية التي تحدث في وقت دون وقت وتقوم بذات رب العزة والجلال ﷻ.

ولهذا نقول لهم بناءً على اتفاقنا بينهم في إثبات الصفات السبع: إنه لا فرق بين ما نفيتم وبين ما أثبتتم، فإنكم نفيتم الصفات الاختيارية بناءً على أنه يلزم من إثباتها تمثيل الله ﷻ بالمحدثات والمخلوقات فيلزمكم فيما أثبتموه التمثيل كذلك.

وهذا كلام عقلي بدهي واضح للغاية ، أنتم أثبتتم سبع صفاتٍ ونفيتم الباقي ، وقلتم بأنه لا يلزم من إثبات هذه الصفات السبع تمثيل الله ﷻ أو مشابهة الله ﷻ فيها بالمخلوقات ، ولذلك أثبتناها ، فنحن نقول لهم : أيضاً أثبتوا بقية الصفات لله ﷻ لأنها كلها من باب واحد ، السمع والبصر كالاستواء والمحبة والغضب كلها صفات قائمة بذات الله ﷻ فإن قالوا : نحن لا نعقل في الشاهد محبةً وغضباً واستواءً ونزولاً إلا ما هو حادث ، كيف نرد عليهم؟ نرد عليهم ونقول : أيضاً نحن كذلك لا نعقل سمعاً وبصراً وإرادةً إلا ما هو حادث ، كما تقولون في صفة المحبة والغضب والرضا : لا تعقل إلا من حادث ، كذلك أيضاً نحن لا نعقل السمع والبصر والإرادة إلا ما هو حادث ؛ لأننا لم نشاهد لا هذا ولا ذاك في الرب ﷻ فإن قالوا : إن المحبة والغضب والنزول والمكر ونحوها لا تليق بالله ، قيل لهم : والأمر كذلك في السمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم كذلك ؛ لأنها من باب واحد ، فإن قالوا : السمع والبصر والإرادة والقدرة لائقة بجلال الله وعظمته ، نقول لهم أيضاً : والمحبة والغضب والنزول كذلك لائقة بجلال الله ، فإن قالوا : الغضب : وليان القلب لطلب الانتقام ، قيل لهم : والإرادة هي - أيضاً - ميل النفس لجلب نفع ودفح ضرر ، فإن قالوا : هذه إرادة المخلوق ، قيل لهم : وهكذا الغضب الذي ذكرتموه هو غضب المخلوق ، وهكذا الأمر في النزول والاستواء والمحبة ، فإن قالوا : لا حقيقة للمحبة والنزول إلى ما هو مختص بالمخلوق ، قيل لهم : والأمر كذلك يجري في الإرادة والقدرة ونحوها كذلك ، وهكذا يجري الأمر ، فمهما قالوا لزمهم في كل ما أثبتوه جنس ما يلزمهم فيما نفوا ، فإن قالوا : بأن الغضب يلزم منه غليان دم القلب ، نقول لهم : الإرادة التي أثبتوها هي ميل النفس مثلاً ، قالوا : هذا إرادة المخلوق ، نقول لهم : وكذلك

## العقيدة خاص [٢]

الغضب الذي ذكرتموه أيضاً، وهو غليان مثلاً دم القلب لطلب الانتقام هو أيضاً غضب المخلوق؛ فيلزمهم على ذلك إثبات جميع الصفات لله ﷻ لأن ما يذكرونه في الصفات السبع يجب أن يذكروه وأن يذهبوا إليه في بقية الصفات.

**خلاصة القول:** أن الطريق الأول من الطرق التي نرد بها على المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة من خلال الأصل الثاني - القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر - أننا نلزم من أثبت بعض الصفات ونفى بعضها أن يثبت الجميع؛ لأن ما يقوله فيما أثبته هو أيضاً يجب أن يقوله فيما نفاه؛ لأن الكل من باب واحد، ولا يقاس في ذلك في أي صفة الخالق ﷻ بالمخلوق بحالٍ من الأحوال.

**الطريق الثاني: الرد على المعتزلة القائلين بنفي الصفات دون الأسماء:**

المعتزلة فريق آخر جاءوا وأثبتوا الأسماء على أنها من قبيل المترادفات، قالوا: أعلام محضة فلا يلزمنا في إثباتها أي شيء، وإن شاء الله سأتي فيما بعد وأذكر شبه الأشاعرة والجهمية والفلاسفة والمعتزلة، وسأتناولها بالرد - إن شاء الله تعالى - ولكنني أود هنا أن أستفيد من هذه القاعدة في الرد على هؤلاء المعتزلة الذين قالوا بنفي الصفات دون الأسماء، وفي الرد عليهم نقول لهم: نحن وإياكم متفقون على إثبات الأسماء الحسنى لله ﷻ فإن لزم التشبيه في الصفات فهو أيضاً لازم في الأسماء إذ هما من باب واحد - يعني: نحن وأنتم اتفقنا على ثبوت الأسماء وطالما أنكم أثبتم الأسماء وشاركتمونا في ذلك وقلتم: بأن إثبات الأسماء لا يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق فقولوا كذلك في الصفات؛ لأن الكل من باب واحد - فإذا لم يلزم التشبيه في الأسماء فكذلك أيضاً لا يلزم التشبيه في الصفات، فإن قالوا: الأسماء جاء الكتاب والسنة بإثباتها فلا يلزم من إثباتها

تشبيه أو تمثيل ، قيل لهم أيضاً : وكذلك جاء الكتاب والسنة بإثبات الصفات فلا يلزم أو يقال لهم : انفوا الأسماء كما نفيتم الصفات ، ما تقولونه في الأسماء من أنها ثبتت بالقرآن والسنة ، نقول لكم أيضاً في الصفات ؛ لأنها أيضاً ثابتة بالقرآن والسنة ، فإذا أثبتم الأسماء دون مشابهة للخالق بال مخلوق فيها ، فكذلك أثبتوا الصفات دون وقوع تشبيه للخالق بالمخلوق فيها ، أو انفوا الجميع -انفوا الأسماء كما نفيتم الصفات- فإن قالوا : كيف نفيتها وقد جاء القرآن والسنة بها؟! قيل لهم : إذا أثبتم الصفات فإن القرآن والسنة جاء بها أيضاً ؛ إذ هما من باب واحد ، طالما أنكم تقولون بأن الأسماء جاء بها القرآن والسنة فأثبتموها ، كذلك يلزمكم على هذا القول إثبات الصفات ؛ لأن الصفات إذا ثبتت أيضاً بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة ، فإن قالوا : إثبات الصفات يستلزم تعدد القدماء ، قيل لهم : وكذلك الأمر في الأسماء الحسنى ، وسيأتي -إن شاء الله تعالى- الرد على هذه الشبهة ؛ لأن المعتزلة قالوا : إثبات الصفات يستلزم تعدد القدماء -يعني تعدد الآلهة- لأنهم يعتبرون بأن القدم أخص وصفاً يوصف رب العزة والجلال به ، وهم يعتبرون بأن الصفات زائدة على الذات إذا أثبتوها ، وبالتالي سيتعدد ثبوت الآلهة بناءً على ذلك وشبهة لا أصل لها ، وسأتناول الحديث عن ذلك فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الشاهد : أنهم إذا قالوا : بأنه يلزم من إثبات الصفات تعدد القدماء ، نقول لهم كذلك الأمر في الأسماء الحسنى يلزم أيضاً من إثباتها تعدد القدماء ، فإذا قالوا : هي أسماء لذات واحدة ، وهو أمر يدل عليه العقل ، قيل لهم : وكذلك الصفات ، فهي صفات لموصوف واحد ، وهو معلوم أيضاً بالعقل ، فمعظم الصفات ثبتت بالأدلة الشرعية والعقلية ، والصفات الخبرية التي تثبت بالشرع

## العقيدة خاص [٢]

أيضاً هي صفات لا يحيلها العقل ولا يرفضها، بل يقبل ويسلم لاتصاف الله ﷻ بها، وهكذا الأمر مهما قالوا فإن ما يقولونه في الأسماء يلزمهم في الصفات نفياً وإثباتاً.

وبالتالي خلاصة القول: هو أننا نقول لهم: قولوا في صفات الله ﷻ مثلما قلتم في أسمائه، وبالتالى يلزمكم معاً إثبات الأسماء والصفات للرب ﷻ.

## الطريق الثالث: الرد على الجهمية النفاة للأسماء والصفات:

نفى الجهمية الأسماء والصفات جميعاً وأثبتوا الذات، وبالتالى نحن نود أيضاً أن نرد على هؤلاء النافين للأسماء والصفات المثبتين للذات، ونقول لهم: نحن وإياكم متفقون على إثبات الذات للرب ﷻ وأنها لا تشبه ذوات المخلوقين، فالجهمية يثبتون الذات - أي: أن الله ﷻ ذات موجودة - ونحن متفقون معهم في ذلك، فنقول لهم: ما تقولونه في الذات قولوه أيضاً في الصفات؛ لأننا طالما اتفقنا على إثبات الذات واختلفنا في الصفات، فما يقال على الصفات يقال أيضاً في الذات؛ لأن الكل أيضاً من باب واحد، يتصل أو يتصف به رب العزة والجلال ﷻ. فإن قال أحد من الجهمية: نحن ننفي الصفات لأن الصفات من طبائع المخلوقات، فقل له: وهكذا الذات فإنها من طبائع المخلوقات، فالمخلوق له ذات، وأنت أثبت ذات الله ﷻ ومع أن المخلوق له ذات وقلت بأن ذات المخلوق لا تماثل ولا تشابه ذات الخالق ﷻ وكذلك صفات الله ﷻ غير صفات المخلوقات، فإن قال: الصفات لا تليق به؛ فهي تطلق على المخلوقات، قيل له: وكذلك الذات لا تليق به؛ لأنها تطلق على المخلوق، كقولهم: ذات محمد، فمهما يقول في الصفات ينعكس ذلك عليه أيضاً في الذات؛ إذ القول في البعض كالقول في نظيره أو كالقول في البعض الآخر.

وبالتالي نلزم الجهمي أيضاً النافي للأسماء والصفات إثباتها على ما يليق بجلال الرب ﷻ لأنها كلها من باب واحد، فما يقوله في الذات يلزمه أن يقوله في الأسماء والصفات، فإذا قال: ذات الله ﷻ لا تماثل ولا تشابه ذوات المخلوقين، نقول له: نحن أيضاً فأسماء الله ﷻ لا تشابه ولا تماثل أحد من المخلوقين.

### ثالثاً: أهمية هاتين القاعدتين:

أود أن أبرز أهميتهما لأنهما نافعتان جداً - كما ذكرت في القاعدة الأولى وفي القاعدة الثانية - في الرد على المخالفين؛ ولذلك أقول: هاتان القاعدتان اشتملتا على أصلين عظيمين، وأساسين كبيرين من أصول المناظرة والبحث في باب الأسماء والصفات - كما بينت ذلك - لأنهما قانون مستقيم وأصل مستقر مستمر، ملزم لكل ذي عقل سليم وفكر مستقيم طالب للحق مريد له الإقرار بأسماء الله ﷻ وصفاته والإيمان بها؛ لأن مبنى هاتين القاعدتين على أنه لا فرق بين ذات الرب ﷻ وصفاته كماله وأسمائه الحسنى، فما جاز على ذات الرب ﷻ من الأحكام العقدية جاز على أسمائه ﷻ وصفاته العلية، فإن الذات والصفات من باب واحد.

وكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : أن الأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حدوه، فما يلزم الباري ﷻ لذاته يلزم في صفاته ﷻ وفي أسمائه، ونصوص القرآن والسنة جاءت بإثبات الذات على وجه لا يماثله فيها أحد من المخلوقات، والأمر في إثبات الأسماء والصفات كذلك يعني أننا ثبتتها دون أن نقول بأن الله ﷻ يشبه فيها أحداً من المخلوقات، فهي - أي: الأسماء والصفات - معاني وجودية قائمة بالذات لا

## العقيدة خاص [٢]

تماثلها سائر الصفات والأسماء، وكما أن ذاته ﷻ لا يعلم أحدٌ كيفيتها وحقيقة كنهها، فكذلك أسماؤه وصفاته ﷻ لا يعلم أحدٌ كيفيتها، والعلم بالكيفية أمرٌ وراء الإثبات؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله ﷻ ونحن فيما أثبتناه التزمنا فيه بما جاءنا عن الله ﷻ بما جاءنا منصوص عليه في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، وبالتالي علمنا عدة أمور جلييلة من هذين الأصلين الكريمين:

**الأمر الأول:** أن المرجع في باب الأسماء والصفات هو خبر الله ﷻ وخبر رسوله ﷺ لانقطاع طرق العلم بها إلا من جهته ﷻ فطرق العلم والمعرفة عن أسماء الله وصفاته لا تكون إلا عن طريق خبر الله أو خبر الرسول ﷺ بعد أن انقطع الوحي بوفاة النبي ﷺ يلزمنا أن نقف عند حدود النص ولا نتجاوزه، فما كان عليه ﷻ هو وأصحابه يجب علينا أن نكون نحن عليه؛ لأن المرجع في باب الأسماء والصفات هو ما جاءنا عن الله ﷻ.

**الأمر الثاني:** نفي التمثيل عن أسماء الله ﷻ وعن صفاته سبحانه كما أننا نفيناه عن ذات رب العالمين، فنحن والجهمية والمعتزلة والأشاعرة متفقون على أن ذات الله ﷻ لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك الأمر في أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ العلا، لا تماثل ولا تشابه صفات المخلوقين.

**الأمر الثالث:** نفي العلم بكيفية الصفات، هذا مما قرره هذين الأصلين العظيمين: أن العلم بكيفية الصفات غير معلوم لنا، لماذا؟ لأن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الذات، ونحن لا نعرف كيفية الذات وبالتالي أيضاً لا نعرف كيفية الصفات، وبالتالي نحن نرد أيضاً على مَنْ سأل عن كيفية صفات الله ﷻ وما نقوله في القاعدة العظيمة الأولى -مما ذكرتها من قواعد- وهي: أن القول في الصفات كالقول في الذات جارٍ في القاعدة الثانية وهي: أن القول في



بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فنرد أيضاً على بعض من أثبت الصفات أو أثبت بعضها ونفى البعض الآخر، ونقول له: بأن الكل ورد في الكتاب والسنة، وإثبات بعض الصفات ونفي بعضها نوع من التحكم الذي تأباه العقول السليمة والأفكار المستقيمة؛ إذ أن ما جاز على أحد المثليين نفيًا وإثباتًا جاز على الآخر؛ إذ لا فرق بين ما يثبت وما ينفي منها، فما لزم الصفة لزم نظيرها من الصفات؛ إذ هي تحذو حذوها وتجري عليها أحكامها، فإن كان التشبيه لازماً لنظيرها وإن كان لا يلزمها لم يلزم نظائرها؛ إذ الحكم في النظيرين واحد.

وهذه من الأمور العظيمة الجليلة التي نستفيدها أيضاً من هاتين القاعدتين والأصلين العظيمين، وأنا أركز على ذلك وأذكر به هنا؛ لأن البعض قد يظن أن معتقد أهل السنة والجماعة الصحيح هو إثبات الصفات العقلية فقط ونفي الصفات الحبرية عن الله ﷻ وما استفدناه من هاتين القاعدتين العظيمتين أن تثبت جميع الصفات؛ لأنها كلها من باب واحد، ولا يلزم التشبيه بحال في أي صفة من الصفات؛ لأن التشبيه إن كان لازماً في الصفات التي نفاها من أثبت بعض الصفات نقول له يلزم ذلك فيما أثبته، لماذا؟ لأن هذه الصفات نظير هذه الصفات والكل من باب واحد، فعلم بذلك أن ما ورد الكتاب والسنة به من أسماء الرب ﷻ وصفاته كلها من باب واحد، فما جاز على أحدها جاز على الآخر؛ إذ لا فرق في الحقيقة بينهما؛ لأن كل منهما من جنس الآخر، والعقل يستلزم عدم التفريق بين التشابهات، وهذه قاعدة عقلية عظيمة جداً، العقل يستلزم عدم التفريق بين التشابهات والجمع بين المتوافقات، والشرع مؤيد للعقل الصحيح مثل المقياس السليم، وبالتالي كانت طرقنا صحيحة في ردنا بالأصل الثاني على الأشاعرة وعلى المعتزلة وعلى الجهمية.

رابعاً: أهم ما اشتملت عليه هاتان القاعدتان من قواعد وأصول مهمة، وأمور يجب الاعتناء بها:

**الأمر الأول:** إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة بلا فرق بينهما، يعني: نستفيد من ذكر هذين الأصلين الكريمين العظيمين إثبات الصفات الواردة في كتاب الله ﷻ وفي سنة النبي ﷺ بلا فرق بين ما ثبت بالكتاب وما ثبت بالسنة النبوية المطهرة.

**الأمر الثاني:** أن إثبات الصفات لله رب العالمين لا تشبيه فيه ولا تمثيل، فإثبات الصفات لا يوجب تمثيلاً ولا تشبيهاً كما أن إثبات الذات كذلك.

**الأمر الثالث:** أن إثبات بعض الصفات ونفي البعض الآخر تحكمٌ ترفضه وتأباه العقول السليمة.

**الأمر الرابع:** أن الصفات كلها من باب واحد، فما لزم أحدهما لزم نظيره في الآخر، وبالتالي يجب علينا أن نسلم بجميع الصفات والأسماء الواردة عن رب العزة والجلال ﷻ ونثبتها له على ما يليق بجلال الله ﷻ وكماله.

أود أن أختتم بكلمةٍ كريمةٍ مما جاء في (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تقرير هذين الأصلين، وأذكر ذلك لأن في الحقيقة مَنْ تكلم وذكر هذين الأصلين كان مرجعه حديث شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - والحقيقة أنه تكلم عنهما بكلامٍ دقيق، وما سبق أن قلته هو كلام مستقى وفهم وتقرير لما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ولكني أود أن أذكر بعض نص كلامه في ذلك، وهو كلام عقلي منطقي أيضاً يجعل المستمع يسلم بإثبات جميع الصفات ولا يفرق بينهما، يقول - رحمه الله - كما ذكر ذلك في الرسالة المعروفة عنها بالتدمرية يقول:

فصل : فأما الأصلان فأحدهما أن يقال : القول في بعض الصفات كالقول في بعض ، فإن كان المخاطب ممن يقول بأن الله حي بحياة عليم بعلم قدير بقدره سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بإرادة ، ويجعل ذلك كله حقيقة وينزع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته ، فيجعل ذلك مجازاً ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

هو هنا يذكر هذا الأصل الثاني ، وهو أصل مهم جداً ؛ لأنه يرد به على طائفة عريضة من الأمة التي أثبتت بعض الصفات ونفت البعض الآخر ، بعدما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذا الكلام ، قال لمن أثبت البعض ونفى البعض : " لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبتته ، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ، فإن قلت : إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا التمثيل ، وهو لا شك لا يقول بذلك ؛ ولذلك يقول : وإن قلت : إن له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به ، قيل لك : وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به ، وله رضاءً وغضب يليق به ، وللمخلوق رضاءً وغضب يليق به ، وإن قلت : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فيقال له : والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة ، فإن قلت : هذه إرادة المخلوق ، قيل لك : وهذا غضب المخلوق ، وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته ، إن نفى عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوق ، فهذا منتفٍ عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات ، وإن قال : إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه ، قيل له : وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك ، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبتته ."

ويستمر ابن تيمية - رحمه الله - في تقرير هذه القاعدة ، ويبين أن الأشعري مثلاً المثبت لبعض الصفات والنافي لبعضها يرد على المعتزل الذي ينكر الإرادة والسمع

## العقيدة خاص [٢]

والبصر ويقول: أن هذا لا يتصف به القديم؛ لأنه قديم وما إلى ذلك فنقول له: بأنك أثبت الأسماء فقل في الأسماء مثل ما قلت في الصفات، هكذا يقول المثبت الأشعري المثبت لبعض الصفات والنافي لبعضها، ونحن نقول له: ما تقوله للمعتزلة النفاة للأسماء قوله أنت أيضاً في بعض الصفات التي نفيتها، فأنت أثبت البعض ونفيت البعض، فهذا البعض الذي نفيته - وهي صفات الأفعال الاختيارية الثابتة لرب العزة والجلال ﷻ قل فيه مثل ما قلت في بقية الصفات السبع التي أثبتها الله ﷻ لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

ونخلص من ذلك إلى أننا لا نجد جواباً لهؤلاء النفاة لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية العقلية، فكلا الناحيتين هما في الحقيقة مقطوعان عنها تمام الانقطاع، فلا شرع يستندون إليه؛ لأن الشرع الكريم والنقل أثبتا الصفات لله ﷻ والعقل السليم لا يسير معهم فيما ساروا، وبالتالي ذكرنا لهاتين القاعدتين العظيمتين من الأصول المهمة التي يجب أن يعتني بهما طلبة العلم ليرد بهما على المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله الحسنى وصفات الله العلى، فالقول في الصفات كالقول في الذات والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، وبهذا يعلم أننا نشيت، ويجب أن نشيت جميع الصفات العلا على ما يليق بالله ﷻ فننفي عنه التكيف وننفي عنه التمثيل، ولا تقع في إبطال شيء من صفات الله ﷻ أو تأويله أو نفيه.

## ٢. استدلال السلف بمسألة نعيم الجنة؛ وينقسم إلى نقاط:

**النقطة الأولى:** وجه دلالة هذا المثل على إثبات الصفات لرب العزة والجلال ﷻ:

فما وجه الدلالة من هذا المثل - المثل الأول: الاستدلال بنعيم أهل الجنة -؟

وجه الاستدلال أن أقول: إن الله ﷻ أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات من أصناف المطاعم والملابس والمناكح والمسكن، فقد أخبرنا ﷻ أن فيها لبناً وعسلاً

وخمرًا وماءً ولحمًا وحريرًا وذهبًا وفضة وفاكهةً، وذكر العنب والنخل والطلح المنضود والخور والقصور إلى غير ذلك، وقد قال عبد الله بن عباس { : "ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء".

هذا المثل المضروب، أخبرنا الله ﷻ عن بعض النعيم الموجود في الجنة من ملبس ومطعم ومسكن وغير ذلك، وما أخبر الله به أشياء سمعنا عنها وشاهدناها وعرفناها، فأخبرنا مثلًا أن فيها لبنًا، وأن فيها عسلًا، وأن فيها خمرًا... إلى غير ذلك، والدنيا فيها اللبن، وفيها العسل، وفيها الخمر، وفيها الماء، وفيها قصور، وفيها الحرير، وفيها الذهب، وفيها الفضة، والدنيا فيها ذلك، كما ذكرت، فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا توافقها وليست مماثلة لها، وهي مخلوقة واشتبهت واشتركت وتواطأت في الأسماء ولكنها لا تماثلها ولا تشبهها في الذات والحقيقة، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله ﷻ وإذا كان الأمر كذلك فالخالق ﷻ أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومبايناته لمخلوقاته أعظم من مباينة الآخرة لموجود الدنيا؛ لأن موجود الدنيا وموجود الآخرة كلاهما مخلوق، ومع هذا بينهما من التباين ما جعلنا نسلم أن حقيقتهما مع اشتراكهما في الأسماء ليست واحدة، فالخالق ﷻ من باب أولى، وفي الحديث القدسي الصحيح الذي يرويه النبي ﷺ عن رب العزة والجلال وفيه يقول: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم يقول ﷻ: اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ٤١٧])، قوله ﷻ: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت)) نحن رأينا اللبن ورأينا العسل ورأينا الخمر وسمعنا بذلك قال: ((ولا أذن سمعت))، فدل ذلك على أن مجرد الموافقة في الأسماء لا يعني بذلك التماثل أو التشابه في الحقيقة

## العقيدة خاص [٢]

والكيفية، ونحن ومخالفونا - أعني: من نفى الصفات أو الأسماء أو بعضها - متفقون على ذلك، ومؤمنون موقنون بأن ما في الدنيا يختلف عما في الآخرة وحقيقتهما ليست واحدة مع اشتراكهما في الأسماء، فإذا كان الأمر كذلك فالخالق ﷻ أولى بمباينته لمخلوقاته وعدم مشابهته ومماثلته لها فيما ثبت له من أسماء وصفات، وبالتالي نثبتها له على أنه ثابتة له على وجه الحقيقة دون أن نعلم نحن حقيقتها أو كيفيتها، وإذا أثبتناها لا نقول بأن في إثباتها إثبات مشابهة أو تمثيل بين الخالق والمخلوق؛ لأنه إذا كان المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق فأولى أن يكون الخالق مبايناً لمخلوقاته ﷻ.

وهذا في الحقيقة بين واضح لا يحتاج إلى تعليق، يعني: من يقول بأن إثبات الأسماء والصفات أنفيها عن الله أو أنفي بعضها لأنها يلزم منها التشبيه أو التمثيل، نقول له: سبحان الله، ما في الجنة من حقائق أنت تؤمن بها ومسميات ما في الجنة هي المسميات التي بين يديك وتشاهدها في الدنيا، تقول بأن: هذه ليست حقيقتها واحدة، بل ما في الدنيا يختلف كيفاً عما في الآخرة، نقول: إذا كان هذا في المخلوقات فما بالك بالخالق ﷻ؟! فأثبت له أسماء وصفاته كما وردت وكما يليق بجلاله ﷻ وكماله، وقل: بأن حقيقتها وكنهها وما هي عليه في ذات الأمر لا تشبه ولا تماثل ذوات المخلوقين، وهذا يدعو إلى أن نسلم بذلك ونرضى به.

## النقطة الثانية: ذكر افتراق الناس فيما يكون في الدار الآخرة:

لعل المناسب في ذكرى لافتراق الناس هنا أن أبين أن المخالفين ذهبوا إلى أمور شتى وانحرافات خطيرة لما لم يسلموا لرب العزة والجلال ﷻ يعني: أريد أن أبين أنهم ما اقتصروا على نفي صفات الرب ﷻ، بل ذهبوا مذاهب شتى - طوائف

من النفاة ومنهم الفلاسفة والباطنيون وغير ذلك، ذهبوا مذاهب شتى - فيما أخبر الله عنه في الدار الآخرة، وذلك لعدم تسليمهم للنصوص.

وأنا أود - كما ذكرت - أن أذكر هذا لأبين أنه يجب أن نأخذ ونسلم بكل ما جاءنا عن الله ﷻ حتى وإن لم تعقله عقولنا؛ لأنها من الأمور التي غيبت عنا، وبالتالي أقول: افترق الناس في هذا المقام إلى ثلاث فرق:

**الفريق الأول:** مقام ما أخبر الله ﷻ عنه مما سيكون في الدار الآخرة، السلف وأئمة السلف وأتباعهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه - كما قررت ذلك فيما مضى - من أسمائه الحسنى وصفاته العلا، آمنوا به على ما يليق بجلال الله وكماله، وكذلك آمنوا وسلموا بكل ما أخبر الله ﷻ عنه مما سيقع في اليوم الآخر، مع علمهم بالمباينة والمفارقة التي بين ما في الدنيا وما في الآخرة، وأخذوا من ذلك أن مباينة الله ﷻ خلقه أعظم من مباينة المخلوق للمخلوق، هؤلاء هم الطرف الأول والمذهب الحق الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة.

**الفريق الثاني:** الذين أثبتوا الله به من الآخرة من الثواب والعقاب، ولكنهم نفوا كثيراً مما أخبر الله ﷻ به من الصفات كما وقع من أهل الكلام في ذلك، وهذا المثل الذي أسوقه هنا وأضربه هو في الحقيقة رد على هؤلاء الناس، وقد بينت ذلك كما تقدم.

**الفريق الثالث:** الذين نفوا ما ثبت لله ﷻ من أسماء وصفات، وما أخبر الله ﷻ به مما يقع في الدار الآخرة من ثواب وعقاب، وهؤلاء كالباطنيين والفلاسفة ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه وعن اليوم الآخر، ثم إن كثيراً من هؤلاء يجعلون الأمر والنهي من هذا الباب - يعني: ما أمر الله ﷻ به ونهى عنه - فيجعلون الشرائع المأمور بها والمحظورات المنهي عنها

## العقيدة خاص [٢]

لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها ، كما يتأولون من الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت فيقولون مثلاً: إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم ، وإن صيام رمضان كتمان أسرارهم ، وإن حج البيت معناه السفر إلى شيوخهم ، ونحو ذلك من التأويلات الباطلة التي يعلم بالضرورة - يعني : الإنسان يعرفها ويدركها بالضرورة - أنها كذب وافتراء على الرسل ، وأنها تحريف لكلام الله وكلام رسوله ﷺ عن مواضعه ، وإلحاد في آيات الله ﷻ ، وقد يقولون : الشرائع تلزم العامة دون الخاصة ، وبعضهم ذكر ذلك ، وللأسف الشديد بعض غلاة المتصوفة قال بشيء من ذلك ، قالوا : إذا وصل الرجل من عارفيهم ومحقيهم وموحديهم إلى مرتبة عالية قالوا : بأن ترفع عنه الواجبات ، وأباحوا له المحظورات ، وكما ذكرت بعض المنتسبين إلى التصوف وإلى السلوك يدخل مع الفلاسفة في ذلك ، وقال بهذا القول هؤلاء الملاحدة الذين نفوا الأسماء والصفات عن الله ﷻ ونفوا حقائق ما أخبر الله ﷻ به في الدار الآخرة ، كما أنهم تأولوا النصوص المشتملة على الأوامر والنواهي بتأويلات باطلة ، هؤلاء هم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى ، وما يحتج به أهل الإيمان والإثبات على الملاحدة يحتج به كل من كان من أهل الإيمان والإثبات ممن أثبت بعض صفات الله ﷻ العلا ، ونفى عن الله ﷻ مماثلة الخالق للمخلوق.

فنحن إذا قلنا للملاحدة هؤلاء المثولين لنصوص المعاد والمثولين للأوامر والنواهي : خالفتم ظاهر نصوص الكتاب والسنة وأولتم هذه الأوامر والنواهي ، وما أخبر الله به من حقائق عن الدار الآخرة أولتموها عن ظاهرها المراد فخرجتم بذلك عن الحق الذي جاء من عند الله ﷻ ومن أين لكم ذلك؟ وأبطلتم كل ما



يتعلق بالدين من هذا الأمر، فلم يبق أمر ولا نهي ولا علم ولا خبر ولا غير ذلك، ما نقوله ونلزم به هؤلاء الملاحدة أيضاً نقوله لمن نفى شيئاً من أسماء الله الحسنى أو صفات الله ﷻ العلاء، بل إنني ألزم من يذهب إلى التأويل بأن ينقطع عنه حتى لا يجد هؤلاء الملاحدة مجالاً وسبيلاً يدخلون به إلى الشريعة فيثولون شيئاً مما أخبر الله ﷻ به كما ذكرت؛ لأنهم أولوا كثيراً من الأوامر والنواهي والشرائع والأحكام التي أخبر الله ﷻ بها، وكان مستندهم ومرجعهم في ذلك إلى التأويل، فالمسلم المصدق باليوم الآخر وما يدور فيه وأول بعض الصفات نقول له: لا تفتح على الأمة باب شر مستطير يدخل منه هؤلاء الزنادقة وهؤلاء الملاحدة فيثولون نصوص الشريعة كلها، ويخرجون بها عما أراد الله ﷻ منها وبها.

### ٣. استدلال السلف بالروح التي في الإنسان:

#### أ. ذكر اختلاف الناس في ماهية الروح:

أذكر أولاً الخلاف الدائر بين الناس في ماهية وحقيقة هذه الروح، فأقول: الروح التي فينا أولاً وصفت بصفات ثبوتية وسلبية، وقد أخبرت النصوص التي جاءت من عند الله ﷻ أنها تعرج وتصعد من سماء إلى سماء، وأنها تقبض من البدن وتسل منه كما تسل الشعرة من العجينة، والناس مضطربون فيها مختلفون، وهنا أود أن أذكر هذا الخلاف، فمنهم طوائف من أهل الكلام يجعلونها جزءاً من البدن أو صفة من صفاته، كقول بعضهم: إنها النفس أو الريح التي تردد في البدن، وبعضهم يقول: إنها الحياة أو المزاج، وبعضهم يقول: هي نفس البدن، ومنهم طوائف من أهل الفلسفة يصفونها بما يصفون به واجب الوجود

## العقيدة خاص [٢]

عندهم **عَيْتِك**، وهي أمور لا يتصف بها في الحقيقة إلا ممتنع الوجود- يعني: هم وصفوا الروح التي فينا بما يصفون به رب العزة والجلال، ووصفهم الله وصف ينطبق على غير الموجود، على الممتنع الوجود- فهم يقولون مثلاً عن الله لا هو داخل العالم ولا خارج العالم وما إلى ذلك، ومثل هذا الكلام يقولونه في الروح، فيقولون: لا هي داخلة في البدن ولا خارجة، ولا مباينة له ولا مداخلة له، ولا متحركة ولا ساكنة، ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي جسم ولا عرض، وقد يقولون: إنها لا تدرك الأمور المعينة والحقائق الموجودة في الخارج، وإنما تدرك الأمور الكلية المطلقة، وبعضهم يقول: بأنها لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا مباينة له ولا مداخلة له، وربما قالوا: ليست داخلة في أجسام العالم ولا خارجة عنها مع تفسيرهم للجسم بما لا يقبل الإشارة الحسية، فيصفونها بأنها لا يمكن الإشارة إليها، ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تلحقها بالمعدوم والممتنع، فقالوا في الروح مثل ما قالوا في صفات الله **عَيْتِك**، وإذا قيل لهم: إثبات مثل هذا ممتنع في ضرورة العقل، إنكم تقولون: لا داخل البدن ولا خارج البدن وما إلى ذلك، قالوا: بل هذا ممكن بدليل أن الكليات ممكنة موجودة وهي غير مشار إليها، وقد غفلوا عن كون الكليات لا توجد كلية إلا في الأذهان لا في الأعيان، فيعتمدون فيما يقولون في المبدأ والمعاد على مثل هذا الخيال الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال.

واضطراب النفاة والمثبتة في الروح كثير، وسبب ذلك: أن الروح التي تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة ليست هي من جنس هذا البدن ولا من جنس العناصر والمولدات منها، بل هي من جنس آخر مخالف لهذه الأجناس، فصار هؤلاء الفلاسفة لا يعرفونها إلا بالسلوك التي توجب مخالفتها للأجسام المشهودة، وأولئك -يعني: علماء الكلام- يجعلونها من جنس الأجسام

المشهودة، وكلا القولين خطأ؛ لأن الروح اختص الله ﷻ بعلمها، فلا ينبغي أن نذكر عنها إلا ما ذكر الله ﷻ منها وعنها، فنؤمن بأنها تدخل في البدن وتخرج منه وتصعد وتهبط، وما إلى ذلك مما ذكر في كتاب الله أو في سنة النبي ﷺ ونكل العلم فيما وراء ذلك إلى علام الغيوب ﷻ، والله ﷻ قد ذكر عن الروح كلاماً يجعلنا نقف عند حدود النص، كما قال ﷻ: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ب. وجه الدلالة من هذا المثل على إثبات الصفات لله ﷻ:

بعد أن ذكرت كلام الناس واضطراب الناس واختلافهم في مسألة أو ماهية الروح، أود أن أبين هذا المثل، لماذا يساق هنا؟ ولماذا يذكر في تقرير ثبوت صفات الرب ﷻ؟ وما هي الفائدة منه؟ أو ما وجه الدلالة منه على ما نريد؟

أقول: إن الروح إذا كانت موجودة حية عالمة قادرة سميعة بصيرة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها، وأنا ذكرت اختلاف الفلاسفة والمتكلمين في ذلك لإثبات هذا الأمر: أن هذه الروح ثابتة بصفات موجودة قائمة، ومع هذا العقول قاصرة عن معرفة حقيقتها وكنهها وتحديدها وكيفيتها؛ لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً، والشيء إنما تدرك حقيقته بمشاهدته أو مشاهدة نظيره، فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات، والكل يشبها ويقر بها ويقول بأنها موجودة ولا يعرف حقيقتها، ويصفها بالصفات التي سبق أن قلتها - أنها تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وما إلى ذلك - ويسلم الجميع بذلك الأمر، ويسلم أيضاً بأنها غير معلومة لنا؛ لأننا لم نشاهد لها نظيراً في المخلوقات، إذا كان الأمر

## العقيدة خاص [٢]

كذلك نقول: الخالق ﷻ أولى بمباينته ومفارقته لمخلوقاته مع اتصافه ﷻ لما يستحقه من أسمائه وصفاته، يعني: نحن نؤمن بوجود الروح، والروح موجودة، ولها صفات، وأهل العقول عجزوا عن أن يحددوا كيفيتها أو يعرفوا ما هي عليه، فمن باب أولى أن يثبتوا الصفات الواجبة الثابتة لرب العزة والجلال ﷻ وينفوا التكييف والمماثلة عنها، ولا يقيسوا في ذلك الخالق بالمخلوق، ولا يعطلوا صفات الرب ﷻ؛ لأن من نفى صفات الروح كان جاحداً لها معطلاً لها، ومن مثلها بما يشاهده من المخلوقات كان جاهلاً بها ممثلاً لها بغير شكلها، وهي مع ذلك ثابتة بحقيقة الإثبات، الكل يسلم بها، الكل يؤمن ويعلم ويعرف ويسلم بوجودها واتصافها بما ذكر عنها، إذا كان الأمر كذلك في الروح فالخالق ﷻ أولى أن يكون من نفى صفاته جاحداً معطلاً، نفى صفات الله ﷻ جاحداً معطلاً بأسمائه العلاء، ومن قاسه بخلقه كان جاهلاً به ممثلاً، وهو ﷻ ثابت بحقيقة الإثبات مستحق لما له من الأسماء والصفات.

وبالتالي نخرج من هذين المثليين -المثل الأول الذي في نعيم الجنة، والثاني وهو الروح- بالفوائد العظيمة الجليلة التي خرجنا منها فيما سبق بالأصلين الكريمين، أقول لمن أنكر شيئاً بعد ذلك من أسماء الله الحسنى أو صفات الله العلاء: أنت تؤمن وتصدق -يا أيها المؤمن المصدق معنا- بنعيم الجنة وبما أخبر الله ﷻ به، وتدرك أن هذا النعيم حقيقة ولكنه ليس كالحقيقة الموجودة في الدنيا، وإن اشتركا معاً في الأسماء فقل ذلك في صفات الله ﷻ، وكذلك نستدل عليه بدليل الروح، أنت تؤمن بالروح التي فيك، وتعرف بأن لها صفات، وأنت تؤمن بحقيقتها -يعني: بثبوتها- على وجه الحقيقة مع جهلك بما هي عليه في الحقيقة من صفات،

ومع ذلك تؤمن بها ولم تشاهدها، فلذلك نقول: أوّمن بجميع أسماء الله الحسنى وصفات الله ﷻ كما آمنت بثبوت الروح على سبيل الحقيقة دون أن تعلم حقيقتها أو كيفيتها، وفي الحقيقة يفيد هذا الكلام مع النفاة المعطلة لأسماء الله الحسنى ولصفات الله العلا أو بعدها؛ ولذلك ذكر هذين المثليين العظيمين في الحقيقة كان من الأمور التي أقام بها أهل السنة والجماعة أصولهم العظيمة في إثبات أسماء الله الحسنى وصفات الله العلا، وعلى طالب العلم أن يعلم هذه القواعد وأن يفقهها وأن يفهمها، وأدعوه إلى أن يقرأ بتمعن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الذي جل الكلام فيها وبين هذين الأصلين العظيمين، وذلك في الرسالة المعروفة عند العلماء بالتدمرية، وقد طبعت مراراً منفصلة وحقت بتحقيقات أيضاً مختلفة، وهي مطبوعة ضمن (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-) في أول المجلد الثالث.



الصفات الذاتية والفعلية لله تعالى  
ومعتقد أهل السنة فيها

عناصر الدرس

- العنصر الأول : الصفات الذاتية، والصفات الفعلية ٤٥١
- العنصر الثاني : معتقد أهل السنة في: الصفات الذاتية، والصفات الفعلية ٤٦٣





## الصفات الذاتية والصفات الفعلية

## ١. الصفات الذاتية والصفات الفعلية:

تنقسم صفات الله ﷻ عند السلف إلى قسمين أو إلى نوعين: صفات ذات، وصفات فعل، وهذه من الأمور المعروفة بالاستقراء عند السلف، وتشتمل على النقاط التالية:

## أ. تعريف الصفات الذاتية والفعلية:

ما المراد بالصفات الذاتية والصفات الفعلية؟

**الصفات الذاتية:** هي التي لا تنفك عن الرب ﷻ بحال من الأحوال؛ وذلك لأنها تعتبر من لوازم الذات وتصور انفصالها عنه هو فرض لتصور العدم له، فلا يمكن بحال أن نفرق بين الذات وبين الصفات الذاتية القائمة بذات رب العزة والجلال ﷻ.

**الصفات الفعلية:** هي الصفات التي تتعلق بالمشيئة والإرادة، إن شاء الرب ﷻ فعلها وإن شاء امتنع عنها فلم يفعلها، وكل صفة فعلية - وهذه نقطة مهمة - فهي ذاتية من جهة اتصاف الرب ﷻ بها أزلاً وأبداً؛ لأن الله سبحانه لم تحدث له صفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، فهو ﷻ لم يزل متصفاً بصفاته ماضياً ومستقبلاً.

## ب. فرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية:

بعد أن عرفت الصفات الذاتية وقلت بأنها هي الملازمة للذات أزلاً وأبداً بحيث لا يتصور انفكاكها عن الذات، أما الصفات الفعلية فهي الصفات التي تحدث في

## العقيدة خاص [٢]

وقت دون وقت وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الرب ﷻ إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، من هذا التعريف يظهر لي الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل. الفروق بينهما كما يلي :

**الفرق الأول:** أن الصفات الذاتية تعتبر من لوازم الذات لا تنفك عنها أبداً، هذه الصفات الذاتية، أما الصفات الفعلية فهي ليست من لوازم الذات، ويمكن أن تنفك عنه، على معنى إن شاء الله ﷻ وإن شاء لم يفعلها، واعتقد بأن هذا واضح من التعريفين.

**الفرق الثاني:** أن الصفات الفعلية متعلقة بالمشيئة والإرادة، أما الصفات الذاتية فلا تتعلق بالمشيئة ولا بالإرادة.

**الفرق الثالث:** أن النوعين يجتمعان في أنهما صفات لله ﷻ أزلاً وأبداً، لم يزل رب العزة والجلال متصفاً بهما ماضياً ومستقبلاً، لائقان بجلال رب العزة والجلال ﷻ؛ لأن الله ﷻ لم تحدث له صفة ثم كانت أو ثم حدثت، فالله ﷻ كما ذكر الإمام الطحاوي -رحمه الله- في (عقيدته): "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه".

هذا في الحقيقة الفرق بين صفة الذات وصفة الفعل، معلوم من كتاب الله ﷻ ومن سنة النبي ﷺ ومن خلال -كما ذكرت- استقراء الكتاب والسنة، وتقسيم الصفات إلى صفات ذات وصفات فعل يحتاج إلى قواعد جليلة أو فهم عظيم نستنبطه ونؤخذه من تقسيم الصفات إلى صفات ذاتية وصفات فعلية.

## ج. ما اشتملت عليه هذه القاعدة من المسائل :

عقدت هنا مبحثاً بعنوان "ما اشتملت عليه هذه القاعدة العظيمة من المسائل"، وهي: التفريق بين صفات الذات وصفات الفعل، أقول فيها: هذه قاعدة جليلة

قد بنيت عليها كثيراً من كبريات مسائل هذا الباب، ويتضح ذلك بما اشتملت عليه من أصول فقه هذا الباب، وإليك بيان ذلك:

**الأول:** تقرير ركني الإثبات في هذا الباب، وذلك بإثبات ما ورد في الكتاب والسنة من نوعي الصفات الذاتي والفعلي.

**الثاني:** إثبات قيام الأفعال الاختيارية بالرب عز وجل خلافاً للأشعرية والكلابية، ولعلي سأوضح ذلك إن شاء الله تعالى.

**الثالث:** أن صفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد - وهي من هذه الجهة كما ذكرت نقول عنها بأنها صفة ذات - متعلقة أيضاً بالذات وقائمة بالذات أزلاً، يعني: لم تحدث في وقت ما يفعل الله عز وجل الفعل، كصفة الضحك أو الغضب أو الرضا أو النزول أو ما إلى ذلك، وإنما هي الصفة قديمة النوع، أما من ناحية الحدوث فهي حادثة الآحاد على معنى أنها تحذو حذو الذات في قدمها وأنها غير مخلوقة، وأما من جهة إفرادها فهي متجددة تحصل شيئاً فشيئاً، يتضح ذلك مثلاً بصفة الخلق، صفة الخلق مثلاً تحصيل إفرادها يحصل في وقت دون وقت، فخلق العرش مثلاً متقدماً على خلق السموات والأرض، وخلق السموات والأرض متقدماً على خلق آدم، وخلق آدم متقدماً على خلقي وخلقك وهكذا، هذه آحاد هذه الصفة هي التي تحدث في وقت دون وقت، وإذا قلنا بأنها حادثة فنوع الحدوث نعنيه بآحاد أو مفردات وقوع هذه الصفات وفق ما أراد رب العزة والجلال عز وجل كونها فيه، أما هي كصفة فهي قديمة النوع قائمة أزلاً وأبداً بالله عز وجل.

**الرابع:** أن تعلق صفات الفعل بالمشيئة والإرادة لا يعني أن الله عز وجل اتصف بها بعد أن لم يكن متصفاً رب العزة والجلال عز وجل بها، لا يعني ذلك أبداً.

## العقيدة خاص [٢]

**الخامس:** أن مرجع معاني الصفات الذاتية والفعلية إلى اسمي الحي والقيوم، طالما نتكلم عن الصفات الذاتية والفعلية نرجع هذه الصفات إلى هذين الاسمين، وقد سبق أن تكلمت عن أمثلة لأسماء الله الحسنى، ومنها اسم الله وَجَلَّ جلاله الحي والقيوم، وذكرت أن العلماء ذكروا أن صفات الله تعالى ترجع إلى هذين الاسمين، وقد ذكر ذلك أيضاً شارح الطحاوية - رحمه الله - وهنا أود أن أبين أن الصفات الذاتية ترجع إلى اسم الله تعالى الحي، وصفات الأفعال ترجع إلى اسم الله تعالى القيوم.

**السادس:** أن صفات الذات ثابتة بالشرع والعقل، وأما صفات الفعل فمنها ما هو ثابت بالعقل والشرع كالخلق والرزق ونحوهما، ومنها ما هو ثابت بالشرع وإن كان العقل لا يدل على خلاف ما دل عليه الشرع كالاستواء والنزول وما إلى ذلك، وأنا أود أن أضرب هنا أمثلة على ذلك، وأخرت ضرب الأمثلة لصفات الذات ولصفات الفعل لهذا الحديث.

صفات الذات مثل أي شيء، وهي أيضاً الصفات السبع المعروفة عند الأشاعرة التي سبق ذكرها من أكثر من مرة، وهي صفة العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والكلام وما إلى ذلك، هذه الصفات السبع ثابتة بالشرع؛ لأن الله نص عليها، وثابتة أيضاً بالعقل؛ لأن الذي أوجد هذه الكائنات يتصف بالحياة والسمع والبصر، ووجود هذه الكائنات على شيء من التفاوت يقتضي أن يكون الذي أوجدها يتصف بالإرادة، وهكذا في بقية هذه الصفات يمكن إثباتها بالعقل.

أما صفات الأفعال - في الحقيقة - الدليل الشرعي هو الظاهر والواضح فيها وليس المنفرد، فصفات الفعل بعضها يثبت بالعقل والشرع أيضاً، مثل: صفة الخلق،

الله ﷻ خالق، وهي صفة فعل من اسمه الخالق ويتصف بالخلق، الخلق هذا العقل يستدل على أن موجد هذه الكائنات لا شك أنه يتصف بصفة الوجود، كذلك الرزق والناس يتفاوتون فيه ولا يملك أحد أن يرزق نفسه فدل ذلك على أن الرزق من لدن الرزاق ﷻ أما بعض الصفات الأخرى في صفات الأفعال هذه لا دليل لنا عليها إلا بالشرع - يعني: بالنص - وإن كنت أركز على أن العقل لا يدل على خلاف ما دل عليه الشرع، وذلك مثلاً كصفة الاستواء والنزول ونحوها، فهذه الشرع دل عليها، والعقل قد لا يتمكن من إثباتها؛ لأن العقل قاصر عن ذلك، ولكن العقل - كما أقول - لا يدل على خلافها، هذه الصفات الثابتة بالشرع - التي هي صفات الأفعال - يجب أن نسلم فيها للشرع، كما سلم البعض بصفات المعاني السبع، وهي الصفات التي تحدث في وقت دون وقت، وهذه الصفات كثيرة جداً؛ الصفات الخبرية الشرعية أو السمعية أو النقلية التي ثبتت لنا عن طريق النص، كالأستواء والنزول والمحبة والغضب والرضا والضحك وما إلى ذلك من هذه الصفات، يجب ثبوت كل ذلك لله ﷻ على ما يليق بجلال الله وكماله، فصفة الغضب تتعلق بمشيئة الله ﷻ هو يتصف بالغضب أزلاً وأبداً ﷻ ولكن يحدث هذا الغضب في وقت دون وقت، فمثلاً لو افترضنا أن هناك رجلاً كافراً اليوم لا شك أن الله يغضب عليه، فإذا أسلم في غدٍ لا شك أن الله ﷻ يرضى عليه، فهنا كان غضبان بالأمس واليوم رضى عن هذا الذي قد غضب عليه ﷻ بالأمس.

كذلك مثلاً صفة الضحك لله ﷻ وصفة الضحك قريبة من صفة الفرح والرضا والمحبة، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عموماً لا تحيل ولا تستبعد إثبات هذه الصفات للرب ﷻ لأن الله ﷻ قررها بنفسها في كتابه، ونص عليها، كما قررها نبينا ﷺ في سنته، ونحن إذاً نثبتها ونقررها؛ لأن العقل أيضاً لا يحيلها

## العقيدة خاص [٢]

فنحن نسلم للنص ، والعقل يتفق معنا في ذلك تماماً ، وصفة الضحك مثلاً جاءت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في إثبات هذه الصفة لله ﷻ ولعلي أذكر هنا بعض هذه الأحاديث ، وأذكر أيضاً قولاً لأهل العلم حولها ، وهي من الصفات التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه ، فمثلاً في حديث أبي هريرة < قد أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، يقول فيه النبي ﷺ : ((يضحك الله ﷻ إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة ، يقاتل هذا فيقتل فيتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد)). فالله ﷻ يضحك لهذا الأمر الذي ذكر في الحديث ، حديث آخر الذي هو حديث أبي موسى الأشعري < وفيه يقول : ((يتجلى ربنا ضاحكاً يوم القيامة)) ، والأحاديث في ذلك كثيرة.

لو جئت إلى أحد الأئمة الذي يقرر هذه الصفة بأسلوب لطيف جميل ومنهم شيخ الإسلام ابن القيم -رحمه الله- ماذا يقول عن هذه الصفة؟ يقول: "ومن هذا ضحكه ﷻ من عبده ؛ حيث يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبه فيضحك ﷻ فرحاً ورضاً ، كما يضحك من عبده إذا سار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته يتلو آياته ويتملقه ، ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو فأقبل إليهم وباع نفسه لله وأعطى هذا العدو نحره إلى آخر ما ذكر من أمور يضحك رب العزة والجلال ، وإذا كان ضحك الرب إلى بعض عباده في تلك الحالات الخاصة فإنما هو ضحك رضا وفرح ومحبة ؛ لأن الأشخاص الذين يضحك الله ﷻ إليهم قد أتوا بأعظم محاب الله ﷻ من جهاد في سبيل الله ومن بيع للنفس ومن مناجاة ، مع اعتقادنا أن ما ثبت لله ﷻ من ذلك لا يشبهه ولا يماثل صفات ولا ذوات المخلوقين.

فالله ﷻ صفاته غير مكيفة وغير محددة كما قررتها القواعد السابقة ؛ ولذلك أحببت هنا أن نتحدث بشيء من التفصيل عن صفات الذات وصفات الفعل ،

وأبين الفرق بينهما ، وأن صفات الذات وصفات الفعل ثابتة بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة ، ونحن نؤمن بالجميع على ما يليق بجلال الله ﷻ وكماله ، فالله ﷻ يتصف بصفات الفعلية التي هي متعلقة بمشيئته وإرادته وهي الصفات الاختيارية.

بقي شيء يسير جداً أود أن أشير إليه ، وهو أن صفة الكلام صفة ذات وصفة فعل ، فمن حيث تعلقها بالمشيئة والإرادة فهي صفة فعل ، ومن حيث تعلقها بالذات لكونها متكلمة أزلاً وأبداً فهي صفة ذات ، وإنما جعلت الحديث خاص عن هذه الصفة لأمرين :

**الأمر الأول :** لتحقيق مذهب السلف فيها.

**الأمر الثاني :** لكثرة النزاع بين فرق الأمة مما يتسبب في خلط مذهب السلف بغيره.

فمسألة صفة الكلام والقرآن الكريم أخذت حيزاً كبيراً من الخلاف بين السلف وبين الخلف في ذلك ، وفي الحقيقة البعض أثبتها على أنها صفة ذات ولم يثبتها أيضاً على أنها صفة فعل ، وهي صفة ذات وصفة فعل ؛ لأن الله ﷻ سيكلم المؤمنين يوم القيامة ، ويكلم أحبابه كما ينظر إليهم ويرونه ﷻ وهذا أمر سيكون في الدار الآخرة لما يحدث بعد ، فدل ذلك على أنها صفة فعل تحدث في وقت دون وقت ، وهي أيضاً ملازمة للذات أزلاً وأبداً.

### ٢. مبحث التجدد في الصفات والأفعال :

هذا المبحث في الحقيقة مهم خاصة ونحن نتكلم عن صفات الأفعال أو الصفات الاختيارية ، فكان لا بد أن نبحث هذه الصفات ونتحدث عنها ، وعن ما يتعلق بمعنى التجدد فيها ، وهل يتطلب ذلك حدوث صفة لم تكن أو حلول الحوادث

بذات الله ﷻ؟ إلى غير ذلك مما ذكره وخاض فيه علماء الكلام، ولهذا فمبحث التجدد في الصفات والأفعال يشتمل على عدة نقاط:

### النقطة الأولى: ما معنى التجدد في الصفات والأفعال؟

أقول لبيان ذلك صفات الله ﷻ ثابتة له أزلاً وأبداً، يعني أنه لم يحدث في ذات الله شيء أو تحدث صفة لصفات الله ﷻ لم تكن من قبل، فالأمر فيها كما قال الإمام الطحاوي -رحمه الله- في (عقيدته) المشهورة: "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبله من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً"، وهذه في الحقيقة قطعة قصيرة من كلام الإمام الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته، وهو كلام موجز جداً ولكنه مليء بمعانٍ عظيمة، ويحمل في طياته فهماً عميقاً لقضية صفات الله ﷻ.

ولعل أنسب ما يمكن أن نفهم هذا النص من خلاله ما ذكره شارح الطحاوية -رحمه الله- وهو يشرح هذا الكلام ويوضحه؛ فيقول -رحمه الله-: "أي أن الله ﷻ لم يزل متصفاً بصفات الكمال -صفات الذات وصفات الفعل- ولا يجوز أن يعتقد أن الله اتصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؛ لأن صفاته ﷻ صفات كمال، وفقدتها صفة نقص، فلا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده، وهذا في الحقيقة توضيح لقول الإمام الطحاوي: "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه".

ثم قال الشارح -رحمه الله- متمماً كلامه في بيان هذا النص الذي ذكره الإمام الطحاوي وهو يريد أن يتحدث عن مبحث التجدد بالذات ومعناه في الصفات الاختيارية والأفعال التي تتعلق بمشيئة الله ﷻ فقال: ولا يرد على هذه القاعدة



صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها كالحلق والتصوير والإحياء والإماتة والقبض والبسط والطي والاستواء والإتيان والمجيء والنزول والغضب والرضا ونحو ذلك مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ متأولين ذلك وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل ذلك ومعناه لا شك معلوم لنا كما قال الإمام مالك - رحمه الله - لما سئل عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] كيف استوى؟ فقال: "الاستواء معلوم والكيف مجهول"، وتتمة الكلام أن يقال: بأن الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

ثم قال - رحمه الله - مؤكداً ما يريد أن يقرره في مسألة التجدد في الصفات والأفعال بعد أن ذكر أن هذه الصفات لم تحدث لله ﷻ ولم تجد في ذاته بعد أن لم تكن، يثبت بعد ذلك أنها تحدث في وقت دون وقت، وأنها تتعلق بالاختيار والإرادة والمشية لله ﷻ فيقول: وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة: ((إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله)). قال: لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن - يعني: حدوث هذه الصفات والأفعال الاختيارية في وقت دون وقت لا يكون معناها أنه حدث في ذات الله شيء جديد، وشيء لم يكن من قبل - ذلك، لأن كما ذكر ابن أبي العز - رحمه الله - قال: ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس لا يقال: إنه حدث له الكلام ولو كان غير متكلم لآفة كالصغر والخرس ثم تكلم بعد ذلك يقال حدث له الكلام، فالساكت لغير آفة يسمى متكلماً بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء وفي حال تكلمه يسمى متكلماً بالفعل، فهو هنا يريد أن يقرر بأن الله ﷻ بهذه الصفات - أعني:

صفات الأفعال الاختيارية- التي تحدث بمشيئة الله وإرادته هي صفات قائمة بذات الله ﷻ في الأزل، ومع هذا فهي تحدث في وقت دون وقت باختيار الله ﷻ ومشيئته، ولا يعني أنه حدث في ذات الله من الأشياء ما لم يكن متصفاً به من قبل رب العزة والجلال ﷻ.

### النقطة الثانية: مسألة حلول الحوادث بذات الله ﷻ:

هذه المسألة من المسائل أو من التعبيرات التي أحدثها المتكلمون وخاضوا فيها، وهم في الحقيقة أرادوا أن يشاغبوا أهل السنة والجماعة وأن يشوشوا على مذهبه القويم الصحيح بمثل هذه المسائل؛ ولذلك هم الذين أحدثوا هذه العبارات وخاضوا في هذه المسائل، وبالتالي خدعوا بها من لا يفطن لأساليبهم، وهو تعبير جديد لا وجود له لا في الكتاب ولا في السنة لا نفيًا ولا إثباتًا، وكذلك أيضاً غير معروف عند سلف هذه الأمة الصالحين.

وطالما أن الأمر كذلك يحتاج إلى تفصيل، أقول: النفي لقولنا بأنه لا يحل بذات الله ﷻ شيء، هذا النفي قد يكون صحيحاً إن أريد بأنه لا يحل بذات الله المقدسة شيء من المخلوقات المحدثه أو لا يحدث له ﷻ وصف متجدد لم يكن له من قبل، فهذا النفي صحيح، وبالتالي أقول بأن الله ﷻ ليس محلاً للحوادث، بمعنى أنه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من المخلوقات المحدثه؛ لأن الله ﷻ بائنٌ من خلقه غير حال في مخلوقاته، كما أنه ﷻ لا يجوز أن يقول بأنه يحدث له وصف متجدد لم يكن له من قبل، هذا المعنى معنى صحيح، وإن أريد بنفي حلول الحوادث عن الله ﷻ أن الله ﷻ لا يفعل ما يشاء ولا يتكلم بما يشاء إذا شاء، ولا يفرح ولا يغضب ولا يرضى كما يليق بجلاله ﷻ يعني نفي صفات الله ﷻ ونفي وصفه بما

وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من الصفات التي سبق أن أشرت إليها كصفة الاستواء أو اليد أو الوجه أو غير ذلك، فهذا النفي بهذا المعنى باطل، ولا يقال: إن من يثبت هذه الصفات وما في معناها يقول بحلول الحوادث بالله ﷻ ولعل ما سبق أن قلته في معنى التجديد يؤكد هذا المعنى، وهو أن الصفات قائمة بالله ﷻ في الأزل ولكنها تحدث في وقت دون وقت وأعني بها صفات الأفعال التي تتعلق بالمشيئة والاختيار، وهذا التعبير كما ذكرت اصطلاح جديد ابتدعه علماء الكلام بعد نشأة علم الكلام، وبعد انتشار هذا العلم في صفوف المسلمين المتأخرين وخاصة الخلف الذين سلكوا طريق الفلاسفة والمتكلمين، ولا ينبغي في الحقيقة أن نجعل هذا الاصطلاح الحديث قاعدةً نبني عليها نفي صفات الله ﷻ التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله الأمين ﷺ ودرج على ذلك الصحابة والتابعون وسلف هذه الأمة، وكلامهم في ذلك وعباراتهم واضحة، وكتب أهل السنة والجماعة مليئة بتقرير الصفات وإثباتها لله ﷻ على ما يليق بجلال الله وكماله.

### النقطة الثالثة: مسألة زيادة الصفات على الذات:

هذه أيضاً من المسائل التي حدثت وجدت، واضطر أهل السنة والجماعة إلى أن يتحدثوا عنها، مسألة الصفات هل هي زائدة على الذات أم لا؟ وأيضاً شارح الطحاوية - رحمه الله - تكلم عن هذه المسألة، فقال: "وكذا مسألة الصفة هل هي زائدة على الذات أم لا؟ قال: هذا لفظ مجمل وكذلك لفظ الغير"، يعني نقول: الصفات غير الذات أم لا؟ يعني سواء قلنا: الصفات زائدة على الذات أو الصفات غير الذات، يقول - رحمه الله - بأن هذا اللفظ فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقتة له، ولهذا كان أئمة السنة { لا

## العقيدة خاص [٢]

يطلقون على صفات الله ﷻ وكلام الله ﷻ أنه غيره ولا أنه ليس غيره؛ لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو؛ إذ كان لفظ الغير فيه إجمال فلا يطلق إذًا إلا مع البيان والتفصيل، إذًا نحن لا نطلق هذا اللفظ ولا نقول الصفة زائدة على الذات أو ليست بزائدة عليها، أو الصفة غير الذات أو ليست غيرها إلا إذا بينا وفصلنا، ولذلك نقول: إن أراد القائل أن هناك ذات مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات نفسها زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة فهذا حق، يعني أن الصفات زائدة على الذات بمعنى أنها ثابتة ولها معنى غير ما نفهمه من معنى كلمة الصفة، فالذات قائمة بنفسها والصفات قائمة بالذات، الصفات قائمة ومتعلقة بالذات، فهذا معنى صحيح، وهذا حق، ولكن ينبغي أن يعلم أنه ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات بحال، هذا لا يمكن أن يتوقع أن يكون في الخارج ولا يتصور أن يكون هذا موجود، لكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما قد يفرض الذهن ذاتًا وصفة كلًا على حدة، ولكن في الحقيقة ليس في الخارج ذات غير موصوفة فإن هذا محال، ولو لم يكن إلا صفة الوجود فإنها لا تنفك عن الوجود، يعني هذه الصفة لا تنفك عن الوجود وإن كان الذهن يفرض ذاتًا ووجودًا يتصور هذا وحده وهذا وحده لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر.

إذًا المسألة بهذا التبيان وبهذا التفصيل أعتقد أنها واضحة، إن أراد القائل أن الذات مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها فهذا غير صحيح، وإن أراد أن الصفات قائمة زائدة على الذات يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الذات، وأن الصفات تختلف من صفة إلى أخرى، وأن كل صفة لها معنى

يختلف عن الصفات الأخرى، وأنها كلها قائمة بذات الله ﷻ وهي غير الذات بمعنى أن لها معنى في حقيقة أمرها يختلف عن الذات، فهذا كلام حق ولا شيء فيه، وبالتالي يجب قبل أن نجيب أو ننفي أو نثبت أن نفرق هذا الفرق وأن نفصل هذا التفصيل والبيان حتى لا تنطلي شبه المعارضين لمنهج أهل السنة على أحد من ملتزمي منهج أهل السنة والجماعة، وبالتالي أرى بأن هذه النقاط وفهمها بهذه الطريقة مما يؤكد ويقرر في نفس الدارس ثبوت صفات الأفعال الاختيارية القائمة برب العزة والجلال ﷻ.

### معتقد أهل السنة في: الصفات الذاتية، والصفات الفعلية

#### ١. معتقد السلف في الأسماء والصفات:

بعد أن بينت المعتقدات الباطلة وبعض المفاهيم التي أدخلها المبتدعة على مسألة الصفات، أود أن أقرر هنا أيضاً مرة أخرى طريقة ومنهج ومعتقد السلف الصالح في أسماء الله الحسنى وصفات الله العلا، ونحن في الحقيقة بحاجة دائماً إلى ذلك، وهذا من ضمن مفردات المنهج المقرر، فقد تحدث واضح المنهج عن ذلك، بعد أن انتهي من بيان الصفات الذاتية والفعلية نقرر ونؤكد أن السلف الصالح { كانوا يؤمنون بالصفات الذاتية والصفات الفعلية، يؤمنون بكل ذلك ويثبتون كل ذلك لرب العزة والجلال ﷻ ولعل مما ينبغي أن أتحدث عنه في هذا المقام وأن أفصل القول فيه هي هذه النقاط:

#### أ. بيان طريقة السلف { في إثبات الصفات:

قد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن ذلك في (منهاج السنة) في المجلد الثاني في الصفحة الخامسة والثالثة والعشرين من هذا المجلد، ومن (مجموع

## العقيدة خاص [٢]

فتاويه) وغير ذلك من الكلمات المتعددة التي ذكرها - رحمه الله - وألخص القول في هذا - أعني في بيان طريقة السلف في إثبات الصفات - فأقول: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته هو أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتاً ونفيًا فهم بذلك يسمون الله ﷻ بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ولا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه أيضاً، فهم يتقيدون في الإثبات والنفي بالنص الوارد عن الله وعن رسول الله ﷺ وقد سبق أن أشرت إلى ذلك وقررت، وأيضاً يثبتون لله ﷻ ويصفون رب العزة والجلال بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكييف أو تمثيل، وكذلك أيضاً كما أنهم يثبتون من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكييف أو تمثيل ينفون أيضاً عن الله ﷻ ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

حينما أتحدث عن ذلك أود أن أرجع بالدارس إلى ما سبق أن قررت له وبينته له بالتفصيل، وهو أن منهج القرآن الكريم في الصفات قائم على الإثبات المفصل والنفي المجمل، يعني التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي، عكس عليه أهل الكلام المذمومون في طريقتهم في ذلك الذين يفصلون في النفي ويجملون في الإثبات، وسيأتي الآن ذكر بعض الأمثلة على ذلك، ولكنني أود هنا أن أؤكد أن أهل السنة والجماعة حينما ينفون عن الله ﷻ ما نفاه هو عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كانوا يعتقدون أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي؛ لأن النفي المحض الذي لا يتضمن ثبوت كمال ضده لا خير فيه ولا فائدة منه، ولم ينف رب العزة والجلال عن نفسه.

وخلاصة القول: أن أهل السنة والجماعة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة، فكل اسم أوصفه الله ﷻ وردت في الكتاب والسنة الصحيحة

فهي من قبيل الإثبات، فيجب بذلك إثباتها لرب العزة والجلال، وأما النفي فهو أن ينفي عن الله ﷻ كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي، قال الإمام أحمد -رحمه الله- موضحاً ومبيناً ومقرراً منهج أهل السنة والجماعة في ذلك، وقد نقله عنه ابن تيمية -رحمه الله- في التدمرية وفي بعض مواطن أخرى من كتبه: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث"، وهي عبارة دقيقة المعنى ودقيقة اللفظ.

وقال أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من تغير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل"، إثبات الصفات لله ﷻ كما يليق بجلاله وكماله، ونفي مماثلة المخلوقات، والدليل على ذلك ما ذكره ابن تيمية -رحمه الله- من قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. فقولهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على الممثلة وهو السميع البصير رد على المعطلة، فقولهم في الصفات إداً مبني على أصلين:

**الأول:** أن الله ﷻ منزّه عن صفات النقص مطلقاً كالسنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

**الثاني:** أنه ﷻ متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات سبحانه، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات.

ومن النصوص التي توضح ذلك من قول الله ﷻ ما يلي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فهنا في مقام النفي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ولعلك تلاحظ أن هذا نفي مجمل، قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

## العقيدة خاص [٢]

شَيْءٌ ﴿١﴾ ، وفي مقام الإثبات قال سبحانه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٢﴾ ، ففي مقام الإثبات ذكر اسمين كريمين جليلين يتضمنان ثبوت صفتي السمع والبصر لله كما يليق بجلال الله ﷻ وكماله ، إذاً هذه الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ذكرت هاتين القاعدتين - الإثبات والنفي .

أيضاً من الأمثلة التي توضح هذا المعنى عند أهل السنة والجماعة - وهو الإثبات والنفي والتفصيل في الإثبات والإجمال في النفي - قول الله ﷻ مثلاً: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] . فقال ﷻ في مقام الإثبات: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾ ، وفي مقام النفي قال ﷻ: ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ، فهذا هو بيان معتقد السلف { في أسماء الله الحسنى وصفات الله العلا .

## ب. الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات :

إن معتقد أهل السنة والجماعة يقوم على ثلاثة أسس رئيسية في باب الأسماء والصفات ، وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفصل وتميز عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل من الفلاسفة وأهل الكلام من جهة ، وعن عقيدة أهل التمثيل من الكرامية والهشامية التي سبق أن أشرت إليهم من جهة أخرى ، وتفصيل هذه الأسس كما يأتي :

الأساس الأول: الإيمان بما وردت نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله الحسنى وصفات الله العلا إثباتاً ونفيًا :

فهذا الأساس فيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة ، فأهل السنة يجعلون الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله ﷻ هو كتاب الله وسنة



رسول الله ﷺ ولا يتجاوزونهما بحال، فما ورد إثباتها من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة يجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما يجب نفيه، وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقرر ذلك فيقول: "وأما ما لم يرد إثباته فنفيه لا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقاً، وأما في باب الأخبار فمن السلف من يمنع ذلك ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد حقاً يليق بالله ﷻ فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله ﷻ وجب رده.

ولذلك أقول بأن مجمل القول في إثبات الأسماء والصفات من ناحية هذا الأساس الذي تحدثت عنه: أن الأمر يشتمل على ثلاثة أمور: باب الأسماء، وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط، باب الصفات، وهذا كذلك أيضاً يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط، باب الأخبار، وهذا لا يشترط فيه ورود النص الشرعي ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسئياً ولا يوهم الخطأ.

**الأساس الثاني: تنزيه الله ﷻ عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين:**

هذا الأساس أيضاً فيه تمييز لعقيدة أهل السنة والجماعة عن عقيدة المعطلة من جهة وعن عقيدة المشبهة من جهة أخرى، فأهل السنة يعتقدون أن ما اتصف الله به من الصفات لا يماثله فيها أحد من خلقه، فالله ﷻ قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز - وقد سبق أن ذكرته - : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، فإذا ورد النص بصفة من صفات الله ﷻ الثابتة له في الكتاب أو السنة وجب

## العقيدة خاص [٢]

الإيمان بها، والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تمدح بها ﷻ أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ أن يكون معظماً لله ﷻ غير متنجساً بأقذار التشبيه؛ لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه أخذاً بقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وأيضاً لقوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٣﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ولقوله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

أما أهل التعطيل فإنهم لم يفهموا من أسماء الله ﷻ وصفاته إلا ما اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة، فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل، وهذا الشر إنما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى الله ﷻ بها على نفسه كاستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق فلتلطح القلب إذاً بأقذار التشبيه، لم يقدر الله حق قدره، ولم يعظم الله حق عظمته؛ حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيكون أولاً قد نجس القلب بأقذار التشبيه ثم دعاه ذلك إلى أن ينفي صفة الخالق ﷻ عنه بإدعاء أنها تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولاً: مشبهاً، وثانياً: معطلاً ضالاً ابتداءً وانتهاءً، متهجماً على رب العالمين بنفي صفاته عنه بادعائه أن تلك الصفة لا تليق بجلال الله ﷻ وكماله، وهذا من الباطل، وما قلته كلمات جميلة قالها الشيخ الإمام محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في

رسالته القيمة وإن كانت صغيرة في حجمها إلا أنها قيمة ومفيدة ومهمة في بابها ومعناها، فهذا الأساس اللي هو تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين.

هذا أيضاً يميز منهج أهل السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة عن عقيدة المعطلة من هذه الجهة، وكذلك أيضاً يميز منهجهم عن عقيدة الممثلة المشبهة؛ لأن أهل التمثيل تقوم دعواهم على أن الله ﷻ لا يخاطبنا إلا بما نعقل، فإذا أخبرنا عن اليد مثلاً فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة، فشبها صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا: له يد كيد المخلوق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأما أهل السنة والجماعة وأما أهل الحق الذين يصدقون بما جاء به النبي ﷺ المقرون بكمال الله سبحانه فهم يثبتون لله جميع صفاته كما ينفون عنه ﷻ مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم إذاً حسنة بين سيئتين وهدى بين ضاللتين.

### الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله ﷻ بتلك الصفات:

فيه تمييز أيضاً لعقيدة أهل السنة والجماعة عن عقيدة المشبهة؛ لأن أهل السنة والجماعة أيضاً يتعدون كل البعد بهذه الأسس عن العقائد الباطلة، فأهل السنة والجماعة حينما يفوضون علم كيفية اتصاف الباري ﷻ بتلك الصفات إلى الله ﷻ ويركزون ويؤكدون أنه لا علم لأحد من البشر بكيفية صفات الله سبحانه، كما أنه لا يعلم أحد ذات الله ﷻ ولا يعرف أحد شيئاً من ذلك، ولا شك أن تفسير كنه شيء من صفات ربنا ﷻ كأن يقال: استوى على هيئة، أو له يد ككذا، كل ذلك تجرؤ على الله ﷻ وغلو في الدين وافتراء على الله، واعتقاد ما لم يأذن به الله ﷻ ولا يليق ذلك بجلال الله وعظمته، ولم ينطق بذلك كتاب

## العقيدة خاص [٢]

ربنا أو سنة النبي ﷺ فقطع الطمع عن إدراك كنه الصفات وحقيقتها أساس من الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة والجماعة، وهم بذلك يعظمون الله ﷻ ويعرفون لله قدره، وأن كنه الصفة وحقيقتها ليس مطلوباً من العباد في الشريعة، ولو كان مطلوباً لبينه الله أو بينه رسوله ﷺ فالنبي ﷺ لم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله ﷻ إلا ما علمه الله، كما قال ﷺ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو قد خاطب عباده بقوله ﷺ: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، فالله ﷻ هو الأعلم وهو الأكمل ونحن نؤمن بذلك، فما أخبرنا به وعلمنا إياه وأراد منا أن نعرفه كإثبات الصفات على ما يليق بجلاله وكماله ومعرفة معانيها التي تدل عليه قلنا به، أما حقيقتها وكيفيتها فهي مسألة لا نعلمها بل نجعلها، ولعلي أذكر ما سبق أن قلته حينما قلت بأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أننا نجعل ذات الله ﷻ وما هي عليه في نفس الأمر كذلك أيضاً نحن نجعل صفات الله ﷻ وكيفيتها وحقيقتها وما هي عليه أيضاً في نفس الأمر.

## ٢. شرح قول السلف من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل:

أود أن أبين معاني هذه الكلمات؛ لأنها كثيراً ما تذكر في منهج أهل السنة والجماعة بأنهم يؤمنون بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تكييف ولا تمثيل، ولذلك أسير حول تعريف هذه المسائل من خلال النقاط التالية:

## أولاً: معنى التحريف والتعطيل:

لأنهما كلمتان تقتربان بعضهما ببعض، وأيضاً هذه العبارة من غير تحريف فيها تمييز لعقيدة أهل السنة والجماعة عن عقيدة المثولة والمعطلة.

**معنى التحريف في اللغة**، هو: التغيير والتبديل والإمالة، فهو في الأصل مأخوذ من قولهم: حرقت الشيء عن وجهه إذا أملته وغيرته.

**التحريف شرعاً**، هو: الميل بالنصوص عما هي عليه، إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها، وهذا هو الذي أعنيه هنا، الذي هو تعريف التحريف في الشرع، هو الميل بالنصوص عما هي عليه، وذلك يكون إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها، أو يمكن أن نقول بعبارة أخرى مختصرة: هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره.

والتحريف في باب الأسماء والصفات، هو: تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات عن معانيها عن مراد الله ﷻ بها، هذا التعريف الذي ذكرته يندرج تحته التحريف بصورة عامة، أما التحريف الذي نعنيه في أسماء الله وصفاته فهو: تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو تغيير معانيها وصرفها عما لا يليق بجلال الله ﷻ وعماد أرواده رب العزة والجلال منها، والتحريف ينقسم إلى نوعين:

**النوع الأول:** تحريف اللفظ، وتعريفه، هو: العدول باللفظ عن جهته إلى غيره، وله أربع صور: إما الزيادة في اللفظ، أو النقصان في اللفظ، أو تغيير حركة إعرابية، أو تغيير غير إعرابية، ومن أمثلة تحريف اللفظ مثلاً تحريف إعراب قول الله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. هذه الآية جاءت هكذا: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ برفع لفظ الجلالة على أن المتكلم من الله ﷻ فأراد بعض المعطلة أن يحرف هذا اللفظ من الرفع - يعني من رفع لفظ الجلالة - إلى النصب، وأراد أن تقرأ الآية هكذا: "وكلم الله موسى"، ويعني بذلك أن يكون موسى هو المتكلم وأن موسى هو الذي كلم الله ﷻ ولم يكلمه الله ﷻ

## العقيدة خاص [٢]

ولذلك ذكر ابن أبي العز - رحمه الله - أن أحد المعطلة المحرفة المثولة جاء إلى أبي عمرو بن العلاء وهو أحد القراء السبعة وقال له : أود أن تقرأ قول الله ﷻ : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ بنصب لفظ الجلالة ؛ لأنه إذا نصب لفظ الجلالة أصبح موسى فاعل ولا تظهر عليه حركة الإعراب ؛ لأن آخره حرف علة ، وإنما ظهرت على لفظ الجلالة بالنصب فصار موسى بذلك هو المتكلم ، فرد عليه أبو عمرو بن العلاء وكان فطنًا فقيهاً لبيياً قال له : هب أني قرأت هذه الآية هكذا : " وكلم الله موسى تكليماً " فماذا تفعل في قوله ﷻ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ٢١٤٣]؟ فبهت هذا المعتزلي هذا المحرف وما استطاع أن يرد أو يجيب.

**النوع الثاني:** تحريف المعنى ، وتعريفه ، هو : صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ ، أو هو : العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما ، يعني إما أن أقول عنه بأنه صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ ، ولو ركزت على هذا التعريف يعني لعدم التوسع والإطالة ، لعله يكون أولى ، فأقول : تحريف المعنى هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ ، وهذا النوع في الحقيقة هو الذي جال فيه أهل الكلام من المعطلة وصالوا ووجدوا فيه مجالاً واسعاً وكبيراً ، وهم أيضاً توسعوا فيه وأطلقوا عليه تأويل ، وهذا اصطلاح منهم فاسد ؛ لأنهم يصرفون ظاهر اللفظ عن معناه الصحيح بحجة التأويل وهو في الحقيقة تحريف لمعنى هذا اللفظ.

ومن أمثلة التحريف مثلاً : قول المعطلة في معنى استولى "استولى" ، الله ﷻ في القرآن وفي سبع مواطن من القرآن يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] ،

يخبر أنه استوى على العرش بألفاظ متقاربة ولم يقل مرةً: "استولى"، فجاء المعطلة وقالوا: معنى استوى "استولى"، ولا شك أن هذا معنى باطل لا يليق بجلال الله ﷻ وستعرض لهذه المسألة بالتفصيل - إن شاء الله - فيما بعد، ولكنني أذكر هنا فقط من باب المثال.

أيضاً حرفوا اليد الواردة في قول الله ﷻ لإبليس: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص: ١٧٥]، قالوا: المراد باليد هنا النعمة أو القدرة، وقد بينت أيضاً فيما مضى فساد هذا التأويل، ولكنني أضرب أمثلة هنا على مثل ما وقع فيه المعطلة من تحريف وتأويل، وقد ذكر الله التحريف في كتابه وذمه، وهو مأخوذ في الأصل عن اليهود فهم الراسخون فيه، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيراً من ألفاظ التوراة، ولما تعبوا وما استطاعوا أن يحرفوا بعض الألفاظ بدءوا يحرفون المعنى؛ ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم، وقد درج على آثارهم في التحريف، فهم الرافضة أشبه الأمة أو أشبه الناس باليهود، وكذلك أيضاً الجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم من اليهود. هذا هو تعريف التحريف بنوعيه: تحريف اللفظ، وتحريف المعنى.

ثانياً: تعريف التعطيل والتكيف والتمثيل:

أ. معنى التعطيل في اللغة:

مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَيَبْرُؤُ مُعْطَلَةً ﴾ أي أهملها أهلها وتركوها، والتعطيل في جانب الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

## العقيدة خاص [٢]

**القسم الأول:** تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وهذا يتمثل فيمن ينكرون وجود الله ﷻ كالدهرين والملاحدة.

**القسم الثاني:** تعطيل عبادة الله ﷻ أي ما يجب له سبحانه على عباده من حقيقة التوحيد.

**القسم الثالث:** تعطيل الله ﷻ عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.

وهذا القسم الأخير - تعطيل الله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله - هو المقصود وهو المعني هنا، فالمراد إذاً بالتعطيل في باب الأسماء والصفات، هو: نفي الأسماء والصفات أو بعضها، وسلبها عن الله ﷻ أو نقول: هو نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله ﷻ وقد وقع في التحريف والتعطيل طوائف يجمعهم أهل العلم تحت مسمى المعطلة، وينقسم المعطلة إلى قسمين رئيسيين هما:

**القسم الأول:** الفلاسفة، وهم صنفان: الصنف الأول: أهل الفلاسفة البحتة، والصنف الثاني: أهل الفلاسفة الباطنية ودول يدخل فيهم الرافضة والصوفية.

**القسم الثاني:** أهل الكلام، وهؤلاء ينقسمون إلى خمسة طوائف: الجهمية، والمعتزلة، والكلابية، والأشاعرة، والماتريدية.

## ب. معنى التكييف والتمثيل:

**التكييف:** جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيد بها بمائل، مثال ذلك: قول الهشامية عن الله مثلاً: طوله كعرضه، أو قولهم: طوله طول سبعة أشبار بشبر نفسه. وعلى هذا التعريف يكون هناك فرق بين التكييف والتمثيل، فالتكييف ليس فيه تقييد بمائل، وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين، ولعل الصواب أن التكييف أعم من التمثيل، فكل تمثيل تكييف؛



لأن من مثل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيف تلك الصفة، أي: جعل لها حقيقة معينة مشاهدة، وليس كل تكييف تمثيلاً؛ لأن من التكييف ما ليس فيه تمثيل بصفات المخلوقين كالقول السابق مثلاً عن الهشامية بأن طول الله كعرضه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومعنى قول أهل السنة: من غير تكييف، أي: من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد من قولهم: من غير تكييف، أنهم ينفون الكيف مطلقاً، فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيفية؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو ﷻ؛ لأنه من المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات الله ﷻ لأنه ﷻ أخبرنا عن الصفات ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا في أمر الكيفية قفوياً لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به، وقد أخذ العلماء وفهموا ذلك من قول الإمام مالك - رحمه الله - وقد ذكرته فيما مضى: "الاستواء معلوم والكيف مجهول"، فهنا أثبت معرفة وعلم العباد بالاستواء وهو في اللغة معناه: العلو والارتفاع، كما أخبر ربنا في كتابه عن نفسه بأنه فوق عرشه وأن عرش الله فوق سمواته، أما كيفية هذا الاستواء فهذه مجهولة لنا.

فالسلف من قواعدهم المميّزة إذاً أنهم لا يكييفون صفات الله ﷻ بصفات أحد من المخلوقين ولا يكييفونها أيضاً بإطلاق، كذلك أيضاً لا يمثلون ولا يشبون الخالق بالمخلوق؛ ولذلك أشرح أيضاً ما معنى كلمة: يثبتون الصفة بلا تمثيل كما قلت من غير تكييف ولا تمثيل.

أعرف التمثيل فأقول: التمثيل في اللغة، هو: الند والنظير، وفي الاصطلاح هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها تشبه صفات المخلوقين، كأن يكون يقول الممثل مثلاً: يد الله كيدي، أو سمع الله كسمعي، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً،

فالمماثلة هي مساواة الشيء لغيره من كل وجه، والمشابهة هي مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه وكلا الأمرين منفيان عن الله ﷻ ولم يذهب أحد من أهل السنة لا إلى تمثيل ولا إلى تشبيه، والتعبير بنفي التمثيل هنا أولى لعله كذلك من التعبير بلفظ التشبيه لموافقة لفظ القرآن، وهذا أيضاً من الأمور التي أود أن أشير إليها في منهج أهل السنة والجماعة، وهو أنهم كانوا يلتزمون بالنصوص الشرعية والألفاظ الشرعية فلا يطلقون لفظاً لم يرد له ذكر في القرآن والسنة، والقرآن الكريم نفى عن الله ﷻ التمثيل فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ١٧٤]، وقد وقع في التمثيل والتكليف فرق المشبهة الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق وتمثيله بالخلق، وقد سبق الحديث عنهم فيما مضى.

### ج. بيان أن كل معطل ممثل وأن كل ممثل معطل:

فكل واحد من فريق التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل، وبيان ذلك كما يلي:

### بيان جمع المعطلة بين التعطيل والتمثيل:

أما تمثيل المعطلة: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالخلق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، الممثل المعطل حينما سمع الصفة لم يفهم منها إلا ما يفهمه من المخلوق، وقاس فيها الخالق بالخلق، إن المعطلة جمعوا بين التعطيل والتمثيل، فهم يعطلون الصفات ولا يثبتونها، فكيف وقعوا في ذلك؟ أقول: لما سمعوا الصفة وسمعتها آذانهم وأطلقها رب العزة على نفسه أو النبي ﷺ لربه، ما فهموا منها إلا ما يفهم من المخلوق، فوقعوا في التمثيل من هذا الباب، وشبهوا الخالق بالخلق وقاسوا أسماء الله ﷻ وصفات الله ﷻ

بأسماء خلقه ، وما فهموا منها من أسماء الله وصفاته إلا ما يفهمونه من أسماء وصفات المخلوقين ، ولما وقعوا في هذا الأمر ، أرادوا أن يخرجوا منه فنفوا الصفات ؛ ولذلك تعطيل المعطلة إذًا وقع منهم في نفيهم لما يستحقه رب العزة والجلال من الأسماء والصفات اللاتقة به ﷻ وبذلك نجد أنهم جمعوا بين التعطيل والتمثيل ، كيف ذلك؟ أنهم لما مثلوا أولاً ولم يفهموا من الصفات إلا ما هو موجود وقائم في المخلوق ، وأدركوا أنهم بذلك وقعوا في خطأ وجرم عظيم أرادوا أن يتخلصوا من هذا المذهب الباطل ، فنفوا الصفات عن الله فوقوا في التعطيل.

ومثال لجمع المعطلة بين التعطيل والتمثيل نصوص الاستواء كقول الله ﷻ مثلاً : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فإن المعطل يقول : لو كان الله فوق العرش للزم أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوٍ ، وهذا كله لا يليق بذات الله ﷻ وبدأ يدخل على الاستواء ما لم يردده الله ﷻ منه فوقع بذلك من التمثيل ؛ لأنه قاس الخالق بالمخلوق ، فلما وقع في ذلك عطل الصفة عن معناها وأول الاستواء ، وقال بأن الله ﷻ لم يستو على عرشه ﷻ.

### د. الإشادة بمذهب أهل السنة والجماعة :

براءة أهل السنة من التعطيل والتمثيل :

أود أن أشيد هنا - قبل أن انتهي من هذه المسائل - بمنهج أهل السنة والجماعة ، وأبين أن الله ﷻ هداهم إلى الطريقة المثلى الصواب ، فأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عن الله ﷻ مماثلة المخلوقات ، فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين وهدياً بين ضلالتين وحقاً بين باطلين ، وهم قالوا : نَصَفُ اللهُ بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه أو تحريف أو تعطيل أو تمثيل ، وكانوا بذلك جامعين لنصوص الصفات كما يليق بجلال الله ﷻ وكماله .



المخالفون لمذهب أهل السنة في صفات الله  
والرد على شبهاتهم

عناصر الدرس

- العنصر الأول : أنواع المخالفين لأهل السنة في الصفات ٤٨١
- العنصر الثاني : شبهة المخالفين لأهل السنة، والرد عليها ٤٨٦



### أنواع المخالفين لأهل السنة في الصفات

لن أتحدث فيما سبق أن تحدثت عنه - وهو بيان انقسام الناس في نصوص الصفات - وإنما سأحدث هنا فقط عن فرق النفاة؛ وسبب حديثي هذا هو أيضاً: تقرير لمذهب السلف بذكر أنواع المخالفين لهم في صفات الله العلي:

#### نفاة الأسماء والصفات ينقسمون إلى فرق متعددة:

##### الفرقة الأولى: الجهمية:

أتباع جهنم بن صفوان، وقد سبق التعريف به، وبفرقته، وبما هو عليه، وهؤلاء ينفون الصفات نفياً قاطعاً، وكذلك الأسماء، كما ينفون أيضاً أشياء أخرى، فالجهمية - كما هو معلوم - جبرية في باب القدر، ومرجئة أيضاً، وغير ذلك من البلايا التي وقعت منهم، والذي يعنيها هنا هو بيان مذهبهم في أسماء الله وصفاته والإشارة إليه؛ ذلك أن مذهبهم قائم على خلاف المنهج القرآني النبوي الذي عليه السلف الصالح؛ فإن الجهمية يصفون الله ﷻ بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون له سبحانه إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحقيقه في الأعيان، وهم بذلك يعطلون الباري ﷻ عن صفاته وأسمائه تعطيلاً يستلزم أيضاً نفي الذات، فهم إذا نفوا جميع الصفات والأسماء عن الله ﷻ وعطلوها عن حقائقها وصرفوها عن ظاهرها ولم يثبتوا أي شيء منها؛ فنفيهم ذلك يستلزم نفي الذات؛ لأنهم بهذا يكونون قد وصفوا الله ﷻ بالمعدوم، فهم في الحقيقة فروا إلى أسوأ مما كانوا يتصورون أن يقعوا فيه لو أثبتوا الصفات.

## العقيدة خاص [٢]

ويصور شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - موقف الجهمية في أسماء الله وصفاته فيقول: "كان جهم ينكر أسماء الله ﷻ فلا يسميه شيئاً ولا حياً ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز. قال: لأنه إذا سمي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهاً هذا في الأسماء".

وقال في موضع آخر عن موقف جهم من الصفات: "جهم لا يثبت شيئاً من الصفات لا الإرادة ولا غيرها، فإذا قال: إن الله يحب الطاعات ويبغض المعاصي، فمعناه عنده: الثواب والعقاب".

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - شيئاً سبق أيضاً الإشارة إليه، وهو عمن حفظت هذه الكلمة؟ ومن أول من قالها؟ ومن أخذها جهم المعطل؟ فيقول: أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة - أعني: أن الله ﷻ ليس على العرش حقيقة، وأن معنى "استوى" بمعنى استولى... ونحو ذلك - هو الجعهد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان؛ ولذلك نسبت مقالة الجهمية إليه، وقد سبق أن ذكرت لكم السلسلة الفاسدة أو الباطلة التي ترجع ويرجع أصحابها بها إلى نفي الصفات، وهي ترجع في الحقيقة إلى لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ.

## الفرقة الثانية: المعتزلة:

وهذه الفرقة أثبتت لله ﷻ أسماء الحسنی، ونفت ما دلت عليه هذه الأسماء من صفات، وهؤلاء هم أتباع واصل بن عطاء الغزال، الذي اعتزل مجلس إمام أهل السنة في عصره الحسن البصري، واعتزل باعتزاله هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد ذكرت سابقاً أن عمرو بن عبيد التفّ وسار في ركاب هذا الرجل، والذي يهمني هنا أن أذكر موقف هؤلاء المعتزلة من الصفات:



عرفت أن الأصل الأول - من أصولهم الخمسة - عند المعتزلة هو التوحيد؛ فالمعتزلة قالوا بكلمة التوحيد أو بأصل التوحيد، وعنوا به أو فهموا منه أن معنى التوحيد هو: وحدة الذات؛ ألا يكون لها صفات قديمة زائدة عليها، وعللوا ذلك بأن أخصَّ صفات الألوهية هو القدم؛ وبالتالي قالوا: لو كانت للذات صفات قديمة معها للزم أن تكون آلهة فيتعدد الإله، ومصاب المعتزلة في هذا: أنهم بالغوا في تقديس العقل، حتى اعتبروه المصدر الأول للاعتقاد، وليس النقل، وهم لا يترددون في تأويل ما يرونه من النصوص متعارضاً مع حكم العقل؛ لأن حكم العقل قطعيٌّ في زعمهم، وأما النصوص فدلالته ظنية.

وأنا لا أود أن أسترسل وأبين جرأة هؤلاء الناس في مسألة رد النصوص، كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي - رحمه الله - عن بعضهم كعمرو بن عبيد الذي رد حديث الصادق المصدوق عبد الله بن مسعود < وكذَّبه ولم يقبله، ونقل عنه الخطيب البغدادي - رحمه الله - كلمات فيها جرأة عجيبة من هذا الرجل، وهو يُعد من أئمة المعتزلة الذين انضموا إلى واصل.

فهم بالغوا في تقديس العقل واعتقدوا أن النصوص ظنية، أما العقل فهو قطعي؛ وبالتالي ردوا ما ثبت عن الله وعن رسول الله ﷺ؛ ولذلك يذكر الإمام الطحاوي - رحمه الله - وشارحه - أي: شارح (العقيدة الطحاوية) -: أن المعتزلة بأصولهم الخمسة هدموا كثيراً من أصول الدين، فقد زعموا أن من قال بأن الله علم وقدر؛ فقد زعم أن الله ﷻ جسم مركب، وهو بذلك مشبه. لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز، وكل متحيز مركب أو جوهر فرد، ومن قال بذلك فهو مشبه؛ لأن الأجسام متماثلة.

كما أنهم قالوا بأن الله ﷻ عليم بذاته، بصير بذاته، سميع بذاته، لا بعلم وسمع وبصر... وهكذا بقية الصفات، فقد أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات التي تدل عليها وتشتق منها، ولكنهم أثبتوا لازمها مع نفيهم إياها، فهم أثبتوا الأسماء ونفوا

## العقيدة خاص [٢]

الصفات التي تدل عليها هذه الأسماء واشتقت هذه الأسماء منها، وأثبتوا لازمها مع نفيهم إياها، وهذا تناقض. والذي دعاهم إلى ذلك - كما سبق أن أشرت - : أنهم زعموا أن إثبات هذه الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء، وهذا ينافي التوحيد. وقالوا: هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز وكل متحيز فجسم، وهكذا - إلى ما سبق أن أشرت إليه.

وقد يقول البعض: لماذا تتحدثون اليوم عن المعتزلة والجهمية؟ فبعض الناس يظن أن المعتزلة قد انقرضوا وبادوا، وهذا خطأ عظيم؛ لأن المعتزلة قد حملت آراؤهم ومعتقداتهم، وحملها كثير من الذين جاءوا من بعدهم، يذكر الإمام جمال الدين القاسمي - رحمه الله - ذلك فيقول: "شيعا العراق على الإطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية، والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية في اليمن؛ فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول".

كما قال ذلك العلامة المقبل - رحمه الله - في كتابه (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ) وهذا أمر ملموس ومشاهد: فالزيدية إلى يومنا هذا نجدهم يعتقدون معتقد المعتزلة في الصفات وغيرها، بل إن الزيدية في اليمن احتضنوا كتب المعتزلة وأصبحت هذه الكتب متوفرة لديهم، إذاً المذهب باقٍ وموجود، وله أشياع ومؤيدون ومناصرين، فنحن حينما نتكلم عن الجهمية مثلاً أو عن المعتزلة إنما نحذر من أن ينساق وراءهم أحد من الناس بعد أن انساق ورائهم كثير أو بعض الناس.

## الفرقة الثالثة: الأشاعرة:

هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري - رحمه الله - كانت له أطوار متعددة ومختلفة، ويطول الكلام في الحديث عن ذلك، ولعله يأتي له ذكر فيما بعد - إن شاء الله تعالى - ولكنني أركز على أن هؤلاء الأشاعرة أثبتوا فقط

بعض الصفات ونفوا بعض الصفات الأخرى ، فهم أثبتوا سبع صفات لله ﷻ فقط ، أطلقوا عليها صفات المعاني ، وقالوا بأن النقل والعقل دل على ثبوت هذه الصفات لله ﷻ ونفوا بعد ذلك صفات الأفعال أو الصفات الاختيارية القائمة والمتعلقة بذات الله ﷻ والتي تحدث في وقت دون وقت ، ومن هنا أدرجوا ضمن فرق النفاة لإثباتهم بعض الصفات ونفيهم البعض الآخر ، وما سبق أن قلته من قواعد في تأصيل مذهب السلف ؛ لأن هذا المذهب منتشر جداً ومشهور في العالم الإسلامي ، ولكن هم إذا أثبتوا سبع صفات كالعلم والسمع والبصر ، وقالوا بأن هذه الصفات ثابتة لله ﷻ ولا يشبه ربنا ﷻ فيها أحدٌ من المخلوقات رغم أنها تطلق على المخلوق ، فنقول لهم : قولوا في بقية الصفات ما قلته في السمع والبصر ؛ لأن الصفات من باب واحد.

الشاهد : أنهم أصبحوا من فرق النفاة ؛ لنفيهم بعض الصفات الثابتة لرب العزة والجلال ﷻ.

### من فرق المشبهة : الرافضة في أول أمرهم ، وفرقة الكرامية :

من باب الفائدة أشير هنا إلى فرق المشبهة - وقد سبق الحديث عنهم - فأقول : إن المشبهة مخالفون لمذهب السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - وهؤلاء - كما هو معلوم وكما سبق القول عنهم - طوائف من الروافض في بداية أمر الرافضة ، فالرافضة في بداية أمرهم كانوا مشبهة ، ثم بعد ذلك وقعوا في التجهم والاعتزال ، وهذا يدل ويشير إلى أن هذا المذهب الذي هم عليه في أساسه كله باطل ، وليس لهم معتقد صحيح يسلكونه ويسيروا فيه. الشاهد : أن الرافضة في أول أمرهم كانوا مشبهة.

وكذلك قال بالتشبيه والتجسيم في الإسلام فرقة الكرامية ، المنتسبين إلى محمد بن كرام السجستاني ، هذا الرجل أيضاً كان يقول بالتشبيه والتمثيل ، وأن ذات الله ﷻ المقدسة كذوات المخلوقين في كل خصائصها أو بعضها -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

### شبه المخالفين لأهل السنة، والرد عليها

هذه الشبهات هي المحك الخطير الذي دعا إلى نفي الصفات عن الله ﷻ ونحن إذ نذكر هذه الشبهة سنتناول الرد عليها أيضاً بالتفصيل - إن شاء الله تعالى :

#### ١ . شبهة تعدد القدماء :

نشير - بادئ ذي بدء - هؤلاء الناس لا يلتزمون بالشرع في شبهاتهم ، بل هي شبهات عقلية قامت في أذهانهم ؛ نتيجة انصرافهم عن النصوص وبعدهم عنها وعدم التسليم لله ﷻ فيها ، وهذه الشبهات لا تقوم على أساس واضح .  
فالمعتزلة قالوا : بأن القدم أخص وصف الإله ، وهو الكاشف عن حقيقته ، وهو ﷻ إنما يخالف مخالفه بكونه قديماً ، فبه يعرف تميزه عن غيره ، وهذه الصفات - تأمل ماذا يقولون ، وكيف يستدرجون لإثبات باطلهم - إما أن تكون محدثة أو قديمة ، فإذا كانت محدثة فلا يصح أن يوصف الله ﷻ بها ؛ لأن ذات الله ليست محلًا للحوادث ، وإن كانت قديمة فيجب أن تكون مثلاً لله ﷻ لإثبات معنى الألوهية ، وهو القدم للصفات ، وهذا يوجب إذا كان الباري ﷻ عالماً قادراً لذاته ﷻ أن تكون هذه المعاني أيضاً عالمة قادرة ، فتصبح هذه الصفات ذوات مستقلة ، وهذا هو تعدد القدماء ، وهو من الشرك المنافي للتوحيد .

هذه هي فلسفة كلام المعتزلة في هذه الشبهة ، وهي مسألة تعدد القدماء ، قالوا بأن الصفات إما أن تكون محدثة وهذا لا يجوز ؛ لأن الله ليس محلاً للحوادث ، وإما أن تكون قديمة فتشارك رب العزة والجلال في القدم ؛ وبالتالي سيتعدد القدماء ونقول بآلهة مختلفة متعددة.

ويرى المعتزلة أن مذهب النصارى أخف من مذهب المثبتين للصفات - وهذا من العجب - لأن النصارى يثبتون - كما زعموا وذهبوا - ثلاثة أقانيم ، والمثبتون للصفات يثبتون سبعة قدماء أو أكثر بحسب حال المثبت. يعني هم إذا يقولون عن الأشاعرة أنهم أثبتوا سبعة قدماء بإثباتهم لسبعة صفات ، أما أهل السنة والجماعة الذين يثبتون جميع الصفات الذاتية والفعلية فهؤلاء إذا يثبتون صفات مختلفة متعددة ، وفي ذلك يقول أبو الحسين الخياط - وهو أحد مناظري وإمام من أئمة المعتزلة - يفلسف هذه المسألة :

إن الله ﷻ لو كان عالماً بعلم ، فإما أن يكون ذلك العلم قديماً أو يكون محدثاً ، ولا يمكن أن يكون قديماً ؛ لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين ، وهو تعدد ، وهو قول فاسد.

هذا كلام لأحد أئمتهم يبين مدى تمكن هذه الشبهة منهم ، وقد نسب الشهرستاني - رحمه الله - هذه الشبهة لواصل بن عطاء ؛ فقد حكا عنه أنه قال : ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين. إذاً المعتزلة هم رواد القول بشبهة تعدد القدماء.

### أ.متى نشأت هذه الشبهة؟ وكيف جاءت إلى المعتزلة؟

نشأت عند المعتزلة من خلال ردودهم على النصارى ، فإن النصارى قالوا : إن كلمة "الله" التي بها خلق كل شيء تجسدت بإنسان ، فكان من ردود أهل الإسلام عليهم لبيان باطلهم أن بينوا تهافت كلامهم إن كلمة "الله" خلق بها كل شيء ؛

## العقيدة خاص [٢]

لأن الخالق هو الله، قالوا لهم الخالق هو الله، والله عز وجل خلق الأشياء بقوله: "كُن"، و"كُنْ" من كلام الله - سبحانه، وكلام الله الذي خلقت به الأشياء صفة من صفات الله عز وجل وليس هو ذات الخالق عز وجل بل بكلام الله خلقت الأشياء، فبينوا بذلك ضلال هؤلاء الذين جعلوا بأن كلمة الله هي الله، والكلمة مجرد صفة، والصفة ليست خالقة وإن كانت مع الموصوف، فهذا هو الخالق وهذا هو الحق ليس هو المخلوق به، والفارق بين الخالق للسموات والأرض والكلمة التي خلقت السماوات والأرض أو بها خلقت السوات والأرض أمرٌ ظاهرٌ معروفٌ، كالفرق بين القدرة والقادر؛ فالقدرة صفة من صفات الله عز وجل والقادر هو الله عز وجل الذات المقدسة التي اتصفت بصفة القدرة، والله بأسمائه وصفاته إله واحد، فالنصارى جعلوا الصفة غير الموصوف وجعلوها خالقة، بل جعلوها حلت في أحد المخلوقات.

وكان من آثار مناقشة المعتزلة للنصارى أن تطرقوا لهذا الموضوع كثيراً؛ فنشأت عندهم شبهة: تعدد القدماء، وأن إثبات صفة لله يلزم منه أن تكون قديمة، وإذا كانت غير الموصوف لزم تعدد القدماء، فظنوا أن تحقيق التوحيد والخروج من شرك النصارى لا يتم إلا بنفي جميع الصفات عن الله عز وجل.

فهذه الشبهة أتهم من ضلال النصارى الذين فرقوا أيضاً بين الخالق عز وجل وصفاته، وقالوا: بأن صفات الله عز وجل تحمل أو حلت في عيسى بن مريم # الذي خلق بكلمة الله عز وجل ونحن نقول بأن الله بأسمائه وصفاته إله واحد، وأن الصفات وإن قلنا بأن لها معنى صحيحاً، يعني زائداً على الذات، بمعنى أن كل صفة لها معنى غير الصفة الأخرى، إلا أننا نقول بأن هذه الصفات كلها تقوم بموصوف واحد، وتقوم بذات واحدة، وهي: ذات رب العزة والجلال عز وجل.

ب. مناقشة شبهة تعدد القدماء عند المعتزلة ، والرد عليها :

**أولاً:** دلت النصوص على أن الله ﷻ موصوف بالصفات العلية ، وذلك يناقض نفي المعتزلة للصفات ، فالقرآن والسنة النبوية المطهرة وصفت رب العزة والجلال بصفات كثيرة كلها كمال ، وقال الله ﷻ عن نفسه مع ذلك : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال ﷻ : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ [هود: ١٤].

وهذا إثبات لصفات الله ﷻ ؛ قال ﷻ : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء: ١٦٦] ، وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]. فقد أثبت ﷻ لنفسه القوة والقدرة ، والقوة قدرة لا شك ، وذلك باتفاق المفسرين ، وقال ﷻ : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فاطر: ١١]. وقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]. وقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وأثبت لنفسه صفات الأفعال أيضاً فقال : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]. وقال : ﴿ وَيَقْنَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، والتي ذكرت كثيراً من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، وكلها أدلة صريحة في إثبات الصفات لله تعالى ، ولا يصح بعد ذلك أن تعارض هذه الأدلة بهذه الشبهات التي قامت بأذهان المعتزلة أو غيرهم ، ومعارضة الأدلة الصريحة بالشبه هو سبيل أهل الزيغ والفتنة.

**ثانياً:** دلت الأدلة العقلية على طائفة من الصفات ، ويمكن أن أمثل لذلك بصفة العلم والإرادة ، وتقرير الدليل كما يلي :

أن الله ﷻ لا يكون عالماً بنفسه إن لم يكن عالماً بلوازمها ، وقدرته وإرادته من لوازمها ، ومراده من لوازم الإرادة ، فالمفعولات لازمة للإرادة اللازمة لذاته ،

ولازم اللازم لازم، ومجرد النظر إلى كونه مستلزماً لمفعول يوجب العلم مع قطع النظر عن توسط الإرادة، لكن هي لا شك ثابتة في نفس الأمر وإن لم يستحضر المستدل ثبوتها، وهذا الدليل مأخوذ من معنى قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

ويمكن أن تمثل بمثال آخر، وهو في صفة السمع والبصر، فإن المخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق ﷻ وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع، ولأنه حي، والحي إذا لم يتصف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك، وهو العمى والصمم، وذاك ممتنع. وقد سبق أن قررت في دليل عقلي: أن كل كمال في المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه؛ فالله خالقه وواهبه له، وواهب الكمال أولى بالكمال منه.

ويمكن أن نستدل أيضاً بأدلة عقلية متعددة لإثبات ذلك فنقول: بأن الله ﷻ ونخبر عنه بأنه موجود وخلق هذه الكائنات، هذا الخلق بهذا التخصيص والتفاوت الموجود في أنحائه إلى جانب التنظيم الدقيق الموجود فيه يدل على أن من يقوم به حي، ولا بد أن يكون عالماً، وقادراً، ومتصفاً بالإرادة؛ لأن في تفاوت في المخلوقات: هذا أبيض وهذا أسود، وهذا طويل وهذا قصير، وهذا بحر وهذا نهر، ... وما إلى ذلك؛ فذا التفاوت يدل على الإرادة، وهكذا يمكن أن نستدل أيضاً بدلالة العقل على إثبات الصفات لرب العزة والجلال ﷻ.

**ثالثاً:** أن أسماء الله ﷻ بلا ريب من قبيل الألفاظ المشتقة عن المعاني، فإذا أطلقت هذه الأسماء على الذات فإنه يراد بها إثبات ما هو مأخذ الاشتقاق من المعاني لا إثبات الذات فحسب، ومقتضى كون الأسماء الثابتة لله تعالى حسنى: أن تدل على معانٍ في غاية الحسن والكمال، وإذا جعل ما هو من صفات المدح



والكمال لقباً وعلماً أجوفاً بدون معنى وأطلق على ذات ما ؛ فإنه نوع من الهزء والسخرية ، فالأعمى يسمى بصيراً ، والزنجي يسمى أبيض ، ومن جعل إطلاق الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الأسماء الحسنى والصفات العلى على الخالق على طريق الهزء والسخرية فهو غير عارف بالله ﷻ وغير معظم لله ﷻ .

وقد بينت أن أسماء الله ﷻ ليست أعلاماً محضة ، وإنما هي أسماء تحمل دلالات وتحمل معاني ، ومقتضى كون الأسماء حسنى تدل على معاني في غاية من الحسن والكمال ، وحينما نقول بأن هناك أسماء لا تدل على معاني وأنها من قبيل الترادف - كما ذكرت المعتزلة - وأن الأسماء ليست مشتقة من الصفات ؛ فهذا - في الحقيقة - من الكلام الباطن ، بل هو من السخرية ؛ لأن الذي لا يتصف بصفة لا يمكن بحال من الأحوال أن اشتق له منها اسماً ، فالله ﷻ إذا لم يكن يتصف بالسمع لا يمكن أن أسمى الله ﷻ بالسميع ، وحاشا لله ﷻ أن تكون أسماؤه لا تدل على معانٍ ثابتة وصفات هي في غاية المدح والكمال لرب العزة والجلال ﷻ .

**رابعاً:** الأشاعرة وإن نفوا بعض الصفات وأثبتوا بعضها إلا أن لهم ردوداً على منكري الصفات في الجملة ، قالت الأشاعرة للمعتزلة :

لو كان مفهوم كونه عالماً حياً قادراً نفس ذاته لم يفد حملها على ذاتها معنى مفيداً ، وكان قولنا على طريق الإخبار: الله الواجب ، أو العالم ، أو القادر ، أو الحي... إلى سائر الصفات ؛ بمثابة حمل الشيء على نفسه ، واللازم باطل فالملزوم أيضاً باطل مثله ؛ لأن حمل هذه الصفات يفيد فائدة صحيحة ، بخلاف قولنا: ذاته ذو ذاته .

وهذا - في الحقيقة - رد صحيح ؛ لأن المعتزلة يقولون بأن الله ﷻ بأنه عليم ، بمعنى: كونه عالم ، وحي ؛ بمعنى: كونه حي ، ولا يثبتون الصفات على وجه

## العقيدة خاص [٢]

الحقيقة ويرجعونها إلى الذات ، فكأنهم قالوا في الصفات : ذاته هي ذاته ؛ لأنهم ما أثبتوا صفات لها معنى ويفهم منها دلالات ، وأن هذه الصفات تختلف فيما بينها صفة السمع عن صفة البصر عن صفة اليد عن صفة الوجه ، وهكذا...

وفي ذلك يقول الرازي -رحمه الله- : لو كان العلم نفس القدرة ؛ لكان كل ما كان معلوم كان مقدوراً ، وهو باطل ؛ لأن الواجب والممتنع معلومان وغير مقدورين ، الواجب والممتنع نعرفهم ونعملهم ، نعلم بأن هذا واجب ، والممتنع نعرف بأنه ممتنع ، ومع هذا قد لا يقدر عليه الإنسان مثلاً. وهذا أيضاً دليل عقلي نرد به على هؤلاء الناس.

**خامساً:** إن تصور ذات مجردة عن الصفات لا وجود له في الخارج ، يعني : أن يتصور الإنسان ذات منفصلة مجردة لا تتصف بصفات ، هذا في الحقيقة لا وجود له في الخارج ، وهو إنما يمكن وجوده في الذهن ، يعني قد يتصوره الإنسان في الذهن أو العقل لا في الخارج ، كتقدير وجود لا يتعين في الخارج ، والمعتزلة عندما نفت الصفات تصورت ذات مجردة عن الصفات.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مبطلاً ما ذهبوا إليه من تصور ذات مجردة عن الصفات : ولفظ "ذات" تأنيث "ذو" ، وذلك لا يستعمل إلا فيما كان مضافاً إلى غيره ، فهم يقولون : فلان ذو علم وقدرة ، ونفس ذات علم وقدرة ، يعني : كلمة "ذات" تستعمل فيما تضاف إلى غيره ويضاف إليها غيرها ، فيقال : ذات فلان -مثلاً- أو ذات علم ، أو ذات قدرة ، ... أو ما إلى ذلك ، وحيث جاء في القرآن الكريم أو لغة العرب ، ولفظ "ذات" لم يجرى إلى مقروناً بالإضافة كقوله ﷻ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢١] ، ولكن لما صار النظار المتكلمون في هذا الباب يتكلمون قالوا : إنها ذات علم وقدرة ، ثم قطعوا هذا اللفظ من الإضافة وعرفوه فقالوا : الذات ، ولم يضيفوا إليها الصفات

القائمة بها. ولذلك فصل الخطاب في هذه المسألة أن نقول: أن كلمة "ذات" - مثلاً - وبعض الكلمات الأخرى ليست من العربية العرباء، بل هي من الأسماء أو الألفاظ المولدة، كلفظ الموجود، ولفظ الماهية والكيفية... ونحو ذلك، فهذا اللفظ يقتضي وجود صفات تضاف إليها فيقال: ذات علم، ذات قدرة، ذات كلام، ويكون المعنى كذلك واضحاً؛ لأنه لا يمكن وجود شيء قائم بنفسه في الخارج لا يتصف بصفة ثبوتية أصلاً، بل فرض هذا في الخارج كفرض عرض يقوم بنفسه لا بغيره، والعرض وهو الذي لا بد أن يقوم بغيره لا يمكن أن يوجد في الخارج أبداً إلا إذا قام بغيره، فكذلك إطلاق كلمة "الذات" لا بد من وجود صفات تضاف إلى هذه الذات، فإطلاق لفظ "الذات" على ذات مجردة عن الصفات غير موجود في الخارج أصلاً، وبالتالي أيضاً تبطل شبهة المعتزلة فيما ذهبوا إليه من ذلك.

**سادساً:** أن الله ﷻ معلوم ومقدور، وكل من له معلوم ومقدور فله علم وله قدرة؛ إذ لا يعقل من العالم والقادر إلا ذلك، فمن نفى العلم والقدرة فقد نفى المعلوم والمقدور؛ لأنه لا معنى للمعلوم والمقدور إلا ما تعلق به العلم والقدرة، فلزم المعتزلة إذاً نفى المعلوم والمقدور، وهذا لا يجوز بحال، أو إثبات العلم والقدرة، وإلا حصل التناقض الذي هم فيه بإثبات الأول - أعني: المعلوم المقدر - ونفي الثاني - أعني: الصفات كالعالم والقدرة -.

**سابعاً:** أن الله وصف بعض خلقه بأنه واحد، ومع هذا فله صفات تقوم به كالسمع والبصر والكلام... وغير ذلك، ومع ثبوت هذه الصفات أطلق الله عليه أنه واحد؛ لأن الصفات لا تستلزم تعدد الذات، وهذا في المخلوق، فإذا كان هذا في المخلوق فما بالناس بالخالق؛ فيكون ذلك من باب أولى، يعني أن الله ﷻ قال في وصف الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] فأطلق عليه "وحيد" ومع هذا فهو يسمع ويبصر ويتكلم... وما إلى ذلك، وكونه وحيداً لا

## العقيدة خاص [٢]

يتعارض مع قيام صفات تقوم وتتعلق بهذا الوحيد، وهذا مخلوق، فكذلك رب العزة والجلال ﷻ إله واحد، وتقوم بذاته المقدسة سائر صفات الجلال والكمال التي وصف بها نفسه ﷻ ولا يعني ذلك تعدد القدماء أو ما إلى ذلك مما ذكره المعتزلة في شبهاتهم هذه.

**ثامناً:** ما قاله المعتزلة من أن الصفات غير الذات، كلام فيه إجمال، وقد سبق أن أشرت إليه، وأذكر به هنا فأقول: إن قالوا: هل الصفات هي الذات أو غير الذات؟ نقول لهم: إن أريد بالذات المجردة التي يقرّ بها نفاة الصفات فالصفات زائدة عليها، يعني: إن أرادوا أن هناك ذات مجردة منفصلة عن الصفات ولا تقوم بها صفات ونفوا صفات الله ﷻ فالصفات زائدة على الذات وهي غير الذات، وإن أريد بالذات الذات الموجودة في الخارج فتلك لا تكون موجودة إلا بصفاتها اللازمة، والصفات ليست في هذا الأمر زائدة على الذات ولا غير الذات بهذا المعنى، وسلف هذه الأمة كانوا يقولون بهذا التفصيل؛ بسبب أن هذه العبارات لم يرد نفيها ولا إثباتها في الشرع، والعبرة في ذلك بالمعنى الذي تدل عليه.

## ٢. شبهة التركيب:

عرفنا أن المعتزلة نفوا صفات الله ﷻ بحجة أنه يلزم بإثباتها القول بتعدد القدماء، وهنا نفوا الصفات أيضاً ولكن لشبهة أخرى وهي: شبهة التركيب. ووافق الأشاعرة والماتريدية المعتزلة في هذه الشبهة، وذهب الجميع إلى أن إثبات الصفات يستلزم منه أن يكون الإله مركباً من أبعاد وأجزاء، وللأسف الشديد أخذ علماء الكلام هذه الشبهة من الفلاسفة، وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه القيم (بيان تسلييس الجهمية) وذلك في "الجزء الأول، الصفحة ٦٠٥" أشار إلى أن هذه الشبهة -شبهة التركيب- فلسفة اعتزالية.

#### أ. ما السبب الدافع لنفي الصفات بهذه الشبهة؟

السبب، هو: اعتقاد مَنْ نفي أن إثبات الصفات يستلزم التركيب، والتركيب ينافي التوحيد، ذلك أنهم قالوا بأن التوحيد ثلاثة أنواع: فالله وَعَلَيْكُمْ واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، ويريدون بقولهم: واحد في ذاته لا قسيم له؛ أنه غير مركب من الأجزاء والأبعاد.

ومع أن هذه الشبهة للأسف الشديد يشترك بالقول بها المعتزلة والأشاعرة إلا أن المعتزلة في تطبيقها خالفوا الأشاعرة والماتريدية، فهذه الشبهة نفت المعتزلة جميع الصفات الثبوتية القديمة الثابتة لرب العزة والجلال؛ لأنه يلزم في زعمهم من إثباتها التركيب، وقالوا: إما أن يقوم وجوده بتلك الصفة المعينة بحيث يلزم من تقدير عدمها عدم أو لا، فإن يقيم فقد تعلق وجوده بها وصار مركباً من أجزاء لا يصح وجودها إلا بمجموعها، والمركب معلول يفتقر إلى أجزاء وإن كان لا يقوم وجوده بها ولا يلزم من تقدير عدمها، فهي عرضية، والعرض معلول، والمعروف أن العرض هو الذي يقوم بغيره، كاللون يحتاج مثلاً في وجوده إلى جسم. وقالوا: كلا الأمرين على الله محال، فلم يبق إلا أن تكون صفات الباري وَعَلَيْكُمْ غير زائدة على ذاته، وهو المطلوب.

#### ب. رأي القاضي عبد الجبار:

وقد أورد القاضي عبد الجبار فصلاً في أنه وَعَلَيْكُمْ لا يجوز أن يكون جسمًا. وطبعاً هم بنوا هذه الشبهة - شبهة التركيب - على نفي الجسمية عن الله وَعَلَيْكُمْ وسيأتي في الرد عليهم أن من أثبت الصفات لا يقول بذلك في جانب رب العزة والجلال وَعَلَيْكُمْ لأنهم يلتزمون بالنص الوارد في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، والمعطلة في الحقيقة هم الذين أدخلوا هذه الكلمات وفسدوا اعتقاد المسلمين بهذه التصورات. قال القاضي عبد الجبار - وهو من أئمة المعتزلة -: اعلم أن الجسم هو

## العقيدة خاص [٢]

ما يكون طويلاً عريضاً عميقاً، ولا يحصل فيه الطول والعرض والعمق إلا إذا تركز من ثمانية أجزاء. وتسمى ثمانية الأجزاء المركبة على هذا الوجه جسماً، والله تعالى لو كان جسماً لكان محدثاً، وقد ثبت قدمه؛ لأن الأجسام كلها يستحيل انفكاكها من الحوادث التي هي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون، وما لم ينفك من المحدث يجب حدوثه لا محالة.

والمعتزلة نفت الصفات الثبوتية القديمة كلها بناء على هذا التصور الذي ذكره القاضي عبد الجبار؛ لأنه يلزم منه على زعمهم التركيب والجسمية، ومثل ذلك قالوا في صفة: العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والوجه، واليد،... وغير ذلك من الصفات.

## ج. اضطراب الأشاعرة في هذه المسألة:

قررنا أن الأشاعرة والماتريدية وافقوا المعتزلة في القول بهذه الشبهة، إلا أنهم أثبتوا بعض الصفات ونفوا الصفات الخبرية الثبوتية وصفات الأفعال بسبب أيضاً شبهة التركيب، ولكن الأشاعرة اضطربوا في الحقيقة في هذا الباب اضطراباً كبيراً؛ فالمعتزلة عندما استدلووا بشبهة التركيب على نفي الصفات جاء نفيتهم عاماً لكل الصفات، فنفوا العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والوجه، والعينين، والاستواء... وغير ذلك، أما الأشاعرة فقد أثبتوا لله ﷻ صفات المعاني، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة، ونفوا الصفات الذاتية الخبرية الأخرى ك: اليد، والوجه، والقدم، والعين؛ استناداً إلى هذه الشبهة. فالأشاعرة والماتريدية لم ينفوا بهذه الشبهة جميع الصفات كما فعلت المعتزلة، بل نفوا الصفات الذاتية الخبرية، وأولوا جميع النصوص التي تدل على هذه الصفات واعتبروها أجزاءً وأبعاضاً، فتكون حينئذٍ تركيباً، والتركيب يتنزه الله ﷻ عنه، أما صفات المعاني فقد أثبتوها.

والبغدادي - رحمه الله - أوّل صفة اليدين لله تعالى بالقدرة وكذلك بقية الصفات الذاتية الخبرية ، واستدل على نفي هذه الصفات بالتوحيد ، وأن الله ﷻ ليس بذئ أجزاء وأبعض مع نسبته الإثبات للمشبهة ، يعني : أنه ذكر أن المشبهة - ويعني بهم السلف على زعمه - هم الذين أثبتوا هذه الصفات لرب العزة والجلال ﷻ .

### د. الرد على شبهة الأشاعرة والماتريدية :

كلام الأشاعرة والماتريدية في الحقيقة كلام باطل ؛ لأن التفرقة بين الصفات التي فعلوها لا يقوم عليها دليل ، اللهم إلا العقل الذي استندوا إليه ، وقد بينا - فيما مضى - أن الصفات كلها من باب واحد ، فالقول في الصفات كالقول في الذات ، والقول في بضع الصفات كالقول في البعض الآخر ، فإذا كانت صفة السمع مثلاً والبصر والكلام والإرادة... وغير ذلك من صفات المعاني يتصف رب العزة والجلال بها على ما يليق بجلاله وكماله ، ولا يستلزم ذلك التركيب ، ولا تعدد القدماء... ولا غير ذلك ؛ فكذلك بقية الصفات التي أثبتها رب العزة والجلال ﷻ لنفسه ؛ لأن التفريق بين التماثلات والمتجانسان أمر لا يجوز في العقل بحال من الأحوال .

### هـ. أدلة المتكلمين على شبهة امتناع التركيب :

سأذكر هنا أدلتهم على امتناع التركيب ، ثم أتناول هذه الأدلة بالرد والمناقشة :

### أولاً: الأدلة على امتناع التركيب :

استدل أهل الكلام على نفي التركيب بأن القول بالتركيب فيه إبطال لدليل حدوث الأجسام ؛ حيث إن القول بجواز التركيب على الله تعالى يستلزم إثبات

## العقيدة خاص [٢]

الجسمية في حقه تعالى ، والقول بأن الله تعالى جسم يؤدي إلى إبطال دليل الحدوث. يعني لأن الله قدير فلو قلنا بأنه جسم - يعني حادث - فدليل الحدوث الذي بناه المتكلمون على أن هذه الأشياء حادثة بأنها مركبة وأنها جسم وما إلى ذلك يبطل عند هؤلاء الناس.

وقد أوضح الجويني - رحمه الله - أدلة المتكلمين: إن سميتم الباري ﷻ جسمًا وأثبتتم له حقائق الأجسام فقد تعرضتم لأمرين: إما نقض دلالة حدث الجواهر، - وهو ما استدلووا به على حدوث العالم - فإن مبناها على قبولها للتأليف والمباينة والمماسية، وإما أن تطردوها وتقضوا بقيام دلالة الحدث في وجود الصانع، وكلاهما خروج من الدين وانسلاال من ربيعة المسلمين. هكذا ذكر الجويني في هذا الدليل على قيام هذه الشبهة عندهم.

وقد استدل الرازي أيضًا على نفي التركيب بأنه يوجب الافتقار والحاجة إلى كل واحد من أجزائه والمحتاج ممكن.

ونجد ذلك أيضًا في كلام التفتازاني إذ يقول: واستدل على نفي التركيب بأن كل مركب محتاج إلى الجزء الذي هو غيره، وكل محتاج إلى الغير ممكن؛ لأن ذاته من دون ملاحظة الغير لا يكون كافيًا في وجوده وإن لم يكن ذلك الغير فاعلًا له خارج عنه.

واستدلوا أيضًا على نفي التركيب بزعمهم كما زعموا بآيات من القرآن الكريم، والقرآن الكريم لم يتعرض فيه رب العزة والجلال لمثل ذلك بحال، ولكنهم ذكروا في النصوص ما يتوافق مع ما ذهبوا إليه؛ فاستدل الرازي مثلًا على نفي التركيب بقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. حيث قد فسر الأحد بأنه الذي لا تركيب فيه، وكذلك بقوله ﷻ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].



وفسر الصمد بأنه الذي لا يقبل الانقسام. ثم قال - في وجه الدلالة عمومًا - مستدلًا بقوله الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٢٣٨]: دلت هذه الآية على كون الله ﷻ غنيًا، ولو كان جسمًا لما كان غنيًا؛ لأن كل جسم مركب، وكل مركب محتاج إلى كل واحد من أجزائه.

هذه هي أدلة المتكلمين على امتناع التركيب، وكما ترون هذه الأدلة جاءت من عقول المتكلمين والشبهات التي قامت في عقولهم وفي أذهانهم، وما كان ينبغي أن يتكلم أحد عن ذات رب العز والجلال ﷻ بمثل هذه الاصطلاحات التي لم تكن معلومة ولا معروفة عند السلف، ولعلي أشير إلى ذلك فيما بعد - إن شاء الله تعالى -.

**ثانيًا: مناقشة أدلة المعتزلة والأشاعرة على شبهة امتناع التركيب، والرد عليها:**

**الرد الأول:** قول المتكلمين - ونعني بهم هنا المعتزلة خصوصًا - يستلزم نفي الصفات، لوجود ذات بدون صفات، وهذا القول باطل؛ لأنه من الأمور الممتنعة، فإن صفات الله ﷻ من لوازم ذاته، ولا يمكن أن تنفك عنه بأي وجه من الوجوه، ولا يمكن تصور ذات بدون صفات في الخارج؛ وعليه فإنه لا يصح أن يقال عن الصفات: أنها أبعاض للذات وأجزاء له، وإنما هي ذات تستلزم لوازمها من الكمالات فلا تسمى: تركيبًا؛ إذ لا يمكن أن تكون الذات موجودة في الخارج بغير هذه الصفات، وقيام الصفات بالذات في هذه الحالة لا يقال عنه بأنه تركيب أبدًا.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : لا نسلم أنه هناك تركيب من أجزاء بحال، وإنما هي ذات قائمة بنفسها مستلزمة للوالمها التي لا يصح

## العقيدة خاص [٢]

وجودها إلا بها، وليست صفة الموصوف أجزاء له، ولا أبعاضاً يتميز بعضها عن بعض أو تتميز عنه حتى يصح أن يقال: هي مركبة منه، أو ليست مركبة؛ فثبوت التركيب ونفيه فرع تصوره، وتصوره هنا منتفي.

يعني إثبات الصفات لا يتصور منه أن تكون هذه الصفات القائمة بالذات أجزاء وأبعاض حتى نرتب على هذه الشبهة نفي ما ثبت لله ﷻ من الصفات، ولو فرض جدلاً وتنزلاً أن هذا النوع يسمى تركيباً فليس هذا التركيب مستلزماً للإمكان ولا الحدوث؛ لأن الله ﷻ وصف به نفسه، ولا يتصور أن يصف الله نفسه بما يتضمن النقص. وفي الحقيقة هذا واضح.

وأيضاً في ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: وذلك أن الذي علم بالعقل والسمع أن يمتنع أن يكون الرب تعالى فقيراً إلى خلقه، بل هو الغني عن العالمين، وقد علم أنه حي قيوم بنفسه، وأن نفسه المقدسة قائمة بنفسه، وموجودة بذاته، وأنه أحد صمد غني بنفسه ليس ثبوته، وغناه مستفاد من غيره، وإنما هو بنفسه لم يزل ولا يزال حقاً صمداً قيوماً، فهل يقال في ذلك بأنه مفتقر إلى نفسه أو محتاج إلى نفسه؛ لأن نفسه لا تقوم إلا بنفسه؟. هذا أيضاً لاشك أنه كلام باطل فتبطل هذه الشبهة التي ذكروها.

**الرد الثاني:** نحتج على هذه الشبهة بالمعارضة فنقول: المعتزلة يثبتون أن الله تعالى عالم قادر، ومن المعلوم بالضرورة أن مفهوم كون الله عالماً غير مفهوم كونه قادراً، فإن كانت ذاته مركبة من هذه المعاني لزم التركيب الذي ادعوه في بقية الصفات، وإن نفوا التركيب عما أثبتوه لزمهم نفيه في بقية الصفات. هذه المعارضة تتوجه إلى المعتزلة.

أيضاً هناك معارضة للأشاعرة والماتريدية؛ لأنهم يثبتون أن الله تعالى له قدرة وعلم وإرادة وسمع وبصر، ومن المعلوم أن مفهوم كل واحدة غير مفهوم

الأخرى ، فإن كان إثبات هذه الصفات لا يستلزم التركيب - كما يزعمون - فإن إثبات بقية الصفات أيضاً لا يستلزم التركيب كذلك. والأشاعرة ينفون التركيب عن صفات المعاني ؛ لأنها من لوازم الذات - كما تقدم - لكنهم لا يعتبرون بقية الصفات الذاتية الحبرية من لوازم الذات ، وجعلوا إثباتها يودي إلى القول بالتركيب ، والتفريق بينهما في الحقيقة ليس عليه دليل أبداً ، بل هو في الحقيقة تحكم مقيت.

**الرد الثالث :** استدل علماء الكلام بأدلة سمعية - سبق أن ذكرتها - كقولهم مثلاً : ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾ [الإخلاص: ٢٢]. أو ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ١١]. أو ﴿ **وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ** ﴾ [محمد: ٣٨] على نفي الصفات عن رب العزة والجلال ﷻ. وهذا باطل من وجهين :

**الوجه الأول :** ليس معنى الواحد في اللغة والشرع أنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ ؛ فإن هذا لم تعرفه العرب من لغتها ، فالأحادية المقصودة في قوله ﷻ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ١١] ليس معناها : الذي لا ينقسم ولا يتجزأ. بل إذا قال القائل مثلاً : دلالة القرآن والسنة على نقيض مطلوبهم أظهر - كان قد قال الحق ؛ لأن ما لا يسمونه جسماً منقسماً ليس هو شيء يعقله الناس. يعني الرب ﷻ الذي ينفون عنه جميع صفات الجلال والكمال - كما هو عند المعتزلة - أو الأسماء والصفات - كما هو عند الجهمية - هذا أمر لا يعقله أحد ولا يتصوره أحد بحال من الأحوال ، وقيام الصفات برب العزة والجلال ﷻ لا يعني نفي الأحادية عن رب العزة والجلال.

ومن أن أراد أن يتوسع في ذلك فعليه أن يرجع إلى كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (درء تعارض العقل والنقل) في الجزء السابع صفحة ١١٤ ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، وقد طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود

## العقيدة خاص [٢]

بالرياض ، لو قرأ فيه القارئ سيجد أيضاً كلاماً جيداً ومفيداً وواقعياً في الرد على هؤلاء القوم ، وإبطال ما ذهبوا إليه من الأدلة السمعية التي استدلو بها على نفي صفات الجلال والكمال للرب ﷻ.

**الوجه الثاني:** نفي الصفات الذي يذكره المتكلمون بسبب التركيب ويفسرون به اسم الله تعالى الواحد ، هو عند أهل السنة والجماعة مستلزم للعدم ، منافي لما وصف الله ﷻ به نفسه في كتابه من : أنه الأحد الصمد ، وأنه العلي العظيم ، وأنه الكبير المتعال ، وأنه استوى على العرش ، وأنه يصعد إليه ، وأنه يرى في الآخرة كما ترى الشمس والقمر ، وأنه يكلم عباده ، وأنه السميع البصير ﷻ.

إذاً نفي الصفات بسبب شبهة التركيب التي ذكرها المتكلمون يستلزم منه أن الله ﷻ عدم ، وهذا ينافي ما ثبت لله ﷻ من صفات جليلة عظيمة ذكرها رب العزة والجلال ﷻ.

**الرد الرابع:** قيام صفات الله تعالى بذاته ليس من التركيب الذي يدركه العقل ، وهو المفهوم من اللغة. يعني : التركيب الذي يكون بأجزاء وأبضاع وما إلى ذلك ؛ لأن هذا التركيب يشمل على النقص ؛ حيث يقتضي أن أحداً قام بهذا التركيب ، وهو منفي عن الله تعالى كما يدل على ذلك اسم الله ﷻ "الصمد" ومعناه ، وقد سبق أن تكلمنا عن الذي لا جوف له ، وهذه الصفة تستلزم امتناع التفرخ عليه وأن يخرج من الله سبحانه ؛ إذ ذلك ينافي الصمدية ، وأدلة التنزيه كلها تدل على ذلك ، وبالتالي لا يرد على السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- ما أوردوه من شبهة التركيب ، وأنه يستلزم الأجزاء والأبضاع ، وما سماه المتكلمون إذاً : تركيباً ، مجرد تأليف ذهني لا وجود له في الخارج ، وهم أرادوا بذلك نفي الصفات الثابتة لرب العزة والجلال ﷻ.

وفي ذلك يرد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أيضاً في كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) في الجزء الرابع صفحة ٢٥٣ يقول: ولا ريب أن أصل كلامهم - أي الأشاعرة - بل وكلام نفاة العلو والصفات مبني على إبطال التركيب وإثبات بسيط كلي مطلق مثل الكليات، وهذا الذي يثبتونه لا يوجد إلا في الأذهان، والذي أبطلوه هو لازم لكل الأعيان الموجودة، فأثبتوا تمتع الوجود في الخارج، وأبطلوا بذلك واجب الوجود في الخارج.

يعني الذي يريد أن يقوله شيخ الإسلام وأود أن أوضحه: أن قولهم بأن إثبات الصفات، يستلزم منه التركيب، أو يؤدي إلى القول بأن الله ﷻ جسم، وأنه ذو أجزاء وأبعاد... وما إلى ذلك. ونفيكم للصفات يستلزم أن الله ﷻ عدم، فأنتم أثبتم الأعيان في الخارج وهي سائر ما خلق الله ﷻ وأثبتتم صفاتها، ثم بعد ذلك خليتم وعطلتم رب العزة والجلال ﷻ عن صفات جلاله وكماله، وهذا ممتنع الوجود. وتصور ذات مجردة عن الصفات لا يكون له وجود في الخارج؛ ولذلك صدق من قال عن المعطلة: نفاة الأسماء والصفات، أو نفاة الصفات؛ لأنهم يعبدون العدم؛ لأن الذي لا يتصف بصفات الجلال والكمال لا يكون إلهاً.

**و. الألفاظ التي أدخلها المتكلمون على الله ﷻ إثباتاً ونفياً مصطلحات حادثة:**

في الحقيقة إن نفس الإنسان لتضيق بذكر كلام هؤلاء الناس، وتتعجب غاية العجب كيف ولم يخوضون فيما لم يذكره رب العزة والجلال ﷻ عن نفسه لا إثباتاً ولا نفياً؟ ولم لم يقفوا عند حدود النص الوارد في ذلك؟ ولم لم يسعهم ما وسع صحابة النبي الكريم ﷺ بإحسان إلى يوم الدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؟ أتساءل لماذا نأتي بهذا الكلام وبهذه الشبهات؟ ولماذا لا نرضى ونسلم بما جاءنا عن الله ﷻ وأن نفهم منه الظاهر على مقتضى لغة العرب وعلى وفق ما فهمه سلف الأمة الصالحين من ذلك؟!!!

لهذا أحببت أن أذكر كلمة بعد تناولي لهذه الشبهة وكلام المتكلمين حولها ، وهو كلام في الحقيقة ينفر منه القلب الحي ، ولولا أن الأمة بحاجة الآن إلى أن تتناول هذه الشبهات وترد عليها ؛ لكي تدافع عن التوحيد على ما أراد رب العزة والجلال ما احتجنا إلى التعرض لمثل هذا الكلام ؛ ولذلك أود أن أبين أن هذه الألفاظ الكلامية التي أدخلها المتكلمون على الله ﷻ إثباتاً ونفيًا كالتركيب والأجزاء والأبعاض... ونحو ذلك ، هي من المصطلحات الكلامية الحادثة التي لم ترد لا في كتاب الله ﷻ ولا في سنة النبي ﷺ ولا يتكلم بها السلف الصالح { وكان الأولى أن نسكت وأن لا نتكلم عنها أيضاً ؛ اقتفاء بسلف هذه الأمة الصالحين الذين لم يتكلموا بهذه الصفات ، أو بهذه الكلمات ، إلى جانب أن هذه ألفاظ مجملة تشتمل على حق وباطل ، ومثل هذه الألفاظ لا يجوز إطلاقها لاشتمالها على الباطل ، وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أيضاً في كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) "في الجزء الأول في صفحة ٩" بدعيّة هذه الألفاظ من حيث النفي أو الإثبات ؛ إذ يقول :

وإثبات لفظ "الجسم" ونفيه بدعة لم يتكلم به أحد من السلف والأئمة ، كما لم يثبتوا لفظ "التحيز" ولا نفوه ، ولا لفظ "الجهة" ولا نفوه ، ولكن أثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة ، ونفوا مماثلة الله ﷻ بشيء من المخلوقات .

وأوضح أيضاً ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "الرسالة التدمرية" بكلام عليه ضياء ونور ، كلام يبين الالتزام التام بمنهج القرآن الكريم في الإثبات والنفي . يقول : وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحد بل ولا له : أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده ، فإن أراد حقاً قبل ، وإن أراد باطلاً ردّ ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ، ولم يرد

جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز... وغير ذلك. يعني: نتوقف في اللفظ.

ولذلك الألفاظ المجملة والعبارات التي أدخلها علماء الكلام في مثل هذا الباب لا بد من التفصيل فيها والبيان، هل هي تشتمل على معنى صحيح أو لا تشتمل؟ هل تؤدي إلى معنى باطل أو لا تؤدي؟ هل يجوز إطلاقها عند الحاجة أو يمتنع؟

وفي الحقيقة الحذاق من العلماء تنبهوا كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تنبهوا إلى هذه الألفاظ المجملة المبهمة التي يراد بها حق ويراد بها باطل، فوقفوا منها موقف الفاحص المدقق، وطالبوا الذي أطلقوها أن يبينوا مرادهم منها وحكموا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فيما بينه هؤلاء المطلقون أو فيما ذكروه، فإن ذكروا من معانيها حقاً قبلوه، وإن ذكروا باطلاً ردوه مع نصحهم لهؤلاء -كما سبق أن أشرت- بترك هذه الإطلاقات التي لم ترد في الكتاب ولا في سنة النبي ﷺ.

ولعل من المناسب هنا أن أذكر أيضاً ما قاله في هذا الأمر شارح الطحاوية -رحمه الله- وهو سياق الرد أيضاً على هؤلاء الناس وما أطلقوه من كلمات ليس لها أصل في الكتاب والسنة، يقول ابن أبي العز -رحمه الله- في الألفاظ التي أطلقها علماء الكلام واستدلوا بها على نفي الصفات عن رب العزة والجلال ﷻ:

الناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ على ثلاثة أقوال: طائفة تنفيها -يعني تنفي إطلاق هذه الألفاظ- وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل -وهم المتبعون للسلف- فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا تبين -يعني: بعد أن نبتين المراد منها- فما أثبت منها بعد البيان فهو ثابت وما نفي بها فهو منفي؛ لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية فليس كلهم يستعملها في معناها اللغوي.

وأنا أعتقد أنهم أدخلوا هذه الألفاظ كي يجدوا مستنداً يستدلون به على نفي الصفات ؛ ولذلك يقول شارح (الطحاوية) :

ولهذا كان نفاة الصفات ينفون بها حقاً وباطلاً ، ويذكرون عن مثبتها ما لا يقولون به ، وبعض المثبتين لها يدخل لها معنى باطلاً مخالفاً لقول السلف ولما دل عليه الكتاب والميزان ، ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها ، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيًا ولا إثباتًا ، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون ، فالواجب أن ينظر في هذا الباب أعني باب الصفات فما أثبتته الله ورسوله أثبتناه ﷺ وما نفاه الله ورسوله ﷺ نفينا ، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي فنثبت ما أثبتته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني ، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها : فإن كان معنى صحيحاً قبل ، لكن ينبغي التعبير عنه بالألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد والحاجة ، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها... ونحو ذلك.

وهذا كلام جيد في الغاية يبين أن السلف -رحمهم الله تعالى- كانوا يستخدمون المصطلحات والألفاظ الشرعية فيما يطلقونه على رب العزة والجلال ﷻ ولذلك شبهة التركيب شبهة باطلة ، وابن أبي العز الحنفي أيضاً -رحمه الله- أبطلها من نواحي أو وجوه متعددة ، فقال بأن التركيب من الذات والصفات هم سموه تركيباً لينفوا به صفات الرب ﷻ وهذا اصطلاح منهم لا يعرف باللغة ولا في استعمال الشرع ، فلسنا نوافقهم على هذه التسمية ، ولئن سموا إثبات الصفات :



تركيباً، فنقول لهم: العبرة للمعاني لا للألفاظ. سموه ما شئتم، ولا يترتب على التسمية بدون المعنى حكم، فلوا اصطلاح على تسمية اللبن: خمراً، لم يحرم اللبن بهذه التسمية.

وفي الحقيقة كلام السلف في الرد على هؤلاء الناس وبيان بطلانهم كثيرٌ للغاية، ولعلي بعد هذا البيان وردود أهل العلم على هذه الشبهة الباطلة؛ يتضح بطلان هذه الشبهة، وما ذهب إليه علماء الكلام منها، ويظهر بعد ذلك منهج أهل السنة والجماعة قائماً واضحاً بحمد الله ﷻ وفضله.

### ٣. شبهة حلول الحوادث بذات الله ﷻ:

وهي تشتمل على النقاط التالية:

#### أ. تعريف المتكلمين للحادث:

اختلفت عباراتهم في تعريفه فقال بعضهم: الحادث ما لم يكن ثم كان. وقال آخرون: هو الذي له أول. وقال فريق آخر: المفتح وجوده.

وقد عرفه الباقلاني -رحمه الله- فقال: بأنه الموجود عن عدم. وبين هذا التعريف بقوله: يدل على ذلك قولهم: حدث بفلان حادث من مرض أو صداع: إذا وجد به بعد أن لم يكن. وحدث به حدث الموت، وأحدث فلان في هذه العرصة بناء، أي: فعل ما لم يكن من قبل موجوداً.

وقد نقل الجويني -رحمه الله- أن هذا الذي ذكره الباقلاني قد ارتضاه الأشعري، يعني سبقه إليه وذكره في تعريف الحادث، وقال بأن الحادث هو المتأخر بوجوده الأزلي.

## العقيدة خاص [٢]

هذه بعض تعريفات المتكلمين للحادث.

وفي الحقيقة لو نظر المتأمل في هذه العبارات التي ساقوها في تعريف الحادث سيرى أن هذه العبارات ترجع إلى نوعين من التعريف:

**أحدهما:** الحادث هو الذي يكون مسبوقاً بالعدم.

**والثاني:** الحادث هو الذي يكون مسبوقاً بالغير.

وكلا النوعين في الحقيقة يرجع إلى نوع واحد، وهو أن الحادث هو: المسبوق الذي تقدمه غيره، سواء كان السابق له العدم أو أمر آخر. وبالتالي فما ذكر من خلاف في تعريف الحادث لا يعتبر خلاف تضاد وتباين وإنما هو خلاف تنوع.

**ب. فرق النفاة كثيرة: فمن الذي قال منهم بشبهة حلول الحوادث بذات الله تعالى؟**

اتفقت طوائف المتكلمين في منع حلول الحوادث بذات الله ﷻ إلا أنهم يختلفون في تحديد الصفات التي تستلزم حلول الحوادث، فطوائف المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والكلابية اتفقوا على هذه العبارة، وهي: منع حلول الحوادث بذات الله ﷻ:

**المعتزلة:**

المعتزلة نفوا جميع الصفات بما فيها صفات المعاني؛ زعماً منهم أنها تستلزم حلول الحوادث بذات الله ﷻ.

وقالوا: بأن الصفات أعراض حادثة؛ فلا يصح أن تقوم بذات الله تعالى؛ إذ لو قامت الحوادث بذات الباري تعالى لاتصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف

لتغير، والتغير دليل الحدوث، ويستحيل أن يكون الباري محدثاً؛ إذ إن أخص وصف للإله كون الإله قديماً. وقالوا أيضاً: إن الصفات أعراض حادثة ولو قامت بذات الله تعالى لاقتضي ذلك حلول الحوادث بذات الله تعالى.

وقالوا أيضاً: إثبات الصفات يستلزم الجسمية، والجسمية تستلزم الحدوث، والقاضي عبد الجبار وهو أحد أئمة الاعتزال يوضح ذلك فيقول: إنه لو كان كذلك -أي جسمًا- لم يكن بد من تحيزه. يعني لو كان متصف بالصفات لكان جسمًا، ولو كان جسمًا لكان لا بد من تحيزه، فإنه إذا لم يكن ذلك لم يفصل عن غيره، وإذا كان متحيزًا وجب ألا يفصل تحيزه عن كونه كائنًا في جهة، ... إلى آخر ما ذكر من هذا الكلام الذي لا برهان له من كتاب الله ولا من سنة النبي ﷺ.

### الأشاعة والماتريدية:

الأشاعة والماتريدية لم يمنعوا اتصاف الله ﷻ بصفات المعاني مخالفين بذلك المعتزلة، لكنهم منعوا تجدد هذه الصفات، ومنعوا قيام الصفات الفعلية الاختيارية؛ انطلاقاً من هذه الشبهة، كما أنهم أيضاً لم يثبتوا الصفات الخبرية؛ فراراً من القول بحلول الحوادث.

**وقد ذكر الأشاعة:** أنه لا يتجدد لله ﷻ عند وجود المنعوتات نعت ولا صفة، والذي يتجدد هو التعلق بين الصفة ومقتضاها، وقد عرفوا التعلق بأنه: طلب الصفة أمراً زائداً على الذات يصلح لها، لكنهم بينوا أن هذه التعلقات أموراً اعتبارية لا وجود لها في الخارج.

وفي الحقيقة هذا الكلام من المسائل التي كان الأولى ألا يخاض فيها؛ لأن نصوص الصفات، سواء كانت الصفات الخبرية والصفات الفعلية، ثابتة لله ﷻ وإن أولها

## العقيدة خاص [٢]

هؤلاء، فنحن نقول لهم: ماذا تفعلون في الصفات الفعلية المتعدية؟ فهناك صفات فعلية لا تتعدى إلى المخلوقين مثلاً، إنما الصفات الفعلية المتعدية كالحلق والرزق والتدبير، وهي لا تقبل التأويل، وهذه الصفات يرى الأشاعرة أنها تعود إلى صفة القدرة والإرادة، وأنه لا تعلق وجود بين هذه الصفات وبين الله تعالى؛ حيث يرون أن الفعل هو المفعول، فالخلق هو المخلوق، والرزق هو المرزوق، أما صفة القدرة والإرادة عنهم فهي قديمة أزلية وتعلق الأفعال المتعدية بها، وتعلق الأفعال المتعدية بها لا يحدث تجددًا في هاتين الصفتين، والتي هي صفة القدرة والإرادة.

**أما الماتريدية:** فلهم شأن آخر في هذه الصفات التي هي صفات الأفعال؛ حيث يرون أن الفعل غير المفعول، وهم بذلك يخالفون الأشاعرة والمعتزلة، لكنهم يرون أن هذه الصفات تتعلق بصفة أزلية يسمونها: التكوين، وهو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود، هذا المراد بصفة التكوين عندهم، وهو الذي يعبر عنه بالفعل، والخلق، والتخليق، والإيجاد، والإحداث، والاختراع... ونحو ذلك.

**الخلاصة:** جميع الفرق التي نفت صفات الله ﷻ أو نفت بعضها قالوا بهذه الشبهة:

أ. المعتزلة قالوا بها في نفي صفات المعاني وغيرها من الصفات.

ب. الأشاعرة قالوا بها في نفي الصفات الاختيارية الخيرية وصفات الأفعال أيضاً.

ج. الماتريدية أيضاً نفوا هذه الصفات وإن اختلفوا مع الأشاعرة في أن هذه الصفات لها تعلق بصفة أزلية أطلقوا عليها: التكوين.

### ج. ما هي أدلة المتكلمين على امتناع قيام الحوادث بذات الله ﷻ:

استدل أهل الكلام على امتناع قيام الحوادث بذات الله ﷻ بالأدلة التالية:

**الدليل الأول:** إن دليل حدوث العالم - وهو دليل حدوث الأجسام - يدل على أن كل ما كان محلًا للحوادث فإنه لم يخلُ منها، وإذا لم يخلُ منها كان محدثًا مثلها، ويكون من السهل جدًا على المتكلمين بعد صحة دليل حدوث العالم أن يجعلوا هذا الدليل مطردًا في منع قيام الحوادث بذات الله ﷻ لأنه إذا كان قيام الصفات الحادثة المتعاقبة على الذات دال على حدوث الذات، فمعنى ذلك أن البارئ تعالى لو كانت بعض صفاته حادثة؛ لزم ألا يخلو عن تلك الصفة الحادثة أو ضدها، وضدها لا يمكن أن يكون قديمًا وإلا لاستحال عدمه، فذلك الضد أيضًا حادث.

هذا هو الدليل الأول الذي استدل به من ذهبوا إلى نفي امتناع قيام الحوادث بذات الله ﷻ وهو ما يعرف عند المتكلمين بدليل الحدوث، أو دليل حدوث العالم، أو دليل حدوث الأجزاء.

**الدليل الثاني:** إن إبراهيم # استدل بالتغير، وهو الأقول، على حدوث الكوكب والشمس والقمر، ومن ثم استدل على أنها ليست آلهة؛ لأن الإله قديم لا يتغير ولا تحل به الحوادث.

وهذا أيضًا دليل قريب من الدليل السابق إن لم يكن هو نفس الدليل، وقد ذكره الشهرستاني فقال: لو قامت الحوادث بذات البارئ ﷻ لاتصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف لتغير، والتغير دليل الحدوث؛ إذ لا بد من مغير. وقد بين معنى التغير فقال: التغير خروج شيء إلى غير ما كان عليه، ولا يشترط فيه

## العقيدة خاص [٢]

بطلان صفة وتجديد صفة ؛ فإنه إذا كان خالياً من صفات ثم اعتراه صفات فقد تغير عما كان عليه.

هذا هو الدليل الثاني الذي استدلوا به على منع قيام الحوادث بذات الله ﷻ وهو دليل التغير أو الأفعال الذي حدث للكواكب.

وكلمات التغير وما إليها لا شك أنهم أتوا بها من عند أنفسهم ؛ لأن مثبتي الصفات لله كما يليق بجلاله وكماله لا يطلقون هذه الألفاظ على رب العزة والجلال ﷻ لا في النفي ولا في الإثبات.

**الدليل الثالث:** قال الرازي: إن كل ما كان من صفات الله تعالى فلا بد وأن يكون من صفات الكمال ونعوت الجلال، فلو كانت صفة من صفاته محدثة لكان ذاته قبل حدوث تلك الصفة خالياً عن صفة الكمال، والخالي عن صفة الكمال ناقص، فليزِم أن ذاته كانت ناقصة قبل حدوث تلك الصفة فيها، وذلك محال، فثبت أن حدوث صفة في ذات الله ﷻ محال.

وهذا الدليل يسمى عند المتكلمين -وكما أطلق عليه الأشاعرية- : دليل الكمال والنقص.

هذه ثلاثة أدلة ذكرها المتكلمون وانطلقوا من خلالها في منع قيام بعض الصفات لرب العزة والجلال أو منعها كلها كما وقع من المعتزلة.

## د. مناقشة الشبهات بالمناقشة والإبطال والرد:

**أولاً:** الصفات الاختيارية التي نفيتها، وهي الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ وتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، وذلك مثل: كلام الله، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبه، ورضاه، ورحمته، وغضبه، ... إلى غير ذلك، هذه الصفات ثابتة لله ﷻ

بالقرآن والسنة وأقوال أئمة السلف وغيرهم، والأدلة كثيرة وأنا سأقتصر على بعضها، وإليكم أمثلة لذلك:

### الأدلة من القرآن:

قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [الأعراف: ١١]. هذا الدليل يبين أنه ﷻ إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم لم يأمرهم في الأزل، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ ، وبعدها: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ متى حصل أمر الله ﷻ للملائكة بالسجود لآدم؟ حصل بعد خلق آدم ولم يكن في الأزل.

وقوله ﷻ عن موسى #: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٢٨]. وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُقَ إِفْتٍ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفصص: ٣٠]. فهذا يبين في أنه إنما ناداه حين جاء لم يكن النداء في الأزل، والأمثلة في صفة الكلام كثيرة.

أخبر ﷻ عن بعض أفعاله المرتبة - يعني التي تترتب على أمور تحدث وتحصل - كقول الله مثلاً للنبي ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] وكقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]. يعني: الحساب مترتب على الأعمال التي يقوم بها الإنسان فتكون في حينها.

وهذا يدل على أنها تحدث في الوقت الذي يشاء الله ﷻ حدوثها، ولا يلزم من ذلك حلول الحوادث الذي زعمه علماء الكلام بذات رب العزة والجلال سبحانه.

من الأدلة من القرآن الكريم على صفات الأفعال الاختيارية التي تحدث في وقت دون وقت ما علقه الله ﷻ من أفعاله على شرط، كقوله مثلاً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾

## العقيدة خاص [٢]

يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾ الطلاق: ٢ - ٣. فهنا جعل سبحانه مخرجاً للمتقي ورزقه على تقواه لرب العزة والجلال؛ فيكون ذلك واقعاً بعد التقوى، وهذا من كتاب الله سبحانه.

## الأدلة من السنة:

هناك أدلة كثيرة جداً من السنة على قيام صفات الأفعال، وهي الصفات الاختيارية بالله ﷻ نذكر منها:

في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الإمام البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة < وفيه أن كل رسول إذا أتى إليه الناس كي يطلبوا منه الشفاعة يقول لهم: ((إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله ولن يغضب بعده مثله)).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : فقال كل منهم: ((إن ربي قد غضب اليوم)) وهو بيان: أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله.

الحديث الذي أخرجه أبو هريرة < وقد ذكره البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: ((يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: نصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ قال الله: أثنى عليّ عبدي. فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: مجدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال الله: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل)).



وهكذا تضافرت عموماً أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية على ثبوت وقيام الأفعال الاختيارية برب العزة والجلال ﷻ وأقوال السلف في إثبات أفعال الرب ﷻ الاختيارية كثيرة جداً.

من ذلك ما ذكره الخلال في كتاب (السنة) عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أنه قيل له: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم ﷻ ويكلمونه ويكلمهم؟ قال: نعم، ينظر وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاء وإذا شاء.

وهناك أقوال كثيرة عن السلف حول هذا المعنى ودلالة القرآن والسنة وأقوال السلف التي فهموها من القرآن والسنة، هي دلالة في الحقيقة على قيام هذه الصفات برب العزة والجلال ﷻ واعتراف أهل الكلام بدلالة القرآن والسنة على هذه الصفات دليل على بطلان قولهم لمخالفته للشرع.

إذاً الرد الأول عليهم: أنهم خالفوا الشرع بنفي هذه الصفات، وخالفوا دلالة القرآن الكريم ودلالة السنة النبوية المطهرة.

أيضاً من الأدلة التي أقيمتها على بطلان دعواهم وأناقشهم في منع قيام الحوادث بذات الرب ﷻ أن نقول لهم: لما ثبتت أدلة الصفات الاختيارية عند أهل السنة، وقد ذكرت بعضها فيما مضى الآن، قالوا بمدلولها، وهو ثبوتها لله تعالى، وأنها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه حتى لو أطلق عليها المتكلمون حوادث أو تغير أو غير ذلك، يعني نقول بثبوت هذه الصفات، وجمهور أهل السنة والجماعة من السلف على ذلك؛ لأن كون هذه الصفات يلزم منها التغير، وهو محال على الله تعالى كما زعموا وذكرنا ذلك، نحن نستفصل منهم ونقول: كلمة "التغير" لفظ مجمل ماذا تعنون به؟ وقد ناقشهم في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقال لهم:

## العقيدة خاص [٢]

"فالتغير في اللغة المعروفة لا يراد به مجرد كون المحل قامت به الحوادث ؛ فإن الناس لا يقولون للشمس والقمر والكواكب إذا تحركت : إنها قد تغيرت. ولا يقولون للإنسان إذا تكلم ومشى : إنه تغير. ولا يقولون إذا طاف وصلى وأمر ونهى وركب : إنه تغير".

يعني : نقول أنتم أدخلتم عبارات مجملة لم يقل السلف بها ، ولا يلزم من اتصاف رب العزة والجلال سبحانه بأفعاله وصفاته الاختيارية والخبرية التي أنكروها أي شيء من التغير والحدوث الذي عانيتموه أنتم ، فالإنسان لو تكلم ومشى لا يقال عنه : إنه تغير. وإذا كان هذا معنى التغير فالرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال منعوتاً بنعوت الجلال والكمال ﷻ.

إذاً عبارة المتكلمين وتعبير المتكلمين بقولهم : إن هذه الصفات يلزم منها التغير. ويستدلون بإبراهيم # أنه أبطل عبادة الآلهة من الكواكب والشمس والقمر وغير ذلك ؛ لأنها تغيرت. نقول : هذا لا يرد على صفات رب العزة والجلال ﷻ ؛ لأن تقوم به الصفات التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه ويفعلها متى شاء ، وكيف شاء ، وعلى ما قام من تعلقات تتعلق بأفعاله ﷻ لا يقال عن ذلك : أنه تغير أو حدث في ذاته شيء لم يكن بحال من الأحوال.

**ثانياً :** ذكر الرازي من الأشاعرة ما يعرف بدليل الكمال والنقص ؛ قالوا بأن لو حدث في ذات الله ﷻ شيء أو حدثت صفة لم يكن رب العزة والجلال متصف بها لكان قبل اتصافه بها ناقصاً ؛ وبالتالي منعوا التجدد في الصفات والأفعال.

**الرد :** لا نسلم أن عدم أمور الأفعال قبل وجودها نقص ، بل لو وجدت قبل وجودها لكان نقصاً ، يعني الأمر بالعكس معكوساً عليهم ، لو وجد ما شاء الله ﷻ أن يكون ، ووجد ما أراد الله ﷻ أن يكون بأمر الله في الوقت الذي أراد الله ﷻ لو وجد قبله لكان ذلك نقصاً ، ويتضح ذلك بمثال تكليم الله ﷻ

لموسى # وندائه له، فنداؤه حين ناداه صفة كمال، ولو ناداه قبل أن يجيء لكان ذلك نقصاً، فكل منها كمال حال وجوده، ليس بكمال قبل وجوده، بل وجوده قبل الوقت الذي تقتضي الحكمة وجوده فيه يعد نقصاً، وبالتالي أيضاً تسقط هذه الشبهة كما تسقط غيرها من الشبهات التي يستدل بها علماء الكلام على منع قيام صفات الأفعال برب العزة والجلال ﷻ.

**الخلاصة:** لا نوافقهم على مسألة حلول الحوادث التي عبروا عنها بذات الله ﷻ وأما قولهم: هذا يلزم منه التغير أو النقصان أو ما إلى ذلك. نقول: لا، لأن هذه الصفات وإن كانت حادثة الآحاد إلا أنها قديمة النوع، فالله ﷻ يتصف بالخلق أزلاً ولكنه في كل يوم وفي كل ساعة وفي كل لحظة يخلق في كونه ما يشاء ﷻ ولا يلزم من أن الله ﷻ يخلق متى شاء في الوقت الذي يشاء ﷻ أن شيئاً قد حل وحدث في ذات رب العزة والجلال، كذلك هو ﷻ يتصف بصفة الكلام أزلاً وأبداً، ومع هذا كلم النبي ﷺ بالقرآن وأوحاه إليه، وكذلك أيضاً سيكلم المؤمنين في يوم القيامة حين يأتي لفصل القضاء بين عباده، وسيكلم أيضاً المؤمنين وهم في جنات عدن ﷻ وكلامه في ذلك الوقت لا يعتبر حدوداً؛ ولأن الحوادث حلّت بذات الله أو أنه جدّ في ذات الله ﷻ شيء لم يكن.

ففي الحقيقة الشبهة التي استندوا إليها، وهي شبهة حلول الحوادث في بذات الرب ﷻ شبهة فاسدة لا تصمد أمام البحث العلمي الدقيق.

#### ٤. شبهة التشبيه والتمثيل:

النفاة ذكروا أن ثبوت الصفات لله كما جاءت يلزم منه التشبيه والتمثيل. ونود أيضاً أن أذكر من قال بهذه الشبهة. وما معناها عندهم؟ وما هي الأدلة التي استدلوا بها؟ وناقشهم فيما ذهبوا إليه.

## العقيدة خاص [٢]

يرى أهل الكلام أن الإله لا يشبه شيئاً بوجه من الوجوه ولا يشبهه أحد، وقد ذكروا صورة مماثلة للمحدثات التي تستحيل على الله تعالى، وهي: الجسم، والعرض، والمكان، والجهة، والتحيز،... إلى غير ذلك.

**وفي الحقيقة:** هذه عبارات مخترعة مصطلحة ذكروها ولم يقل أحد من المثبتين بها، فلم أدخل علماء الكلام أنفسهم في مثل ذلك؟ ولم أتوا إلى مصطلحات اصطلاحوا عليها وذكروها في حق رب العزة والجلال ﷻ؟.

وهناك شبه عشرة ذكروها، وقد ذكرها الشهرستاني - رحمه الله - وذكر أن جميعها منفية عن رب العزة والجلال ﷻ لأن الله ﷻ لا مثل له، واستدل على ذلك بقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وهذا دليل صحيح، ولكنه لا يستدل به على نفي ثبوت صفات الرب ﷻ وسيوضح لنا ذلك بعد قليل - إن شاء الله تعالى.

## أ. من الذي قال بهذه الشبهة؟

أقول: علماء الكلام نفوا صفات الله ﷻ أو نفوا ما نفوه من الصفات بناء على أنه يلزم من إثباتها مشابهة الله ﷻ للمخلوقات، فالمعتزلة يقولون: كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممثل؛ لأنه أثبت للإله مثلاً قديماً، فالتشبيه والتمثيل عندهم المشاركة في أخص الأوصاف، وأخص الأوصاف عندهم القدم.

وقد قالوا أيضاً: إن الصفات بما فيها صفات المعاني لا تقوم إلا بجسم متحيز، والجسم مركب من أجزاء؛ وبالتالي نفوا أيضاً صفات المعاني إلى جانب بقية الصفات، أما الأشاعرة والماتريدية الذين يثبتون صفات المعاني يقولون في الصفات الذاتية الخبرية - بالذات - وصفات الأفعال: أنها لا تقوم إلا بجسم، والأجسام متماثلة؛ فيلزم التشبيه. أما صفات المعاني عندهم فإنها لا تستلزم التجسيم، وقالوا بالنسبة لأفعال الله الاختيارية إنها تستلزم قيام الحوادث بذات

الرب ﷻ وهي عند المعتزلة والأشاعرة والماتريدية منفية أيضاً؛ لأنها تستلزم تشبيه الله ﷻ بالمحدثات.

ونحن عندما نتأمل في تطبيق أهل الكلام لنفي المشابهة عن الله تعالى نجد أنهم قد اختلفوا كما تقدم، حيث رأى بعضهم أن صفات المعاني تستلزم التشبيه، وهم المعتزلة، ورأى غيرهم، وهم الأشاعرة والماتريدية أنها لا تستلزم؛ فهم في الحقيقة لم يتفقوا على شيء واحد ولا على أمر معين يسيرون عليه، أو لم يتفقوا على القول فيما يدخل في باب التشبيه وما الذي لا يدخل فيه.

### ب. مناقشة أقوال الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية:

بادئ ذي بدء نقول: لقد أخطأ أهل الكلام عندما ظنوا أن إثبات الصفات لله ﷻ يستلزم التمثيل؛ لأن إثبات الصفات يملاً نصوص الكتاب والسنة - كما سبق أن ذكرت شيئاً من ذلك وسيأتي ذكر بعضه أيضاً - ولا يمكن أن يكون ظاهر القرآن والسنة يدلان على الكفر الذي هو التشبيه والتمثيل، والذين يجعلون ظاهر النصوص يدل على التشبه والتمثيل قد غلطوا من وجهين: أنهم تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر، ولا يكون كذلك. وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل، والمعتزلة عندما اثبتوا أن الله تعالى حي عالم قادر لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عالم قادر، وكذلك الأشاعرة والماتريدية لما أثبتوا صفات المعاني لم يكن مرادهم أنها مثل صفات المخلوق، وإذا كان إثبات أن الله ﷻ حي عالم قادر وإثبات صفات المعاني لا يلزم منه التمثيل؛ فكذلك إثبات سائر الصفات الذاتية الخبرية والاختيارية لا يلزم منه التمثيل، وقد سبق أن وضحت القاعدة المعلومة عند السلف، وهي أن القول في الصفات كالقول في الذات، وأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

## العقيدة خاص [٢]

ولدحض شبهة التشبيه والتمثيل نقول لهم: إن اتفاق الأسماء لا يوجب بحال من الأحوال اتفاق المسميات، فإن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي التماثل في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فلا يمكن إذا قيل: إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود. أن يعتقد عاقل أن وجود هذا مثل وجود هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود؛ لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ معنىً مشتركاً كلياً، هو مسمى الاسم المطلق، وهذا لا يشبه منه مشابهة أو تمثيل. وإذا قيل: هذا موجود وهذا موجود. فوجود كل منهما يخصه لا يشترك معه فيه غيره بحال من الأحوال مع أن الاسم حقيقة في كل منهما؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

"... ولهذا سمي الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مساهما واتحاده عند الإطلاق والتجديد عن الإضافة والتخصيص: اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلاً عن أن يتحد مساهما عند الإضافة والتخصيص".

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعض الأمثلة الدالة على ذلك، فقال:

"فقد سمي الله نفسه حياً، فقال ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وسمى بعض عباده حياً، فقال ﷻ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ لأن قوله: "الحي" اسم لله مختص به، وقوله ﷻ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجرّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركًا بين المسلمين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق".

وقد ذكر ابن تيمية - رحمه الله - أيضاً أمثلةً أخرى على ذلك :

"... وكذلك سمي الله نفسه ﴿عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١] وسمى بعض عباده عليماً فقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٢٨]. يعنى: اسحاق. وسمى آخر: حليماً؛ فقال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠١]. يعنى: إسماعيل. وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحلِيم..."

يعني: ولا يلزم من الاتفاق في الاسم الاتفاق في المسمى؛ فكلُّ حسب ما يخصه، فما يضاف إلى رب العزة والجلال ﷻ يناسب جلاله وكمالته وعظمته ومجده وسلطانه، وما يضاف إلى المخلوق يناسب عجز المخلوق وضعفه وافتقاره.

**وبالتالي نقول:** إن إثبات الصفات ليس فيه أي تشبيه لله ﷻ واستدلال النفاة بقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ في الحقيقة تحريف للكلم عن مواضعه؛ لأن النص الذي استدلوا به في الحقيقة هو دليل عليهم لا لهم؛ بدليل أن الله ﷻ نفى في أول النص عن نفسه التمثيل والتشبيه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. ومع هذا أثبت صفتي السمع والبصر، واسمه ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فدل ذلك على أن نفي التشبيه والتمثيل لا يكون ولا يلزم منه نفي صفات الرب ﷻ بدليل أنه ختم الآية بإثبات اسمين جليلين يتضمنان إثبات صفتين كريمتين، ألا وهما السمع والبصر، قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فلو كان إثبات الصفات تشبيهاً لما ختم الله ﷻ به هذا النص ولا ذكر هاتين الصفتين للباري ﷻ.

**ولهذا أقول:** إن خاتمة النص الذي استدلوا به واضح الدلالة في الرد عليهم، فكأن الله ﷻ يقول للعباد: لا تنفوا عني صفاتي بدعوى أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه والتمثيل.

## العقيدة خاص [٢]

والذي عليه الأئمة الأعلام في معنى النص: أن الله ﷻ لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، فالله ﷻ لا يشبه أحد من خلقه فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وإثبات الصفات لله على ما يليق لله على ما يليق بجلاله وكماله وعظمته لا يلزم منه تمثيل ولا تشبيه.

**نقول أيضاً بصورة عامة لهؤلاء النفاة:** إن أدلة العقول توافق الأدلة التي جاءت في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ فالأدلة العقلية لا يمكن بحال من الأحوال أن تناقض ما جاءنا من عند الله ﷻ فالعقل الصريح لا يخالف بحال من الأحوال النقل الصحيح، فإذا كان العقل صريحاً والنقل صحيحاً كان أمراً واضحاً في إثبات صفات الكمال لله ﷻ واتفق العقل والنقل على ذلك، وليس هناك أدنى تناقض أو شبهة في هذا الأمر، بل إن نفاة الصفات هم الذين تناقضوا واختلفوا في إثبات الصفات لله ﷻ وأثبت بعضهم البعض ونفى البعض الآخر، وبعضهم أثبتها أو نفاها بالكلية، وبعضهم نفى الأسماء والصفات، ومنهج القرآن الكريم وما عليه سلف هذه الأمة الصالحين ليس فيه هذا التناقض ولا هذا الاختلاف ولا هذا الاضطراب؛ ولذلك نقول لهم: إنكم أخطأتم فيما ذهبتم إليه؛ لعدم سلامة منهجكم في هذا الباب.

**كلمة أخيرة:** إن نفي الصفات عن الرب ﷻ ليس تمجداً ولا تعظيماً لرب العالمين ﷻ، فإثبات صفات الكمال لله ﷻ تدل على عظمة الباري ﷻ ونحن نثبتها لله كما يليق بجلال الله ﷻ وكماله، ولعله يكون وضع لنا بعد ذلك وظهر أن الله ﷻ يتصف بصفات الجلال والكمال كما يليق بجلاله وكماله، ونكون قد ذكرنا شيئاً من أسماء الله الحسنى، وذكرت بعض ما يتعلق بهذه الأسماء وما تفيده من معاني عظيمة تجاه رب العزة والجلال سبحانه.



## أفعال الله تعالى

### عناصر الدرس

- العنصر الأول : أفعال الله تعالى نوعان ٥٢٥
- العنصر الثاني : أقوال الناس في أفعال الله تعالى ٥٢٨
- العنصر الثالث : ما أطلقه الله على نفسه من أفعال على سبيل  
المجازاة ٥٣٦



## أفعال الله تعالى نوعان

أفعال الله سبحانه تنقسم إلى نوعين: متعد، ولازم.

فالمتعدي مثل الخلق، والإعطاء، ... ونحو ذلك؛ فهذا يتعدى إلى ما خلقه الله ﷻ أو إلى ما أعطاه الله ﷻ.

أما الفعل اللازم؛ فمثل الاستواء، والنزول، والمجيء، والإتيان. وقد ذكر الله ﷻ الفعلين اللازم والمتعدي في قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]

هذه الآية ذكرت الفعلين؛ المتعدي واللازم، وكلاهما حاصل بمشيئة الله ﷻ وقدرته، وهو متصف ﷻ به.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن مثل هذا ورد في القرآن الكريم في أكثر من مائة موضع، وقد ذكرت هذه الآية؛ لأنها جمعت بين الفعلين اللازم والمتعدي.

وأما الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ فلا يمكن ضبطها وحصرها لكثرتها، ولأضرب على ذلك أمثلة؛ لأن مثل هذا الكلام في هذا الموطن يختلف فيه الناس كثيراً، وسيأتي الإشارة إلى ذلك. ومن هنا يحتاج الأمر إلى سياق أدلة كثيرة واضحة متضافرة تبين المقصود، وهو أن الله ﷻ يفعل بمشيئته وقدرته، ولا يلزم من ذلك أي لازم باطل.

وهناك بعض الأحاديث الدالة على اتصاف الله ﷻ بالأفعال وقيامه بها، وأنه ﷻ يفعل ما يشاء بمشيئته وقدرته. ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن زيد بن خالد

الجهني < : ((صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)).

فهذا الحديث الذي في الصحيحين يبين أن النبي ﷺ ذكر وأثبت أن الماء الذي نزل من السماء، إنما هو بفضل الله ﷻ ورحمته، وأن الذي أوجده في ذلك الوقت، وأنزله في ذلك الوقت الذي نزل فيه، هو رب العزة والجلال، وهذه صفات فعل قامت بالله ﷻ.

وأيضاً في الصحيحين وغيرهما في حديث الشفاعة الطويل الذي رواه أبو هريرة < فيه: ((أن الناس يأتون إلى آدم وإلى غيره من أولي العزم من الرسل، وأن كل رسول كان يقول لهم إذا أتوا إليه: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله)).

وهذا بيان أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله، فهو غضب حاصل في اليوم الذي سيأتي، ألا وهو يوم القيامة حينما يقوم الناس ويقفون في صعيد واحد بين يدي رب العزة والجلال ﷻ فهذا فعل سيكون، وهذا يؤكد أن الله ﷻ يفعل بمشيئته واختياره، وأن أفعاله تحدث في وقت دون وقت.

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ كما في الصحيح : ((يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: نصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل)) لو تأمل ألفاظ هذا الحديث لاستبان له، واتضح معنى حدوث الأفعال التي يحدثها رب العزة والجلال ﷻ بمشيئته وقدرته في وقت دون وقت، وأنه ﷻ يفعل ما

## العقيدة خاص [٢]

المدرس الكامل شهر

يشاء ، يقول الله تعالى فيما رواه عنه النبي ﷺ : ((يقول الله : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين : نصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدني ما سألت ، فإذا قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله : حمدني عبدي . فإذا قال : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله : أثنى عليّ عبدي . فإذا قال : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله : مجدني عبدي . فإذا قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله : هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سألت . فإذا قال : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال الله : هؤلاء لعبدي ولعبدني ما سألت)).

فقد أخبر النبي ﷺ أن الله ﷻ قد أخبر أن العبد إذا قال في صلاته : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله : ((حمدني عبدي)) وإذا قال : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله : ((أثنى عليّ عبدي)). فهذا القول الذي يقوله رب العزة والجلال يكون عقب قول المصلي : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وعقب قوله : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ . وهذا يدل على أن الله ﷻ يتكلم متى شاء ، وكيف شاء ، وأن كلامه يحدث في وقت دون وقت .

ويؤكد ويؤيد قيام الأفعال الاختيارية بالله ﷻ ما جاء في حديث النزول ، وهو حديث صحيح ، سيأتي الكلام عنه بتفصيل لإثبات هذه الصفة على ما يليق بجلال الله وكماله .

وجاء في الحديث : ((ينزل ربنا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفري فأغفر له)) فهذا قول وفعل في وقت معين ، يعني الوقت : أنه في ثلث الليل الآخر وفي كل ليلة ، وأن الله ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا ، فيقول هذا القول : ((من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفري فأغفر له)). وقد اتفق السلف على أن النزول فعل يفعله الرب ﷻ كما قال ذلك الأوزاعي ، وحمام بن زيد ، والفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة رحمهم الله .

## العقيدة خاص [٢]

والحديث فيه دلالة واضحة ظاهرة على قيام الأفعال بالله ﷻ سواء كانت أفعالاً لازمة أو أفعالاً متعدية، قال في الصحيحين عنه ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ: قال الله ﷻ: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه؛ ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ؛ ذكرته في ملأ خير منهم))، وحرف "إن" هو حرف الشرط والجزاء يكون بعد الشرط، وهذا يبين أنه يذكر العبد إن ذكره في نفسه، وإن ذكره في ملأ ذكره في ملأ خير منهم.

والمنازع يقول: ما زال يذكره أزلاً وأبداً، ثم يقول ذكره وذكر غيره، وسائر ما يتكلم الله به ﷻ يقولون: هو شيء واحد، لا يتبعض ولا يتعدد؛ فحقيقة قولهم: إن الله ﷻ لم يتكلم ولا يتكلم، ولا يذكر أحداً، وهذا في الحقيقة مخالف لما جاء في كتاب الله، ولما جاء في سنة النبي ﷺ.

هذه الأحاديث السابقة تبين بما لا يدع مجالاً للشك قيام الأفعال بالله ﷻ سواء كانت أفعالاً لازمة أو متعدية.

## أقوال الناس في أفعال الله تعالى

أفعال الله ﷻ هي الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، وذلك مثل: كلام الله سبحانه ومثل سمعه، ومثل بصره، وإرادته، ومحبه، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، وخلقه، وإحسانه، وعدله، واستوائه، ومجيئه، ونزوله، ... ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز وجاءت في سنة النبي الكريم ﷺ.

هذه الصفات التي ذكرتها تنازع الناس في إثباتها ونفيها لله ﷻ: فالجهمية ومن وافقهم من المعتزلة يقولون: لا يقوم بذاته ﷻ شيء من الصفات ولا غيرها. هذا

قول الجهمية ومن اتبعهم من المعتزلة في أنهم ينفون الصفات الذاتية، والصفات الفعلية عن رب العزة تعالى.

والكلابية أتباع عبد الله بن ساعد بن كلاب القطان، ومن وافقهم كالشاعرة وغيرهم، يقولون: تقوم صفات بغير مشيئته وقدرته، أي: أنهم يثبتون الصفات الذاتية، أما صفات الأفعال، وهي التي تحدث بمشيئة الله واختياره في وقت دون وقت، فهم لا يثبتونها، ويقولون فيها بأن ما يكون بمشيئة الله وقدرته لا يكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه.

أما السلف وأئمة السنة والحديث فيقولون: إنه متصف بذلك، كما نطق به الكتاب والسنة. وهذا قول كثير من أهل الكلام والفلسفة، يقولون بهذا لكنهم يتضاربون ويتناقضون.

وأما السلف وأئمة السنة والحديث فهم يقولون بأن الله عز وجل يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلامه ليس بمخلوق بل كلامه تعالى صفة له قائمة بذاته، وممن ذكر أن ذلك هو قول أئمة السنة أبو عبد الله بن منده، أبو عبد الله بن حامد، وأبو بكر عبد العزيز، وأبو إسماعيل الأنصاري... وغير هؤلاء كثير، وكذلك ذكر أبو عمر بن عبد البر نظير هذا في الاستواء، وأن أئمة السنة كعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومن لا يُحصى من الأئمة، يقولون بذلك، وكلهم قد اتفقوا على أنه تعالى يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء. وسيأتي حديث عن صفة الكلام بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله تعالى.

أما عن أقوال الناس وما تنازعوا فيه في أفعال الله تعالى فقد ذهب أهل السنة إلى إثبات صفة الكلام على ما يليق بجلال الله عز وجل وكماله، وأنه يتكلم في وقت دون

## العقيدة خاص [٢]

وقت ، وأنه يتكلم متى يشاء ﷻ وقد سمي الله ﷻ القرآن العزيز حديثاً ؛ فقال :  
﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾  
[النساء: ٨٧]. وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال  
النبي ﷺ : ((إن الله يُحدِّث من أمره ما يشاء)).

وهذا مما احتجَّ به البخاري وغيره على أن الله يتكلم متى شاء ، وكيف شاء ، وأن  
إنزال القرآن الكريم مثلاً هو يعد حادثاً بالنسبة لنزوله إلى النبي ﷺ فالحدوث هنا  
حدوث نسبي ، ولا نعني بذلك بأن القرآن الكريم حادث بمعنى مخلوق ، بل هو  
كلام الله ﷻ الذي يتصف به أزلاً وأبداً ، وهو أيضاً من صفات الأفعال التي تقوم  
باختيار الله ﷻ ومشيتته ، وتحدث في وقت دون وقت. هذا قول أئمة السلف.

أما الجهمية والمعتزلة ؛ فيقولون في هذه الصفة - على ما سبق أن قالوا- بنفي  
جميع الصفات عن الله ﷻ.

وأما صفات الأفعال ، يقولون في هذه الصفة : ليس لله ﷻ كلام قائم بذاته ، بل  
كلامه منفصل عنه مخلوق عنه. والمعتزلة يطلقون القول بأنه يتكلم بمشيئته ، قد يجد  
بعض طلبة العلم هذا مذكوراً عن بعض المعتزلة ، ولكن مرادهم بذلك : أنه ﷻ  
يخلق كلاماً منفصلاً عنه ، لا يقوم بذاته ، ولا أن الله ﷻ يتكلم بمشيئته بصفة  
الكلام.

أما الكلائية ومن اتبعهم كالأشاعرة يقولون : إنه ﷻ لا يتكلم بمشيئته وقدرته ؛  
لأنهم لا يثبتون صفات الأفعال التي تحدث للرب ﷻ فينفون ذلك عن رب العزة  
والجلال ، وبالتالي يقولون بأن : الله ﷻ لا يتصف بهذه الصفة ، ألا وهي صفة  
الكلام ، ويقولون بأن كلام الله ﷻ قائم بذاته بدون قدرته ومشيئته مثل حياته  
تماماً ، وهم يقولون : الكلام صفة ذات لا صفة فعل. يعني : أنه لا يتعلق بمشيئة



الله ﷻ واختياره، وهم في الحقيقة بهذا لا شك أنهم يقفون ويؤيدون كلام المعتزلة في مثل ذلك، وأن الله سبحانه لم يتكلم في حقيقة الأمر بمشيئته واختياره. وهذه الأقوال كلها باطلة عدا قول السلف -رحمهم الله تعالى- وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أدلتهم في ذلك؛ فقال: على أن أفعال الله ﷻ تقوم بمشيئته واختياره، ونص كلامه -رحمه الله- في: (درء تعارض العقل والنقل) أنه قال: "ونحن ننبه على دلالة السمع على أفعال الله تعالى الذي به تنقطع الفلاسفة الدهرية، ويتبين به مطابقة العقل للشرع".

ثم قال: "ولا ريب أن دلالة ظاهر السمع ليس فيها نزاع، لكن الذين يخالفون دلالته يدعون أنها دلالة ظاهرة لا قاطعة، والدلالة العقلية القاطعة خالفتها" فعلى العموم كما يذكر ابن تيمية أن أصل الدلالة متفق عليه.

ولذلك قال -رحمه الله- في قيام الأدلة على اتصاف الله ﷻ بصفات الأفعال، كي يبطل أقوال الجهمية والمعتزلة والكلابية، ومن تبعهم من الأشاعرة، يقول: "معلوم بالسمع اتصاف الله ﷻ بالأفعال الاختيارية القائمة به كالاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش، والقبض والطي، والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك، بل والخلق والإحياء والإماتة"، فإنه ﷻ وصف نفسه بالأفعال اللازمة.

وأيضاً وصف نفسه ﷻ بالأفعال المتعدية كالخلق، يعني: أنها تتعدى إلى المخلوقين، فالله ﷻ يتصف بالخلق وهو فاعل الخلق، والمخلوقين هم من خلقهم الله ﷻ والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم، فإن الفعل لا بد له من فاعل، سواء كان متعدياً إلى مفعول أو لم يكن، والفاعل لا بد له من فعل سواء كان فعله مقتصرًا عليه أو متعدياً إلى غيره.

بهذا يتبين أن الفعل اللازم يقوم بالفاعل ، وأن الفعل المتعدي أيضاً لا بد له من فاعل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يريد أن يقول : بأن الله ﷻ في أفعاله الاختيارية يفعل بمشيئته وقدرته ، وأن هذه الأفعال تقوم به ﷻ ولذلك يؤكد هذا فيقول : "أما السمع ؛ فإن أهل اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، بل وغيرها من اللغات ، متفقون على أن الإنسان إذا قال : قام فلان وقعد. وقال : أكل فلان الطعام وشرب الشراب ، فإنه لا بد أن يكون في الفعل المتعدي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة ؛ إذ كلتا الجملتين فعلية ، وكلتاهما فيه فعل وفاعل ، والثانية امتازت بزيادة المفعول ، فكما أنه في الفعل اللازم معنا فعل وفاعل ، ففي الجملة المتعدية أيضاً معنا فعل وفاعل وزيادة مفعول به.

أي : يريد أن يؤكد أن هذه الأفعال تقوم بذات الله ﷻ والذين يقولون بأن هذه الأفعال لا تتعلق بفاعل ، وأنها تكون مخلوقة منفصلة عن رب العزة والجلال ، كلامهم بذلك من أبطل الباطل ، بل كلام معلوم الفساد بالضرورة.

ولو جئنا إلى قول الله ﷻ مثلاً : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الحديد: ٤]. هذه الآية أيضاً تضمنت فعلين : أولهما متعد إلى المفعول به ، ألا وهو ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ، "خلق" هذا فعل ، والفاعل هو "رب العزة والجلال ﷻ" ، و "السموات" مفعول به. فالله ﷻ هنا هو الفاعل حقيقة ، وهو الخالق حقيقة ، وهو الذي خلق السموات والأرض وقت أن شاء وأراد أن تكون ، كما خلق سائر ما خلق في الوقت الذي شاء أن يخلق فيه رب العزة والجلال ﷻ.

الفعل الثاني في هذه الآية فعل لازم لا يتعدى ، وهو قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ فكما أن قوله : "استوى" فعل متعلق بفاعل ، فكذلك خلق بلا نزاع بين أهل العربية.

ولو قال قائل: "خلق" لم يتعلق بالفاعل، بل نصب المفعول به ابتداءً؛ لكان جاهلاً، بل في "خلق" ضمير يعود إلى الفاعل كما في: "استوى". هذا من جهة النقل.

وأما من جهة العقل؛ فمن جواز أن يقوم بذات الله تعالى فعل لازم له، كالمجيء والاستواء ونحو ذلك، لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بالمخلوق؛ كالخلق والبعث والإماتة والإحياء، كما أن من جواز أن تقوم به صفة لا تتعلق بالغير كالحياة لم يمكنه أن يمنع قيام الصفات المتعلقة بالغيب كالعلم والقدرة والسمع والبصر. ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بإثبات أحد الضربين دون الآخر، بل قد ثبتت الأفعال المتعدية القائمة به كالتخليق من ينازع في الأفعال اللازمة كالمجيء والإتيان، وأما العكس فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فما علمت أن أحداً قال به". إذن يريد -رحمه الله- أن يثبت أن الله ﷻ يتصف بصفات الأفعال، وأنه يفعل متى شاء، وكيف شاء، وأنه هو الفاعل على الحقيقة لا على المجاز، وأن ما يخلقه رب العزة والجلال ﷻ أو ما يعطيه وغير ذلك من صفات الأفعال، هذه تقوم بذاته ﷻ.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن الناس كانوا صنفين قبل أن يأتي ابن كلاب -رحمه الله- يعني: كان الناس يختلفون في هذه المسألة ويفترقون إلى فرقتين: الجهمية، والمعتزلة ومن شابههم وسار في ركبهم، هؤلاء ينفون الصفات سواء كانت صفات ذات أو صفات فعل، يقابلهم المنهج الصواب والمنهج الصحيح ألا وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، حيث إنهم يثبتون ما يقوم لله ﷻ من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها؛ فكان الناس فريقين؛ جهمية معتزلة تنفي الصفات بالكلية، والجهمية ينفون الأسماء أيضاً،

والمعتزلة وإن أثبتوها؛ فهذا كلام لا حقيقة له في الواقع، حينما قالوا: بأن أسماء الله أعلام مترادفة لا تدل على معان ثبوتية.

هكذا قال الجهمية والمعتزلة مخالفين بذلك منهج أهل السنة والحديث، فلما ظهر ابن كلاب - رحمه الله - قال: وأثبت الصفات اللازمة لله ﷻ ونفى من الصفات ما يتعلق بمشيئة الله ﷻ وقدرته من الأفعال وغيرها.

ولذلك أهل السنة والجماعة اعتبروه بذلك قد أتى بشيء لم يكن عليه أحد قبله، وقد تبعه في فترة من الفترات على ذلك الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله -، فأبو الحسن الأشعري - رحمه الله - لما رجع عن مذهب المعتزلة وخرج عليهم كما هو معلوم عنه - رحمه الله - سلك أولاً طريقة ابن كلاب في أنه كان يثبت الصفات الذاتية، وينفي الصفات الفعلية التي تقوم برب العزة والجلال ﷻ وكان هذا يعرف بطور كان عليه أبو الحسن الأشعري، وهو الطور التالي لطور الاعتزال مباشرة؛ لأنه مر بثلاث مراحل أو بثلاثة أطوار: كان أولاً: معتزلاً، ثم بعد ذلك خرج على المعتزلة، وسلك طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب، ثم بعد ذلك في نهاية عمره ختم الله ﷻ له بالحسنى، فمال إلى أهل السنة والحديث. وانتسب إلى إمام الأئمة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - كما قد ذكر في كتبه كلها كـ(الإبانة) و(الموجز) و(المقالات) وغير ذلك. وبعض الناس يشكك أن الكتاب له، ولكن في الحقيقة بالنظر الدقيق والبحث أيضاً الدقيق يظهر للباحث أن هذا الكتاب له.

وقد ذكره كثير من الأئمة العلماء من أتباع مذهب الأشعري أنفسهم - رحمهم الله تعالى - فذكره ابن عساكر - رحمه الله - في كتابه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري). ونقل منه بعض النقول، وابن عساكر

كان قريباً من الأشعري - رحمه الله - وكذلك الحافظ الصابوني - رحمه الله - كان يخرج إلى الدرس ومعه كتاب (الإبانة)، ويقول: "ما الذي عليّ من هذا؟ الكتاب شرح مذهبه". يعني يريد أن يقول: بأن الكتاب شرح مذهب أبي الحسن الأشعري بعد ما رجع إلى مذهب السلف.

ثم بعد ذلك أقول للمنكرين لكتاب (الإبانة) أو لغيره من الكتب التي رجع فيها أبو الحسن الأشعري إلى مذهب السلف: لا شك أن كتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) لأبي الحسن الأشعري - والذي لم ينكر أحد نسبته إلى الإمام الأشعري - نجده في نهاية الجزء الأول ذكر أبو الحسن الأشعري معتقد أهل السنة والجماعة، والمعتقد الصحيح الذي يدين هوبه، فقال: ذكر جملة من معتقد أهل الحديث، وذكر المعتقد الثابت عنهم، وأثبت الصفات للرب ﷻ.

ولذلك الأشعري وأئمة أصحابه كأبي الحسن الطبري، والقاضي أبي بكر الباقلاني متفقون على إثبات الصفات الخيرية التي ذكرت في القرآن؛ كالاستواء والوجه واليد وإبطال تأويلها.

أي: أن الأشعري - رحمه الله - لما رجع إلى مذهب السلف، وقال بقولهم، أثبت الصفات الذاتية الخيرية والصفات الفعلية، وأئمة أصحابه تابعوه على إثبات الصفات الخيرية كالاستواء، واليد والوجه، وإن وقع منهم بعد ذلك خلاف في الصفات الفعلية، ثم لما بعد العهد نوعاً ما بأبي الحسن الأشعري - رحمه الله - وهذا البعد لم يكن طويلاً، بل سنين عديدة، بدأ أتباع المذهب الأشعري يخالفون الإمام أبا الحسن الأشعري - رحمه الله - فينفون صفات الأفعال عن الله ﷻ وكذلك الصفات الذاتية الخيرية، في الوقت الذي قال بها وأثبتها الإمام أبو الحسن الأشعري.

## ما أطلقه الله على نفسه من أفعال على سبيل المجازة

القاعدة العظمى لأهل السنة: قال ابن القيم -رحمه الله-: "إنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق منه اسم مطلق، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه -سبحانه- منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة".

هذا كلام في الحقيقة دقيق للغاية من ابن القيم -رحمه الله- ونحن نتكلم عن صفات الأفعال، فالله عز وجل أطلق على نفسه أفعالاً على سبيل المجازة، فهل لنا إذا أخبر الله عن نفسه بفعل مقيد أن نشق له منه اسماً مطلقاً أم لا؟ هذه مسألة دقيقة، وأحببت أن أذكرها في هذا المقام، وأنا أتكلم عن أفعال الله عز وجل لكي أعصم إخواني المستمعين من الوقوع في خطأ في هذا الباب.

هذه القاعدة تقرير للأحكام العقيدية المتعلقة بالأفعال التي أطلقها الله عز وجل على نفسه في سياق المجازة والعقاب، بأن لم يرد في كتاب الله وسنة نبيه إطلاقها على الرب عز وجل في غير ما قيّد به، يعني هذه الأفعال المتعلقة بالرب عز وجل لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية إطلاقها على رب العزة والجلال في غير ما قيّد به.

## ويظهر ذلك بذكره عدة أصول عقيدية في هذه المسألة:

الأول: إطلاقها فيما قيّد به، فيجب أن نطلق هذه الأفعال الواردة فيما قيّد به كما في قول الله عز وجل: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله عز وجل: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. ففي هذا المقام يسوغ الإخبار والوصف بها في حق الله عز وجل.

**الثاني:** إطلاقها على الله بلا قيد مجازاة أو عقاباً مثل أن يقال: "الله يكرر ويستهزئ ويخادع" هذا يجرم إجراؤه على الله من باب الوصف أو الخبر؛ لعدة أمور؛ فالأمر الأول: أن نطلقها فيما قيدت به، أما إطلاقها بلا قيد المجازاة والعقاب التي وردت فيه؛ فيحرم على كل حال؛ وذلك لعدة أمور:

أ. مخالفة ذلك لما ورد في الكتاب والسنة، لأنها لم ترد فيهما إلا مقيدة بقيد الجزاء والعقاب

ب. لِمَا يلزم من إطلاقها على الله ﷻ وصفة بالنقضين. لماذا؟ لأن هذه الأفعال تحتل المدح والذم؛ إذ يُمكن أن يكون المدح عن سوء نية وفساد طوية، ويمكن أن يكون مقابلة للسوء بمثله، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. وهنا جاءت المجازاة والعقاب من جنس فعل الكافرين والمنافقين.

ج. لأن الله ﷻ يُوصف بالصفات الحسنى والنعوت العليا، وهي ما خلصت للدلالة على الكمال والجمال من كل نوع.

وهذا النوع من الأفعال غير المقيدة ليست كذلك، لدلالاتها على المدح والذم على وجه الاستواء؛ لأن ذلك هو دلالة مطلقها، أما ما هو مقيد فيجب الاقتصار على ما ورد فيه بهذا القيد.

**الثالث:** عدم اشتقاقه، يعني من القواعد التي نفهمها أو من تحليلي لهذه القاعدة نفهم أننا لا نشق لله ﷻ اسم الفعل مما جاء على سبيل المجازاة والعقاب، فلا نقول في حق الله: أنه ماكر أو مخادع أو مستهزئ... ونحو ذلك، وقد تقدم تفصيل ذلك في المستوى الثالث.

أيضاً نقول: يلزم من إجازة إطلاق هذه الأفعال التي وردت مقيدة أن ندخل في أسماء الله ﷻ: الناسي، والقاسم، والساخط، والآتي، والداعي، والجائي،... ونحو ذلك، وهذا في الحقيقة باطل، لا يقوله مسلم ولا عاقل يعرف قدر ومكانة وجلالة رب العزة والجلال ﷻ.

ومثال ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]. فالله ﷻ هنا ذكر أنه يمكر، وهذا فعل من أفعال الله تعالى على سبيل المقابلة والجزاء، فأقول: وصف الله ﷻ نفسه في هذه الآية بأنه يمكر بالكافرين، وذلك مقابلة لهم بنقيض قصدهم من الإضرار بالمسلمين، وأنهم يريدون أن يفتنوا المسلمين، فكان هذا على سبيل الجزاء والعقاب العادل المناسب لأفعالهم المقيتة، وتصرفاتهم المشينة. الله ﷻ يمكر بهم، ومكر الله ﷻ هنا حسن في مقابل فعلهم السيء بأهل الإيمان.

ومما يدل على ذلك لفظ الآية، فإن مكر الله ﷻ بهم كان في مقابل مكرهم: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدْ وَأَعِيهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ونظراً لما هو معلوم شرعاً وعقلاً من أن الله أعلم بنفسه، ورسوله أعلم بربه من غيره، وهو نطق بذلك كما جاء في القرآن الكريم، فكان لا بد لنا من التقييد، والتقييد بألفاظ هذا النص وأمثاله في جنس هذه الأفعال التي أطلقها على نفسه ﷻ في مقابلة أعدائه بمثل فعلهم، وهذا عدل من الله ﷻ وإنصاف.

وبالتالي أقول: يجب ألا نتعدى ذلك إلى قياس أو اجتهاد؛ إذ لا مكان لذلك هنا؛ لأن القياس والاجتهاد أمران مستلزمان لإعمال الذهن والعقل، وفيما لم يرد فيه نص لا قياس فيه ولا عمل ولا اجتهاد؛ لأن باب الاعتقاد موقوف على كتاب الله وسنة النبي ﷺ ولا يمكن علم ذلك عن طريق الاجتهاد والقياس؛ فوجب أن يقتصر في التعبير عن أمثالها من الأفعال بطريقة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيمكن أن نقول في غير القرآن: الله يمكر بالكافرين، ويستهزئ بالمنافقين، أما أن نذكرها صفات مطلقة؛ فهذا لا يجوز بحال من الأحوال.

هذا، وبالله التوفيق.



# قائمة المراجع العامة



## ١. (الإبانة على أصول الديانة)

أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، دار النفائس، ١٩٩٤م.

## ٢. (القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف)

إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان، الرياض، دار الهجرة، ١٩٩٤م.

## ٣. (شرح العقيدة الطحاوية)

علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ.

## ٤. (النهاية في غريب الحديث والأثر)

عز الدين أبي الحسن علي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، دار المعرفة، ٢٠٠٦م.

## ٥. (الإحكام في أصول الأحكام)

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

## ٦. (الاستنكار: الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، مع الفهارس)

يوسف بن عبد البر القرطبي، وضع الحواشي: سالم محمد عطا، تحقيق: محمد علي عوض، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

## ٧. (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)

يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

## ٨. (رسالة إلى أهل الثغر)

أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨م.

## ٩. ( مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين )

أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، القاهرة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٩هـ.

## ١٠. ( تفسير القرآن العظيم )

أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الراجعية للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

## ١١. ( عقيدة المؤمن )

جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، دار العقيدة، ٢٠٠٤م.

## ١٢. ( السنن )

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

## ١٣. ( مختصر العلو للعلي الغفار )

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ.

## ١٤. ( العلو للعلي الغفار )

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٥م.

## ١٥. ( صحيح البخاري )

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

## ١٦. ( عقيدة السلف أصحاب الحديث )

أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، الرياض، مطابع دار طيبة، ١٩٩٤م.

## ١٧. (الجامع الصحيح سنن الترمذي)

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

## ١٨. (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة)

أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، ترجمة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله بن الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، ١٩٨١م.

## ١٩. (منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة)

أحمد بن عبد الرحمن الصويان، دار السليم، ١٩٩٩م.

## ٢٠. (البيهقي وموقفه من الإلهيات)

أحمد بن عطية بن علي الغامدي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٨٢م.

## ٢١. (فتح الباري شرح صحيح البخاري)

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

## ٢٢. (خبر الواحد وحجيته)

أحمد محمود عبد الوهاب الشنقيطي، المدينة المنورة، طبعة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٢هـ.

## ٢٣. (الأسماء والصفات)

تقي الدين أحمد عبد الحلیم بن تيمية، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

## ٢٤. (الرد على المنطقيين)

تقي الدين أحمد عبد الحلیم بن تيمية، دار الفكر، ١٩٩٣م.

## ٢٥. (الرسالة التدمرية)

تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣ م.

## ٢٦. (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية)

تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٢ هـ.

## ٢٧. (درء تعارض العقل والنقل)

تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية، الرياض، دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١ هـ.

## ٢٨. (مجموع فتاوى ابن تيمية)

تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م.

## ٢٩. (منهاج السنة النبوية)

تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦ هـ.

## ٣٠. (شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية)

خالد بن عبد الله المصلح، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦ م.

## ٣١. (عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان)

سليمان الغصن: (رسالة ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار

العاصمة، ١٩٩٦ م.

## ٣٢. (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، القاهرة، مكتبة مصر، ٢٠٠١ م.

## ٣٣. (مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة)

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م.

٣٤. (كتاب العرش وويليه تشبه الخسيس بأهل الخميس في رد التشبه بالمشركين)

شمس الدين محمد الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٣٥. (النحو الوافي)

عباس حسن، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

٣٦. (هذه هي الصوفية)

عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٣٧. (القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه)

عبد الرحمن بن صالح المحمود، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ.

٣٨. (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد)

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن عفان، ٢٠٠١م.

٣٩. (التنبيهات السننية على العقيدة الواسطية)

عبد العزيز الناصر الرشيد، دار الرشيد، ١٩٩٥م.

٤٠. (الفرق بين الفرق)

عبد القادر بن طاهر البغدادي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٤م.

٤١. (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري)

عبد الله بن محمد الغنيمان، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ.

٤٢. (نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد)

عثمان بن سعيد الدارمي، الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٩٨م.

## ٤٣. (الرد على الجهمية)

عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الكويت، دار ابن الأثير، ١٩٩٥م.

## ٤٤. (منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة)

عثمان علي حسن، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٣هـ.

## ٤٥. (صفات الله - عز وجل - الواردة في الكتاب والسنة)

علوي بن عبد القاهر السقا، دار الهجرة، ١٩٩٤م.

## ٤٦. (الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة)

عمر الأشقر، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

## ٤٧. (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)

محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

## ٤٨. (النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى)

محمد الحمود النجدي، الكويت، مكتبة الإمام الذهبي، ١٩٩٧م.

## ٤٩. (شرح العقيدة الواسطية)

محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

## ٥٠. (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه)

محمد أمان الجامي، دار الفنون للطباعة والنشر، ١٩٩١م.

## ٥١. (اجتماع الجيوش الإسلامية)

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م.

## ٥٢. (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة)

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، ١٩٩٨م.



٥٣. (بدائع الفوائد)

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

٥٤. (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الفكر، ١٩٩٨م.

٥٥. (مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد" و"إياك نستعين")

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٥٦. (لوامع الأنوار البهية)

محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، ١٩٩١م.

٥٧. (الرسالة)

محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

٥٨. (التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل)

محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٨هـ.

٥٩. (الرد على الجهمية)

محمد بن إسحاق بن منده، مكتبة الغرباء الاثرية، ١٩٩٤م.

٦٠. (معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات)

محمد بن خليفة التميمي، الرياض، أضواء السلف، ١٩٩٩م.

٦١. (القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنی)

محمد بن صالح العثيمين، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠١م.

## ٦٢. (القول المفيد على كتاب التوحيد)

محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤ هـ.

## ٦٣. (تذكرة الموضوعات)

محمد بن طاهر الهندي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥ م.

## ٦٤. (لسان العرب)

محمد بن مكرم بن منظور، طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩ م.

## ٦٥. (تفسير القاسمي "محاسن التأويل")

محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م.

## ٦٦. (باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي - نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في

الإلهيات)

محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م.

## ٦٧. (شرح العقيدة الواسطية)

محمد خليل هراس، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد، ١٩٩٢ م.

## ٦٨. (شرح القصيدة النونية)

محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م.

## ٦٩. (صحيح مسلم)

مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار المعرفة، ٢٠٠٥ م.

## ٧٠. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)

هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م.

